

كتاب

تجارت الامم

لابي علي احمد بن محمد
المعروف بسكويه

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الثانية

٢٠١٣/هـ١٤٣٤

حقوق الطبع محفوظة للناسر
الناسر

مكتبة الثقافة الدينية

526 شارع بورسعيد - القاهرة

25936277 / فاكس: / 25938411-25922620

E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

٢٠٠٢/١٥٦٢٦	رقم الايداع
977 - 341 - 111 - 7	I.S.B.N الترقيم الدولي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(خلافة المتقي لله أبي اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله)

لما مات الراضى بالله بقى الامر فى الخلافة موقوفاً انتظاراً لقدم ابي عبد الله الكوفى من واسط وأحتيط على دار السلطان وانتظر أمر بحكم فيمن يُنصب للخلافة فورد كتابه على ابي عبد الله الكوفى يامر فيه أن يجتمع مع الوزير الذى كان يزر للراضى بالله وهو أبو القاسم سليمان بن الحسن وكل من تقلد الوزارة مع أصحاب الدواوين والقضاة والعدول والفقهاء والعاوين^(١) والعباسيين ووجوه البلد وشاورهم فيمن يُنصب للخلافة ممن يرتضى مذاهبه وتحمده طرائقه فن وُجِدت فيه هذه الاحوال عُقدت له الخلافة . فلما اجتمعوا ذكر بعضهم ابراهيم بن المقتدر ففرق الناس عن هذا ذلك اليوم من غير تقرير لامر فلما كان اليوم الثانى دُفع كتاب بحكم الى كاتبٍ فقام وقرأه على الناس وذكر ابراهيم : فقال محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمى : هذا الرجل من ولد المقتدر فقل لنا هذا الرجل المذكور فى الكتاب يجب ان يكون من ولد المقتدر أو من غيرهم ؟ فقال أبو عبد الله الكوفى : من كانت فيه هذه الاوصاف نُصب فى الخلافة كأننا من كان . فقال له : يحتاج ان

يكون الخطاب في هذا سرا . فقام أبو عبد الله فدخل الى بيت وأقبل يدخل اليه الناس اتنان اتنان ويقول لهما : قد وُصف لنا ابراهيم بن المتقدي فأي شيء تقولون ؟ فاذا سمعوا ذلك لم يشكوا في انه شيء قد تقرر وورد فيه أمر يحكم فيقولون : هو موضع لما أهّل له . وكلاما في هذا المعنى فلما استوفى كلام الجماعة تقدم بحمله ليعقد له الامر في دار بحكم ثم يحمل الى دار السلطان . وانحدر أبو عبد الله الكوفي وعرضت الالقباب على المتقي لله فاختار منها هذا اللقب وأخذت البيعة على الناس ^(٣٠) وأخذ الخلع واللواء الى بحكم مع أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني الى واسط فانحدر بها وخلص عليه وأخذ البيعة عليه للمتقي لله ^(٣١)

وأطلق بحكم لاصحابه صلاة البيعة نصف رزقه أو دون ذلك ولم يُطلق للكتاب واللقباء وأشباههم شيئا . ووجه بحكم قبل استخلاف المتقي فحمل من دار السلطان فرسا كان استحسنته وآلات كان اشهاها . وخلص المتقي لله على سلامة الطولوني وقلده حجبته وأقر سليمان بن الحسن على وزارته وانما كان له من الوزارة الاسم فقط والتدبير الى أبي عبد الله الكوفي وفيها ورد الخبر بدخول أبي علي ابن محتاج في جيش خراسان الى الري وقتله ما كان الديلمي وهزيمته لوشمكير الى طبرستان

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ما كان مستقرا بكرمان من قبل صاحب خراسان حتى بلغه قتل

(١) وفي تاريخ الاسلام رواية عن أبي بكر الصولي ان الحسين بن الفضل بن النامون بعث الى الكوفي بعشرة آلاف دينار له وباربعين ألف دينار لفرقة في الجند ان ولاء الخلافة فلم ينفع . وله أيضا ان المتقي لم يسر على جاريته التي له وكان كثير الصوم والتعبد لم يشرب نبيذا قط وكان يقول : لا أريد نديما غير المصحف

مرداويج فاجتمع عليه استثمان رجاله الى عماد الدولة على بن بويه ومجاورته اياه وطعمه في معاودة أعماله الاولى من جرجان وطبرستان فصار الى خراسان واستغنى من ولاية كرمان وسأل ولاية جرجان فوليا وسار اليها وفيها بقسم ابن بالحسن من قبل وشمكير . فقدم ما كان كتابا الي وشمكير يُداريه فيه ويستنزله عن أعماله التي كانت ^(٣١) في يده ويستعيده الى حال المودة والمواذعة . وكان الاجماع قد وقع من الخيل والديلم انه لم ير فيهم أشجع ولا أنجد ولا أفرس من ما كان وأقر له بذلك كل شجاع مذكور وكل متقدم مشهور فصادفت رسالته من وشمكير ضعف قلبه بقتل أخيه مرداويج وقرب عهده بالمصيبة واشفاقه من صاحب خراسان ومن جهة عماد الدولة على بن بويه فاستجاب له الى النزول عن جرجان وكتب الي صاحبه باقسم بن بالحسن بتسليمها اليه . فلما مضت له مدة استنزله ما كان أيضا عن سارية فنزل له أيضا عنها فتأكدت الحال بينهما واستحكمت المودة واستوحش صاحب خراسان من تضافرها وآل الامر الى ان خلع ما كان طاعته وأسقط خطيته . فسار حينئذ أبو على ابن محتاج الى جرجان لمواقفته في عسكر كثيف أمده به صاحب خراسان وكتب ما كان الي وشمكير بالصورة واستنجده فأنجده بعسكر قوى ثم اتبعه أيضا بعسكر نان مع شيرج بن ليلى . وحاصر ابن محتاج ما كان واشتد به الحصار الى أن أكل أصحابه لحوم الجمال والبقال

فانتزعت هذه الفرصة ركن الدولة الحسن بن بويه وانغمش شغل وشمكير بما كان قطع في الري وكتب أبو على ابن محتاج صاحب جيش خراسان ^(٣٢) وأشار عليه بمناجزة القوم ووعدته بالمعاونة وكذلك فعل عماد الدولة كاتبه وأشار عليه بالمناجزة ووعدته بان يسير أخاه الى الري في عسكر قوى

وعرف وشمكير الخببر وكتب الى ما كان بالصورة وأشار عليه بتسليم جرجان الى الخراسانية وكتب الى شيرج والى سائر عسكره بالانصراف فعمل ما كان ذلك وعاد الجيش باجمعه الى الري وحصل ما كان بسارية وتمكن ابن محتاج من جرجان . واتصلت المكتبة بينه وبين عماد الدولة ووركن الدولة واستحكمت المودة بينهم واتفقوا على حرب وشمكير حين اختلط عسكرهما وصاروا عسكرا واحدا واشتملت عدة المساكر على سبعة آلاف من الديلم والجيل سبوى الأتراك والعرب وأظهر من السلاح والجن والآلات والدواب أمرا عظيما . فترافدا في التذير لان وشمكير كان منفردا باطلاق النفتات والاموال واقامة الأتزال والعلوفات وتفقد الفؤاد والرجال لان الري وأعمالها كانت في يده فاما ما كان فانه تفرّد بمباشرة الحرب وترتب منها في القلب

فسار ابن محتاج على طريق الدامغان حتى قرّب منها وأقام الديلم والجيل مصافها وبات الفريقان على أهبة لباكرة الحرب والمناجزة^(٣٣) وكان وشمكير ضرب عدة خراكهات للمصاف ونصب المطارد والاعلام وأحضر الطعام للناس وأجلس ما كان في الصدر يأكل ويُطعم ويجلس من يرى ووشمكير قائم متردّد على رسمهم في ذلك ؟ فكان ما كان يقول : يا با طاهر ليم لانا كل معنائهم تتوفر على النظر بعد ذلك ؟ فيقول : يا با منصور نحن بازاء أمر قد قرّب انفصاله فان كان لنا فسوف نأكل معاً ونظم وان كان لغيرنا فسوف يا كل ويُطعم . (وكانا يتعاملان معاملة النظراء ويتخاطبان بالكنى ويتساويان في جميع أحوالهما) فما استموا طعامهم حتى وزد عليهم الخببر بان ابن محتاج رحل عن موضعهم عادلا عن سيمهم الى اسحاقاباذ ليجتمع معه العدد الذي

أنفذه ركن الدولة لانه كان سار على طريق قُم وقاشان فارتحلا جميعا في الوقت الى هذه القرية وأعاد المصاف بها ووافق ابن محتاج وقد عبى جيشه كراديس ﴿ ذكر حيلة في الحرب تفرق بها الجيش المجتمعون ودخل ﴾

﴿ بينهم الفدر فازال تمبتهم وهزمهم ﴾

تقدم ابن محتاج الى أصحابه أن يطرقوا القلب ويلحوا عليه وكان فيه ما كان وجعرة العساكر وان يتطاردوا لهم ويستجروهم . ثم وصى الكراديس التي بازاء الميمنة^(٣٤) والميسرة ان يناوشوه مناوشة خفيفة بمقدار ما يشغلهم عن ان يصيروا مدداً لمن في القلب ولا يطبوا المناجزة بل يقفوا بازائهم على هذا السبيل ففعلوا ذلك وألحوا على القلب ثم تطاردوا لهم كالمهزمين فطمع ما كان وأصحابه الذين كانوا في القلب فيهم فاتبعهم وفارقوا مصافهم وبعثوا عن ميمنتهم وميسرتهم وصار بينهم فضاء كثير . فحينئذ أمر ابن محتاج الكراديس التي بازاء الميمنة والميسرة أن يتركوا من بازائهم ويدخلوا في الفضاء الذي اتسع لهم وراء القلب وأمر الذين كانوا بازاء الحرب ان يحملوا ويحققوا عليه مواجهين له فانكسر الديلم وحصلوا بين الكراديس ولم يكن لهم مهرب فقتلهم كما شأوا . وكان ما كان قد ترجل وأبلى بلاء حسنا وظهرت منه آثار لم ير مثيها فوافاه سهم عائر وقع في جبينه فنفذ الخوذة والتراس حتى طلع من قفاه وسقط ميتا وأذلت وشمكير وقوم من أصحاب الخيل الى سارية وأسر الباقون وقتلوا باجمعهم

وملك ابن محتاج الري وأخذ رأس ما كان بخوذته والسهم فيه وحمل على هيئته وحالته الى خراسان مع الاسارى ورؤس القتلى وكانوا عدداً جماً يقال انهم نحو ستة آلاف .^(٣٥) ثم حمل بعد ذلك رأس ما كان الي بغداد بعد

مقتل بجكم لان بجكم ينتسب الى ما كان ويزعم انه تريته وقد كان أظهر حزنا
وعمّا شديدا لماسمع بقتله وجلس للعزاء . فلما قتل بجكم ورد أبو الفضل العباس
ابن شقيق المرسوم كان بالترسل بين ولاية خراسان وبين السلطان ومعه رأس
ما كان وفيه السهم وعياه الخوذة وذلك في سنة ٣٢٩

﴿ ذكر غلطة وقعت من ابن محتاج في استنامة الجيش ﴾

﴿ غريب حتى قتل خلق من أصحابه وانهب ﴾

﴿ سواده ونجا بنفسه ﴾

كان الحسن بن الفيرزان ابن عمّ ما كان وصنيعته وكان قريبا منه في
الشجاعة الاّ انه كان شرسا مهورا زعير الاخلاق فلما قتل ما كان اتّمس منه
وشمكير ان يدخل في طاعته وينحاز اليه فلم يفعل ثم لم يقتصر على التناقل عنه
حتى أطلق لسانه فيه وقال : هو الذي أسلم ما كان الى القتل وخذله ونجا
بنفسه . فافسد ما بينه وبين وشمكير بهذا الضرب من الكلام والوقعة فيه
فقصده وشمكير وهو يومئذ بسارية فانصرف عن سارية وصار الى ابن محتاج
داخلا في طاعته ومستنهضا له على وشمكير فقبله ابن محتاج وأحسن اليه وساعده
على قصد وشمكير . فلقبه بظاهر سارية واتّصلت الحرب بينهما أياما الى أن
ورد الخبر^(٣٦) على ابن محتاج بوفاة نصر بن أحمد صاحب خراسان فصالح
وشمكير وأخذ ابنا له يقال له سالار رهينة وواقفه على أمور تقررت بينهما
وانصرف الى جرجان وجذب الحسن بن الفيرزان معه وهو غير طيب النفس
بما فعله وأراد منه أن يقيم الحرب ثم يستخلف الحسن ويمتدّ بمد ذلك الى
خراسان فلما لم يفعل ابن محتاج ذلك انجذب الحسن بن الفيرزان معه على هذا
الحقد ودبر أن يطالب غيره في طريقه ويفتك به فلما صار الى الحدّ بين أعمال

جرجان وخراسان وثب الحسن على ابن محتاج وأوقع بمسكروه ليقنتله فافلت منه وقتل حاجبه واتهب سواده واسترجع رهينة وشمكير أعنى ابنه سالار وعاد الى جرجان فاستولى عليها وعلى أعمال الدامغان وسمنان والقلمة التي كان يمتصم بها . وكان وشمكير صار الي الربي فملكها فلما فعل الحسن بابن محتاج ما فعل عاد الى مواصلة وشمكير وبدأه بالمجاملة ورد عليه ابنه الذي كان رهينة عند ابن محتاج وأراد بذلك ان يستظهر على انخراسانية به ان عاودوا حربته قتلهم وشمكير ابنه وحاجزه في الجواب ولم يصرح له بما ينقض شرائط ابن محتاج عليه

ثم ان ركن الدولة قصد الربي وحارب وشمكير^(٣٧) فانهمزم وشمكير واستأمن أكثر رجاله الى ركن الدولة وصار الى طبرستان . فانتمت الحسن ابن الفيرزان ضعف وشمكير فسار اليه واستأمن الى الحسن بقية أصحابه وانهمزم وشمكير الى خراسان على طريق جبل شهربار . فلما حصل وشمكير بخراسان رأى الحسن بن الفيرزان ان يواصل أباه على ركن الدولة وينحاز اليه فراسله ورغب في مواصلته فاجابه الي ذلك وتمت المصاهرة بينهما بوالدة الامير على ابن ركن الدولة أعنى نغر الدولة وهي بنت الحسن بن الفيرزان

وفي هذه السنة فرغ من مسجد برانا وجمع فيه

وفيه اشدت الغلاء وبلغ الكثر من الدقيق مائة وثلاثين ديناراً وكل الناس الحشيش وكثر الموت حتى كان يدفن في قبر واحد جماعة من غير غسل ولا صلوة وظهر من قوم ديانة وصدقة وتكفين ومن آخرين بخور وغضب وهم الاكثر^(٣٨)

(١) زاد صاحب التكملة : وكان على بن عيسى وانقرى بكفيان الناس على أبواب دورهما

وفيا انبثق نهر الرُقيل ونهر بوق^(١) فلم يقع عناية بتلافيهما حتى خربت
بادوريا بهذين البثمين بضعة عشر سنة
وفيا قتل بجكم

(ذكر سبب قتله)

كان ورد جيش البريدي الى المذار وأنفذ بجكم نوشتكين^(٢) وتوزون في جيش
للقائه فكانت بينهما وقعة^(٣٨) عظيمة كانت أولا على أصحاب بجكم فكتبنا
الى بجكم يسألانه ان يلحق بهما نخرج بجكم من داره واسط يوم الاربعاء لاربع
عشرة خلت من رجب للمسير الى المذار ليلحق عسكره وأصحابه . فورد كتاب
توزون ونوشتكين بظفرهما وهزيمة جيش البريدي وانه قد استغنى عن اترعاجه
فانفذ بجكم بالكتاب الى بغداد وكتب به كتاب هناك قرىء على المنابر

وهم بجكم بالرجوع من حيث وصل اليه الكتاب بالخبر وكانت
خزائنه قد سارت فاشار عليه أبوزكرياء السوسي بان لا يرجع وقال له : تمضى
وتصيد . فعمل على ذلك^(٣) فلما بلغ نهر جور عرف ان هناك قوما من

وسقطت القبة الخضراء التي هي قبة المنصور المرونة بقبة الشعراء . ونكب الكوفي
هرون اليهودي جهنذا بن شيرزاد وبقي عليه من مصادره ستون ألف دينار فاخذت
داره وكانت قديما لاراهيم بن أحمد المادرائي را كبة دجلة والصراة وفيها بستان
أبي الفضل الشيرازي ودار المرتضي وحمل هذا اليهودي الى بجكم بواسط فضرب بين يديه
بالدبايس حتى مات

(١) وفي الاصل : نهر بو . وفي التكملة : نهر بوا . (٢) وفي نوابج الاسلام هو :
كورنكين (٣) وقال صاحب كتاب الديون في ترجمة سنة ٣٢٨ : فيها خرج بجكم الى الصيد
بمخرج البنديجين قاوغل في طلب الصيد وأنقطع عن أصحابه فلم يشعر الا وقد أحاط به من
الاعراب جماعة فبهم رجل يقال له حجاج معروف بالصامكة (وهو قطع الطريق وقتل

(٢ - نجارب (س))

الاکراد میسیر فشره الی أموالهم وقصدہم متہاوناً بہم فی عدد یسیر من غلمانہ وعلیہ قباء طاق بلاجبة فہرب الاکراد من بین یدیہ وتفرقوا . ورمى واحدا منهم فالخطأ ورمى آخر فالخطأ واستدار من خلفه غلام من الاکراد وهو لا یدرفہ فطعنہ بالرمح فی خاصرته فقتلہ وذلك بین الطیب والمذار یوم الاربعاء لتسع بقین من رجب . واضطرب عسکرہ جدا ومضى دلیملہ خاصۃ

النفس) وكان تحت بیحکم فرس كان علیہ سرج مسوره من ذهب وحلیتہ بلور فلما نظر الی الخیل قد أحاطت بہ ترجل وخی لهم فرسہ وحمی نفسه فلم یکن لهم فیہ حیلة وقنوا بالفرس ولم یزل یشئ الی ان قصد قصر خرابا من قصور الاکسرة فصعد الی أعلاه وأبرق بسیفه فاحتمه عسکرہ وسألوه عن خبره فدکر ان فرسہ قنطر بہ وغاب عنه ولم یدر أين أخذ . ثم بقى یعجب من حسن القصر ومن صورة فیہ من صور الاکسرة فسأل عن أهله وأمر ان یجمع له بحاری الموضع فسألهم فقالوا : ما بقى من نسل هذا الذی بنى القصر وهو المهرمزان الا قوم بناحیة نهر مره من حداد البصرة . فوجه الیهم بمحضرم فاحضر الیہ منهم بضمة عشر رجلا فسألهم فلم یجد فیهم الا مولی لهم وقد بددت معرفتهم بخبر القصر ووجد رجلا آخر خیراً فقال لهم : لم أتقل سلفکم من هذا الموضع الحسن الطیب ؟ فقال الرجل : بلغنا ان سبب انتقالهم طاعون ظهر فرحل الخلق عن مواضعهم وكل قصر تراه خراباً أو بهراً مطدورا فهذا سبب انتقال أهله عنه . فسأل وقال : أرى صورة ملك وأسد بازائه قد التتم ید الملك الواحدة الی مرقرقه وبسط یدہ الاخرى كأنه یومی الی موضع من المواضع وكأنه رافع ونحوه نحو السماء بستیت بالله . فقال له الرجل أما اقباله نحو الاسد فانه الموضع الذی یزول ما مکة منه وبینک عدوه وهو نحو الحجاز لما كانوا یتوقفونہ من ظهور النبی صلعم وزوال ملکهم وهو الاسد الذی قد التتم یدہ واما إیساه الی موضع آخر فیجوز ان یكون یومی الی موضع فیہ ذخیره له : فیقال ان بحکم قاس الموضع الذی یومی الیہ المصور وأمر بحفره واستنصی الحفر فوجد مالا عظیما کسرویا وانیة وجواهر فی الموضع فصدق من المال عشره علی آل أبی طالب وغيرهم وقال : سبب سیاقہ الله عزوجل الی ہما کان من الاعراب واشرفی علی القصر وما وقع فی نفسی الاستقصاء والمثلة عن الصورة . وعمر مواضع كثيرة فی تلك الناحیة وأنشأها وأجرى الیہ الانهار وغرس بها غروسا

الى البريدي وكانوا ألف وخمسة رجل قبيلهم وأضعف أرزاقهم في دفعة واحدة
وكان بنو البريدي^(٣٩) عملوا على الهرب وقد ضاقت عليهم البصرة
لمراسلة بيجكم أهلها بما سكن نفوسهم فكانوا مجتمعين بمطارا فلما بلغ بنو
البريدي قتل بيجكم فرج عنهم ونفس خناقهم . وعاد أراك بيجكم الى واسط
وسار تكينك بهم الى بغداد ونزلوا في النجى وأظهروا طاعة المتقي لله
وصار أحمد بن ميمون كاتب المتقي لله قديما هو المدبر للامور وصار أبو
عبد الله الكوفي من قبله فكانت مدة تقلد أبي عبد الله الكوفي كتابة
بيجكم وتديره المملكة خمسة أشهر وثمانية عشر يوما ومدة امارة بيجكم
سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام

ووجه المتقي بجماعة من حجابيه فوكاهم بدار بيجكم ولم يتعرض لشي مما
فيها حذرا من أن يرد خبر لبيجكم يبطل الخبر الاول فلما صح عنده قتله أحضر
يكاك صاحب تكينك فآبت المواضع التي فيها المال مدفونا فقتل عن سبب
معرفة بها فذكر انه كان يخرج من الخزانة ويستدل على انه لدفين ثم يتبع
الامر سرا فلما عرف البيت الذي فيه الدفين والموضع المظنون فيه المال طالب
له ثقة وضم الى نجاح خادم المتقي فاستخرج شئ كثير في قدور كبار منها عين
ومنها ورق فلما فرغ مما وجد بذل للحفارين أن يأخذوا التراب باجرتهم
قامتوا^(٤٠) فأطلق لهم ألفي درهم ثم تقدم بفصل التراب فغسل وأخرج منه
سنة وثلاثون ألف درهم . وكان بيجكم قد دفن في الصحارى ولم يقتصر على
ما دفنه في البيوت فكان الناس يتحدثون انه اذا دفن في الصحراء شيئا ومعه
من يعاونه قتله لئلا يدل على ما يدفنه في وقت آخر فبلغ بيجكم ما يقوله
الناس فعجب منه

سفيان بن ثابت قال : قال لي بجكم : فكرت فيما دفنته في داري من المال وقلت : قد يجوز ان يحال بيني وبين الدار بمحادث تحدث فلا أصل اليها فيتلف مالي وروحي اذ كان مثلي لا يجوز ان يعيش بغير مال دفنت في الصحراء وعلمت انه لا يحال بيني وبين الصحراء . فبلغني ان الناس يشنعون عليّ باني اُقتل من يكون معي ولا والله ما قتلت أحداً على هذه السبيل وأنا أحدثك كيف كنتُ أعملُ . كنت اذا أردت الخروج للدفن أحضرت بغالا عليها صناديقُ فرغُ الى داري فاحمل في بعضها المال وأقبل عليها وأدخل من أريد أن يكون معي من الرجال الى باقي الصناديق التي على ظهور البغال وأطبق عليهم وأقبل وأسير بالبغال . ثم أخذ أنا مقود القطار وأسير الى حيث أريد وأرُدُّ من يخدم البغال وأنفرد وحدي في وسط الصحراء ثم أفتح عن الرجال^(١) فيخرجون ولا يدرون أين هم من أرض الله وأخرج المال فيدفن بحضرتي وأجهل لنفسي علامات ثم أرد الرجال الى الصناديق وأطبقها عليهم وأقبلها وأقود البغال الى حيث أريد وأخرج الرجال فلا يدرون الى أين مضوا ولا من أين رجعوا واستغنى عن القتل^(١)

واستوزر المتقي لله أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون وخاع عليه

واستخلف أبا عبد الله الكوفي . وطلب تكينك فاستتر .

وقديم التريجان من واسط فاقره المتقي لله على الشرطة ببغداد

وفيها أصعد البريديون من البصرة بعد قتل بجكم

﴿ ذكر الخبر عن اصعاده وما آلت اليه أمورهم ﴾

لما قُتل بجكم اختلف أهل عسكره فاما الديلم فمقدوا الرياسة لبسوار

ابن مالك بن مسافر الكنكري فهجم عليه الاتراك وقتلوه . فانهدر الديلم بأبرهم الى البصرة مستأمنين الى أبي عبد الله البريدي وكانوا ألفا وخمسمائة رجل مختارين متجيين ليس فيهم حشوق قوي البريدي بهم وعظمت شوكته واستنظر بهم على الساطان وانضاف عسكرهم اليهم فبلغوا سبعة آلاف رجل فاصعد البريديون من البصرة الى واسط فراسلهم المتقي لله وأمرهم الأ^(١٣) يصعدوا وان يقيموا بواسطة فارسوا : أنا محتاجون الى مال الرجال فانفذ الينا مايرضهم به ونحن نقيم . فوجه المتقي لله أبا جعفر بن شيرزاد بعد ان رد^{١٣} عليه ضيعته مع عبد الله بن يونس صاحب بيت المال وانهدر في جلته تكينك سرا من المتقي لله .

وقال الاتراك البجكية والجنكافي الذي كان استأمن من جهة البريدي للمتقي لله : نحن مقاتل بني البريدي ان جاؤا فاطلق انا مالا وانصب لنا رئيسا . فانفق فيهم وفي رجال الحضرة القداماء أربعمائة ألف دينار من المال الذي وجد ليجكم وجعل الرئيس عليهم سلامة الطولوني الحاجب وبرزوا مع المتقي لله الى نهر ديبالي . وعاد عبد الله بن يونس بجواب الرسالة من البريديين ياتمسون المال فحمل اليهم معه من مال بجكم أيضا مائة وخمسين ألف دينار فاخذها وقال : أنا أحتاج الى خمسمائة ألف دينار للديلم فان حُملت اليّ والا فان الديلم لا يمهلونني وعلى كل حال أنا سائر فان تلقاني المال انصرفت والا دخات الحضرة فقال المتقي لله لما أديت رسالته : أنا قد أنفقت في الاتراك أربعمائة وخمسين ألف دينار وفي غيرهم جملة فن أين أعطيه ماطلب؟ دعه يرد الحضرة ويصل ماشاء فاني أرجو ان أكفي أمره . وسار أبو عبد الله البريدي^(١٣) من واسط نحو الحضرة فلما قرب منها اضطرب الاتراك البجكية وقلعوا

خيمهم واستأن من بعضهم الى البريدي وسار بعضهم الى الجسكاني الى الموصل ودخل سلامة بغداد واستتر أبو عبد الله الكوفي وسلامه الحاجب ومحمد بن ينال الترجمان وتقاد الشرطة . كان الترجمان أحمد بن خاقان وتأسف الوزير أبو الحسين على أربعمائة الف دينار ذهبت ضياعا . ورهب الناس البريدي رهبة عظيمة لفسفه وتهوره وطعمه فهم أرباب النعم بالانتقال .

فحدث بعض المختصين بابي الحسن علي بن عيسى قال : كنت بين يديه أنا وأولاده وأخوه وخواصه في تلك الايام ونحن نتحدث بأمر البريدي وموافاته الحضرة وتجارى جرأته وإقدامه وقلة اكتراثه وأنه ينال الناس بنعال الدواب وأشار الجماعة عليه بالأيقيم ببغداد وان يخرج هو وعياله الى الموصل الى أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وفرعناه وهو لنا عليه وهو لا يصني الي رأينا فلما أكثرنا عليه ترجح رايه . ثم أطلق لي مائتي دينار على ان أبكر وأكترى له بها زواريق ليصعد هو فيها وعياله الى الموصل فباكرني رسوله مع السحر يأمرني بالمصير اليه^(١١) وجئت وسألني ففرقتني اني ما مكنت من امتثال أمره بمباكرة رسوله واستدعائه ايبي فقال : ويمك لتفكرت البارحة فيما أشرتتم به فوجدته خارجا عن الصواب مفسداً للدين أيهرب مخلوق الى مخلوق ؟ اصرف تلك الى وجوه الصدقة فاني مقيم . فرددتها الى خزائنه وأقام فلما قرب البريدي انحدر اليه وتلقاه فأكرمه أبو عبد الله غاية الاكرام ووفاه حقه وأعظمه ومنه من أن يخرج من طياره وانتقل هو اليه وشكر بره وخاطبه بنهاية الاكرام والتعظيم^(١٢) ودخل أبو عبد الله البريدي ببغداد ومعه أخوه أبو الحسين وابنه أبو القاسم

وأبو جعفر ابن شيرزاد يوم الثلاثاء ليلتين خلنا من شهر رمضان فزلوا البستان الشفيهي وتلقاه الوزير أبو الحسين ابن ميمون والكتاب والعمال والقضاة والوجوه وكان معه من الشذات والطيارات والحديدات والزبازب ما لا يحصى كثرة. فوجه المتقي اليه يمرّ فيه أنسه بقربه وحمل له الطعام والشراب والالطاف عدة ليال وكان يخدم في ذلك كاه خدمة الخلافة. وظهر محمد بن نبال الترجمان وكان الناس يخاطبون أبا عبد الله البريدي بالوزارة ويخاطبون أبا الحسين ابن ميمون أيضا بالوزارة ويضير^(٥٥) أبو الحسين اليه بسيف ومنطقة وقباء ويخاطب كل واحد منهما صاحبه بالوزارة. ثم لبس أبو الحسين الدراعة وأزال عن نفسه اسم الوزارة بمواطاة الخليفة وذلك لست خلون من شهر رمضان فكانت مدته فيها ثلاثة وثلاثين يوما وتفرد أبو عبد الله البريدي باسم الوزارة.

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان حضر أبو الحسين ابن ميمون ومعه ابنه أبو الفضل مجلس الوزير أبي عبد الله وكان الوزير قد واطأ القواد ان أحضر أبو الحسين مجلسه ان يجتمعوا ويكلموه ويتوئبوا عليه ويتهددوه بالقتل ويقولوا انه « يضرب علينا الخليفة ويُفسد علينا آية » ففعل الدليم ذلك في هذا اليوم فما زال الوزير يسكنهم ويعرفهم كذب ما يلتمهم عنه ثم قال لابي الحسين وابنه: قوما ادخلا الرواق. يوهما انه يريد ان يخلصهما من القتل فدخلا الرواق ووكّل بهما وأنصرف القواد وحضلا في قبضه. ثم قال لهما بعد أيام: يا أبا الحسين قد قلدتكم الإشراف على واسط وأجريت لك ألف دينار في كل شهر فامض الى عمالك مع اينك. فحملا الى واسط ومنها الى البصرة ولما قبض عليه استكتب المتقي لله على خاص أمره أبا العباس أحمد

ابن عبد الله الاصهباني واعتل أبو الحسين بعد مدة^(٦٦) بالبصرة ومات بها . ولم يلق الوزير أبو عبد الله طول مقامه ببغداد المتقي لله ولا دخل دار السلطان وذهب اليه الامير أبو منصور ابن المتقي لله وهو في النجف ليسلم عليه فلبس أبو عبد الله البريدي قباء أسود وعمامة سوداء وتلقاه في أحسن زي وأوفر عُدّة وتر عليه دنانير ودرهم . وراسل الوزير أبو عبد الله البريدي المتقي لله على يد القاضي أحمد بن عبد الله بن اسحق الخرق^(٦٧) وأبي العباس الاصهباني يطالبه بحمل مال حمل اليه مائة وخمسين الف دينار فأخذها وراسله بأنه لا بد من خمسمائة الف دينار فالتوى المتقي لله فقال للقاضي: انصحه وقل له « أما سمعت خبير المعتز بالله والمهتدي بالله والتوكل على الله ؟ والله لئن خيبتك والاولياء تطلين نفسك فلا تجدها وأنت أبصر إنما الديلم وافوا لاجل المال الذي أخذته لآلى بغداد وعندهم انهم أحق به منك ولا يعرفون البيعة ولا من لك في رقابهم » وكان الجواب عن هذه الرسالة الانعام وحمل اليه خمسمائة ألف دينار فاستوفاهما عن آخرها في سلخ رمضان ووهب للقاضي الخرق منها خمسة آلاف دينار . ولما حصلت الاموال عند البريديين انصرفت أطماع الجنود كلهم اليه وكان البريدي^(٦٧) يبعث الجند على طلب

(١) وفي تاريخ الاسلام هو أبو الحسن قلد القضاء بواسط ثم بصر والمغرب ثم ولي قضاء بغداد سنة ٣٠ وكان هو وأبوه وعمومه من التجار يشهدون علي القضاء وكان المتقي لله يرعى له خدمته فلما أفضت الخلافة له أحب أن ينوه باسمه ويبلغه الى حال لم يبلغها أحد من أهله فقلده القضاء ولم يكن له خدمة للعلم ولا مجالسة لاهله فتعجب الناس لكن ظهرت منه رجولة وكفاة وعفة ونزاهة . واقطع خبره في هذا العام (يعني سنة ٣٣٤) لانه ترحل الى الشام ومات هناك . وفي التذكرة ان في هذه السنة قلد القاضي القضاء بصر والحرمين وخلع عليه

الاموال من الخليفة ويحلمهم على الشغب فلما استصفي مال السلطان رجعت المكيدة عليه وتشغب الجند عليه . وكان الديلم قد اجتمعوا يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان فرأسوا على أنفسهم كورنكيچ بن الفاراضى الديلمى فرأس الاترك على أنفسهم تكيك غلام بحجم واحاز الديلم باجمعهم الى دار السلطان وأحرقوا دار أبي الحسين البريدى التي كان ينزلها .

ونفر الجيش عن أبي عبد الله البريدى وصار تكيك الى الديلم وتضافروا وكان سبب ذلك ان تكيك لم يكن كبيرا في نفوس الاترك فارسل اليه كورنكيچ وخدعه وقال له : ان تفرّد كل واحد منا عن صاحبه ضعف وأرى أن نجتمع وتصير أيدينا واحدة . فأنخدع له وصار اليه فاجتمعوا فلما تمكن منه عاجله بالقبض عليه الا انه استعان به في العاجل لما اجتمعوا وواقفه على قصد البريدى ونهب ما حصل عنده فاتفقوا على ذلك وقصدوا باجمعهم النجمى وعاونهم العامة . فقطع الوزير أبو عبد الله الجسر ووقعت الحرب في الماء ووثبت العامة في الجانب الغربى بسباب أبي عبد الله البريدى وقتل نعمة القره على فهرب الوزير أبو عبد الله البريدى وأخوه وابنه وانحدروا الى واسط في^(٤٨) الماء ونهبت داره في النجمى ودور قواده ونهب بعض المال الذي كان حمله اليه المتقي في ذلك اليوم لان هربه كان يوم الاثنين سلخ رمضان وآخر ما حمل اليه من بقية المال في ذلك اليوم . واستر أبو جعفر ابن شيرزاد ونهبت داره وظهر سلامة الطولونى وبدر الخرشنى . فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه أربعة وعشرين يوماً . ولما هرب البريدى حصلت الأمانة لسكورنكيچ يوم الاربعاء لليائين خلتا من شوال

{ ذكر امارة كورنكيچ }

فلما كان يوم الخميس لثلاث خلون منه لقي كورنكيچ المتقي لله فقلده امارة الامراء وعقد له لواء وخلع عليه. وكان يكتب له رجل من اهل اصبهان يُعرف بابي الفرج ابن عبد الرحمن واستدعى المتقي لله ابا الحسن علي بن عيسى واخاه عبد الرحمن فدبر الامر عبد الرحمن من غير تسمية بوزارة. وقبض الامير ابوشجاع كورنكيچ على تكينك يوم السبت لخمس خلون من شوال وعرفه ليلا. وفي يوم الجمعة اجتمعت العامة في الجامع من دار السلطان وضحوا وتظلموا من الديلم ونزولهم في دورهم بغير اجرة وتمديهم عليهم في معاليتهم فلم يقع انكار لذلك فتمت العامة الامام من الصلاة وكسرت المنبر. وشغب الجند فتمهم الديلم من ذلك^(١) فقتل بين الفريقين جماعة

واستوزر ابواسحق محمد بن احمد الاسكافي المدروف بالقراريطي للمتقي لله فكانت مدة نظر علي بن عيسى واخيه عبد الرحمن تسعة ايام

{ ذكر السبب في وزارة القراريطي }

حكى ابو احمد الفضل بن عبدالرحمن الشيرازي قال : كنت بحضرة كورنكيچ مع كاتبه ابي الفرج وفي مجلسه علي بن عيسى وعبدالرحمن اخوه والقراريطي فطالب كورنكيچ ابا الحسن علي بن عيسى بالمال وعرفه حاجته اليه لإعطاء الرجال فبلح هو واخوه وذكر ان اناال قد استنظف من النواحي وانه لاوجه له (قال) فقال القراريطي ونحن في المجلس ؟ فيما بيني وبينه : ان رد الامر الي ائت^(٢) به واستخرجت ما يدفع الى الرجال ويفضل بعده جملة وافرة . فاجتمعت مع ابي الفرج كاتب كورنكيچ

وعرفته ما خاطبني به فالتمس ان يصير اليه في خلوة ليسمع كلامه فاحضرته في غد فأعاد عليه ما قاله لي وأراه وجوهاً لجملة من المال . فذهب الى صاحبه كورنكيج فعرفه ان علي بن عيسى وأخاه قد باعوا وان القراريطي قد حضر وذكر انه يقوم بالامر ويزيح عائل الرجال حتى لا يقع إخلال بشئ يحتاج اليه فاستروح كورنكيج الى ذلك وأمره باحضاره ليلاً فاحضره وخلا به وبكاتبه وجعله على ثقة من القيام^(٥٠) بكل ما يحتاج اليه ولم يبرح حتى انقلده الامر ووقف المتقي لله عليه

وأخرج اصيهان الديلمي الى واسط من قبل الامير أبي شجاع كورنكيج لمحاربة البريدي وكان أبو يوسف قد أصد من البصرة الى واسط فلما سمعوا بأخدار اصيهان الديلمي أخدر البريديون الى البصرة . وظهر ابن سنجلا وسامته على بن يعقوب من استتارهما وصارا الى دار الوزير أبي اسحق القراريطي لسلاماً عليه فقبض عليهما من داره قبل ان يصلا اليه وحملهما الى دار السلطان وكتب فيهما رقعة الى المتقي لله وأمر بحبسهما ونالهما مكروهٌ غايظ بالضرب والتعليق وصورا على مائة وخمسين الف دينار

وفي هذه السنة سار محمد بن رائق من الشام الى مدينة السلام لما بلغه قتل بجكم

﴿ ذكر الخبر عن مسير ابن رائق من الشام ﴾

﴿ ودخوله بغداد وما آل اليه أمره ﴾

كان الأتراك البجكية مثل توزون وخججج ونوشتكين وصيفون وكبارهم لما انصرفوا من بغداد بعد قتل بجكم وإصعاد البريدي صاروا الى الموصل فناد عنهم أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وراسلوه في إطلاق نفقاتهم فاطن لهم ربع رزوة فتقدموا الى ابن رائق بالشام . فصح عنده قتل بجكم

بمسير الاثراك اليه وكتب اليه المتقي يخبره بقتل بجم ويخاطبه^(١١) بخطاب جميل ويستدعيه الى الحضرة فزار من دمشق فلما قرُب من الموصل كتب كورنكيچ الى اصبهان الديلمي بان يصعد من واسط فاصعد ودخل بغداد وخرج لؤلؤ الى واسط متقلدا لها ولم يتم أمره ورجع من الطريق . ولما وصل ابن رائق الى الموصل حاد عنه أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وجرت بينهما رسالة تقرر فيها ان يحمل أبو محمد الى ابن رائق مائة الف دينار فاخذها وانحدر الى بغداد وعاد أبو محمد بن حمدان الى الموصل

ولما كان يوم الاحد لحس بقين من ذى القعدة قبض كورنكيچ على القراريطي فكانت مدة وزارته ثلاثة وأربعين يوما وقلد الوزارة أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي ولقى المتقي لله في هذا اليوم وخلع عليه

وورد الخبر بدخول بني البريدي واسط لما انصرف عنها اصبهان الديلمي وخطبوا بواسط والبصرة لابن رائق وكتبوا اسمه على أعلامهم وفيها دخل ابن رائق بغداد وانهمز كورنكيچ واستتر

﴿ ذكر الخبر عن هزيمة كورنكيچ واستناره باتفاق وحرب ﴾

لما قرب ابن رائق من بغداد خرج كورنكيچ منها وانتهى الى عكبرا وقد لؤلؤ الشرطة بغداد وخلع عليه وانتهى ابن رائق الى كورنكيچ وابتدأت الحرب واتصت أياما متتابعة كانت^(١٢) على ابن رائق . فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة دخل ابن مقاتل بغداد ومعه قطعة من جيش ابن رائق وفي ليلة الخميس لتسع بقين منه دخل ابن رائق بجميع جيشه من الجانب الغربي ونزل في النجى وعبر في غداة غد هذا اليوم الى دار السلطان ولقى المتقي لله وسلم عليه واستركبه فركب معه

في دجلة الى زقة الشماسية وانحدرا من وقتهما الى دار السلطان فصعد المتقي لله
اليها وعبر ابن رائق الى النجى . ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وافى
كورنكيچ في جيشه من عكبر اعلى الظهر بغداد هو واصحابه وهم في نهاية
التهاون بابن رائق ومن معه وكانوا ينهرون ويقولون « أين نزلت هذه
القافلة الواردة من الشام » ولما وصل كورنكيچ الى دار السلطان دُفع عنها
وكان فيها لؤلؤ وبدر الخرشني فانصرف كورنكيچ ونزل في الجزيرة التي بين
يدى اصطبل مرابط الجمال وخزانة القرش ويرف اليوم بدار الفيل

فتحدث أبو بكر ابن رائق بعد ذلك انه كان عمل على الانصراف
والرجوع الى الشام لما دخل كورنكيچ بغداد وانه حمل ثقله وابتدأ بالسير
قال : ثم قلت في نفسي « أنصرف وأسلم هذا الامر » فلم تطب نفسي وقلت
لِفَاتِك حاجبي : استوقف الناس . فاستوقفهم فلم يقفوا حتى بادروا الى بغل من
بغال النقل فمرقه ^(٤٣) فوقف حينئذ الناس . وعبرت نحو من مائة رجل من
أصحابي مع محمد بن جعفر النقيب على الظهر الى الجانب الشرق وعبرت أنا
في سيرة ومعي سبائى الخادم التركي ونحو من عشرين سميرية فيما غلمان
وانفق مجيئي مجيء أصحابي على الظهر في وقت واحد فلما رشقنا الديلم
بالنشاب سمعوا من وراءهم الزعقات من أصحابي ومن العامة فأضطربوا
ونخبت قلوبهم وقدرّوا ان الجيش قد وافاهم من خلفهم وانهم قد ملكوا
ظهورهم فلهزموا وأخذهم الرحمة من العامة وطرحت الستر عليهم ^(١) وهرب
كورنكيچ واستتر وقيل ما عرف أصحابه أي طريق أخذوا وثبت أمرنا

﴿ ذكر الخبر عن قتل الديلم واهارة ابن رائق ﴾

(١) وفي التكملة : ورماهم العامة بالستر والاحر

لما استتر كورنكيچ وتقطع جيشه وبطل أمره ظهر أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفي لابن رائق وعاد الى خدمته . وأمر ابن رائق بقية الديلم المستأمنة بطرح أسلحتهم وأنفذ خاتمه الى جماعة منهم كانوا تحصنوا في حصن بالقرب من جسر النهر وان فرجعوا ودخلوا الدار المرونة بدار الفيل فكانوا نحو أربعمائة رجل لم يجسروا ان ينفروا . فلما كان يوم الاثنين لحس بقين من ذى الحجة وجه ابن رائق برجاله السودان الى دار الفيل ووضعوا السيف فيمن اجتمع هناك من الديلم فطموهم فلم يسلم منهم^(١) الا رجل يقال له خذا كرد وقع بين القتلى وحمل في جملة المقتولين في الجولات الى دجلة ورمي به مع غمرة فماش مدة طويلة بعد ذلك . وكان ابن رائق استأمر من قواد الديلم بضعة عشر قائداً فوجه بهم الى دار فاتك حاجبه وأمره بضرب أعناقهم فضربت أعناقهم صبراً في داره . وكان من المهزيمين من الديلم قوم مضوا في المهزبة الى طريق خراسان فلما تجاوزوا جسر النهر وان باتوا في بعض الخانات فسقط عليهم النخان بالليل فمات أكثرهم

ولما كان يوم الثلاثاء لاربع بقين من ذى الحجة خلع المتقي لله على ابن رائق وطوقه وسوره بطوق وسوار مرصعين بالجواهر وعقد له لواء وقلده أمرة الامراء وألزم أبو جعفر السكرخي بيته وكانت وزارته هذه ثلاثة وخمسين يوماً . ودبر الامور أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفي كاتب الامير أبي بكر ابن رائق من غير تسمية بوزارة وأطلق أبو اسحق الترابطي الى منزله ووجد كورنكيچ فأخذ وحمل الى دار السلطان
(ودخلت سنة ثلاثين وثلثمائة)

واستوحش ابن رائق من بني البريدي لأنهم ما حملوا شيئاً من مال

واسط والبصرة فلما كان يوم الثلاثاء لعشر خلون من المحرم انحدر ابن رائق وهرب البريديون الى البصرة . وسفر بينهم^(٥٥) الكوفي الى أن ضمن البريدي البقايا بواسط بمائة وسبعين ألف دينار ثم بستائة الف دينار في كل سنة مستأنفة وأصعد ابن رائق الي بغداد .

وفيهما دخل العباس بن شقيق ومعه رأس ما كان بن كالي الديلمي مع هدايا صاحب خراسان الى المتقي لله من غلمان أراك وطيب وشهابي وشهر رأس ما كان في شذاة وكان على الرأس خوذة وفيه سهم قد نفذ في الخوذة والرأس ؟ ومر من الجانب الآخر من الخوذة

وفيهما شغب الاتراك على ابن رائق وخرجوا الى المصلى ومعهم تورون ونوشتكين وأخذوا في طريق التجنى عليه ورحلوا سحر يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر الى البريدي بواسط فلما وصلوا اليه قوسى بهم جانبه واحتاج ابن رائق الى مداراته

﴿ ذكر وزارة أبي عبد الله البريدي ﴾

فكاتب أبا عبد الله البريدي بالوزارة للنصف من شهر ربيع الآخر وأتقد اليه الخلع مع الطيب ابن سوسن واستخلف له أبا جعفر ابن شيرزاد بالحضرة وأوصله الى المتقي لله الأبن المدير للامور كلها أبو عبد الله الكوفي ووردت الاخبار بعزم البريدي على الاصعاد الي بغداد فإزال ابن رائق ٤٤ اسم الوزارة وعزله بابي اسحق القراريطي ولزم أبو جعفر^(٥٦) ابن شيرزاد منزله واستتر . وركب المتقي على الظهر ومعه ابنه أبو منصور وابن رائق والوزير أبو اسحق القراريطي والجيش وساروا على الظهر وبين أيديهم المصاحف المنشورة والقراء واستنفر العامة لقتال البريديين ثم انحدروا الى داره

في دجلة من باب الشمسية . واجتمع خلق^(١) من العيارين بالسكاكين المجرّدة في جميع محالّ الشرق من بغداد وفي يوم الجمعة لعن بنو البريدي على المنابر في المساجد الجامعة ببغداد

(ذكر أبي الحسين البريدي في اصماده الى بغداد)

خرج أبو الحسين من واسط مصعداً في الجيش الى بغداد ومعه غلمان أخيه أبو عبد الله والأتراك والديلم فلما قرّب من بغداد استأنم كل من كان معه من القرامطة الى ابن رائق . واستعد ابن رائق للقتال وعمل على ان يتحصن في دار السلطان فسدّ أكثر أبواب دار السلطان والنّام في سورها ونصب العرّادات والمنجنيقات على السور وعلى شاطئ دجلة في فناء الدار وطرح حول الدار الحسك والحديد واستنهض العامة وفرض بعضهم فصار ذلك سبباً لتوزّع المصيبات بينهم واتصال الحروب . واقتن الجانب الغربي وأحرق نهر طابق ما يلي دار البطيخ واتصلت الكيخات بالليل والنهار على قوم ذوى أموال واستنفر الناس نهاراً وليلاً وقتل بعضهم^(٥٧) بعضاً قتلاً ظاهراً وفتح الحبس ودامت القتنة . وبرزت خيم السلطان الى نهر ديبالى وخرج ابن رائق الى الحلبة والقواد معه . فلما كان يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة تبرأ أصحاب أبي الحسين البريدي نهر ديبالى وكان لؤلؤ مقبلاً على شاطئ النجمي وبدر الخرشني بالدحلي وما زالت الحرب بين البريدي وابن رائق الى وقت الظهر وما زالت الحرب في الماء منذ ذلك اليوم الى يوم السبت لتسع بقين من جمادى الآخرة فاشتدت الحرب على الظار وفي الماء وأوقع الديلم بالمائة الذين فرضوا ودخل الديلم من أصحاب البريدي

(١) وفي تاريخ الإسلام: واجتمع الخلق على كرمي الجسر فقتلهم وانخسف ففرق خلق

دار السلطان من جهة الماء وملسكوا الدار . نخرج المتقى وابنه منها هارين في نحو عشرين فارسا نخرجا الى باب الشماسية ولحق بهما ابن رائق وجيشه واؤلؤ ومضوا الى الموصل . واستتر القراريطى الوزير فكانت مدة وزارته احد وأربعمين يوما . وقتل الديلم من وجدوا في دار السلطان ونهبوها نهباً قبيحاً ودخل الديلم دُور الحرم وأقام البريدي أبو الحسين في حديدية أياما على باب الخاصة ووُجد في دار السلطان ابن سنجلا وعلى بن يعقوب فاطماتا وأما كورنكيچ ققيده وحسده الى أخيه أبي عبدالله فكان آخر المهدي به ووُجد القاهر في محبسه فأقرّ فيه من دار السلطان^(١)

فلما كان بعد أيام صمد أبو الحسين البريدي^(٢) ونزل في دار مونس وهي التي كان ينزلها ابن رائق وتقلد أبا الوفاء توزون الشرطة في الجانب الشرقى ونوشتكين الشرطة في الجانب الغربى . وأخذ الديلم في النهب والسلب وكُبت الدور وأخرج أهلها ونزلات ولم يزل الناس على ذلك الى ان تقلد توزون ونوشتكين الشرطة فان الفتنة سكنت قليلا . وأخذ أبو الحسين البريدي حُرْم توزون وابنيه وعيالات أكثر القواد والأتراك وأنفذهم الى أخيه ليكونوا رهائن في يده

وغت الاسمار ينفداد وظالم البريدي الظلم المعروف لهم وافتتح الخراج في اذار نخبط التشاء حتى تهاربوا وافتتح الجوالى^(٣) وخبط أهل الزيمة وأخذ الاقوياء بالاضمهفاء ووظف على كرت من الخطة سبعين درهما وعلى

(١) قال فيه صاحب الذكوة : وكان القاهر محبوسا فتركه الموكلون نخرج فرمى وهو يتصدق بسوق الثلاثة فبغ ذلك البريدي فأخذ بين أقامة وأجرى له في كل يوم خمسة دراهم

(٢) وفي التكة : وانتج الجزية

سائر المكيلات وعلى الزيت وقبض على نحو خمسمائة كراً كان للتجار ورد من الكوفة وأدعى أنه للحسن بن هرون المقلد كان للناحية وهرب خججج الى المتقي لله وكان أخرج الى بزرج وسابور والراذانيين . وكان توزون ونوشتكين والاتراك تحالفوا على كبس أبي الحسين البريدي فقدر نوشتكين بتوزون ونفي الخبر الى أبي الحسين البريدي فتحرز وأحضر الديلم داره واستظهر بهم وقصد توزون دار أبي الحسين فحاربه من كان فيها من الديلم وغلقت الابواب دونه . وانكشف لتوزون غددر نوشتكين^(٥٩) فأمته وانصرف ضحوة يوم الثلاثاء ومضى مع قطعة وافرة من الاتراك الى الموصل واضطرب العامة وقاتلوا البريدي .

ولما صار توزون وخججج والاتراك الى الموصل وقوى بهم ابن حمدان عمل على ان ينحدر مع المتقي لله الى بغداد وبلغ ذلك أبا الحسين البريدي وكتب الى أخيه يستمده فأمده بجماعة من القواد والديلم . وأخرج أبو الحسين مضربه الى باب الشامية وأظهر أنه يحارب ابن حمدان ان وافى وذلك كله بعد ان قتل أبو محمد بن حمدان ابن رائق وسنشرح خبره على أثر هذا الحديث . فلما قرّب المتقي وأبو محمد بن حمدان من بغداد انحدر أبو الحسين هارياً وجميع جيشه وأخذ منه من كان معتقلاً في يده يطالبه مثل ابن قرابة وأبي عبد الله بن عبد الوهاب وعلي بن عثمان بن النفاط ومن أشبههم فاضطربت العامة ببغداد زيادة اضطراب ونهبت الدور وتسلاح الناس في الطرقات ليلاً ونهاراً . وكانت مدة أبي الحسين البريدي ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوماً

ولما وصل المتقي لله وابناه ومحمد بن رائق ومن معهم الى تنكرت

وجدوا هناك وهم مصعدون الى الموصل بعد ابا الحسن على بن عبد الله بن حمدان وذلك ان ابن رائق لما قرّب البريدي من بغداد كتب الى ابي محمد ابن حمدان يسئله مدداً ومعاونة على قتاله فانفذ ابو محمد اخاه فلم يحقهم الا بتكرير^(٦٠) وقد انهزموا واخذوا طريق الموصل . فلما التقوا اقام على بن حمدان للمثقي لله وابنه وابن رائق والقواد كل ما يحتاجون اليه من الميرة والسياب والفرش والدرام وما قصر في أمرهم وساروا باجمعهم الى الموصل . فلما وصلوا اليها حاد عنها ابو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وعبر الى الجانب الشرقي ومضى الى نواحي مغانايا فما زالت الرسل تتردد بينه وبين محمد بن رائق الى ان توثق بعضهم من بعض بالايمان والمهود والمواثيق حتى انس ابو محمد وعاد فنزل في الشرقي بازاء الموصل

﴿ ذكر الخبر عن مقتل ابن رائق ﴾

فعبير اليه الامير ابو منصور ابن المثقي لله ومعه ابو بكر ابن رائق يوم الاثنين لتسع بقين من رجب ليسلموا عليه فلقبهم اجمل لقاء وثر على الامير ابي منصور الدناير والدرام . فلما اراد الانصراف من عنده ركب الامير ابو منصور ثم قدّم فرس ابن رائق ليركب من داخل المضرب فامسك ابو محمد بن حمدان كفه وقال له : تقيم اليوم عندي لتحدث فان بيننا ما نتجاراه . فقال له ابن رائق : اليوم لا يجوز لاني اريد ان ارجع مع الامير ولكن يكون يوماً آخر . فالح عليه ابن حمدان الحاجب استراب به ابن رائق فجذب كفه من يده حتى تحرق وكان رجله في الركاب فشب به الفرس فوقه^(٦١) وقام ليركب فصاح ابو محمد بغلامه وامرهم بالايقاع به وقال : ويلكم لا يفوتكم .

فوضوا عليه السيوف وقتلوه^(١) وأرسل أبو محمد ابن حمدان الى المتقي لله
انه وقف على ان ابن رائق أراد أن يقتله ويوقع به فجرى في أمره ماجرى
فردّ المتقي عليه الجواب يُعرفه انه الموثوق به ومن لا يشك فيه ويأمره
بالمصير اليه فهدى ولقيه

﴿ ذكر اماره أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ﴾

فخلع عليه المتقي وعقد له لواء ولقبه ناصر الدولة وجعله أمير الامراء
وكنائه وكان ذلك مستهلاً شمبان وخلص على أخيه علي وعلى أبي عبد الله
الحسين بن سعيد بن حمدان وكتب الى القراريطي بتقليده الوزارة وذلك
في شوال وجلس في داره وقلد وعزل وأمر ونهى وضبط الامر الى ان
وافى المتقي وناصر الدولة أبو محمد

﴿ خبر حاربة البريدي مع ابن حمدان ﴾

دخل المتقي بغداد مع ناصر الدولة أبي محمد وأخيه علي وجميع الجيوش
وعمت لهم العامة القباب^(٢) ونزل ناصر الدولة وأخوه في البستان الشفيعي
ولقى الوزير القراريطي المتقي لله وناصر الدولة وتصلد أبو الوفاء توزون

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : فاضطربت أصحابه خارج الخيم وجاء مطر ففرقوا
فدفن وعفي قبره . ونهبت داره التي بالموصل فقتل ابن الحسن التوخي (وهو أبو القاسم
علي وترجمته في ارشاد الارب ٥ : ٣٠٦) عن عبد الواحد بن محمد الموصلي قال حدثني
رجل ان الناس : نهوا دار ابن رائق فدخلت فأجد كيسا فيه ألف دينار أو أكثر فقلت
« إن خرجت به أخذه مني الجند » فطقت في الدار فررت بالمطبخ فاخذت قدر سكباج
ملاي فرميت فيها الكيس وحماتها على رأسي فكل من رأى نى يظن أني جئع فذهبت
بها الى منزلي (٢) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وقد اتقى بدرا الحرشنى طزيق
الفرات فسار اليها ثم سار الى مصر فأكرمه الاخشيدي واستعمله على دمشق فسات بها .

الشرطة في جاني بغداد وخلع المتقى على الوزير أبي اسحق الترابي^(٦٢) خلع الوزارة يوم الاثنين لليلتين خلنا من ذى القعدة وفي يوم الخميس خلع المتقى لله على ناصر الدولة وأخيه وطوقا وسورا بطوقين طوقين وأربعة أسورة ذهباً وعلى أبي عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان وطوق بطوق واحد وسوارين ذهباً

وورد الخبر بان أبا الحسين على بن محمد البريدي قد أصعد من واسط يُريد المضرة فاضطرب الناس ببغداد وعبر المتقى الى الزبيدية ليكون مع ناصر الدولة وقدم حُرْمه الى سر من رأى وهرب جماعة من وجوه أهل بغداد وعبر جيش ناصر الدولة من الجانب الشرق الى الجانب الغربى منها وسار أبو الحسن على بن عبدالله بن حمدان فى الجيش . وكان مع أبي الحسين البريدى لما أصعد من واسط أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو بكر ابن قرابة والديلم وجيش عظيم فكانت الوقعة بين أبي الحسن على بن حمدان وبين البريدى يوم الثلاثاء انسلاخ ذى القعدة ويوم الاربعاء مستهل ذى الحجة ويوم الخميس ويوم الجمعة لثلاث وأربع خلون من ذى الحجة فى القرية المعروفة بكيل أسفل المدائن بفرسخين . ومع ابن حمدان توزون وخجنج والاتراك فكانت أولا على على بن عبدالله بن حمدان وانهم أصحابه فردم ناصر الدولة وكان ناصر الدولة بالمدائن ثم صارت على أبي الحسين البريدي^(٦٣) فانهم واستوسر من أصحابه يانس غلام البريدي أبي عبدالله وأبو الفتح ابن أبي طاهر ومحمد بن عبد الصمد ومبذكر البريدي والفرج كاتب جيش البريدى واستأمن الى ابن حمدان محمد بن ينال الترخمان و ابراهيم بن أحمد الخراسانى وحصل له جمع الديلم الذين كانوا فى عسكر البريدي . وقتل جماعة

من قواد البريدي وعاد البريدي الى واسط هزوماً فلولاً ولم يبق في على
ابن حمدان وأصحابه فضل لاتباعه لعظيم ما مرّ بهم ولكثرة الجراح فيهم
واسبع خلون من ذي الحجة عاد المتقي لله من الزبيدية الى دار
الخلافة على ثلاث ساعات ونصف وعاد الحرم من سر من رأى ومن كان
هرب اليها من بغداد . ودخل ناصر الدولة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت
من ذي الحجة بغداد وبين يديه يانس غلام البريدي وأبو الفتح بن أبي طاهر
والمذكر البريدي مشهرين على جمالي وعلى رؤسهم برانس^(١) وكتب عن
المتقي كتاب الفتح الى الدنيا ولقب المتقي لله أبا الحسن على بن عبد الله بن
حمدان لما فتح هذا الفتح سيف الدولة وأنفذ اليه خلعاً وكتب فيه كتاباً
وانحدر سيف الدولة الى واسط فوجد البريديين قد أهدروا منها الى البصرة
وأقام بها ومعه الأتراك والديلم وسائر الجيش

﴿ ذكر حيلة ابن مقاتل على ناصر الدولة ﴾^(٢)

وراسل أبو بكر محمد بن على بن مقاتل ناصر الدولة على يد أبي زكريا
السوي فآخذ له أماناً من ناصر الدولة واشترط فيه ابن مقاتل ان يستقر
بينه وبين ناصر الدولة مصادرة ينهض بها ويطيّب نفسه لها أقام على ظهوره
وان لم يستقر عاد الى استناره فلما ظهر تباعد ما بينهما فقال له ناصر الدولة :
عد الى استنارك . فقال ابن مقاتل : لم أجد الي ذلك حداً فاذا شئت فقلت .
فضج ناصر الدولة من ذلك لانه مضطر الى الوفاء بعهده وعلم ان الحيلة قد
تمت عليه فاضطر الى ان فصل امره على مائة وثلاثين ألف دينار

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وسار في الجانب الغربي الى دار عمه أبي الوليد سليمان

ابن حمدان وهو بالقرب من الجسر

ونظر ناصر الدولة في أمر النقد واليار فامر بتصفية العين والورق
وضرب دنانير سماها الابريزية^(١) من أجود عيار وكتب في ذلك كتابا
وفي هذه السنة استولى الديلم على آذربيجان

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

ان ديسم بن ابراهيم لما تمكن من آذربيجان وقد كتبنا خبره فيما
تقدم كان معظم جيشه الاكراد الا طائفة يسيرة من بقية عسكر وشمكير
اختراروا المقام معه حين رد عسكر وشمكير اليه فبسط عليه الاكراد وزاد
أمرهم في الادلال والتحكّم الى ان صاروا يتغلبون على حدود أعماله . فنظر
في أمره فلم يجد من يستظهر عليهم بهم الا الديلم فاجتذب جماعة من أكابرهم^(٦٥)
منهم صعلوك بن محمد بن مسافر وأسفار بن سياكولي ؟ وجماعة من أمثالهم
وصار اليه جماعة من الموصل وفيهم رجل كان من قواد بجكم (فناه بجكم من
عسكره لشيء أنكره منه) يقال له علي بن الفضل الصولي فافضل عليه ديسم
ومولاه وعظم ماله فاجتذب الديلم اليه فلما قويت شوكة ديسم بهم انتزع من
يد الاكراد ما كانوا تغلبوا عليه وقبض على جماعة من رؤسائهم وازداد من
عدة الديلم واستظهر بهم . وكان متولي وزارته أبو القاسم علي بن جعفر
وكان من كتاب آذربيجان وكثرت سعاية أعدائه به فاخافه ديسم وأوحشه
حتى هرب منه الى الطرم ليعتصم بمحمد بن مسافر فوافق وصوله اليه
الوقت الذي استوحش فيه ابناه منه وهسودان والمرزبان وملكا عليه فاته
المعرفة بسميران . وكان السبب في وحشتها قبح سيرته وسوء معاملته لاهل

(١) زاد فيه صاحب النكتة : ويبيع الدينار منها بثلاثة عشر درهما بعد أن كان

عشرة وكتب ابن ثوابة عن المتقي بذلك كتابا

بينه وقبضه عليهم لغير ذنب كبير وذلك لشرك كان في طبعه . وكان استوحش منه وهو ذان فصار الى أخيه المرزبان وكان في قلعة من قلاع آية بالطرف فلم محمد بن مسافر انه لا يتمكن من القبض عليه الا بعد أن يفرق بينه وبين أخيه فكتب الى المرزبان يستدعيه فقال وهو ذان له : انى لا أقيم في القلعة بمدك . وأعلمه انه ان^(٦٦) فارقه تمكن منه وقبض عليه فقال له المرزبان : فأخرج منى . فلما صاروا في بعض الطريق ظفرا برسول لايهما كان أغذاه سرا الى المقيمين في القلعة يأمرهم اذا خرج المرزبان أن يقبضوا على وهو ذان والاحتياط عاياه وعلى القلعة فمجا من ذلك وجمعهما الاستيحاء من أيهما فوصلا الى قلعة أيهما وقد خرج أبوهما الى قلعة أخرى فمرفا أمهما خراسويه ما كتب أبوها فيهما وكانت أمهما هذه جزلة فساءت ما على القلعة وفيها ذخائر محمد بن مسافر وأمواله فاستوليا عليها وتمكنا منها فلما عرف محمد بن مسافر ذلك تمير في أمره وحصل في القلعة التي كان قصدها وحيدا قد فرق بينه وبين نعمته . فلما وصل على بن جعفر كاتب ديسم الى هذه الصورة اعتم بالمرزبان وأطمعه في آذربيجان فضمن له ان يملكه اياها فيوصله الى أموال جليلة من ارتفاعها من وجوه يعرفها فنشق عليه وقرب من قلبه وقلده وزارته . واتفقا مع ذلك على عصمة في الدين وذلك ان على ابن جعفر كان من دعاة الباطنية وكان المرزبان مبهودا فيهم فأذن له المرزبان أن يدعو الى هذا المذهب ظاهرا فاجتمع له كل ما أراد .

وكاتب عسكر ديسم وكان يعرف من استوحش من ديسم^(٦٧) ومن هو غير راض عنه ومن لا يرضى مذهب ديسم لان ديسما كان يرى رأى الشراة وكذلك كان أبوهم وكان يصحب هرون الشلوي^(٦٨) اعنى أباه فلما قتل

هرب الى آذربيجان وتزوج الى رئيس من اكرادها فولد ديسم فاصطنعه ابن أبي الساج وارلقى معه الى ما ارتقى اليه .
ولم يزل علي بن جعفر يصمم أركانه ويفسد قلوب أصحابه وخاصة الديلم الى أن استجاب له أكثر أصحابه وكاتبوه وقالوا : ان صار الينا المرزبان فارقتا ديسما بأجمعنا . فلما وثق المرزبان بذلك من ثبات أصحاب ديسم سار الى آذربيجان وسار اليه ديسم فلما صافه الحرب قلب الديلم ترأسهم في وجهه وصاروا الى المرزبان وكانوا نحو التي رجل واستأمن معهم كثير من الاكراد وحمل عليه المرزبان ففرق عنه من بقي معه وانهمزموا وهرب في طائفة بسيرة الى أرمينية واعتصم بجاجيق بن الديراني لمودة كانت بينهما فأحسن ضيافته وحمل اليه ما يحمل الى مثله . فاستأنف ديسم يالف الاكراد وعرف خطأه في الاستكثار من الديلم وكان أشار عليه بعض النصحاء الفضلاء ان لا يرتبط من الديلم أكثر من خمسمائة رجل بعصاه . وملك المرزبان آذربيجان وجري أمره على سداد بتدبير كاتبه علي بن جعفر الى ان أفسد ما بينه وبينه ^(٦٨)

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان له كاتب يعرف بابي سعيد عيسى بن موسى ويدرف بميسكويه فسمي عليه وأطعم المرزبان في ماله وكان علي بن جعفر قد أوحش جماعة من حاشية المرزبان فضافوا عليه وعارضوه في تدبيره وأحس علي بن جعفر بذلك فاحتال على المرزبان بان أطعمه في أموال عظيمة يثيرها له من بلاد تبريز وتبريز هذه مدينة جليلة وعليها سور حصين وحواليها غياض وأشجار مشرفة وهي حصينة وأهلها ذو بأس ونجدة ويسار . فضم اليه المرزبان جستان بن

شهره زن ومحمد بن ابراهيم ودليل بن اورسفناه والحاجب الحسن بن محمد المهلبى^(١) في جماعة من ثقافته فسار على بن جعفر الى تبريز . فلما تمكن بها استمال أهل البلد وكتب الى ديسم يتلافاه ويستدعيه ويمدده من نفسه ان يقتل الديلم ويوازره حتى يعود الى ملكته . فأجابه ديسم بأنه لا يثق به الا بعد أن يوقع بالديلم فواطأ أهل البلد على الاتياع بهم وأعلمهم أنه انما حضر لطعم المزربان فيهم وان الديلم لا يساعدونه على صلاح أمرهم وهم لا يرضون الا باستئصالهم . فواطأ أهل البلد على الرثوب بهم في يوم ذكره وأحضر القواد المذكورين في ذلك اليوم فقبض في داره عليهم وقتل الديلم فصار الى ديسم في المسكر الذي أجمع له .

وكان المزربان أساء الى^(٢) الاكراد الذين استأمنوا اليه فوافق ذلك ظهور ديسم بتبريز فصاروا بأجمعهم اليه واتصل بالمزربان ما جرى على الديلم فقدم على ايجاش على بن جعفر واستماع كلام أعدائه فيه واستوزر أبا جعفر أحمد بن عبدالله بن محمود وخلق عليه ولقبه المختار . ثم استمد وسار الى تبريز وقد سبقه ديسم فحرت بينهما حروب وثبت الديلم والنهزم الاكراد فماد ديسم الى تبريز متحصناً بها وحامي أهلها عليه وذلك لما سبق من فعلهم بالديلم وحاصرهم المزربان . وابتدأ في استصلاح على بن جعفر ومراسله واعطائه عهد الله وميثاقه والعصمة التي بينهما من الدين على ان يعود له فأجابه على بن جعفر بأنه لا يريد من جمع ما بذله له الا السلامة وانه ما فارق ديسما حين فارقه الا هربا من المكروه ولا فارقه الآن وعاد اليه الا هربا من مثل ذلك وان الذي ياتمه منه ان يقيه من العمل ويصونه في نفسه وحاله ليلزم منزله

ويروح ويقعدو اليه فأجابه الى ذلك وسفر بينهما من الثقات الذين يجمعهم الدين من وثق له بجميع ما أراد فسكن اليه . واشتد الحصار على ديسم فلم تلمة في سور المدينة ليلا وخرج منها هو وأصحابه الى أردبيل ولم يجسر المرزبان على اتباعه في الوقت خوفا من أن يمطف عليه في صعايلكه^(٧٠) ويخرج من ورائه أهل تبريز فتأخر عنه . وخرج اليه على بن جعفر فوفى له وأقام أهل تبريز على مماذمته

﴿ ذكر ما آل اليه أمر ديسم بعد حصوله بارد بل ﴾

لما عرف المرزبان حصول ديسم باردبيل خاف على تبريز بعض جيشه وصار في معظم المسكر اليه واستدعي أخاءه وهسوذان اليه في جماعة من أطاعه وجد في محاصرة ديسم . وكان ديسم استوزر بعد مفارقة على بن جعفر أبا عبدالله محمد بن أحمد النعمي فراسله المرزبان وتلطف له ووعد ان يستوزره فاستجاب له وأمره على ديسم وواطأه على التدبير عليه

﴿ ذكر حيلة النعمي على ديسم حتى فارق الحصار وخرج الى المرزبان ﴾
أخذ النعمي في المشورة على ديسم بان يُنفذ الى المرزبان وجوه أردبيل ليألوهُ الصلح ويأهدوه ويستوثقوا منه بالايان المؤكدة على ان يومنه ليدخل في طاعته وخوفه من طول الحصار واستيحاء أهل البلد وأنهم سيواطئون المرزبان ويسلمونه بان يفتحوا له الباب وأعلمه انه قد وقف من ذلك على أمر سيظهر له ان لم يبادر بالصلح . ونظر ديسم في أمره فوجد الصورة قوية مما خوفه منه وذلك ان الحصار كان قد اشتد وانقطعت الميرة عنه^(٧١) وعن جنده وعن أهل البلد فالجميع في شدة والدمدمة كثيرة والناس مستوحشون

وم على بأس من الصلاح وخوف من زيادة المكروه . وانفذ ديسم اليه وجوه
البلد وأعيانهم ومدكوريهم ليتوثقوا له بالايان والعهد حتى يأمن بها ويخرج
اليه ففعل القوم ذلك وتوثقوا له نهاية التوثيق . وراسل أبو عبدالله النعمي
المرزبان بان يجتس هؤلاء الوجوه ولا يردم الى البلد الا بعد خروج ديسم اليه
لثلا يتغير الامر أو يحدث ما ينقض رأيه ولان أهل البلد اذا حبس عنهم
وجوههم ورؤسائهم اجتمعوا عليه ولم يملوه وعرفوه انه قد أمن على نفسه
بالايان التي سألتها وسكن الى ما ينزل له وليس لتأخره عن الخروج وجنة
ويشيد هو أيضاً كلامهم ويؤيده ولا يقنع منه الا بالخروج اليه في أسرع
وقت وأقربه . ففعل المرزبان ذلك واضطرب أهل البلد على ديسم لحصول
رؤسائهم في يد المرزبان فخرج اليه فلما آناه خبره تلقاه وأكرمه وأعظمه
ووفى له بكل ما وافقه عليه وقلد أبا عبدالله النعمي وزارته وقبض على ابن
محمود وسامه اليه فصادره وجميع أصحابه وصادر وجوه البلد واستخرج
أموالاً عظيمة . واستقامت أمور المرزبان وخطب له ^(٧٢) على جميع منابر
آذربيجان .

فليتبر الناظر في هذا الكتاب هل آتي هؤلاء الملوك الامن - و
تحفظهم واشتغالهم عن ضبط أمورهم وتفقدتها لذاتهم وشروعاتهم وبلغناهم
أمر أصحاب الاخبار وتركهم تعرف نيات وزراءهم وقوادم وأمور عسا كرم
وتموليم على الاتفاقات والدول التي لا يوثق بها وقلة تصفحهم أحوال الملوك
قبلهم ممن استقامت أمورهم كيف كانت سيرتهم وكيف ضبطوا ممالكهم
ونيات أصحابهم بضروب الضبط أولاً بالدين الذي يحفظ نظامهم ويملك
سرايرهم ثم بأصحاب الاخبار الثقات والاميون السد كاة على مديري أمورهم

والتفتد لهم يوما يوما وحالا فخالا وترك ابحاشهم ما أمكن ومداراة من تجب مداراة والبطش بمن لا حيلة في استصلاحه ولا دواء اسيرته . وقد كان خضفاء الملوك يخرجون من خزائهم الاموال العظيمة جدا الى أصحاب الاخبار ولايستكثرونها في جنب ما ينتفعون به من جهاتهم

فاما ما انتهى اليه امر ديسم فانه خاف بعد ذلك على نفسه وسأل المرزبان ان يخرج به الى قلته بالطرم ليقم فيها مع أهله ويقبض على ارتقاع ضياعه وهو ثلاثون ألف دينار في السنة وهو دون ما كان يبذله المرزبان له ويتكافه من مؤوته^(٧٣) فاجابه الى ذلك وحصل في القامة مصونا في أهله ونفسه وضياعه

﴿ ودخلت سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة ﴾

وفيها وافى الامير أبو الحسين أحمد بن بويه الى عسكر أبي جعفر بازاء البصرة وأظهر ان السلطان كاتبه في حرب البريدي فاقام مدة بحاربهم ثم استأمن جماعة من قواده الى البريديين مثل روستاباش وغيره فاستوحش من المقام وعاد الى الاهواز بعد ان استأمن اليه جماعة من عسكر البريدي

وفيها زوج ناصر الدولة ابنته^(٧٤) من الامير أبي منصور ابن المتقي ووقع الالاتك والخطبة بخضرة المتقي ولم يحضر ناصر الدولة وجعل الممد الى أبي عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي وكان الخاطب القاضي الخرق فلحن في مواضع وجعل الصداق والنحلة واحداً وجعلها صداقا وكان الصداق خمسمائة ألف درهم والنحلة مائة ألف دينار ولم يحسن ان يعقد التزويج ففقد ابن أبي موسى

وفي رجب من هذه السنة عبر الوزير أبو اسحق القيراطي الى ناصر

الدولة على رسمه فقبض عليه وعلى جماعة معه فكانت مدة وزارته ثمانية أشهر وستة عشر يوماً^(١) وجعل اسم الوزارة على أبي العباس أحمد بن عبد الله الأصفهاني وخلع عليه المتقي لله خلع الوزارة^(٢) في دار السلطان لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب وانصرف بها إلى دار الأمير ناصر الدولة فكان يلبس القباء والسيف والمنطقة في أيام المواكب والمدير الامور أبو عبد الله الكوفي وصور القراريطي والكتّاب والمتصرفون

وكان ناصر الدولة ينظر في قصص أصحاب الجنائيات من السامة وفيما ينظر فيه صاحب الشرطة وتقام الحدود الواجبة عليهم من ضرب وقطع يد ورجل بحضرته وتعرض عليه الايدي والارجل اذا قطعت وتعد بحضرته ويستوفي المدد عليهم لئلا يرتفق أصحاب الشرطة من الجناة ويطلقوا من غير علمه.^(٣)

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧ : هو محمد بن أحمد بن ابراهيم ابن عبد المؤمن أبو اسحق الاسكافي الكاتب المعروف بالقراريطي الوزير كان كاتباً لحمد ابن رائق الامير ثم وزير . . . ثم صار الى الشام وكتب لسيف الدولة ابن حمدان ثم قدم بغداد في وزارة المهدي فآزره ووصله وكان ظالماً عسوقاً توفي في الحرم وله ست وسبسون سنة (٢) وزاد صاحب التكملة : وصار عدل حاجب بمحكم بعد الى ابن رائق وبعد الى ناصر الدولة فقلده الرحبة واستولى عليها وكثر أتباعه . فانفذ ناصر الدولة بدر الخرشني لحربه فلما صار بدر بالدالية توقف عن المسير الى عدل وكاتب الاخشيد محمد بن طنج وهو بدمشق يستأذنه في المسير اليه فاذن له وانفذ اليه القرب والجل والروايا فسلك بدر الرحبة ووصل دمشق فقلده الاخشيد المعاونة بها . وجعلت الرحبة وأعمال القرات لعدل وعامله أبو علي التوبختي وحصل لعدل من المصادرات التي الف درهم فانتعت يده وكثرت رجاله وأقبل الديلم والأتراك يقصدونه من بغداد في الرقعات تخلع عليهم . وتمت على عدل الحيلة من سهلون كاتب ناصر الدولة لانه أراد المضي الى يانس المونسي بالرقعة فتمه عدل من ذلك فقال له سهلون : قد كثرت أتباعك ولا يبقى بمؤنسك ما في يدك وأنا أكتب عن ناصر

﴿ ذكر ما آل اليه أمر سيف الدولة بواسطة مع الاتراك ﴾
 ﴿ وما اتصل بذلك من خبر ناصر الدولة ببغداد ﴾

كان سيف الدولة أبو الحسن مقيماً بواسطة مفكرآ في أن يسير بالجيش
 والاتراك الى البصرة ليفتحها وكان أخوه ناصر الدولة يدا فعه بحمل المال
 وبضائق الاتراك خاصة وكان توزون وخجنجج^(٧٥) يُسَيِّئَانِ الادب على
 سيف الدولة بواسطة ويتحكمان عليه حتى ضاق ذرعاً بهما . وكان ناصر الدولة
 قد أنفذ أبا عبد الله الكوفي الى سيف الدولة أخيه ومعه ألفي درهم
 وخمسين ألف دينار لينفق في الاتراك فوثب توزون وخجنجج به بمحضرة
 سيف الدولة وأسماء مكرورها فضمه^(٧٥) سيف الدولة الى نفسه ثم ستره
 في بيت وقال لهما : أما تستحيان مني فتجاملاني في كاتبي ا ثم وافق سيف
 الدولة كاتب خجنجج ان يسير خجنجج الى المنار ويُمرِّغُهُ ارتفاعها اذا جأها
 ووافق أبا علي المسيحي كاتب توزون على المسير بتوزون الى الجلمدة ويوهب
 له ارتفاعها وعليه حمايتها وانظم هذا التدبير وعاد الكوفي الى مجلسه بمحضرة
 سيف الدولة ورهب ان يعود الى منزله وعبر خجنجج الى غربي واسط للمسير
 واستعد توزون أيضاً للمسير الى الجلمدة . فوافى أبو عمرو المسيحي وقت
 الظهر لثلاث بقين من شوال هاربا من ناصر الدولة الى أخيه ابي علي المسيحي

الدولة الى يانس بتسليم الرقة اليك . فقبه على ذلك فلما الخانوقة فقال له سهلون : الرأي
 أن أقدمك اليه . فطلب منه رهينة فقال : ان رأك وقد أخذت رجلى فظن (كذا) فتركه
 فلما حصل بالرقة مع يانس كاتباً بني عمير . فلما عرف عدل الصورة سار الى نصيبين فلقبه
 الحسين بن سعيد بن حمدان فاستأمن أصحاب عدل الى الحسين فأسره وأبوه وسلمهما
 وأخذهما الى ناصر الدولة وشهرهما على جلين .

(١) وفي التخلّة هو جوجوخ

وكان معه توقيع من ناصر الدولة بخطه اليه يقول فيه : قد اتصل طمعك في وانبساطك علي وأنا عتميل وأنت مغترٌ وبلغني ادخالك يدك في وقف فلان ووالله لئن لم تخلصها وتقصّر عن فملك المذموم لاقطنن يدك ورجليك . فزعم أبو عمرو المسيحي أنه قرأه وانحدر وذكر أنه قال له قبل ذلك بإيام : يا مسيحي أنت مجتهد في أن تجعل توزون أميراً وعلى رأسك تحمى التراب ان بلغ ما توّملهُ له لم يرضك كاتباً لنفسه وطلب ابن شيرزاد أو مثله وشبههُ فاستكتبهُ وأنف منك فصادرك

فقال في سيف الدولة أبا عمرو ^(٧٦) المسيحي وواراه وراسل توزون وسكنه . وكان سيف الدولة كثيراً يرهد الأتراك في العراق ويحملهم على قصد الشام معه والاستيلاء عليه وعلى مصر ويضرب بينهم وبين أخيه فكانوا يصدقونه في أخيه ويأتون عليه في البعد من العراق وكانوا يتسحبون على سيف الدولة ويطالبونه باستحقاقهم وينصون على ان يوفيهم يوم الستين من أيامهم استحقاقهم ويستصرونه وأخاه . فلما وافى أبو عمرو المسيحي قالوا له : نحتاج أن تحمل مال قائدٍ قائد ورجاله وتوفينا ذلك بالقبان وزنة واحدة مالا مالا . فاجاب الى ذلك قطعاً للحجة وساموه ان يكون الوزن بالليل والنهار فصبر على ذلك كله وأذن فيه . وأخرج سيف الدولة أبا عبد الله الكوفي ليلا وضم اليه ابن عمه أبا وليد في جماعة من العرب وأصعد معه بنفسه اشفاقا عليه ثم وصى العرب حتى بلغوا به المدائن . فلما كان ليلة الاحد انسلاخ شبان كبس الأتراك سيف الدولة بالليل وهرب من معسكره ولزم نهراً ^(٧٧) بقرب معسكره فاداه الى قرية تعرف ببرقة ولزم البرية حتى وافى

بغداد . وأضرَم الأتراك النار في عسكره وقد كان بقي من المال المحمول اليه مع الكوفي من عند أخيه شيء لم يفرّق فيهم فهبوه ونهب جميع سواده^(٧٧) فهذا خبر سيف الدولة بواسط

فاما خبر ناصر الدولة ببغداد فان أبا عبدالله الكوفي وصل الى بغداد ولقي ناصر الدولة ووصف له الصورة فبرز ناصر الدولة الى باب الشّاسية وركب اليه المتقي لله في دجلة يسئله التوقف عن الخروج من بغداد فعبّر ناصر الدولة غلماهُ الى الجانب الشرقي من بغداد وأكثر جيشه ليوم الأتراك أنه يعبر ويسير في الجانب الشرقي فلما حصل جيشه في الجانب الشرقي قطع الجسر . وسار ناصر الدولة في الجانب الغربي فهتت داره وأقلت يانس غلام البريدي وأبو الفتح ابن أبي طاهر من الحبس وعادا الى البصرة واستتر أبو عبدالله الكوفي^(٧٨) وخرج من بقي من الديلم ببغداد الى المصلّى وعسكروا هناك وضبط الأتراك الذين كانوا ببغداد دار السلطان ورحل الديلم من المصلّى ودبر الإموار بالحضرة أبو اسحق القراريطي من غير تسمية بوزارة وانهدمت الرياسة بواسط لتوزون . فكانت مدة امارّة ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان ثلاثة عشر شهرا وثلاثة أيام

﴿ ذكر ماجرى من أمر توزون بواسط مع الأتراك بعد ﴾

﴿ هزيمة سيف الدولة حتى تمت له الامارة ﴾

لما انصرف سيف الدولة من واسط على تلك الصورة وعاد توزون

(٧٨) زاد صاحب التكملة : وابن مقاتل . وفي تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٠ مات في شعبان هذه السنة بمصر وهو متولى ديوان الحجاج بها فوجدوا في داره ثلثمائة ألف دينار مدفونة . وليراجع كتاب الولاية لابي عمر الكندي ص ٢٩٤
(٦ - مجارب (س))

وخججى الى معسكرهما وقع الخلاف^(١٨) بينهما وتنازعا الرياسة ثم استقرت الحال على ان يكون توزون الامير وجىء بالأس والريحان اليه على رسم العجم اذا ترأس واحد منهم وعلى ان يكون خججى صاحب جيش وهو الاسفهلار وأمضى القواد ذلك عليهما بنسیر رضى جماعة ثم صاهر القواد بينهما وطمع البريدى بواسطة فاصمد اليها وتقدم توزون الى خججى ان ينحدر الى نهر أبان ويراعى من يرد من أصحاب البريدى ويطلبه فنفذ. ووافى عيسى بن نصر برسالة البريدى الى توزون يهينه بالامارة ويسأله ان يضمه أعمال واسط ويؤرفه عنه ان رأى تعجله الى الحضرة لاجراج ابن حمدان عنها فاجابه جوابا جيلا وامتع من التضمين وقال : اذا استقرت الامور تخاطبنا فى الضمان فاما وأنا بصورتى هذه وأنت تظن انى مطلوب خائف من بنى حمدان فلا وعسكرى عسكر بحكم الذى قد جرّبت وخبرت وطائفة منهم تقى بك . وانصرف عيسى بن نصر واتبعه توزون جاسوسا

هو ذكر سبب قبض توزون على خججى وسمله اياه

فعاد اليه الجاسوس وأعلمه انه اجتمع مع خججى وتخاليا طويلا وان خججى على الاستئمان الى البريدى . فسار اليه توزون لثانى عشر من رمضان ومعه مائة غلام من الاتراك^(١٩) ومائة من الخاصة واشكورج وجماعة من الكبار وكسه فى فراشه فلما أحس به ركب دابة التوبة بقميصه وفى يده لت ودفع عن نفسه سوية ثم أخذوه وجاؤا به الى واسط وسمله توزون^(٢٠) وهدأت نار خججى

وسمى أبو الحسين على بن محمد بن مقلة فى الوزارة وراسل المتقى لله

(١) زاد صاحب التكملة : فى دار عبد الله بن بونى .

واستصلح قبل ذلك الترجان وضمن له مالا فبعث المتقى اليه : انى راغب
فيك مائل اليك عجب لتقليدك ولكن ليس يجوز ان أتبدي بذكرك
فاصلح أمرك مع الترجان وقل له يسميك مع جماعة فانى أختارك من بينهم .

فعمل ذلك واتى المتقى لله وقاده وزارته وانصرف الى منزله

وورد الخبر بزول سيف الدولة المروفة

﴿ ذكر الخبر عن مصير سيف الدولة الى بغداد بعد ﴾

﴿ هزيمته وما انتهت اليه حالته ﴾

لما بلغ سيف الدولة خلاف توزون وخججج بواسط طمع في بغداد
فوافى المروفة وظهر المسترون من أصحابه من الجند وخرجوا اليه . وانحدر
أبو عمرو والمسيحي كاتب توزون الى واسط مستترا هاربا الى صاحبه وانحدر
أيضا الترجان . وأرجف الناس بأخبار المتقى واضطرب الناس وأصبحوا على
خوف شديد فامر المتقى لله بالنسداء ببراءة الذمة ممن أرجف بأخباره ^(٨٠)
وجاء سيف الدولة في يوم الاثنين لاربعة عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
الى باب حرب فنزل في المضارب وعليه وعلى أصحابه أثر الضر الشديد لما
لحقهم في البرية وخرج اليه أصحابه ومن يريد الاثبات وجرت بينه وبين
المتقى لله رسائل على يد أبى زكرياء السوسى وطالب بان يحمل اليه مالا
ووعدا ان يقاتل توزون ان ورد الحضرة . فحمل اليه المتقى أربعمائة ألف
درهم في دفعات وانضم اليه كل من بقى بالحضرة من القواد وما زال يقول
في مجلسه : ما أنصفنا أبو الوفاء توزون حيث كبنا في الليل ونحن نيام والا
فليحضر نهارا ونحن مستيقظون . ونحو هذا من الكلام .

وخلع المتقى لله على الوزير أبى الحسين بن مقيلة يوم السبت لاثني

عشر بقيت من شهر رمضان

ولما بلغ توزون وصول سيف الدولة الى بغداد خلف بواسط كيفلغ في ثلاثمائة غلام وأصعد مبادرا من واسط الى بغداد ولما اتصل بسيف الدولة خبر اصعاده رحل من باب حرب مع من انضم اليه من قواد الحضرة وفيهم أبو علي الحسن بن هرون ومضى على وجهه . ودخل محمد بن ينال الترجمان آذنا لتوزون الى بغداد لست بقين من شهر رمضان ودخل توزون من السد ونزل دار مونس^(١) وانتم البريدي بعد توزون من واسط فوافها ثلاث بقين من شهر رمضان فهب وأحرق واحتوى على الغلات وأخذ جميعها . وقبض توزون على أبي عمرو المسيحي كاتبه وقتل كتابته أبا جعفر الكرخي وسلم أبو اسحق القراريطي الى الوزير أبي الحسين ابن مقله فصادره

هـ ذكر الخبر عن تقليد توزون امرة الامراء

لما حصل توزون ببغداد خلع المتقى عليه وعقد له لواء وقلده امرة الامراء . وصار أبو جعفر الكرخي كاتب توزون ينظر في الامور كما كان الكوفي ينظر فيها فاما الكوفي فانه لحق بسيف الدولة وهرب معه . فكان مدة نظر الوزير أبي الحسين ابن مقله في الامور الى ان ينظر فيها أبو جعفر الكرخي نحو شهر وقد كان كيفلغ لما استخلفه توزون بواسط أمره بقتال أبي الحسين البريدي فجز عنه فاصعد الى بغداد . ولم يمكن توزون المبادرة بالجوع الى واسط الى ان تستقر الامور بالحضرة وتجهز جميع ما يحتاج اليه فاقام مدة شوال وأكثر ذى القعدة الى ان توطأت الامور واستقامت .

وكان وقت هزيمة سيف الدولة من واسط أسرا غلاما له يقال له نعل

(١) - زدنا « مونس » من التكة

عزير على سيف الدولة فاطلقه ووجهه سيف الدولة وأكرمه وأنفذه اليه^(٨٢) في هذا الوقت لما حصل ببغداد فحسن موقع ذلك منه ومن ناصر الدولة حتى قال بالموصل : توزون صنيعتي وقد قلده الخضره واستخفته بها . فسكنت نفس توزون الى ذلك

وكان منيظا على البريدي ايقح ماعامله به فانحدر توزون الى واسط وخلف الترجمان ببغداد^(٨٣) وتقدم الى أبي جعفر الكرخي ان يالحق به وضمن ضياعه أبا الحسين ابن مقلة برغبة منه اليه بمائة وثلاثين ألف دينار في السنة . ووافي في هذا الوقت أبو جعفر بن شيرزاد الى توزون هاربا من البريدي فلقاه توزون في دجلة وسر به وقال له : يا أبا جعفر كملت أمارتي بك وتمت النعمة عندي لاجلك أنت أبي وهذا خاتمي (فنزعه من يده وأعطاه اليه) فديرني وصرفتني على رأيك . فقبل أبو جعفر يده وسأله ان يمهله فلم يجبه وكان أبو الحسن الاسمر واقفا وجماعة فقال الاسمر : بالله ياسيدي أجب الامير وتصدق بصدته وانظر في أمره ! ففعل ونظر في أمره وأنفذ طازاد ابن عيسى آخر ذلك اليوم الى الخضره لخلافته . فكان مدة كتابة أبي جعفر الكرخي ونظره نيفا وعشرين يوما

﴿ ذكر سبب مفارقة ابن شيرزاد البريدي ﴾

﴿ والاتفاق الغريب له في ذلك ﴾

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وخطب ابن مقلة كتابة توزون لعمه أبي عبد الله (يعني الحسن بن علي بن مقلة وترجمته في ارشاد الاريب ٣ : ١٥٠) وأنفذ اليه هدية منها عشرون ثوبا ديتميا وعشرون رداء قصب وطيبا وذلك بهد أن استكتب توزون القراريطي وصرف النونختي فلم يجب توزون الى ذلك وقال : لا يحسن بي صرفه بهد ثلاثة أيام من استخدامي له .

كان يوسف بن وجيه صاحب عمان وافي (في) ذى الحجة في مراكب
وشذات يُريد البصرة يحارب بنى البريدي^(٨٣) وكان معه من محارب بقوارير
النار فأحرق شذاتهم وزبازبهم فلك الابله وضعتهم فهرب في تلك الوهلة
أبو جعفر ابن شيرزاد ومعه طرازا وغيره . فاما سبب هزيمة يوسف بن
وجيه بعد تمكنه فسند كره .

﴿ ذكر حيلة تمت على يوسف بن وجيه ﴾

كان قد استظهر استظهارا شديدا وقارب ان يملك البصرة وكان مع
البريدي ملاح يعرف بالريادي فلما ضغط يوسف بن وجيه البريديين
وأشرفوا على الملاك قال هذا الملاح : ان أنا هزمت العدو وأحرقت
مراكبه ما تصنع بي ؟ فوعده الاحسان اليه ان فعل ذلك ولم يعرفه الملاح
ما يريد ان يعمل وكتم أمره وهضى فاخذ بالنهار زورقين وليس يعلم أحد
لماذا يريد هما ولم يأخذ معه أحدا من أسباب البريدي وهضى فلأ الزورقين
سففا (ومثل هذا لا ينكر بالبصرة) وحدرهما في أول الليل (ومثل ذلك
بالبصرة كثير لا يستراب به) وكان رسم مراكب ابن وجيه ان تُشد بمضها
الى بعض بالليل في عرض دجلة فيصير كالجسر فلما كان في الليل ونام الناس
وكان من المراكب أشعل ذلك الملاح السف وأرسل الزورقين والنار
فيهما فوقما على تلك المراكب والشذات فاشتعلت واحترقت فلو سها
وتقطعت واحترق^(٨٤) من فيها ونهب الناس منها مالا عظيما . وانقلم يوسف
ابن وجيه وهضى هاربا على وجهه وانكشف وجهه البريدي ووفى للملاح
بما وعد له .

﴿ وفيها استوحش المتقى من توزون ﴾

﴿ ذكر السبب في الوحشة بين توزون والتمتى ﴾

﴿ وما آل اليه الامر فيه ﴾

كان الترجان قد نفر من توزون لشيء بلغه عنه وكان أبو الحسين ابن مقلة خائفاً من توزون لانه خسر في مال ضمانه وأشفق أن يطالبه به ويهاككه ؟ وزاد في نفوره ثقلاً أبي جعفر ابن شيرزاد كتبه توزون . وما شك أحد ان أبا جعفر ابن شيرزاد وافى عن موافقة البريدى فطارت نفس ابن مقلة خوفاً من ابن شيرزاد وان يطالبه بمال ضمانه واقطاع توزون وخاف الترجان وغيره وساءت الظنون . وغلب القنوط على الكافة من أهل الحضرة فوقع التدبير بين أبي الحسين ابن مقلة وبين الترجان على مكاتبه ناصر الدولة في انقاذ من يُشيع التمتى ويخرجه اليه وقيل للتمتى : ثبت للبريدى بالامس فجرى ما ندمت عليه وأخذ منك خمسمائة الف دينار وخرجت الى ناصر الدولة في دفعته الثانية فاظفرك الله وعُدت موفورا وقد ضمنك بخمسمائة الف دينار أخرى وقال لتوزون « هي باقية في يدك من تركة بجمك » وهذا ابن شيرزاد وارد لتسليمك بمدخلك . فانزعج واعتبر بما مضى على ^(٨٥) مستأنف أمره وأصعد بمد ذلك أبو جعفر ابن شيرزاد الى الحضرة في ثلاثمائة غلام .

وفيها ورد الخبر بموت نصر بن أحمد بخراسان واتصاب نوح ابنه مكانه

(ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة)

ووافى أبو جعفر ابن شيرزاد الخمس هين من المحرم فدخل بغداد فلم يشك التمتى لله والجماعة في انه انما وافى لما أرجف به ولقى التمتى لله في اليوم الذى وصل الى بغداد فيه وحمل الوزير أبو الحسين والترجان التمتى لله على القبض عليه فلم يفعل . وبادر أبو جعفر بالانصراف وأمر ونهى وأطلق

القراريطي من الاعتقال ونظر فيما كان ينظر فيه الوزير

ووافي أبو عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان فنزل باب حرب في جيش كبير فخرج اليه المتقي لله وحُرِّمه والوزير أبو الحسين ابن مقله والترجمان^(١) واستتر ابن شيرزاد وخرج وجوه أهل الحضرة وكتائبها . فلما بلغ المتقي تسكرت ظهر ابن شيرزاد وطالب الناس وخبطهم

وانحدر سيف الدولة من الموصل ومعه الجيش وبلغ توزون وهو بواسط ماجرى بالحضرة من خروج المتقي والوزير من بغداد فجرد موسى ابن نسيان في الف رجل وبادر به الى بغداد . وامتد موسى الى باب السماسية وعسكر^(٢) هناك وأقام توزون حتى عقد واسط على البريدي ثم أصعد ودخل بغداد وقلد الشرطة غلامه صافيا . وانحدر ناصر الدولة ومعه الجيش^(٣) ووصل الى تسكرت فلقاه الخليفة وسار توزون الى عكبرا وعبر من الجانب الشرقي الى قصر الجص بسر من رأى . وصاعد المتقي لله الى الموصل ومعه أبو الحسين الوزير وأبو اسحق القراريطي وأبو زكريا السوسى وسار سيف الدولة للقاء توزون فاشتبكت الحرب بينهما أسفل من تسكرت بفرسجين وناصر الدولة بتسكرت فدامت الحرب بين سيف الدولة وتوزون يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء فلما كان يوم الخميس انهزم سيف الدولة . وأصعد معه ناصر الدولة ونهب الاعراب بعض سوادهما وملاك توزون وشعب أصحاب توزون فانحدر الى بغداد . وتأهب سيف

(١) زاد صاحب التذكرة : وسلامة الطولوني وأبو زكريا السوسى وأبو محمد المادرائي والقراريطي وأبو عبدالله الموسوى وغيرهم (٢) وفي التذكرة : انه انحدر في بني عمير وبني كلاب وبني أسد .

الدولة للقاء توزون ثانية فأنحدر الى تكريت وخرج توزون الى باب
الشماسية ثم سار الى ناحية أخرى^(٨٦) وواقعه هناك فأهزم سيف الدولة وتبعه
توزون . فلما وصل سيف الدولة الى الموصل سار منها وسار ناصر الدولة
والمتقى والوزير وسائر من معهم الى نصيبين ودخل توزون الموصل ومعه
ابن شيرزاد وأبو عبدالله بن أبي موسى الهاشمي واستخرج^(٨٧) ابن شيرزاد
من الموصل نحو مائة الف دينار

ورحل المتقى وحُرّمه ومن معه من نصيبين الى الرقة ولحق بهم سيف
الدولة وقد كان توزون عند خروجه من بغداد زوّج ابنته من أبي عبد الله
البريدي وعقد الاملاك بالشماسية وأشد المتقى لله أبا زكرياء السوسى الى
توزون في رسالة يقول فيها : انى استوحشت منك لاجل البريديين لقبح
ما يفعله بدمعة بعد دفعة وأبليت انكما اجتمعتما وصرتما يداً واحدة فخرجت
من الحضرة والآن فقد مضى ما مضى فان آرت رضائى فصالح ناصر الدولة
وارجع الى الحضرة فانى اذا رأيتك مطيعا لى عدت واستقامت لك الامور بى
وبرضائى وكان الله عونك . قال أبو زكرياء : فلما وردت حضرة توزون اتهمنى
وهم بقتلى فخلصنى ابن شيرزاد وقل : أياها الامير أنا والله سألت أبا زكرياء
الخروج مع الخليفة لى لى الينا وليكون خليفتنا بحضرتى فان كان متهما فانا
متهم . ثم أديت الرسالة فتقبلها ابن شيرزاد وأشار على توزون بالاجابة
وسفرت فى الصلح الى ان تم^(٨٨) وصح لابي جعفر ابن شيرزاد قبل الصلح

(١) وهي « جربى » كذا في التكملة (٢) قال فيه صاحب التكملة : فقال
ابن سعيد : يا أمير المؤمنين انى أخافه على تسمى . فقال : اذا قصدت الصلاح كيفت .
فقلت له : فان لم يتم الصلح أعود الى وطني . قال : قد أذنت لك . فقلت يده . فلما جئت

وبعد زيادة على مائتي الف دينار . وعقد البلد على ناصر الدولة ثلاث سنين
كل سنة بثلاثة آلاف وستمائة الف درهم^(٨١) وانصرف توزون الى بندا
وتواترت الاخبار بنزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسطاً
وكان على وعد من البريديين بمسك الماه فاخلفوه وانحدر اليه توزون مجاربا
له والثميا في الموضع المعروف بباب حميد وطالت الحرب بينهما بضعة عشر
يوماً على اجتهاد شديد بين التبريقين الا أن توزون كان يتأخر كل يوم ويتقدم
الديلم على سبيل الزحف وعلى عادتهم في مثل ذلك وكثر القتلى من الجانبين
الى ان عبر توزون نهر ديبالى يحصل في الجانب الذي يلي بندا وقطع جسورا
كان بعدها عليه . فلما صار بينهما النهر ثبت الاتراك وكان مع توزون زبازب
وخيل في الماه فيها غلمان رماة فكانوا يستولون في كل يوم على قطعة من
خزائن أحمد بن بويه وزواريق عسكره ثم يحولون بين المسكر وبين الماه
فيعطشونهم ودواهم فرأى معز الدولة ان يصعد على ديبالى الى نحو جسر
النهران ليصد عن دجلة ويقرب من الماه ويحتمل الميرة فقد كانت ضاقت
عليه وأحسن توزون بذلك

﴿ ذكر حيلة تمت على معز الدولة حتى انهزم بعد استظهاره ﴾

وعبر توزون بخمسمائة من الاتراك مع تكين الشيرزادى والف
فارس من العرب فيهم ابراهيم المطوق وقطينه وأمثالهم من حيث^(٨١) لم

الموصل هم الاتراك بي وارتاب توزون بوصولي قتل : أيها الامير قد كنت أسفر
بينك وبين ابن رائق وهل عرفتني الامستقيا؟ قال : صدقت . قتل : انا رجل
سنى وأرى طاعة الخليفة وخرجت معه احتساباً لا أطلب الدنيا وقد أقتدى رسولا وأنتم
أولادى ووريتكم وأرى الصلح . وأشار عليه ابن شيرزاد بذلك ووردت الاخبار بمجيء
معز الدولة الى واسط فاجب توزون انعام الصلح وحصل لابن شيرزاد الخ

يشمر بهم معز الدولة فلما سار وسار سواده في أثره خرج عليهم القوم فخالوا بينه وبين السواد ووقفوا في العسكر على غير تسمية . وتاجل توزون فعبير بجماعة من أصحابه سباحة ولم يزل يقتل ويأسر حتى ملّ . وأفلت معز الدولة مع الصيمري^(١) ونفر يسير معه بأسوأ حال وحصل بالسوس واجتمع إليه نفر من القل بعد أيام وعاد توزون الى بغداد

وفي صفر من هذه السنة ظهر لص^٢ يقال له ابن حمدي وكان أعبي السلطان فخلع عليه ابن شيرزاد وأثبته برسم الجند وواقفه على ان يصحح في كل شهر خمسة عشر ألف دينار مما يسرقه وأصحابه وأخذ خطه بها فكان يُستوفى منها ويأخذ البرآت وروزات الجهد بما يؤدّيه أولاً أولاً . وفي هذه السنة قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف

{ ذكر السبب في قتل البريدي أخاه وما جرى }

{ بعد قتله إياه وعاقبة أمره }

كان أبو عبد الله البريدي لما حاصره سيف الدولة أيام مقامه بواسط احد عشر شهراً ثم توزون بمده ضاقت به الامور فاضطربت رجاله وعملوا على الاستئمان الى أبي يوسف أخيه ليساره . واستقرض من أبي يوسف قرصاً بمده قرص فكان يعطيه النزر اليسير وذكر تخلفه^(٣) وتضييمه وأنه بالاقبال تم له ماتم لا لتديير ثم تسدى ذلك فصار يذكر جنونه وعجلته . وصح عند أبي عبد الله ان أبا يوسف يريد القبض عليه واعتقاله لان مجري

(١) زاد صاحب التكملة : وأخذ في جلتهم ابن الاطروش المعروف بالداعي النسوي (والاطروش هو أبو محمد الحسن بن علي الحسيني من ولد عمر الانسرف) وأبو بكر ابن قرابة وكان قد واثق مع الديلم فصودر على عشر بن ألف دينار .

عليه جناية على نعم فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه
فحكي اسرائيل الجيهذ وكان خصيصة بابي عبدالله انه اشتداه وشكا
اليه حاله في الاضاقة ثم قال : ثم الى أبي يوسف أخى (وأوما الى درج بين
يديه وفتحها فاذا فيه حب لؤلؤ وياقوت أحمر وأزرق يهر الناظرين) وقال :
احمل هذا اليه وسله ان يقرض عليه عشرة آلاف دينار . وكان ماني الدرج
قد وهبه بحكم لابنته سارة التي تزوج بها وكان بحكم أخذه من دار الخليفة
فأخذه أبو عبد الله منها قال اسرائيل : فضيت الى أبي يوسف وحدثته
بجميع ما خاطبني به أخوه وأخرجت الدرج اليه فقال لي : يا أبا الطيب من
سوء تحصيله يرى ولو مدت دجلة مالا أبدده هذا رجل حصل له من
واسط في كراته التي تولاها ثمانية آلاف الف دينار أما واجب ان يستظهر
بالف ألف دينار . فقلت : ياسيدي ومن أولى به منك على تصرف كل حال ؟
ففضل بما طلب . فقال : اني قد أعطيته الى هذا الوقت ومنذ انصرف من
واسط . خمسين الف دينار وما عتلى عينه ! ابث الى الجوهرين^(١) واحضرم
حتى يقوموا هذا الجوهر وأعطيه قيمته . فوجه اليهم وحضروا وأخرجه
اليهم فقالوا : لاقيمة له تُحدّ واذا حضر ملك يرغب بحكم صاحبه ولوانتهى
في السوم الى أقصى غاية . فاشتطّ وقال : يا جهال من قال لكم اني مروان
الاموي (فانه كان راعبا في الجوهر وحضر للابتياح) أو خارويه بن أحمد
وابن الجصاص ؟ قوموه بما اذا طالبتكم به بكرة صحتموه العصر .
قوموه خمسة آلاف دينار فقال : اعطوني خطوطكم بها . فثبتوا ثم ردوها
الى خمسين الف درهم وضمونها فقال : هذا أعطيك . فقلت : ياسيدي
اجعلها خمسة آلاف دينار . فقال : قم ودع في القيمة فضلا لطلبه فانه سيناود

ويطلب . فانصرفت بخمسين الف درهم الى ابي عبد الله وحدثته الحديث فقال : لا اله الا الله قل له : يا ابا يوسف جنوني الذي ذكرته وقلة تحصيلي اتمدك هذا المقعد وصيرك كقارون : ثم عدت ما عمله معه ودمت عينه وتبين الشر في وجهه . فلما كان بعد ايام نحو العشرة اقام غلمانهم فيهم يانس واقبال وريب وملاح يانس في محترق قد سقط بين باب داره (وكانت دار فضلان الساجي) بالابلة وبين الشط . فذكر له هؤلاء ووثبوا عليه بالسكاكين وما زال يصيح « يا اخي قتلوني قتلوني » و ابو عبد الله ^(٩٦) يقول « الى لعنة الله » فخرج ابو الحسين اخوه وكان ينزل في جواره الى روشن دجلة وقال : يا اخي قتلته ! فقال : يا فاعل خربت اسكت والا الحثثك به . جمع ابو الحسين نفسه وشعب الجند وظنوه حياً فنبشه واطهره لهم فسكنوا ثم اعاده الى قبره

وانتقل الى الدار بمساران فساعة ملكها طلب الجوهر فاحضره قال اسرائيل : دخلت اليه فقال لما رايتي : يا غلام هات الدرج . فاحضره اياه فقال لي : يا ابا الطيب اخذنا المال والجوهر ومضى الفاعل بن الفاعل الى لعنة الله . ثم اودع ابو عبد الله هذا الجوهر ابنه ابا القاسم سراً وامره ان يستتره فلما توفي ابو عبد الله وملك الامر بعده اخوه ابو الحسين طلب هذا الجوهر طلباً شديداً فلم يجد له اُترا وقيل « اودعه من لا يعرف » ولما خرج ابنه الى هجر اخذه معه فسأله الهجريون ان يريهم اياه ففعل ذلك ووهب لهم منه حبة واحدة فلما حضر مدينة السلام في ايام ابي الحسين ممر الدولة طلبه منه ليراه فاحضره عنده ووسط ابا محمد عبد الله بن يحيى لبيتاعه منه فامتنع من بيعه ثم رأى الوجه في يمه فاستجاب فقوّم بما قومه بتجار البصرة فقال ابو

مغلد : حط منه ثمن الحبة التي أخذها الهجريون . فأعطى ثلاثة آلاف دينار عن قيمة خمسة^(١٣) وأربعين ألف درهم وأحاله بذلك على كار التمر واستوفاه

وكان أبو عبد الله البريدي يتهم أبا الحسن ابن أسد بالضرب بينه وبين أخيه وقيل له : ان عنده ستة عشر ألف الف درهم . فلما ملك الامير أخرج اليه دفتر فيه ثبوت ودائع أبي يوسف بخطه فلم يجد فيه وديعة عند أحد الا ما عند ابن أسد فطالبه بها وبسط منه وأقره على ما كان يتولاه . فضى الى منزله وحمل اليه الف الف درهم وخمسمائة الف درهم ولم يظهر له وعرفه انه لاوجه للباقي وان أخاه حصل عليه ذلك من عجز بعد عجز لحقه في مدة ستة معه وأخذ خطه بها انها وديعة له عنده . وكان في أسفل الثبت الذي وجد له عمل الكل سنة عملا بالضمان وما صح منه بالامانة وما تحصل من العجز الذي أخذ خطه به وجمع ذلك وكان بازاء العجز وهو ثلاثة عشر الف الف وخمسمائة الف درهم . فقامت قيامة أبي عبد الله وقال : دم أخي في رقية ابن أسد فاني قتلته طمعا في المال . فضى ولم يصل اليه ثم آمنه فظاهر وقام بحجته شفاها وذاكر ان له بقايا هذه السنة في التواحي زيادة على أربعة آلاف الف وله أصحاب منهم أبو العلاء صاعد بن ثابت وأبوه وأخوه وأبو علي الانباري وقد هرب فتوسط أمره القاضي أبو الحسين بن نصر وبه^(١٤) وصح لابن عبد الله من جميع الوجوه على أحوال قبيحة مع الاتي الالف والخمسمائة الالف الدرهم الموجودة عشرة آلاف الف درهم وتاه الباقي وذهبت نفس أبي يوسف وفيها قبض أبو العباس اشكورج الديلمي وكان توزون قلده الشرطة

يغداد على ابن حمدي اللص^(١) وضرب وسطه فخفّ مكروه اللصوص عن الناس وانقطع شرهم بعد ان تجارس الناس بالليل بالبوقات وامتنع عنهم النوم خوفا من كبساته .

وفيهما ورد الخبر بدخول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسط وانحدر من كان بها من أصحاب البريدي الى البصرة وفيها صار محمد بن ينال الترجمان الى سيف الدولة وهو بالرقّة فعاتبه سيف الدولة على أشياء بلفته عنه وكان اتهم بأنه عقد الرئاسة لنفسه على المعجم وواطأ المتقي لله على الايقاع بسيف الدولة فجحد محمد بن ينال ذلك فلما خرج من حضرته بعد العتاب وثب به غلمان سيف الدولة بسببهم فقتلوه .
وفيهما ورد الخبر بموت سليمان بن الحسن أبي طاهر القرمطي وأنه جدير ومات وصار الامر لاختوته بعده

﴿ ذكر الخبر عن الاصبهاني الذي احتال لقتل ﴾

﴿ القرامطة بايديهم حتى كاد يفنيهم ﴾

كان ابن سنبر يعادى المعروف بابي حفص الشريك فاحتال في حياة أبي طاهر بأن أحضر رجلاً^(٢) من أهل اصبهان فكشف له أسراراً كان أبو سعيد الجنابي كسبها له في حياته ولم يكشفها لغيره وعرفه مواضع دفان له لم يعلم بها غيره ولم يعلم أبو طاهر ان أباه أبا سعيد كشف ذلك لابن سنبر فقال ابن سنبر لهذا الرجل الاصبهاني : امض الى أبي طاهر وعرفه انك الرجل الذي كان أبوه وهو يدعوان اليه فاذا هو سألك عن السلامات

(١) وردت حكاية تاجر مع ابن حمدي هذا في كتاب الفرج بعد السدة

٢ : ١٠٨ وفيه يقال له « ابن حمدون » وهذا هو غلط .

والدليل أظهرت له هذه الاسرار . وشرط ابن سنبر على هذا الاصبهاني ان يكون اذا تمكن من الامر قتل أبا حفص الشريك . فضمن له الاصبهاني ذلك فضى الى أبي طاهر وأعطاه العلامات وحدثه بالاسرار فلم يشك في صحة تلك العلامات فوثب أبو طاهر وقام بين يديه وسلم الامر اليه وقال لاصحابه : هذا هو الذي كنت أدعوكم اليه والامر له . فتمكن الرجل من الامر وثبت ووفى بما كان ضمنه لابن سنبر وقتل أبا حفص الشريك . ثم كان يأمر أبا طاهر واخوته يقتل من يشاء ويقول « قد مرض » يعني أنه قد شك في الدين فيقتل وأخذ يقتل واحداً واحداً من رؤساء القوم وأهل البصائر منهم والنجدة وأمره ممتثل مطاع لا يخالف الى ان أتى على عدد كثير منهم . وكان اذا أمر الرجل أن يقتل أخاه أو أباه أو ابنه لم يتوقف وبادر الى امتثال أمره فخافه أبو طاهر^(٩٦) وبلغه انه عمل على قتله فقال لاختوته : قد وقع علي غلط وشبهة في أمر هذا الرجل وليس هو صاحب الامر الذي يعرف ضوائر القلوب ولا تخفي عليه الاسرار ويمكنه ان يبري المريض ويعمل كل ما يريد . وجاءوا الى الرجل فمرقوه ان والديهم طيلة وسألوه ان يدخل اليها ونوموا والديهم علي فراش وغطوها بازار فدخل اليها فذا رأها قال لهم : هذه علة لا يبرأ صاحبها فطبروها (مناه اقتلواها) . فلما قال لهم ذلك قالوا لامهم : اجلسي . فجلست وقالوا : انها لقي عافية وأنت كذاب . فقتلوه .

وكان لهم سبعة من الوزراء أكبرهم ابن سنبر وكان أبو طاهر له اخوان أبو القاسم سعيد بن الحسن وأبو العباس الفضل بن الحسن ولهم أخ آخر لا يدخل معهم في أمورهم يقال له أبو يعقوب اسحق مُقبِل على الشرب

وفي هذه السنة مات أبو عبد الله البريدي بحمدى حادثة مكث فيها سبعة أيام فكان بين قتله أخاهُ أبا يوسف وبين موته ثمانية أشهر وثلاثة أيام فتبارك الله رب العالمين .^(٩٧) فتحدث أبو القاسم ابن أبي عبد الله البريدي بعد زوال أمره ومصيره الى بغداد ان أباه لما مات بالبصرة انتصب أخوه

أطاح مريضا فقال لي رجل : أنظر ما يقول الناس يقولون ان ربه قد ظهر . فخرجت فاذا الناس يهرعون الى ان أتينا دار أبي طاهر سليمان القرمطي فاذا بغلام حسن الوجه درى اللون خفيف العارضين له نحو عشرين سنة وعليه عمامة صفراء تعميم المعجم وعليه ثوب أصفر وفي وسطه منديل وهو راكب فرسا شبيه اسمه أبو الفضل المجوسي والناس قيام وأبو طاهر القرمطي وأخوته حوله فصاح أبو طاهر باعلا صوته : يا معشر الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو طاهر سليمان بن الحسن اعلموا انا كنا واياكم حير وقد من الله علينا بهذا (وأشار الى الغلام) هذا ربي وربكم والهي والهكم وكلنا عباده والامر اليه وهو يملكنا كلها . ثم أخذ هو والجماعة التراب ووضعوه على رؤسهم ثم قال أبو طاهر : اعلموا يا معشر الناس ان الدين قد ظهر وهو دين أينا آدم وكل دين كنا عليه فهو باطل وجميع ما توصلت به الدعاة اليكم فهو باطل وزور من ذكر موسى وعيسى ومحمد أما الدين دين آدم الاول وهؤلاء كلهم دجالون محتالون فالمنوهم . فاضهم الناس وكان أبو الفضل المجوسي (يعني الغلام الامرد) قد سن لهم اللواط ونكاح الاخوات وأمر بقتل الامرد الممتنع وكان أبو طاهر ليطوف هو والناس عراة به ويقولون « الهنا عز وجل »

قال ابن حمدان الطيب : أدخلت على أبي الفضل فوجدت بين يديه أطباقا عليها رؤس جماعة فوجدت له كهاتهم والناس حوله قيام وفيهم أبو طاهر فقال لابن طاهر : ان الملوك لم يزل تعد الرؤس في خزائنها فسلوم (وأشار الي) كيف الحيلة في قناتها بغير تغيير . فسألني أبو طاهر فقلت : الهنا أعلم ويلم ان هذا الامر ما علمته ولكن أقول على التقدير ان جملة الانسان اذا مات يحتاج الى كذا وكذا صبر وكافور والرأس جزء من الانسان فيؤخذ بحسابه . فقال أبو الفضل : ما أحسن ما قال . قال ابن حمدان : وما زلت اسمع الناس تلك الايام يلغنون ابراهيم وموسى ومحمدا وعليا وأولاده ورأيت للمصنف مدح به الفاظ .

أبو الحسين مكانه . وكان لابي عبد الله عسكر مقيم بنهر الامير بازاء الامير
أبي الحسين أحمد بن بويه وعسكر آخر بمطارا وكان ديلم أبي عبد الله
مضمومين الى يانس غلامه وكانوا يميلون اليه وكان بين يانس وبين أبي
الحسين مباينة في الباطن وعداوة ولما تمكن أبو الحسين من الرئاسة أخذ

وقال أبو الفضل لكتابه ابن سنبر : أ كتب كتابا الى الخليفة نصره لهم على عهد
وكل لهم من جراب النورة . قال ابن سنبر والله ما تبسط يدي لذلك . وكان لابي
طاهر أخت فاقضها أبو الفضل وذبح ابناها في حجرها وقتل زوجها ثم عزم على قتل أبي
طاهر . فبلغ ذلك أبا طاهر فاجمع رايه ورأى ابن سنبر ووالدة أبي طاهر على ان يتحسروا
ويقتلوه فاتيته فقال : يا لهذا ان فرجة أم أبي طاهر قد ماتت وتشتمى ان تحضر لشق
جوفها ونحشوه جبرا . (وكان قد شرع لهم ذلك) فضى معهما فوجد فرجة مسجاة
فامر بشق بطنها فقال أبو طاهر : يا الهى أشتمى ان تحمى الى . قال : ما تستحق فأنها كافرة .
فماودة مرارا فاستراب وأحس بتغييرهما عليه فقال : لا تمجلا على ودعاني أخدم دوايكا
الى أن ياتي أبي فاني سرقته منه العلامة فيرى في رايه . فقال له ابن سنبر : ريك
هتكت استارنا وحريمنا وكشفت أمرنا ونحن نرتب هذه الدعوة في ستين سنة لا يعلم
ما نحن فيه فانت لوراك أبوك على هذه الحالة لقتلك تم يا أبا طاهر فاقتله . قال :
أخشى ان يسخني . فقام اليه سعيد أخو أبي طاهر فقتله وأخرج كبده فأكلته أخت
أبي طاهر . ثم جمع ابن سنبر الناس وذكر حقه فيهم لأنه كان شيخهم وقال لهم : ان
هذا السلام ورد بكذب سرقه من معدن حق وعلامة موه بها فاطنائه لذلك وأنا
وجدنا فوقه غلاما ينكحه فقتله . وقد كنا نسمع أنه لا بد للمؤمنين من فتنة عظيمة
يظهر بعدها الحق وهذه هي فارجموا عن نكاح المحرمات واطفؤا بيوت التيران واتركوا
اتخاذ العلمان وعظموا الانبياء عليهم السلام . فضج الناس بالصياح وقالوا « كل يوم تقولون
لنا قولاً » فانفق أبو طاهر أموالا كان جمعها أبو الفضل في أعيان الناس فسكنوا

قل ابن حمدان الطيب : وبعد قتل أبي الفضل اتصلت بخدمة أبي طاهر فاخرج
اني يوما الحجر الأسود وقال : هذا الذي كان للمسلمون يبدونه . قلت : ما كانوا
يبدونه . فقال : بلى قتلت : أنت أعلم . وأخرجني الى يوسا وهو معروف بشباب ديتي وقد
طية بالمشك فرقتا أنه معظم له . ثم أنه جرت بين أبي طاهر وبين المسلمين حروب

في الاستطالة على الديلم والآنراك ويستخف بهم فنفرت قلوبهم منه . وأحسن يانس بذلك فمضى الى أبي القاسم مولاه وابن مولاه أبي عبد الله فقال له : ان كان عندك مالٌ أصلحت لك قلوب الرجال وعمدت لك الرئاسة . فاعترف له أبو القاسم ان عنده ثلاثمائة الف دينار فاصح له قلوب الديلم والرجال وواطأهم على الايقاع بابي الحسين وعقد الرئاسة لابي القاسم وضمن لهم عنه الاحسان . فسار الجيش الذي كان ينهر الامير الى مسماران وكان أبو الحسين بها فكبسوه وهروأتم فخرج من تحت السكيلة ومضى ماشيا متكبرا الى الجعفرية وكاتب المهجري يستجير بهم وقصدهم فقبلوه أحسن قبول وسألهم ان يعاونوه على الرجوع الى البصرة وردة الى أمره فضمنوا له ذلك وأقام عندهم^(٩٨) نحو الشهر وتقررت الرئاسة بالبصرة لابي القاسم ابن أبي عبد الله . ثم سار أبو الحسين من هجر ومعه من اخوة أبي طاهر اثنان وصاروا الى سور البصرة فوجدوا أبا القاسم قد حفظه بالرجال واحترس منه

وأمره وضمف جانبه قتل من أصحابه في تلك الوقعات خاق وقوا فطلبوا من المسلمين الامان على أن يرد الحجر الاسود وان لا يتعرض للحجاج أبدا وان يأخذ على كل حاج دينارا ويخترهم فطابت قلوب الناس وحجوا آمنين وحصل له أضاف ما كان ينتبه من الحاج . وقد كان هذا للمعون بلاء عظيما على الامم وأهله وطالت أيامه ومنهم من يقول أنه هلك عقيب أخذه الحجر الاسود والظاهر خلاف ذلك . فلما ضمف أمر الامة ووهت أركان الدولة العباسية وتملقت القرامطة والمبذعة على الاقاليم قويت حمة صاحب الاندلس الامير عبد الرحمن بن محمد الاموي المرواني فقال « أنا أولى الناس بالخلافة » وتسمى بامير المؤمنين وكان خليفا بذلك فانه صاحب غزو وجهاد وهية زائدة استولى على أكثر الاندلس ودانت له أقطار الجزيرة

اتهم ما الحقه المؤلف بخطه من أخبار أبي طاهر القرمطي في غير موضعه فاطقته هنا . ولا قوة الا بالله في كتابه مثل هذا مضمض ونسأل الله العفو والسلامة

فلم تكن لهم حيلة في الوصول الى البلد وطال مقامهم فضجر المهجريون
وكتبوا أبا القاسم وسفروا بينه وبين عمه في الصلح وسألوه ان يؤمنه ويأذن
له في الدخول الى البصرة واحتاط أبو القاسم في أمره الى أن تأهب واختار
الشخص الى بغداد فأذن له وأطلقه فخرج وصار الى مدينة السلام

ثم طمع يانس في الرئاسة وازالة أبي القاسم عنها فوادأ روستاباش فلما
انقعد الامر بينهما تحرك روستاباش والديلم واجتمعوا في دار روستاباش .
وآثر روستاباش الايقاع يانس والتفرد بالرئاسة فلما خرج يانس من عنده
أتبعه بن يُوقع به فتحرك يانس ورماه الديلمي بزوبين ووقع في ظهره
وهرب وصار الى خراب بقرب دار أبي القاسم ولم يعرف له أحدٌ خيراً وكان
ليلا وسار روستاباش الى دار لشكرستان وكان نقيب الديلم والمدبر يانس .
وكان قد جزع أبو القاسم لما عرف الخبر وهم بالجلوس في طياره ^(١١)
والخروج عن داره فلما عرف لشكرستان ان روستاباش قد أوقع يانس
وعزم على التفرد بالرئاسة لم يطمع وصاح الديلم وزبرهم فتمردوا ومضى
بعضهم في الوقت معتذرا وهرب روستاباش بالليل عند تفرق الناس عنه
واستر واصبح أبو القاسم وقد استقام أمره . وعرف خبر يانس فحمله الى
داره مكرما ووجد روستاباش فنفاه الى حيدة وعولج يانس الى ان برأ وأبو
القاسم مثم له فلما كان بعد أيام قبض عليه وعلى لشكرستان وصادر يانسا على
مائة الف دينار ثم نفاه الى عمان فلما حصل على الحديدى لينزل به خرج اليه
بعض غلمان أبي القاسم فقتله وقتل لشكرستان وتمكن أبو القاسم من الرئاسة .
وفيها عرض لتوزون يانسا وهو جالس للسلام والناس واقوف بين يديه
صرخ فوثب ابن شيرزاد وموسى بن سلمان ومدّ في وجهه رداً كان على

رأس موسى وحجزوا بينه وبين الناس ثلاثا يروه على تلك الصورة وصُرف
الناس وقيل لهم ان الامير قد نار المرار به من خُمار لحة .

وفي هذه السنة خرج عسكر الامة المعروفة بالروس الى آذربيجان
وفسدوا برذعة وملكوها وسبوا أهلها^(١٠٠)

﴿ شرح أخبار الروسية وما آل اليه أمرهم ﴾

هو لاء أمة عظيمة لهم خَلق عظام ولهم باس شديد لا يعرفون الهزيمة
ولا يوتى الرجل منهم حتى يقتل أو يُقتل . ومن عادة الواحد منهم أن يحمل
آلة السلاح ويُعلق على نفسه أكثر آلات الصنّاع من الفاس والمنشار
والمطرفة وما أشبهها ويقا تل بالحربة والترس ويتقلد السيف ويُعلق عليه
عمودا وآلة كالدشني ويقا تلون رجالة لاسيا هو لاء الواردين . وذلك أنهم
زكروا البحر الذي يلي بلادهم وقطعوه الى نهر عظيم يعرف بالكُرّ يجعل
من جبال آذربيجان وأرمينية ويصب الى البحر وهو نهر برذعة الذي
يشبهونه بدجلة . فلما وصلوا الى الكُرّ توجه اليهم صاحب المرزبان^(١٠١)

وخاينه على برذعة وكان معه ثلاثمائة رجل من الديلم ونحو من عددهم
صعاليق وأكراد واستنفر العامة فخرج معه من المطوعة نحو خمسة آلاف
رجل لجماد هو لاء وكانوا مقترين لا يعرفون شدتهم وحسبوا أنهم يجرون
مجرى الارمن والروم . فلما صافوهم الحرب لم تكن الا ساعة حتى حمت
الروسية حماة منكرة فهزموا المسكر ووات المطوعة باسرههم وسائر المسكر
الا الديلم فأنهم نبتوا ساعة فقتلوا كاهم^(١٠١) الا من كان بينهم فارسا واتبعوا
القل الى البلد فهرب كل من كان له مراكوب بجملة من الجنود والرعيّة

(١) وفي التكملة هو « المرزبان بن محمد » يعنى ابن محمد بن مسافر

وتركوا البلد، فنزلته الروسية وملكوه.

فحدثني أبو العباس ابن نُدَار وجماعة من المحصلين ان القوم بادروا الى البلد ونادوا فيه وسكنوا الناس وقالوا لهم: لا منازعة بيننا وبينكم في الدين وإنما نطلب الملكَ وعلينا ان نُحسن السيرة وعلينا حُسن الطاعة. ووافقهم العساكر من كل ناحية فكانوا يخرجون اليهم ويوزمونهم وكان أهل برذعة يخرجون معهم فاذا حملوا عليهم المسلمون كبروا ووجهوهم بالحجارة فكانت الروسية تتقدم اليهم بان يضبطوا أنفسهم ولا يدخلوا بين الساطان وبينهم فيقبل أهل السلامة منهم خاصة فاما العامة ومُعظم الرعايا فكانوا لا يضبطون أنفسهم ويظرون ما في نفوسهم ويتعرضون لهم اذا حمل عليهم أصحاب الساطان. فلما طال ذلك عليهم نادى مناديتهم بالا يُقيم في البلد أحد من أهله وأجلوهم ثلاثة أيام من يوم نداءهم فخرج كل من كان له ظهر يحمله ويحمل حرمةً وولدهُ وهم نفر يسير وجاء اليوم الرابع والاكثر مقيمون فوضعت الروسية فيهم سيوفهم فقتلوا خلقاً عظيماً لا يحصى عددهم وأسروا بعد القتل بضعة عشر الف رجل وغلام^(١٠٢) مع حرهم ونسائهم وبناتهم وجعلوا النساء والصبيان في حصن داخل المدينة وهي شہرستان القوم وكانوا نزلوه وعكروا به وتحصنوا فيه. ثم جمعوا الرجال الى المسجد الجامع ووكلوا بابوا به وقالوا لهم « اشترُوا أنفسكم »

﴿ ذكر تدبير صواب أشار به بعضهم فلم يقبلوا منه حتى ﴾

﴿ قتلوا باجدهم واستبيحت أموالهم وذراريهم ﴾

كان بالبلد كاتب نصراني له رأى سديد يعرف بابن سمعون وكان يسمى في السفارة بينهم ووافق الروسية ان يُنأى كل رجل منهم بمشرف

درها فتابعه على ذلك عقلاء المسلمين وخالفه الباقون وقالوا : انما يريد ابن سمعون ان ياجتق المسلمين بالنصاري في أداء الجزية . فامسك ابن سمعون وتوقف الروسية عن قتل الرجال طمعا في هذا القدر اليسير ان يحصل لهم من جهتهم فلما لم يحصل لهم شيء وضخوا فيهم السيوف فقتلوه عن آخرهم الا عددا يسيرا أخرجوا في قناة ضيقة كانت تحمل الماء الى المسجد الجامع والا من اقتنى نفسه بذخيرة كانت له . فرجما وافق الواحد من المسلمين الروسي على مال يقتني به نفسه فحضر معه الى منزله أو حانوته فاذا استخرج ذخيرته وكانت زائدة على مال موافقه لا يمكن صاحبها منها وان كانت^(١١٣) أضمافا مضاعفة عليه وعطف بالمطالبة حتى يحتاجه فاذا علم انه لم يبق له عين ولا ورق ولا جوهر ولا فرش ولا كسوة أفرج عنه وأعطاه طينا مخوما يأمن به من غيره فاجتمع لهم من البلد شيء عظيم يحل قدره ويمظم خطره وكانوا قد حازوا النساء والصيدان فنجروا بهن وبهم واستبدوهم .

فلما عظمت المصيبة وتسامع المسلمون في البلدان بنجرهم تنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد عسكره واستنذر الناس وأناه المطوعة من كل ناحية فسار في ثلاثين ألف رجل فلم يقاوم الروسية مع إجماع هذه العدة ولا أمكنه أن يؤثر فيهم أرا فكان يناديهم القتال ويرأوحه وينقلب عنهم مفلولا وانصت الحرب بينهم على هذه الصورة أياما كثيرة فكانت الدبرة أبدا على المسلمين . فلما أعيا المسلمين أمرهم ورأى المرزبان الصورة النجا الى الحيلة والمكيدة وافق له ان الروسية لما حصلوا بالمراغة تبدطوا في الناكهة وهناك أنواع كثيرة منها فرضوا ووقع فيهم الوبالا بلادهم شديدة البرد ولا بنبت فيها شجر وانما تحمل اليهم أشياء اليسير من البلاد

الشاسعة عنهم . فلما تحقق عددهم وفكر المرزبان في الحيلة وقع له أن
يكن لهم ليلاً وواطاً عسكره^(١٠٤) أن يُبادروا الحرب فاذا حمل عليهم القوم
انهزم هو وانهزموا معه وأطعمهم بذلك في العسكر والمسلمين فاذا تجاوزوا
موضع الكمين عطف المرزبان ورجاله عليهم وصاحوا بالكمين بشمار اتفقوا
عليه فاذا حمل الروسية في الوسط تمكنوا منهم . فلما أصبحوا على هذه
المكيدة تقدم المرزبان وأصحابه وبرز الروسية وأميرهم راكب حمار
وخرج رجاله واصطفوا للعرب فجروا على عادتهم وانهزم المرزبان والمسلمون
واتبعهم الروسية حتى تجاوزوا موضع الكمين واستمر الناس على هزيمتهم .
فحكى المرزبان بعد ذلك أنه لما رأى الناس كذلك وصاح بهم واجتهد
بهم أن يراجعوا الحرب فلم يفعلوا لما تمكن في قلوبهم من هيتهم علم أنه
أن استمر الناس على هزيمتهم عاد القوم فلم يخف عليهم موضع الكمين
فيكون ذلك هلاكهم قال : فرجعت وحدي مع من تبني من أخى وخاصتى
وغلمانى ووضبت في نفسى الشهادة فحينئذ استجياً أكثر الديلم فرجعوا
وكررنا عليهم وناديناهم « الكمين » فخرجوا من ورائهم فصدقتاهم الحرب
وقتلنا منهم سبعائة نفس فيهم أميرهم وحصل الباقون في الحصن الذى كانوا
فيه من البلد وقد كانوا ثقلوا اليه غلات كثيرة^(١٠٥) وبيراً عظيمة وحصلوا
فيه السبي والاموال . فبينما المرزبان في منازلهم وهو لا يقدر لهم على حيلة
بوى المصاهرة اذ ورد عليه الخبر بدخول أبى عبد الله الحسين بن سعيد بن
حمدان آذربيجان وانتهائه الى سلمات واجتماعه مع جعفر بن شكويه
الكردى في جهاد الهداينية^(١٠٦) واضطر الى أن خلف على حرب الروسية

(١) وفي الاصل (الهداينة) والصواب فيما بعد وهم صف من الاكراد

برغغان و يأخذ الدلال بحق دلالاته بعض ذلك الخبز . ووجدت امرأة
أخرى تقتل الصياد وتأكلهم ثم فشا ذلك فقتلت عدة منهن . ولما زالت
الفتنة ودخلت الغلات الجديدة انحل السعر

ولما استر ابن شيرزاد نظر أبو جعفر فيما كان ينظر فيه ابن شيرزاد
ثم قلد الأمير معز الدولة والصيمري الحسن بن علي بن مقله ما كان أبو جعفر
ينظر فيه من أعمال الخراج وجباية الاموال^(١)

وفي هذه السنة شغب الديل على معز الدولة شغبا قبيحا وكاشفوه
بالإسراع وخرقوا عليه بالسفاهة الكثير فضمن اطلاق أموالهم في مدة ضربها
لهم فاضطرّ الى خبط الناس واستخراج الاموال من غير وجوهها . فاقطع
قواده وخواصه وازراكه ضياع السلطان وضياع المستترين وضياع ابن
شيرزاد وحق بيت المال في ضياع الرعية وصار أكثر السواد مُعْتَاقًا
وزالت أيدي العمال عنه^(١٣٦) وبقي اليسير منه من المحاول فضمن واستغنى
عن أكثر الدواوين فبطت وبطلت أزمته واجمت الاعمال كلها في ديوان
واحد .

﴿ ذكر ما انتهى اليه هذا التدير من سوء العاقبة وخراب ﴾

﴿ البلاد وفساد العساكر وسوء النظام ﴾

ان التدير اذا بُني على أصول خارجة عن الصواب وان خفي في

(١) زاد صاحب التكملة : قبض (يعني ابن مقله) على أبي زكرياه السوسى
والحسن بن هرون فقتلها فقال الصيمري : لم يكن غرضك غير التفتي منهما . وأطلق
معز الدولة أبا زكرياه السوسى ولم يلزمه شيئا وألزم الحسن بن هرون خمسين الف
دينار وعزل ابن مقله وأُفرد الصيمري بالامر . وقال أيضا : وفي شبان انبتق البحر
بتق الخالص والنهروان .

غلام أمرد وضىء الوجه من أولاد رؤسائهم ومعهم نسوة من السبي وان
 المسامحين لما عرفوا خبرهم أحاطوا بابستان واجتمع عدد كثير من الديلم
 وغيرهم على حرب أولئك النفر الخمسة واجتهدوا في ان يحصل لهم أسير واحد
 فلم يكن اليه سبيل لانه كان لا يستسلم أحد منهم ولم يمكن^(١٠٧) قتالهم حتى قتلوا
 من المسلمين أضعافا كثيرة ليدتهم وكان ذلك الامر دآخر من بقي فلما علم
 انه يؤخذ أسيرا صعد شجرة كانت بالقرب منه ولم يزل يجرح نفسه بخنجر
 معه في مقاتله الى ان سقط ميتا .

وفي هذه السنة ظهر للمتمقي من بني حمدان ضجر به وبقيامه عندهم
 وشهوة لمفارقتهم فراسل توزون في الصلح فتلقي توزون ذلك بنهاية الرغبة
 فيه والحرص عليه ووردت رسالة المتقي لله الى توزون مع الحسن بن هرون
 وأبي عبد الله بن أبي موسى المشاشمي وتوثقا من توزون واستحفاها ايماناً
 وكدة للمتمقي وللوزير أبي الحسين ابن مقلة وأحضر توزون القضاة
 والدول والعباسيين والطلبين ومشايخ الكتاب حتى حلف محضرتهم
 للمتمقي لله وكتب بذلك كتاباً وأحكم ووقت فيه الشهادة من جميع من
 حضر على توزون .

﴿ ودخلت سنة ثلاث وتلاثين وثمانمائة ﴾

ولما كان يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم وصل
 الاخشيدي الى حضرة المتقي لله وهو بالرقعة ولقيه بها وأعظمه المتقي نهاية
 الاعظام ووقف الاخشيدي بين يديه وقوف العلمان وفي وسطه سلاح ثم
 ركب المتقي وثى بين يديه الاخشيدي فامر ان يركب فلم يفعل^(١٠٨) ولم يزل

على تلك الحال مختلطاً بالتمامان الى ان نزل من ركوبه^(١) وحمل اليه هدايا ومالا وحمل الى أبي الحسين ابن مقله عشرين الف دينار ولم يدع كاتباً ولا حاجباً الأبره . واجتهد بالمتقى لله ان يسير معه الى مصر والشام فيكون بين يديه فلم يجبه الى ذلك وأشار عليه بالمقام مكانه فلم يقبل فلما امتنع عليه من الامرين عدل الى الوزير أبي الحسين وأشار عليه بان يسير معه الى مصر وضمن له إفاذ أمره وترك الاعتراض عليه في شيء يديره فخالقه . وكان أبو الحسين بعد ذلك يظهر التندم ويقول « نصحني الاخشيدي فلم أقبل » وكانت دنائير الاخشيدي في صندوق أبي الحسين الى ان انتهت لما قبض على المتقى لله^(٢)

(١) وقال ابن العديم في تاريخه زبدة الحباب : وكتب الاخشيدي في هذه السفرة الى عبده كافور الخادم الى مصر وقال له : وما يجب ان تقف عليه أطال الله بفاك ان لغيت أمير المؤمنين بشاطيء الفرات فأكرمني وكناني وقال : كيف أنت يا أبا بكر أعزك الله فرحاً بآله كناه والخليفة لا يكنى أحداً (٢) وفي خلع المتقى لله قال صاحب كتاب العيون : قال أبو محمد الفيرغاني : حدثني ذكا مولى الراضي قال : فلما بلغ المتقى الى الرحبة أقام بها أياماً الى أن هل هلال صفر ثم أمحدنا الى عانة فاستقبلنا الحسين بن المرزبان وهو رجل كان من خزان بيت المال فلقى المتقى فسأله عن أخبار توزون والعجم وما في نفوسهم وما ظهر له من عزمهم في أمره فذكر عنهم طاعة وموالاته وسرورا بقدم السلطان قال ذكا : وكان الحسين هذا أحد من اصطنعته فخلوت به وقلت : عرفني ما في اعتقاد القوم للسلطان . فذكر انه يدخل الى دار توزون ويقتس عن سرايرهم فلم يتبين منهم شيئاً يكرهه قال ذكا : وكان الامر كما ذكرت لم يظهر منهم ذلك ولا كان لهم عزم عليه الى ان قربنا فسمي في القصة من أفسدها والسبب في ذلك حسن الشيرازية لها ابنة متزوجة بابي أحد الشيرازي وكانت حسن هذه وابنتها امرأتني سوء مشهورتين بشرب التبيذ والفاحشة وكانت تدخل الى عبد الله بن المكتفي وتضي الى جماعة من العجم بحال قبيحة وكانت تستيخص وجيالا منهم يعرف بابن مالك الديلمي

ولما اتفق المتقي لله من توزون ان يمدد من الرقة يُريد بغداد في الزمرات
ومعه غلامان من غلمان الاخشيدي ومحمد بن فيروز ونقط فلما وصل الى هيت

نظيف الوجه وكان له عند توزون موضع ومحل وكان ابو عبد الله بن سليمان يكتب لذلك
الدبلي فكانت اذا جاءت اليه تطيل عنده وتكثر السرار معه فقال ابن سليمان للدبلي :
أراك تطيل سرار هذه المرأة فاكشف لي الحال فانك ان تجد مساعدة مثلي . فقال
الدبلي : هذه المرأة تزعم ان هاهنا رجلا يقال له عبد الله بن المكنتي يلتبس الخلالة
ويعضن انه يحمل الى توزون اذا قبض على المتقي سمانه ألف دينار على انه يسلم المتقي
وحاشيته . وانه يعرض ان يجملني حاجبه وسألني ان أكون سفيرا بينه وبين توزون . فقال
ابن سليمان : أنا أحكم لك هذه القصة وابلغ من توزون كما تحب . بعد ان تضمن
لي ان تستكتبني ولا تزييني أنت عن خدمتك . فضمن الدبلي لابن سليمان ما شرطه
واجتمع الدبلي وابن سليمان عند دكلا وكان دكلا متمكنا من توزون يقبل مشورته
ويأخذ برأيه وكشفا لدكلا الحال وسأله ان يدخل متهما فاعتق القضية وأوصلهما الى
توزون وسألها عليه أن يقبل قولهما فيما سبها له وان يقبض على المتقي عند وروده فلما
وقفت توزون على ذلك أكرهه وقال : كيف يجوز ان أقبل هذا وقد عاقداً وأشهدت على
قسي سائر الناس واشتهر هذا عني في البلدان ؟ فقال له : ياسيدنا هؤلاء بني العباس فيهم
قوة الوفاء وقد استوحش هذا الرجل وليس والله تأمن مكره فينبغي أن تعمل الحيلة عليه
قبل ان يختار عليك وقبل ما أشار به عبد الله بن المكنتي وتأخذ منه هذا المال الذي قد
بذله فهو أصلح لك من خدمة رجل لا تأمنه على نفسك (قال ذكا) : وكان توزون
حدث السن فلم يزالوا به حتى أفسدوا زينة ثم شرطوا عليه ان لا يعرف كاتبه ابن شيرزاد
ما واقفوه عليه وقالوا : ما تأمن أن يشير عليك بضد ما قد أنشأنا خبثاً منه ووليه الى المتقي
ولا تأمن أن ينفذ الى المتقي من يندره فيفلت من يدك . فسمع هذا توزون وكنمه عن
ابن شيرزاد .

وأراد توزون الاجتماع مع عبد الله بن المكنتي وكره ان يمدده اليه فيشيع خبره
فصل على الاصعاد اليه الى دار ابن طاهر وأمر ان لا يظهر أحد في دجلة ولا في المدينة
بعد العشاء الاخرة ثلاثا بقاء أحد فيقف على قصده وكان يصعد في زرب وبنه دكلا
وابن مالك وابن سليمان فيسرون الى جزيرة بازاء دار ابن طاهر ويخرج عبد الله بن
المكنتي وينزل اليهم ويتحالفون ويمقدون الرأي والتدبير على المتقي ويضمن عبد الله بن

أقام بها وأنفذ القاضي الخرقى وابن شيرزاد حتى جددا على توزون الايمان
والعهد والواثيق وأكرم المتقى لله توزون ولقبه المظفر وعاد القاضي الى

المسكني لتوزون المال . وكان يبلغ ابن شيرزاد فيظن ان هذا كله تدبير عليه
ولما وافى المتقى الى هيت أنفذ القاضي الخرقى وأبا القاسم سلامة أخانجيج الطولوني
الى توزون ليشاهد حاله ويكشف عما في نفسه فوصلا الى بغداد ولما توزون فاطمهما
سرورا بقرب السلطان وأحضر مهنهما الى دار فدخاها وأمر بتبيض مواضع من القصر
وأمر باصلاح ما تشعت من الدار وانصرف الى داره وردهما الى المتقى . وتقدم الى ابن
شيرزاد بالخروج الى الانبار ليأتي المتقى وجرى قطعة من المعجم وخرج توزون فاقام على
البقي على موضع بالسندية على ست فراسخ من بغداد . وأقام المتقى بيت ستة أيام الى ان
واقاه رسوله بخلاهما وسألها عما شاهداه من توزون فوصفا عنه كل جميل وعرفاه أنه
مجتهد في عمارة الدار وكان يثق بالقاضي الخرقى ثقة تامة فسكن الى ذلك (قال ذكا) : فلما
وقف على ذلك رحل من هيت ورحلنا معه فوافينا الانبار ولقيه بها ابن شيرزاد فترجل
وقبل الارض بين يديه وأمره باركوب فركب . وأخذ يستببه عن اخبار توزون وهو
بصفت له حسن طامته وخلوص مولاه وشدة سروره وإبهاجه بقدم مولاه (قال)
وبينا بالانبار ثم رحلنا من الهد نريد بغداد وأخذنا على الطريق الاوسط الى ان قربنا
من السندية وقد كان قدم له مضربا الى السندية فضرب له بازاء مضرب توزون فلما قرب
من السندية وأبطأ عن ثقبه توزون عجب من ذلك ولينا من عرفنا ان توزون أخذ على
طريق الفرات فعدروا ان السلطان يراي على شط الفرات ولم يكن لامر كما حكاه وأما
هو مضى ليخرج وراء المتقى فيتوكل به وبجميع أسبابه ولا يفوته منهم أحد . وقال ابن
شيرزاد وقد كان مع المتقى : تأذن مولانا أمضي اليه فاعرفه ان مولانا قد أخذ هذا
الطريق ليأحق به ؟ فقال له : اقبل . فمضى وعاد الى حائط رفيع في وسطه
سدوة فوقت تحت ظلها ووقفنا بين يديه نحو خمسين غلاما وسبق كل من كان مع السلطان
الى المضرب ونزلوا فلم يزل المتقى واقفا ونحن معه حتى لاح لنا غبرة من ورائنا فعلمنا
انها موكب توزون واقبل يسير حتى دنا منا فقال لابنه أبي منصور : ابيض أنت ومرك
الطمان حتى تستقبله . فمضى (قال ذكا) . وكنت معه فلما قربنا منه استقبلنا ابن خاقان
ووجع منا حتى وصلنا اليه وهو سائر على تسمية بالسلاج والدة فلم على أبي منصور ابن
الخليفة وهو راكب ولم يوفه حقه كما يجب من الترحيل فانكروا ما رأينا منه (قال ذكا)

هيت وعرف المتي انه قد أحكم الامر مع توزون . وخرج توزون الليلة
بقيت من صفر الى البثق الذي كان بالسندية ونزل الوزير أبو الحسين على

وسمت أنا عليه وكانت بنتي وبينه أحوال وكيدة وكان اذا أراني بشرني في فاررد على
السلام ولارد على أحد وقد كان بلغنا انه عليل فندرنا انه لضعف ناله من الدلة وسبقته
الى المتي وجئت فوقفت بين يديه فلما وافى توزون سمعت المتي يقول : اذا كان هؤلاء
على هذه الصورة على غير حرب فكيف يكونون في الحرب ؟ ثم قال لابن خاقان :
اخرج حتى توصله الي راكبا . تخرج من الحائط وأوصله اليه بعد ان أواماً ان ينزل خارج
الحائط وحارت دبالمة توزون حول الموضوع الذي كان المتي فيه واقفا وكذلك فرسه
وترجل هو وجماعة من القواد وتقدم الى المتي فقبل الارض ثم قبل يده ورجله وتبسم
المتي اليه وأظهر سرورا به ثم قال : الحمد لله الذي جمع بيننا يا أبا الوفاء وأزال ما كان في
القلوب . فقال بالفارسية : الساعة تبصر مولاي أي خدمة أخدمه . ثم قال له المتي :
اركب يا أبا الوفاء فليس يحتمل الوقوف . فركب وسار المتي وتأخر هو غنا وقام على تل
ونحن لانعلم ما يريد وما يراد منا وقد كان المتي أضر حرمة والخدم خلفه لئلا تقع عليهم
عيون العجم فوجه اليهم توزون بقرامطة كانوا معه فوكل بكل من كان وراءنا من الخدم
والحرم وغيرهم وسار هو من ورائنا . فوجه اليه المتي بعبد الواحد بن عثمان الشراي :
قد ركب عمارية وأنت عليل فيجياتي الاركب أنت أيضا عمارية . فقال للرسول : ما أقدر
على ركوب العمارية أسأل الله أن يبطل بقاه مولانا . فلما قربنا من مضرب السلطان سمعنا
صوت الدبابد على باب المضرب ووجه توزون جماعة من الديلم يتوكلون بالمتي فداروا
حوله وأخذوا بستان البغل يقودونه ويسرون سرا حينئذ . وقد كان قبل التوكل به وجه
توزون بالحسين بن هرون يسأل المتي ان ينزل في مضرب توزون فرأسبه : ان منا حرما
وليس يصلح ان ينزلوا الا في مضربنا . وانما أراد توزون ان يوكل به وجميع حاجته فلا
بظلت منهم أحد . ثم وجه باسكروج الديلمي الى المتي فوكله به فوافي اسكروج وفي يده حربة
فصار قدام المتي . (قال ذلك) ونحن قد رأينا يمدون هذا خدمة له واكراما لحفة
ثم لم يملك المتي من أمره شيئا وأقذني الى ابن شيرزاد فتمعه توزون من ذلك وأتمرتني
فرجعت اليه وقد أحاطت به الديلم وهم يسألون سجع الكنيسة ويكلمونه بما لا يفهمه
الا انه شتم فقال : يا ذكرا استمجد محمد بن يحيى (يعني ابن شيرزاد) وهو يقوم ويقعد في
الكنيسة فرجعت الى توزون فسالته ان يوجه بابي جعفر الى المتي ففاج علي وعلى

شاطيء القرات وبين توزون والمتقى^(١١١) نحو فرسخ فلما هم بالانحدار استقبله توزون وترجل له وقبل الارض بين يديه ووكل به وبالوزير وبالجماعة وأنزل بهم في مضرب نفسه مع حرم المتقى لله وارتمت الدنيا فسمله وحكى ثابت ان توزون سمله محضرة قهرمانة المستكفي بالله . وانحدر توزون من الغد وفي قبضه الجماعة فكانت مدة وزارة أبي الحسين ابن مقله سنة واحدة وخمسة أشهر واثني عشر يوماً .

﴿ ذكر السبب في القبض على المتقى وخلافة المستكفي بالله ﴾

قال ثابت : حدثني أبو العباس التميمي الرازي وكيله قال وكان

ابن شيرزاد ومنه غنمت ان يوقع بي اعظم مشاهدت من أمره ثم رجعت الى المتقى وهو لا يملك أمره . وارتمت غيرة عظيمة واشتغل كل واحد منا بنفسه وحزنا مضرب المتقى وانقطع عنا صوت الدبادب ووقفنا بين خيم العجم وتوجهت الى خيمة أبي عمران اصفهسلار مستنجرا به فزرت في خيمته وأغار العجم على الناس فسلم كل من كان معنا حتى ما أفلت واحد بثوب ولا دابة وأدخل المتقى موكلا به الى مضرب توزون وقبض على خرمة وأسبابه وسلب العجم بعضهم ايضا اعظم الفصة

(قال ذلك) ووافوا بابي الحسين ابن مقله الى الخيمة التي كانت فيها تم وافوا بالماضي الحرقى فجزعت حزناً شديداً وخشيت من القتل ثم جازأ بابي الحسن نحرير غلام الاخشيدي وسلبه سيفه ومنطقته فاطمأنت نفسي قليلا وعلمت اننا اقمنا وقمنا في الفاظ وتبقى نحرير متمجبا ما نزل بالمتقى وقال : يا قوم كذا يجري على الخلفاء اقلت : لا تعجب من هؤلاء الملايين فانهم لو قدروا على أكثر من هذا لفلوا . ولما حصل المتقى في أيديهم بعد ان قبضوا على جميع من قدروا عليه من أسبابه وقبض على أمه ووؤزره ابن مقله والحرقى وبشر ورائق الخادمين استعملوا في جزيرة لازاء السندية

واحتسبوا على كحله فحضرت حسن الشيرازية وهما غلام لها سندية فنوت كحلها يد غلامها السندی وذلك يوم السبت لثلاث ليال بقيت من صفر من السنة المقدم ذكرها ولم يزل المتقى باقيا الى أن توفي في خلافة المطيع في شعبان سنة ٣٥٠ وله ستون سنة

خصيصا بتوزون مستويا عليه قال : كنت أنا السبب فيما جرى على المتقى
وذلك ان ابراهيم بن الربيع الديلمي لقيني يوماً وسألني ان أصير الى دعوته
فاستأذنت توزون في ذلك فأذن لي فيه ومضيت اليه وهو ينزل في دار
القراريطي على دجلة فرجعت داره مفروشة مُنضدة فسألته عن السبب في
ذلك وقلت : أحسبك قد تزوجت . فقال : انا احدئك عن امرى اعلم انى
خطبت الى قوم وتجمعت عندهم بان ادعيت انى محلاً من الامير واختصاصاً
به فقالت لى المرأة : اذا كنت بهذه المنزلة فهل لك ان تسفر في شىء يجمع
صلاح الامير وصلاحك وصلاح المسلمين ؟ فقلت لها : نعم . قالت : هذا ^(١١٠)
الخليفة (بنى المتقى لله) قد عاداكم وعاديتوه وكاشفكم وكاشفتموه وليس
يجوز أن تصفونيته لكم آخر الدهر وقد اجتهد في بواركم فلم يتم له فرقة
بني حمدان وورثة بنى بويه وهامنا رجل من ولد الخلافة من فهمه وعقله
ودينه ورجلته كيت وكيت تنصبونه فى الخلافة وتزيلون المتقى لله وهو يثير
لكم أموالاً جليسة لا يعرفها غيره ولا يقدر عليها سواه وتكونون انتم قد
استرحتم من عدو تريدون ان تحرسوه وتحترسون منه وتخافونه ويخافكم
وتقيمون رجلاً من قبلكم يرى انكم قد احسنتم اليه وان روهكم مقرونة
بروحه . وأطالت الكلام فى هذا المعنى فهو ستنى ودار كلامها فى نفسى
وعلمت ان محلى لا يبلغ الكلام فى مثله والسفارة فيه وكرهت ان اكذب
نفسى عندها لما ادعيت من المحل والمنزلة فاطمئنتها فى ذلك وعلمت ان هذا
الامر لا يتم الا بك ولا يدرك عليه غيرك وقد اطلعتك عليه قاي شىء معزمك
ان تعمل ؟ فقلت : أريد ان اسمع كلام المرأة

فجاءنى بامرأة تسكلم بالعربية والفارسية من أهل شيراز جزلة شهمة

فهمة فخطبني بنحو ما خاطبني به الرجل فقلت لها : لا بد من أن ألقى
الرجل وأسمع كلامه . فقالت : تعود غداً الى ههنا حتى أجمع بينك وبينه .
فلما كان من غد عدتُ فوجدت الرجل قد أخرج^(١١١) من دار ابن
طاهر في زي امرأة وحصل في دار ابن الربند فلقيته وعرفني انه عبد
الله بن المكتفي بالله . وخاطبني رجل حصيف فهمٌ ووجدته مع هذا
يتشيع ورأيتُه عارفاً بامر الدنيا وضمن لي ستمائة ألف دينار يستخرجها
ويُبتئى بها الامر ومائتي الف دينار للامير توزون وقال : أنا رجل فقير
وانما أعرف وجوه أموال لا يعرفها غيري وأعرف من ذخائر الخلافة في
يد قوم لا يعرفهم غيري . وكره^(١١٢) أن وجوهها صحيحة لاشك فيها ولا يقدر
غيره عليها فلما سمعت ذلك وعرفت صحته صرت الى توزون . وفكرت
في ان الامر لا يتم بي وحسدي فلقيت في طريقي وأنا أصعد الى توزون أبا
عمران موسى بن سليمان في الحديد الذي على باب توزون فاخذت بيده
واعترلنا . واستحفظته على كتمان ما أطلعته عليه فحلف ثم حدثته به كله
وسألته معاونتي على تمامه فقال : هذا أمر عظيم لا أدخل فيه . فلما أبسني
من نفسه سألتُه أن يُسكِّك ولا يمارضني فقال : افعل . فدخلت الى توزون
وأدخلته الى حجرة وخلوت به واستحفظته بالمصحف وبإيمان مؤكدة ان
يكنم ما أحدثه به فحلف فلما حلف حدثته الحديث من أوله الى آخره
فوقع بقلبه وقال : صواب ولسكني أريد ان أرى الرجل وأسمع كلامه .
فقلت : على ذلك ولسكن ان أردت^(١١٣) تمام هذا الامر فلا تطامع عليه
أبا جعفر ابن شيرزاد فانه يفتأ عزمك ويصرفك عنه . فقال : افعل . وابع

أبا جعفر خلوتي بالامير فأتحنى انى سميت عليه ومضيت الى القوم ووعدهم بحضور الامير ليرى الرجل ويكون الاجتماع فى منزل موسى بن سليمان .
 (قال) وتشددنا فى الطوف بالليل فى دجلة فلما كان ليلة الاحد لاربع عشرة خلت من صفر وافى عبد الله بن المكفى بالله الى دار موسى بن سليمان ولقيه توزون هناك وخاطبه وباع له فى تلك الليلة وكتبنا القصة .
 فلما وافى المتقى لله من الرقة ولقيه توزون وسلم عليه قلت لتوزون :
 عزمك على ما كنا اتفقنا عليه صحيح ؟ فقال : بلى . قلت : فاقوله الساعة فانه ان دخل داره بعد عليك مرامه (قال) فوكل به وجرى ماجرى . وكانت المرأة التى سفرت فى هذا الامر المعروفه بحسن الشيرازية حمأة ابي أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي فلما تمت للمستكفي الخلافة غيرت اسمها وجعلته «علم» وصارت قهرمانة المستكفي واستوات على أمره كله^(١)

(١) وفى حسن الشيرازية قال صاحب كتاب العيون :

فلما تمت للمستكفي الخلافة غيرت اسمها وجعلته علما وصارت قهرمانة للمستكفي واستولت على أمره كله وبعث عن ذخائر المتقى هى وابن سليمان الكاتب فغازوا باكثرها وكان يحمل الى المستكفي من ذلك فوجه الى توزون سبعة جواهر فى قد واحد خاتمها ياقوت حمراء لم ير مثل ذلك الدر والحلقة وقومت السبعة بخمسين ألف دينار فاخذها توزون بالقيمة من ماضن المستكفي . وصارت حسن تكبس منازل التجار والمستورين فتحوزوا مجده لنفسها وانبسطت يدها حتى صارت تاخذ أموال الناس التى لاشبهة فيها (قال ذكا) : اعهد ابن شيرزاد الى دار توزون فاستفتا اليه خلق من تجار الكرخ وذكروا ان حسن القهرمانة كبت بعض التجار فاخذت منه متاعا كثيرا من بز وغيره ما قيمته ثلاثون ألف دينار فاحضروهم وسبع قولهم وقال : أنا أكتفيكم هذا الامر . ودخل ابن شيرازد الى توزون فقال له توزون : محدد الى مولانا فتشكره عني فانه قد اهدى الى البارحة ثيابا كثيرة فى نموت . فقال له ابن شيرزاد : ياسيدنا هذه ثياب التجار وأموالهم وعلى بابكم منهم خلق كثير يستغيثون ويذكرون انه أخذ من تاجر ما قيمته ثلاثون ألف

﴿ ذكر مصير الامير أبي الحسين الى ديالى ﴾

وقد كان قبل خلافة المستكني صار الامير أبو الحسين أحمد بن بويه

ديناو . فواصلهم توزون الى حضرته وسمع كلامهم فلما تحقق عنده ما قالوا قال لابن شيرزاد : انحدر الى الخليفة من وقتك هذا وخذ هذه الثياب معك وقل له : اردد هذه الثياب على من أخذت منه فلا حاجة لي فيها وعرفه ان هذا قبيح واذا جرى على الناس مثله كان عظيما وقد كان ينبغي لمولانا لو جرى هذا من أحد منا ان يكون التكبير منه علينا واذنا نظر غيره الى هذا الفعسل يظهر من مولانا لم يلم على ما يفعله . وقال : لا تزال من حضرته حتى يسلم الى اتاجر ما أخذه منه . فأنحدر ابن شيرزاد الى الدار وخطب المستكني في أمر الثياب وردّها الى التاجر

قال ذكا : وكان قد التف الى جنس نقر عن كانوا معها على الاحوال القبيحة منهم المكني باني طلحة وسندي (كذا) وهو الذي كحل المتقي وقد ألبسهم سيوفا ومناطق وكانوا يدخلون الى المستكني أي وقت أرادوا على الاقراء والحاجب ابن خاقان يستقل ولا يستخدم الا في وقت ينحدر توزون الى الدار وسائر الحجاب يتصرفون بين يدي حسن ولا يتنون بالحاجب فكانت تولى عرض الفلمان والحجاب والرجالة في قصر الخليفة في مجلس يقال له الخوادن لم يكن يصل اليه أحد الا وزير أو حاجب فأنحدرت الهية بهذه المرأة وذهبت الرسوم التي كانت للخلافة وصارت الدار طريقا لكل من لم يرها وكان كل من وصل الى المستكني أجاسه بين يديه

وقد المستكني وزاره أبا الفرج السامري ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدير ابن شيرزاد واستكتب أبا عبد الله بن سليمان على ما كان شرطه له وخلص على توزون ووضع على رأسه تاجا مرصعا بالجواهر وطوق وسور وجلس بين يدي المستكني وأنصرف بالحام والتاج وحمل على فرس بموكب ذهب مرصع بجوهر وخلص على ابن شيرزاد والقاضي ولما فعل ابن شيرزاد ما فعل من رد أموال التجار وثيابهم علم ان هذا يستند ويعظم على ابن سليمان ويسمى في افساد المستكني فقال ابن شيرزاد لتوزون : ان هذا رجل سوء مزور محتمل لا يصلح ان يكون كاتباً للخليفة . فصرفه عن خدمة المستكني وقبض عليه وعلى أخيه وأبيه وفتنهم الى الشام واستكتب المستكني الشيرازي زوج أئنة حسن

الى واسط وقت مصير توزون الى الموصل فلما صالح توزون ابن حمدان^(١١٣) وعاد الى الحضرة عمل على الانحذار لدفعه . فخرج في ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاثين وورد عليه خبر الامير أبي الحسين ابن بويه بأنه نزل بسبب بني كرمنا ولقيه جيش توزون وما زالت الحرب بينهما تسعة أيام في قباب حديد وهي في كل يوم على توزون يتأخر توزون الى خلف ويتقدم الامير أبو الحسين الى قدام . الى ان بلغ توزون نهر ديالى وعبره الى جانب بغداد وقطع الجسر الذي عليه وأقام . ووافاه أحمد بن بويه الى الجانب مقابل له وبينهما الماء فلما كان يوم الاحد لاربع خيلون من ذى الحجة انصرف الامير أبو الحسين راجعا الى الاهواز

﴿ ذكر السبب في انصرافه مع استظهاره ﴾

﴿ وبعد ما هزم توزون ﴾

كان مع الامير أبي الحسين سواد عظيم وكرايع كثير وجمال وافرة فكان اذا سار جعل سواده بينه وبين دجلة وله خيمة تُضرب على رسم لهم فما دامت الخيمة منصوبة فالقتال واقع ومتى قلمت كان ذلك علامة الهزيمة . فلما كان يوم مسيره الى ديالى أخذ السواد يسير على طول ديالى واتجهد ان يضبطه ويستوقفه فلم يمكن ذلك . وأراد أن يضرب الخيمة على الرسم فلما تباعد الديلم وصار بين السواد والديلم فرجة دخل أصحاب توزون وأعرابه^(١١٤) بين السواد والديلم وأوقعوا بالسواد ولم يكن عنه دافع فدفت الضرورة الى ان ينصرف وضارت هزيمة . واضطر الديلم الى ان يستأنوا الى توزون لانهم رحالة فلست آمن أكثرهم الى توزون وأخذ الامير على طريق بادرايا وباكسايا الى الاهواز . وقد كانت المرة أيضا

صاقت على الامير أبي الحسين حتى اضطر في الليلة التي انصرف فيها من غد الى ان ذبح خمسين جلا من جماله و فرق لحمها على أصحابه ورجاله وأخذ له بقر فذبحها ونهب في وقت هزيمته نهبا عظيما . واستؤسر من وجوه قواده سبعة عشر قائدا فيهم ابن الداعي الملوي^(١) وأسر أبو بكر ابن قرابة واستأمن من الديلم أكثر من ألف رجل . وأقام توزون وعاوده الصرع يوم هزيمة الامير أبي الحسين وشغل بنفسه عن الطلاب فماد الى داره . ونعود الى تمام خبر المستكفي بالله . قلند وزارته أبا الفرج محمد بن علي السامري ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدير للامور أبو جعفر ابن شيرزاد . وخلع على توزون وطوق ووضع على رأسه تاج مرصع بجوهر وجلس بين يدي المستكفي بالله على كرسى وانصرف بالخلع والتاج والطوق والسوار الى منزله . وطلب المستكفي بالله الفضل بن المقندر طلبا شديدا فاستتر^(٢) وأمر بهدم داره^(٣) وكان الفضل طول أيام المستكفي بالله مستترا .

﴿شرح قصة أبي الحسين البريدي وهضيمه الى بغداد مستأمنا﴾

(الي توزون وما آل اليه أمره من القتل)

كناذ كرنا حاله الى وقت خروجه الى بغداد ولما وصل الى بغداد ولقي توزون وأنزله أبو جعفر بالقرب من داره في دار طازاذ التي في قصر

(١) وابن الداعي هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن القاسم الزيدي الحنفي وقام بالامر في سنة ٣٥٣ وبابيه الزيدية وتسمى المهدي لدين الله وتوفي سنة ٣٦٠ ورحلت ترجمته في كتاب عمدة الطالب (طبع ببي ١٣١٨) ص ٦١ وفي نسبه الى عبد الرحمن الشجري ليراجع ص ٦٩ . (٢) قال صاحب التكملة : فلما هدم داره قال علي بن عيسى : اليوم بايع له بولاية العهد

فرج على شاطيء دجلة . ثم شرع أبو الحسين في مسألة توزون ان يعاونه على فتح البصرة وضمن له اذا فتحها ان يحمل اليه مالا زرغبة عن كثرة فكان يطعم في المال ويطل بالمواعيد . وسأل ان يوصل الى المستكفي بالله فوصل اليه مع توزون وابن شيرزاد نظم المستكفي بالله عليه خلمة الرضاء وانصرف الى منزله . وبلغ الخبر ابن أخيه أبا القاسم وان عمه يسمي في أمر البصرة فوجه عن أصلح أمره مع توزون وابن شيرزاد وحمل مالا فأقر على عمله وأهدت الخلع اليه . ووقف عمه أبو الحسين على ذلك ويئس مما كان شرع فيه ولم يقطع توزون اطعامه فيه

﴿ ذكر الخبر عن قتل أبي الحسين البريدي ﴾

لما يئس أبو الحسين البريدي من معاونة تلحقه في فتح البصرة سعى في أن يكتب لتوزون ويقبض على ابن شيرزاد وصرح ذلك عند^(١١٩) ابن شيرزاد فاستوحش من أبي الحسين ومن توزون فجلس في منزله أياماً وما زال توزون يرأسه ويرضاه حتى كتب اليه وأخذ في التدبير عليه . فلما كان يوم السبت لست خلون من ذي الحجة أنفذ أبو العباس وكيله وصافي حاجب توزون الى أبي الحسين البريدي فقبضا عليه وأحدراه الى دارصافي وضرب هناك ليلة الاحد ضرباً عنيفاً وقيد وأحدر الى دار السلطان وبسط ابن شيرزاد لسانه فيه أفتيح بسط وذكر معايه واذكر بذنوبه . وكان أبو عبد الله محمد ابن أبي موسى الهاشمي أخذ في أيام ناصر الدولة فتوي الفقهاء والقضاة بإخلال دمه فآظمرها في هذا الوقت فلما كان بعد اسبوع من القبض عليه استحضر الفقهاء والقضاة وأحضر أبو الحسين البريدي وجمعوا بين يدي المستكفي بالله وأحضر السيف والنظم ووقف السياف بيده السيف وحضر

ابن أبي موسى الهاشمي ووقف فقراً ما أفتى به واحد واحد من اباحة دمه على رؤس الأشهاد وكلما قرأ فتوى واحد منهم سأله هل هي فتواه فيمتدح بها حتى أتى على جماعتهم وأبو الحسين البريدي يسمع ذلك كله ويراها ورأسه مشدود والسيف مسلول بأزانه في يد السياف فلما اعترف القضاة والفقهاء بالفتوى أمر المستكفي^(١١٧) بالله بضرب عنقه فضربت من غير أن يخرج لنفسه بشيء أو يعاود بكلمة أو ينطق بحرف وأخذ رأسه وطيف به في جاني بغداد ورد إلى دار السلطان وصابت جثته^(١١٨) حيث كان حديدية مشدوداً فيه لما ظفر بدار السلطان فبقى مصلوباً هناك أياماً. ثم قرأت سكا على الجهد بثمان بوارى ونقط اشترت بتسعة دراهم لاحتراق جثته فأحرقت للنصف من ذى الحجة^(١١٩)

وقبض على الوزير أبي الفرج السامري وضودر على ثلاثمائة ألف درهم فكانت مدة وقوع اسم الزلزلة عليه اثنتين وأربعين يوماً وفي هذه السنة طالب المستكفي بالله القاهر بأن يخرج من دار السلطان ويرجع إلى دار ابن طاهر فامتنع فسأل فيه أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن وهو يومئذ يكتب للمستكفي بالله على خاص أموره ورفق بالقاهر وضمن

(١) زاد صاحب التكملة في علي باب الخاصة على دجلة. وقال أيضاً: فكان هذا خاتمة أمور الثلاثة وعني ما ارتكبوا من الظلم وأهله ومن البلاء كله. وقال أيضاً أنه أطلق نوزون أبا الحسين ابن مقلة بعد أن صادره على ثلاثين ألف دينار

(٢) ليراجع مقال ابن حمدون في تذكرته في الباب السابع والأربعين في أنواع السير والأخبار وعجائبها: وجد في بعض الأوارجل السلطانية: وما حمل إلى أبي الفضل جعفر بن يحيى (يعني البرمكي) أعزّه الله هدية للسرور من العين الطوى مائة ألف دينار. وفي آخر الحلب: وما أخرج ثمن النقط والبوارى والحطب لاحتراق جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر درهماً

أن ينزله عنده ولا يردّه الى دار ابن طاهر . قال أبو أحمد : فلما قلت له ذلك استجاب بمدان سألني عن منزلي في أي جانب هو فقلت « في الشرق ناحية سوق يحيى » فسكنت نفسه الى ذلك واستجاب حينئذ وأنزلات به الى طيارى بمدان غيرت زبّه فأتى وجده ملتفا في قطن محشوة جبة وفي رجله نعل خشب مربعة فلما حصل في الطيار عبّرت به ^(١١٨) من أزاء دارى وأومات الى الملاحين ايماء من غير أن أنطق بحرف فلما وضع صدر الطيار للعبور فطن وقال « هو ذا يعبر بي الى دار ابن طاهر » وأراد أن يرمى نفسه الى الماء فتقدمت الى غلاني بضبطه فضبطوه الى أن أصعدت به الى داره من دار ابن طاهر فاقام فيها مدة ثم خرج في يوم جمعة الى المسجد الجامع في مدينة المنصور واخذ في أن يتصدق فراه أبو عبد الله ابن أبي موسى الهاشمي فنعه من ذلك واعطاه خمسمائة درهم وردّه الى داره

وفي هذه السنة ورد الخبر بأن قوما يعرفون بالروس يكونون وراء بلدان الخزر خرجوا الى آذربيجان وملكوا برذعة . وهم قوم لا دين لهم وانما طلبوا الملك وليس يعرفون الهزيمة وسلاحهم دريهم تشبه سلاح الديلم وفيهم قوة شديدة ولهم أبدان عظام . ثم أوقع بهم المسلمون فلم يبق منهم كبير أحد وكان للمرزبان بن محمد بن مسافر في ذلك أركبير وعناء عظيم وقد ذكرناه في موضعه .

﴿ ودخلت سنة اربع وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفي الحرم منها مات توزون في داره بغداد فكانت مدة امارته ستين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوماً ومدة كتابته ابن شيرزاده ستان وستة عشر يوماً . وورد الخبر على ابن شيرزاد وهو بهيت ^(١١٩) وكان خرج اليها

لموافقة ابي المُرَجِّي ابن فيان على مال ضمانه وكان قد أخره وطمع في ناحيته بموت توزون^(١) واضطرب العسكر ثم اجتمعوا على عقد الرياسة لابن شيرزاد. وكان أبو جعفر قد عزم على عقد الامر لناصر الدولة فالتحق ابن شيرزاد فلما وصل الي باب حرب وذلك في مستهل صفر اقام هناك في معسكره وخرج اليه الاتراك والديلم واتخذ اليه المستكفي بالله خلع ثياب يياض وحمل اليه طعاماً عِدَّة أيام

فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر اجتمع الجيش باسره على عقد الرياسة له وحلقوا له واخذ البيعة عليهم لنفسه وحبوه بالريحان على رسم المعجم. ووجه ابن شيرزاد الي المستكفي بالله يسأله ان يحلف له يميناً بمحضرة القضاة والمدول تسكن نفسه اليها ففعل المستكفي ذلك ثم سأله اعادة اليمين بمحضرة وجوه الاتراك والديلم فاشتد ذلك عليه ثم فعله. فدخل ابن

(١) قال صاحب التكملة : فصاحه ابو المرجا عمرو بن كلثوم مقدمها على ثمانمائة الف وخمسين الف درهم يقسطها على اهل البلد واقام (ابن شيرزاد) لاخذها . وقال ايضا في ترجمة السنة المتقدمة : واخذ ابن شيرزاد خطوط الناس بال الضمان فدخل اليه ابو القاسم عيسى بن علي بن عيسى فقال له : اكتب عن والدك بالف دينار . فكتب ومضى الي ابيه فادى خمسمائة وركب الي ابن شيرزاد فخرج اليه ابو زكرياء السومى وطازاذ معتذرين فقال علي بن عيسى : انى اريد ان الفاه ولا اخطبه في البقية . فضا وعادا اليه وقال انه يستحي من لثائك فانصرف علي بن عيسى كثيراً من العزلة اكثر من كآبه بالفرم وقال ايضا : خرج تكين الشيرزادى صاحب توزون الي جزيرة بني غبر وعاد الي جسر سابور وامر اصحابه بالتقدم الي واسط واجلس في بستان يشرب فاحاط به عسكر البريدى فأمروه وحلوه الي البصرة . وفي رجب دخل ابو جعفر الصيرى واسط ودخلها معز الدولة ولما علم ان محدار توزون اليه كفى بالله وانصرف عنها وواصل توزون البريدى فاطلق آيكنا وضمنه واسط واصعد المستكفي وتوزون (الي) بغداد

شيرزاد من مُسكروه على الظهر بتعمية الي دار السلطان ووصل الي الخليفة
وانصرف مُكرماً

وزاد ابن شيرزاد الاتراك والديلم في ارزاقهم زيادات كثيرة فاشتدت
الاضافة فأنفذ الي ناصر الدولة يطالبه بحمل المال . ويضعه في رد الامارة
اليه فحمل اليه ^(١٢٠) دقيماً وسفانج بخمسة الف درهم فلم يكن لها موقع
مع الاضافة فنقض ما عزم عليه من عقد الامارة لناصر الدولة وأقام على أمره
وقلد أبا السائب القاضي مدينة المنصور وقلد جماعة القضاة في نواحي بغداد ^(١)
وأخذ في المصادرات وقسط على الكتاب والعُمال والتجار وسائر طبقات
الناس ببغداد مالا لارزاق الجند . وكان الغمازون يغمزون بمن عنده قوت
من حنطة أو عدة ليلاله فكبسه واخذه وكان قد انتصب للغمز بذلك وغيره
وبمن يرمق بعمه رجلان من السعاة يعرفان بهاروت وماروت فكانا يصلان
الي ابن شيرزاد في الاسحار والخلوات ويمضيان أيضا الي دار المستكني بالله
فلحق الناس منها أمر عظيم وكذلك من الضرائب فانها كثرت حتى تهارب
التجار من بغداد وعاد هذا القمل بالخراب ^(٢) وفساد الامر وزيادة الاضافة

(١) زاد صاحب التكملة وقبض المستكني علي القاضي ابن ابي الشوارب ونفاه الي
سر من رأى وقسم أعماله فولى الشركية ابا طاهر محمد بن احمد بن نصر وولى المدينة
ابا السائب عتبة بن عبيد الله وكان الي ابي عبد الله ابن ابي موسى الهاشمي القضاء بالجانب
الشرقي فدخل عليه المصوص في شهر ربيع الآخر فاخذوا أمواله وقتلوه فولى
ابو السائب مكانه

(٢) زاد صاحب التكملة : وانقطع الجلب . وقال ايضا : وورد الخبر بوقوع الصلح
بين سيف الدولة والاشيد وسلم اليه سيف الدولة حبا وانطاكية فزوج ابنة أخيه
عبيد الله بن طنج وتوسط ذلك الحسن بن طاهر العلوي . وورد الخبر بموت ابي عبد الله
الكوفي بحلب وقد تقدمت أخباره .

فاحتجج الي مصادرة ابن عبد العزيز الهاشمي واخوته . وكثرت كيبسات اللصوص فكان اذا ظفر السلطان بلص قتلته العامة قبل ان يصل الي الوالي .

وقلد أبو جعفر ابن شيرزاد ينال كوشه اعمال المعاون بواسط والفتح اللشكري أعمال المعاون بتكرت فاما الفتح اللشكري فانه خرج الي عمله بتكرت فلما وصل اليها (١٢١) امتد الي ناصر الدولة بالموصل قبله وأكرمه وقلده بتكرت من قبله ورده اليها . وأما ينال كوشه فكانت الامير أبا الحسين ابن بويه

وأخرج ابن شيرزاد تكين الشيرزادي الي الجبل فهزمه أصحاب أبي علي ابن محتاج وانصرف الي بغداد

(ذكر الخبر عن مسير ابي الحسين احمد بن بويه الي بغداد)

ورد الخبر بدخول ينال كوشه في طاعة الامير أبي الحسين احمد بن بويه وان الامير قد تحرك من الاهواز يريد الحضرة فاضطرب الاتراك والديلم ببغداد وأخرجوا مضاربهم الي المصلي وعسكروا هناك وأخرج أبو جعفر مضربه معهم . ثم ورد الخبر بزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه باجسري فزاد الاضطراب ببغداد واستر ابن شيرزاد واستر المستكني بالله فكانت امارة ابن شيرزاد ثلاثة أشهر وعشرين يوما . فلما وقف الاتراك على استارهما عبروا الي الجانب الغربي وساروا الي الموصل فلما سار الاتراك ظهر المستكني بالله وعاد الي دار الخلافة

وورد أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى (١) صاحب الامير ابي الحسين

احمد بن بويه ولقي ابن شيرزاد حيث هو مستتر وفاوضه ثم اتحد الى دار
السلطان ولقي^(١٢٢) المستكفي بالله فظاهر المستكفي بالله سرورا بموافاة الامير
أبي الحسين أحمد بن بويه وأعلمه أنه انما استتر من الاتراك لينحل أمرهم
فيحصل الامر للامير احمد بن بويه بلا كلفة . فلما كان يوم السبت لاحدى
عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة نزل الامير ابو الحسن في ممسكته بباب
الشماسية ووصل الى المستكفي بالله ووقف بين يديه طويلا وأخذت عليه البيعة
للمستكفي بالله واستحلف له باعظ الايمان وادخل في اليمين الصيانة لابني
احمد الشيرازي كاتبه ولعلم قهرماتته ولابي عبد الله ابن ام موسى والقاضي
ابي السائب ولابي العباس احمد بن خاقان الحاجب ووقعت الشهادة على
المستكفي بالله وعلى الامير ابي الحسين فلما فرغ من اليمين سأل الامير
ابو الحسين المستكفي بالله في أمر ابن شيرزاد واستاذنه في ان يستكتبه فآمنه
واذن له في ذلك . ثم لبس الامير الخلع وكنى ولقب بمعز الدولة ولقب أخوه
أبو الحسن على بن بويه بمعاد الدولة وأخوه أبو علي الحسن بن بويه بركن
الدولة وأمر ان تضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدرهم وانصرف بالخلع
الى دار مونس^(١٢٣) ونزل الديلم والجبل والاتراك دور الناس فلقق الناس
من ذلك شدة عظيمة وصار رسما عليهم الى اليوم^(١٢٣)

﴿ ذكر كتابة ابن شيرزاد لمعز الدولة أبي الحسين ﴾

ظهر أبو جعفر ابن شيرزاد من استتاره ولقي معز الدولة ودبر أمر الخراج
وجباية الاموال . وقبض الامير أبو الحسين على أبي عبد الله الحسين بن
علي بن مقلة وذلك لوصول رقعة له اليه يطلب فيها مكان ابن شيرزاد

(١) زاد فيه صاحب التكملة : ومن جملة داؤ مونس المدرسة النظامية =

﴿ ذكر الخبر عن قبض معز الدولة على المستكفي بالله ﴾

كان السبب الظاهر أن علماً قهرماته دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم فاتهمها الامير معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفي بالله وأن ينقضوا رياسة معز الدولة عليهم ويطعموه دونه فساء ظنه لذلك ولما رأى من جسارتها واقدامها على قلب الدول . ثم قبض المستكفي بالله على الشافعي رئيس الشيعة من باب الطاق فشفع فيه اصفهري وشت فلم يُشفعه فاحفظه ذلك وذهب الي معز الدولة وقال : راسني الخليفة في ان القاه متكرراً في خوف وازار . فتبج من ذلك وغيره مما لم يظهر خلعه من الخلافة فلما ان كان يوم الخميس لثمان بيمين من جمادى الآخرة انحدر الامير معز الدولة الي دار السلطان وانحدر الناس على رسمهم فلما جلس المستكفي بالله على سريره ووقف الناس على مراتبهم دخل أبو جعفر الصيمري وأبو جعفر ابن شيرزاد^(١٢٤) فوقفا في مرتبتهما ودخل الامير معز الدولة فقبل الارض على رسمه ثم قبل يد المستكفي بالله ووقف بين يديه يحدنه ثم جلس على كرسي وأذن لرسول كان ورد من خراسان ورسول ورد من أبي القاسم البريدي فتقدم تسنان من الديلم فدا أيديهما الي المستكفي بالله وعلا صوتهما فارسية فظن أنهما يريدان تقبيل يده فدهما اليهما فجذباها بها وطرحاه الي الارض ووضعاه عمامته في عنقه وجراه . فنهض حينئذ معز الدولة واضطرب الناس وارتفعت الزعقات وقبض الديلم على أبي أحمد الشيرازي وعلى ابن أبي موسى الهاشمي ودخلوا الي دار الحرم فقبضوا على علم القهرمانة وابنتها وتبادر الناس الي البواب من

الروشن فجرى أمر عظيم من الضبط والنهب^(١)

وساق الديلمان المستكني بالله ماشيا الى دار معز الدولة واعتقل فيها ونهبت دار السلطان حتى لم يبق فيها شيء وانقضت أيام خلافة المستكني بالله وأحضر معز الدولة أبا القاسم الفضل بن المقنن بالله الى دار الخلافة في يوم الخميس ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ وخوطف بالخلافة وبويع له ولقب المطيع لله^(٢)

﴿ ذكر خلافة المطيع لله وما جرى عليه من الامور^(١٢٥) ﴾

وقام له ابن شيرزاد في تدبير الامور والاعمال بمقام الوزراء من غير تسمية بوزارة واستخلف على كتابته على خاص أمره أبا الحسن طازاذ بن عيسى واستحجب المطيع لله أبا العباس ابن خاقان . وأقام له الامير معز الدولة لفته كل يوم التي درهم وكتب بخبر تقلده الخلافة الى الآفاق

(١) وروى صاحب التكملة : قال ابن البهلول : كنا اذا كلمنا المستكني وجدنا كلامه كلام العيارين وكان جلدا بعيد الصدر والحيلة وكان يلعب قبل الخلافة بالطيور ويرمي بالندق ويخرج الى البساتين للفرجة واللاعب وكان لا يفتق عليه من الجوارى غير السودان ولا يماشر غير الرجال وعزم معز الدولة على ان يبايع ابا الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوي فنهه الصمري من ذلك وقال : اذا بايعته استقر عليك اهل خراسان وعوام البلدان واطاعه الديلم ورفضوك وقلوا امره فيك وبنو العباس قوم منصورون تمتل دوتهم مرة وتصح مرارا وتعرض تارة وتستقل اطوارا لان اصلها ثابت وبنياتها راسخ . فعذل معز الدولة عن تمويله . ولما الزيدى العلوي قال راجح انه الزاصر لدين الله ابو الحسن احمد بن يحيى الهادي ولكن يروى انه توفي سنة ٣٢٥ وان مدة ظهوره نحو ثلاث عشرة سنة

(٢) قال صاحب كتاب العيون : وأمه أم ولد صقلية واسمها مشفلة وأعرفت بالصفارة (وكان العباس بن الحسن أهداها الى المقنن) وتأخذ من ورق السوسن أو غيره الشيء اليسير وتجعله في فيها وتصفر به صغيراً لم يسمع بمثله تحسكي به كل طائر وغيره

وتم الصالح بين الامير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدي وتسلم ابن البريدي واسطا وضمن البقايا بها بالف الف وسبعمائة الف درهم واستخلف بالحضرة أبا القاسم عيسى بن علي بن عيسى

وطلب الامير معز الدولة ابن شيرزاد برهينة لانه تبين منه تليجا في أمر المال ولم يأمن ان يهرب واضطرب أبو جعفر وسأل الامير أن يقرضه ما يعتنى به أمره فذفع اليه عدة من مراكب ذهب وفضة على ان يرده مكانها قتل أبو جعفر ذلك وسلم أخاه أبا الحسن زكريا رهينة .

وكان وصف للامير معز الدولة كفاية أبي الفرج ابن أبي هشام وشهامته فأوصله الى حضرته وأنس به ولطف محله ورد اليه أمر الضياع الخراب بالسواد وكلفه عمارتها . قال ثابت : وأخبرني أبو الفرج انه قال لمعز الدولة : لجمت أيها الامير في أمر أبي جعفر ابن شيرزاد^(١٣٦) في أن يكتب لك وراجعت الخليفة المستكفي بالله دفعات حتى^(١٣٧) أذن بأن نستكتبه لك ليس هذا لرغبة في صناعته فانه ما كان صانعا أمر كتاب الرسائل وأمر كتاب الخراج وإنما ولي ديوان النفقات مرة وكتب لابن الخلال وكان إمرأ متوسطا وما عدة كتاب الحضرة وأصحاب دواوينهم في الكفاة وأهل الصناعة (قال)

(١) قال فيه صاحب التكملة . ولما استولي ابن شيرزاد على الامور قال أبو الفرج ابن (أبي) هشام : بأي شيء تقف عليك ؟ وما يصلح لك كتابة الانشاء ولا لجاية الخراج وإنما بولي ديوان النفقات وكتب لابن الخلال : ارة وقد سألك المستكفي عزله بمدان سألت فيه فلم يجب . فقال : لما رأيت عظم لحبته الخ وقال أيضا . وصرف ابن نصر عن القضاء بالجانب الغربي وأعاد ابن أبي الشوارب . وصادر ابن شيرزاد ابن أبي موسى وتلم التهرمانه على أربعين الف دينار وقطع لسانها وسلسا الي المطيع لله . ولم يمرض أبا أحمد الشيرازي لقديم مودته

فقال : أنت صادق فاني ما سألتُ عنه أحداً فقال فيه الامثل قولك ولما رأيت لحيته قلت « هذا بأن يكون قطاناً أولى منه ان يكون كاتباً » ولكن وجدته وقد تقلد الامارة بفسداد واستولى على الخلافة وصار لي نظيراً وللملوك الاطراف وتصوره الرجال بصورة من يصلح أن يرؤسهم ومن يعتقدون له على نفوسهم فاردت أن أحظه من هذه الخال إلى ان اجعله كاتباً لغلام لي أو عاملاً على بلد .

وكان الامير معز الدولة قد أخرج موسى فياظة وينال كوشه في يوم الجمعة لتسع بقين من رجب إلى عكبرا مقدمة له إلى الموصل فلما سارا أوقع ينال كوشه وابن الباردي بموسى فياظة وأخذوا سواده ومضوا إلى ناصر الدولة

وفي يوم الاثنين لتسع خلون من شعبان استتر أبو جعفر ابن شيرزاد وأسلم أخاه أبا الحسن زكرياء^(١٢٧)

ونزل ناصر الدولة ومعه الاتراك بسر من رأى لاربع بقين من شعبان وابتدأت الحرب بينه وبين أصحاب معز الدولة بعكبرا وسار معز الدولة يوم الخميس لاربع خلون من شهر رمضان ومعه الخليفة المطيع لله إلى عكبرا . وظهر أبو جعفر ابن شيرزاد ومضي فتلقى أبا العطاف جبير بن عبدالله بن حمدان أخا ناصر الدولة فانه وافى بفسداد ونزل باب قطربل فنزل معه أبو جعفر ابن شيرزاد ولؤلؤ وجماعة من العجم . ولقيه أهل بفسداد ودبر الامور أبو جعفر ابن شيرزاد من قبل ناصر الدولة والحرب متصلة بين معز الدولة وناصر الدولة بسر من رأى ونواحيها .

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان وافى ناصر الدولة إلى بفسداد

فنزله في الجانب الغربي أسفل قطربل بعد ان أحرق خزائن نفسه وأصحابه التي في الزواريق لظهور الديلم عليه وخلف أبا عبد الله الحسين بن حمدان في الحرب . ثم عبر أصحاب معز الدولة الديلم من الجانب الشرقي من سر من رأيهم الى الجانب الغربي من دجلة وساروا الى تكريت ونهبوها ثم صار بعضهم الى سر من رأي ونهبوها ثم عبر جميعهم مع معز الدولة الى الجانب الغربي من دجلة والخليفة معهم وساروا منحدرين الى بغداد وبازاتهم أبو عبد الله الحسين ابن سعيد والأتراك في الجانب الشرقي . فلما حصل معز الدولة ^(١٢٨) في الجانب الغربي عبر ناصر الدولة الى الشرق ونزل في رقة الشامية واجتمع مع الأتراك وما خطب ناصر الدولة للمطيع لله ولا ذكر اسمه ولا كنيته في الخطب . وفي يوم الاحد لليتين بقيتا من شهر رمضان أوقع أبو عبد الله الحسين بن سعيد بمسكبر معز الدولة في الماء ففرق منهم وملك آلات الماء التي كانت معهم

ولما كان يوم الخميس لليتين خلنا من شوال وجه ناصر الدولة بمحمد بن رجلا من الديلم الذين كانوا في جملة الى الجانب الغربي من بغداد في جملة الجيش الذين عبر بهم لمحاربة معز الدولة . فلما صاروا على الخندق الذي في قطعة أم جعفر . وخاطبوا الديلم الذين مع معز الدولة أو هموا جيش ناصر الدولة الذين كانوا معهم ان جماعة من ديالة معز الدولة يريدون ان يعبروا الخندق ليستأنموا الى ناصر الدولة فافرجوا لهم عن الخندق حتى عبروه وقبوا تراسهم على جيش ناصر الدولة وحاربوه وأوقعوا به فانهم أصحاب ناصر الدولة بأسره ^(١) . وحصل القرامطة من أصحاب ناصر الدولة وتكبين

الشيرزادى وغيره من قواده عُدقين بمسكبر معز الدولة في الجانب الغربى فلم يكن يتمرد معز الدولة على تناول شىء من علف ولا غيره فلحق أهل الجانب الغربى غلاء شديد وهدموا^(١٣٩) الاقوات . وكان أبو جعفر الصيمرى لتشاغله بامر الحرب قد رد بخدمه من الدولة والقيام بما يحتاج اليه هو وخاشيته وأسبابه الى أبى على الحسن بن هرون خدثنى أبو على هذا انه اشترى للامير معز الدولة كرا دقيق حواري بعشرين الف درهم^(١٤٠) وتعدر على الناس العبور من الجانب الغربى الى الشرق ومن الشرق الى الغربى لمنع ناصر الدولة من ذلك ولحق الناس فى السواد من الجانبين ضرر عظيم بتسلط الجند على غلاتهم فانهم كانوا يخصونها ويدرسونها ويحملونها الى معسكرهم وكان السعر فى الجانب الشرق خمسة أرتال خبز بدرهم لورود الزواريق من الموصل بالدقيق وبقى السعر فى الجانب الغربى غالياً بعد ادراك الغلات لما ذكرنا فكان الرطل الواحد من الخبز بدرهم وربع اذا وجد وذلك لمنع ناصر الدولة ما يرد من الموصل ان يصل الى الجانب الغربى ولان اعرابه منتشرون فى الجانب الغربى يحولون بين أصحاب معز الدولة وبين الغلات . وضرب ناصر الدولة دنانير ودرهم بسكة سنة ٣٣١ باسم المتقى لله وناصر الدولة وسيف الدولة .

واستعان ابن شيرزاد بالعامه والعيارين من بغداد^(١٤٠) على حرب معز الدولة والديلم وفرض قوما منهم^(١٤١) وكان يركب كل يوم فى الماء ومعه

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : قتل الكرسمة عشر قطارا بالدمشق لان الكرسمة

أربع وملايون ككرة والككرة خسون رطل بالدمشق

(٢) قال صاحب التمهيد : وكان ابن شيرزاد قد أثبت خبثا من العيارين ليحاربوا

عدة زبازب فيها أتراك فينحدر ويُصعد في دجلة ويرى من على الشطوط في الجانب الغربي من الديلم بالنشاب وكان ناصر الدولة عبر بصافي التوزوي في الف رجل لسكبس معز الدولة وعسكره فلقبه اصنفهدوست وأبو جعفر الصيرى فهزماه . فكان جعفر بن ورقاء يقول وكان معهما : كنت أسمع ان رجلا واحدا بنى بالف رجل فلا أصدق حتى شاهدت اصنفهدوست وحملةً وهزيمة صافي وزمرته فصدقت بذلك .

وكان معز الدولة بنى زبازب في قطعة أم جعفر وعددها نيف وخمسون نخرجت يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة الى دجلة وكان غلمان معز الدولة يجاربون فيها من في زبازب ناصر الدولة من أصحابه وذكر أبو جعفر الصيرى ان الجهد كان قد بلغ منهم والحينل قد أعيتم وضاق بهم الامر حتى عزم معز الدولة على الرحيل الى الاهواز وحمل أثقاله وقال : ترون في طريقنا العبور فان أمكننا حيلة فيه والا جعلنا وجهنا الى الاهواز . وتياً ان عبر الصيرى واصنفهدوست وبهما تسعة نفر في سحر يوم السبت انسلاخ ذى الحجة الى الجزيرة^(١٣١) التي بازاء الخريم وأرادوا العبور منها الى الجانب الشرق فعارضهم ينال كوشه معارضة يسيرة وتياً لهم العبور وتبعهم أصحابهم فعبروا

﴿ ذكر الحيلة التي تم بها عبورهم ﴾

كان معز الدولة رتب هذه المعابر في الصرارة ثم حذرهما في الليل على شاطئ دجلة الى موضع التمازين لانه أضيق موضع في دجلة ووافق وزبره

مع ناصر الدولة (نظائر) بكافور خادم معز الدولة فشهده . فظفر معز الدولة بابي الحسن ابن شيرزاد تصلة حيا فاطاق أبو جعفر الخادم فحط معز الدولة أخاه .

الصيمرى واصفهدوست. وخواص ديلمه على العبور وأظهر هو انه يعبر من أعلى قطر بل . ففضى بالليل في وقت موافقتهم وضرب البوقات وسار بالمشاعل وحمل بعض تلك المعابر بالاوهاق على الظهر . فلما رأى أعداءه ذلك سار أكثرهم بازائه لِممانعته فتمكن الصيمرى ومن معه من العبور وكان الصيمرى أول من بذل نفسه لان أصحابه هيبوا العبور فلما سبقهم أنفوا وتيموه . ثم عاد معز الدولة الى هذا الموضع وقد أحس القوم بحيلته فتكاثروا بالزبازب ومنموهم من العبور وغرقوا ركوتين واشتدت الحرب وانهمز الاترك . وكان ينال كوشه قد شرب ليلته ولما حصل جماعة من الديلم في الجانب الشرقى زعموا ينال كوشه فانهزم وعضى أصحابه الى باب الشماسية .^(١٣٢) واضطرب عسكر ناصر الدولة فوجه ابن شيرزاد الى ناصر الدولة : ان الصواب ان تركب لتلقى من عبر من الديلم . فرد عليه في الجواب : ان العادة قد جرت بانى اذا ركبت انهزم الناس . وان الصواب ان يركب هو فركب أبو جعفر ورأى الناس قد ركب بعضهم بعضا وليس يلوى أحد على أحد ولا يقف فانهزم هو أيضا معهم وانهمز ناصر الدولة وملك الديلم الجانب الشرقى وأحرقوا ونهبوا وقتل من العامة جماعة ومات منهم عدد كثير من رجال ونساء وصبیان لان الخوف حملهم على الحرب لما كانوا قدموه الى الديلم من الشتم والحرب في أيام الفتنة فخرجوا حفاة في الحر الشديد ومشوا الى عكبرا فماتوا في الطريق^(١) وجرى معز الدولة على

(١) زاد صاحب التذكرة : قال بعضهم : رأيت امرأة تقول : انا بنت ابن قرابة ومعى حلى وجواهر تزيد على الف دينار فمن يأخذها وبسببى شربة ماء ؟ فما أجابها أحد ومات وما تقسمها أحد لشغل كل انسان بنفسه

عادته في الرأفة فامر برفع السيف والكف عن النهب وأمن الناس وملك الجانبين . ولما منهم معز الدولة ونادى بالكف لم ينتهوا ولا كانت له قدرة على منعهم حتى ركب الصيمري قتل جماعة وصلب بعض غلمان الديلم وواصل الطوف والحماية بنفسه حتى أمكنه تسكين الجند وجزر ما انهب فكان مقداره عشرة آلاف ألف دينار وذلك ان القصد وقع على مواضع التحار وحيث الاموال والامتعة .

ومضى ناصر الدولة وابن شيرزاد والاتراك^(١٣٣) التوزونية مصعبين الى عكبرا فلما استقروا بها راسل ناصر الدولة الامير معز الدولة يلتمس الصلح^(١٤) في آخر المحرم سنة ٣٣٥ وكان ناصر الدولة فعل ذلك بشير علم الاتراك فلما وقفوا على ذلك ارادوا الوبوب به وهموا به فرقى اليه الخبر وصح عنده ما عزموا عليه فهرب منهم ومضى مقدما مسرعان نحو الموصل وتركهم . وكتب معز الدولة بالفتح عن المطيع لله كتابا نفذ الى الامير عماد الدولة والى سائر الاطراف .

(حيلة غريبة ينبغي ان يحترز من مثلها)

ومن أطرف الامور وأعجيبها ان رجلا قصد مضرب ناصر الدولة وهو يباب الشمسية بازاء معسكر معز الدولة فدخله بالليل ودخل خيمته وهو نائم فيها ولم يشعر به الحراس ولا الحجاب ولا البوابون ولا الخدم ومضى حتى عرف موضعه وشاهده وهو نائم وعرف موضع رأسه من الخدعة ورجع ليطلق السراج وشمعة كانت يقربه خارج الخيمة فيعود فيضع السكين في موضع حلقه . فاتفق ان اتلب ناصر الدولة في نومه ولما رجع

(١) قال صاحب السكلة : اتفق بابي بكر ابن قراية

الشاسعة عنهم . فلما تحقق عددهم وفكر المرزبان في الحيلة وقع له أن يكمن لهم ليلاً وواطأ عسكره^(١٠٤) أن يُبادروا الحرب فإذا حمل عليهم القوم انهزم هو وانهمزوا معه وأطعمهم بذلك في العسكر والمسلمين فإذا تجاوزوا موضع الكمين عطف المرزبان ورجاله عليهم وصاحوا بالكمين بشعار اتفقوا عليه فإذا حمل الروسية في الوسط تمكنوا منهم . فلما أصبحوا على هذه المكيدة تقدم المرزبان وأصحابه وبرز الروسية وأميرهم راكب حمار وخرج رجاله واصطفوا للحرب فجروا على عادتهم وانهمز المرزبان والمسلمون واتهم الروسية حتى تجاوزوا موضع الكمين واستمر الناس على هزيمتهم . فحكى المرزبان بعد ذلك أنه لما رأى الناس كذلك وصاح بهم واجتهد بهم أن يراجعوا الحرب فلم يفعلوا لما تمكن في قلوبهم من هيبتهم علم أنه إن استمر الناس على هزيمتهم عاد القوم فلم يخف عليهم موضع الكمين فيكون ذلك هلاكهم قال : فرجعت وحدي مع من تعنى من أخى وخاصتى وغلمانى ووضعت في نفسى الشهادة فحينئذ استجياً أكثر الدليل فرجعوا وكررنا عليهم وناديتنا « الكمين » فخرجوا من ورائهم فصدقتناهم الحرب وقتلنا منهم سبعمائة نفس فيهم أميرهم وحصل الباقون في الحصن الذي كانوا فيه من البلد وقد كانوا نقلوا اليه غلات كثيرة^(١٠٥) وميراً عظيمة وحصلوا فيه السبي والاموال . فبينما المرزبان في منازلهم وهو لا يتقدر لهم على حيلة سوى المصاراة اذ ورد عليه الخبر بدخول أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن همدان آذربيجان وانتهائه الى سلماص واجتماعه مع جعفر بن شكوكويه الكردي في جماهير الهداياتية^(١٠٦) واضطر الى أن خلف على حرب الروسية

(١) وفي الاصل (الهداياتية) والصواب فيما بعد وهم صنف من الاكراد

برغقان ويأخذ الدلال بحق دلالته بمض ذلك الخبز ، ووجدت امرأة
أخرى تقتل الصبيان وتأكلهم ثم فشا ذلك فقتلت عدة منهن . ولما زالت
الفتنة ودخلت الغلات الجديدة المحل السر

ولما استر ابن شيرزاد نظر أبو جعفر فيما كان ينظر فيه ابن شيرزاد
ثم قلده الامير معز الدولة والصيمري الحسن بن علي بن مقله ما كان أبو جعفر
ينظر فيه من أعمال الخراج وجباية الاموال^(١)

وفي هذه السنة شغب الديلم على معز الدولة شغبا قبيحا وكاشفوه
بالإسراع وخرقوا عليه بالسفه الكثير فضمن اطلاق أموالهم في مدة ضربها
لهم فاضطرّ الى خبط الناس واستخراج الاموال من غير وجوهها . فاقطع
توأده وخواصه واترا كهُ ضياع السلطان وضياع المستيرين وضياع ابن
شيرزاد وحق بيت المال في ضياع الرعية وصار أكثر السواد مُغلّقا
وزالت أيدي العمال عنه^(١٣٦) وبقي اليسير منه من المحلول فضمن واستغنى
عن أكثر الدواوين فبطلت وبطت أزمته واجمت الاعمال كلها في ديوان
واحد .

﴿ ذكر ما انتهى اليه هذا التدبير من سوء العاقبة وخراب ﴾

﴿ البلاد وفساد المساكر وسوء النظام ﴾

ان التدبير اذا بُني على أصول خارجة عن الصواب وان خفي في

(١) زاد صاحب التكملة : قبض (يعني ابن مقله) على أبي زكرياء السوسى
والحسن بن هرون فقتلتهما فقال الصيمرى : لم يكن غرضك غير التفتي منهما . وأطلق
معز الدولة أبا زكرياء السوسى ولم يلزمه شيئا وألزم الحسن بن هرون خمسين ألف
دينار وعزل ابن مقله وأخرد الصيمرى بالامر . وقال أيضا : وفي شعبان انشق البحر
بشق الخالص والنهروان .

الابتداء ظهر على طول الزمان . ومثل ذلك مثل من ينحرف عن جادة الطريق انحرافا يسيرا ولا يظهر انحرافه في المبدأ حتى اذا طال به المسير بعد من السميت وكلما ازداد امعانا في السير زاد بعده عن الجادة وظهر خطأه وتفاوت أمره . فمن ذلك انه أقطع أكثر أعمال السواد على حال خرابه ونقصان ارتفاعه وقبل عودته الى عمارته . ثم سأل الوزراء المقطيرين وقبلوا منهم الرشي وأخذوا المصانعات في البعض وقبلوا الشفاعات في البعض فحصلت الاقطاعات لهم بغير متفاوتة . فلما أتت السنون وعمرت النواحي وزاد الارتفاع في بعضها زيادة الغلات ونقص في بعضها بالخطاط الاسعار (وذلك ان الوقت الذي أقطع فيه الجند الاقطاعات كان السعر مُفرط الغلاء للتحط الذي ذكرناه) فتمسك الراجحون بما حصل في أيديهم من اقطاعاتهم ولم يمكن الاستقصاء عليهم في العبرة . ورد الخاسرون اقطاعاتهم^(١٣٧) فمؤوضوا عنها وتمت لهم نقائصها وأتسع الخرق حتى صار الرسم جاريا بان يجرب الجند اقطاعاتهم ثم يردوها ويمتاضوا عنها من حيث يجتارون ويتوصلون الى حصول الفضل والفوز بالريح . وقُلِّدت الاقطاعات المرتجمة من كان غرضه تناول ما يجده فيها ورفع الحساب ببعضه وترك الشروع في عمارتها ثم صار المقطعون يعودون الى تلك الاقطاعات وقد اختلط بعضها ببعض فيستطمعونها بالموجود بعد تناهيها في الاضمحلال والانحطاط . وكانت الاصول تذب على ممر الستين ودرست العبر القديمة وفقدت المشارب وبطلت المصالح وأتت الجوائح على التناء ورتت احوالهم فمن بين هارب جال وبين مظلوم صابر لا يصف وبين مستريح الى تسليم ضيمته الى المقطع لبأمن شبره ويوافقه . فبطلت العمارات وأغلقت الدواوين وامحى أثر الكتابة

والعالة ومات من كان يحسنها ونشأ قوم لا يعرفونها ومتى تولى أحدكم شيئا منها كان فيه دخيلا متجلفا . واقتصر المقطعون على تدير نواحيهم بملأهم ووكلائهم فلا يضبطون ما يجري على أيديهم ولا يهتدون الى وجه تسمير ومصالحة ويقطعون أموالهم بضروب الافساد واعتاض اصحابهم^(١٣٨) مما يذهب من أموالهم بمصادراتهم وبالخيف على معاملهم . وانصرف عمال المصالح عنها لخروج الاعمال عن يد السلطان ووقع الاقتصار في عملها على ان يقدر ما يحتاج اليه لها ويقسط على المقطعين تقسيطات يتقاعدون بها وباداتها وان ادوها وقتت الخيانة فيها فلم تصرف الى وجوهها . وقل حفل الناظرين بالحوادث تمويللا على أخذ ما صفا وترك ما كدر والرجوع على السلطان بالمطالبة ورد ما تخرب على أيديهم من الاقطاعات وفوض تدير كل ناحية الى بعض الوجوه من خواص الديلم فاتخذهم مسكنا وطعمة والتحف عليهم المتصرفون الخونة وصار غرض احدهم الترجية والتشية والدفع من سنة الى سنة . وعقدت النواحي الخارجة من الاقطاعات على طبقتين من الناس احدهما اكبر القواد والجند والاخري اصحاب الدراريح والمتصرفون فاما القواد فلهم حرصوا على جمع الاموال وحياسة الارباح ودعوي المظالم والتماس الحطائظ فان استقصى عليهم صاروا اعداءهم . ولما كثرت أموالهم وانفتقت بهم الفتوق خرج منهم الخوارج وان سوجوا استشرى طمعهم ولم يبقوا منه عند غاية . وأما اصحاب الدراريح^(١٣٩) فكانوا اهدى من الجندي الى تفريم السلطان والحيلة عليه في كسب الاموال ونظر بعضهم الى بعض فيما تجرى عليه معاملاتهم وبدلوا المرافق واعتصموا بالوسائل ووجب ان يجمع الناس حكم واحد . وتوالت السنون عليهم فنقدوا نواحيهم وخطوا

بمعاليتهم فين مستضف يصادر وينير رسمه وتقص معالته على قدر حاله
وماله ومن مانع جانبه فيخفف عنه الرسوم ويرتقى على ذلك منه بالاموال
ويتخذ الضامن عضدا في شدائده وعند مناظرة سلطانه ويصطم
المستضعفين . فبطل ان ترفع الى الدواوين جماعة او تعمل لاممل مؤامرة
او يسمع لاحد ظلامة او يقبل من كاتب نصيحة واقصر في عاسبة الضمناه
على ذكر أصول المقدم وماصح منه وبقي من غير تهيش عما عومت به الرعية
واجريت عليه احوالها من جور أو نصفه من غير اشراف على احترام من
الخراب او خراب يعاد الى العماره وجبايات تحدث على غير رسم ومصادرات
ترفع على محض الظلم وازافات الى الارتقاع ليست بعبرة وحسابات في
النفقات لاحقيقة لشيء منها ومتي تكلم كاتب من الكتاب في شيء من ذلك
فكان ذالح ضمن ونكب واجتبح وقتل وباعه السلطان بالتطيف .^(١٤٠)
وان كان ذافاة وخلة ارضى باليسير فاقلب وصار حونا للخصم ولم يكن
بذلك بلوم لان سلطانه لا يحميه اذا خاف ولا ينصره اذا قال .

فهذه جملة الحال في ضياع الدخل فاما الخرج فان النفقات تضاعفت
وسوق الدواوين ازيلت والازمة بطلت الى غير ذلك من أمور يتسع فيها
القول ويتضح بعضها سياقة بعض فاقصرنا على الاشارة دون التويل
ثم ركب معز الدولة الهوي في أمور علمانه فتوسع في اقطاعهم وزياداتهم
واسرف في تمويلهم وتخويلهم فتمرد عليه ان يذخر ذخيرة لتوائبه أو ان
يستفضل شيئا من ارتقاع ولم تزل مؤونته تزيد ومواده تنقص حتي حصل
عليه عجز لم يكن واقفا على حد منه بل يتضاعف تضاعفا متفاقما وأدى ذلك
على مر السنين الى الاخلال بالديلم فيما يستحقون من أموالهم وداخلتهم

المنافسة للآتراك من اجل حسن احوالهم . وقادت الضرورة الى ارتباط الآراك وزيادة تقيهم والاستظهار بهم على الديلم وبحسب انصراف العناية الى هؤلاء ووقوع التقصير في أمور أولئك فسدت النيات وفسد الفريقان اما الآراك فبالطمع والضاورة^(١٤١) وأما الديلم فبالضر والمسكنة واشترأبوا الى الفتن وصارت هذه المعاملة لقاها لها وسببا لوقوع ما وقع فيها مما سنذكر جلامته في مواضعها بمشيئة الله

وفي هذه السنة سمت علم القهر مائة وقطع بعد ذلك لسانها وفيها ورد الخبر بان نوحاً صاحب خراسان قبض على اخوة ابي علي ابن محتاج وقتل بعضهم

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما انهزم ابن محتاج من بين يدي ركن الدولة بعد ان كان ضمن لصاحب خراسان فتح الري أمدته صاحبه بآبن ملك وجماعة من نظرائه وقواده وبالغ في تقويته فسار في عدة وعدة وافرة . فكتب ركن الدولة سعاد الدولة وسأله المدد فامرته ان يخلي لهم الطريق وبصير اليه واعلمه ان له تديراً في ذلك ففعل ركن الدولة ذلك ودخل الخراسانية الري . فراسل عماد الدولة صاحب خراسان سراً يعرفه قلة جدوى الري عليه مع ما يلتزمه من النفقات على المساكر العظيمة وان الاستيحاءش بينهما زائد مع ذلك ويسأله ان يزيل هذه الوحشة بان يضمنه اعمال الري عشرين بمثل ما تحرر عليه بينه وبين ابن محتاج وزيادة مائة الف دينار في كل سنة على ان يسلفه مال سنة^(١٤٢) . وسأله اتقاذمة من ثقاته ليوقع العهد معه ويحمل المال على يده وأنه يعاونه بعد ذلك على ابن محتاج حتى يظفر به . فوردت هذه الرسالة على

نوح بن نصر ونيته فاستدعى لابن محتاج وتطلعت نفسه الى تحصيل المال فشاور
نقائه وكلهم اضداداً واعداً لابن محتاج فاشاروا عليه بقبول ما بذله عماد الدولة
فاظهر حينئذ ما كان في نفسه وقبض على اخوة ابي علي ابن محتاج وأهله
واسبابه وقتل بعضهم . واتخذ الى عماد الدولة علي بن موسى المعروف بالزرار
وكان من قواده واكبر حاشيته فسار علي الجملات واستقبله عماد الدولة
واكرمه وواصل اليه العطايا والتحف وماطله فيما ورد له . وراسل ابا علي
ابن محتاج يلتمه خبر هذا الرسول ويطلعه على ما ورد له وقرر في نفسه انه على
عهده محافظ على وده وجذره من غدر نوح وخوفه منه فحينئذ اتفق ابن
محتاج رسوله الى ابراهيم بن احمد وهو عم نوح وكان اذ ذلك بالمرسل احد
قواد ناصر الدولة فعرفه انه قد عقد له الرياسة وأخذ له البيعة على اصحابه
علي ان يكون اليه خراسان ويمضي معه فيحاربان نوحاً ويؤكد عليه ان يجعل
اليه . فرغب ابراهيم بن احمد في ذلك واستأذن ناصر الدولة ^(١٤٣) في المضي
فقال له : نحن على المصير الى بغداد فانتظر حتي ندخلها فاذا دخلناها قللك
الخليفة وخلص عليك من داره وعقد لك لواء فيكون أعز لك وأقوى لامرك .
وكان هذا في آخر أيام المستكفي بالله فعمل ابراهيم بن احمد على ذلك فلما طالت
المدة وحدث على المستكفي بالله الحادثة وانحدر ناصر الدولة الى بغداد تابعت
رسل أبي علي ابن محتاج الي ابراهيم فمير تكررت في سبعين غلاماً ومضى
الي دقوقاً ومنها الي طريق خراسان . ثم وردت كتبه من الري علي ناصر
الدولة بانه سائر الي نيسابور لمحاربة ابن أخيه نوح فانفذ اليه ناصر الدولة
خلفاً سلطانية ولواء عقده له عن الخليفة المطيع لله وحمل اليه ذلك مع خججج
المسول فظيّر الناس له من ذلك وقالوا انه لا يتم أمره . ولما بلغ ابا علي مسير

ابراهيم تلقاه الى همدان وعاهده علي السمع والطاعة والنصيحة وعاد معه الى الري. ثم نهضا جيما الي خراسان وكتب كتابا الي ركن الدولة بانه سائر الي خراسان وأنه قد أفرج له عن الري فكتب عماد الدولة الي أخيه ركن الدولة بالمسير اليها فيادر الي ذلك واضطرب خراسان علي نوح بن نصر

(ذكر ماتم من الحيلة لعماد الدولة في تلك الحال)

لما فرغ عماد الدولة من التضريب بين ابن محتاج وبين صاحبه وتمت المكاشفة بالدولة بينهما^(١٤٤) بادر برد الزرار رسول صاحب خراسان علي نوح برسالة يقول فيها : انه قد ظهر ما كان يندره به من سوء نية ابن محتاج وسعيه عليه وانه لما كاشفه بالحرب مع عمه ابراهيم أنفذ أخاه ركن الدولة الي عسكره حتى اذا سارت جيوش نوح بن نصر الي عنقه والى ابن محتاج واحتاج الي أن يسير ركن الدولة من ورائهم معاونا له عليهما فمل ذلك . وأقبل نوح الي نيسابور في عساكره وجميع من معه من أصحاب جيوشه ورجاله فبرز له ابراهيم وابن محتاج لخارباة وكسراه وأسرا ابراهيم بن سمجور ومنصور بن قرائكين وعددا كثيرا من قواده واستأمن أكثر جيشه والنصف نوح مفلولا علي حال سيئة من الضعف والخيرة واتبعه ابراهيم وابن محتاج وخملا معهما ابراهيم بن سمجور ومنصور بن قرائكين أسيرين واستمرت بنوح الهزيمة الي سمرقند فدخل ابراهيم بن أحمد بخارى ويشتمل علي الخزائن والذخائر وذلك في سنة ٣٣٥ . وكتب ابن محتاج الي عماد الدولة يشره بما جرى ويسئله تجديد أمر السلطان لابراهيم ابن أحمد بالغلغ والعقد له علي خراسان .

(ذكر ما انتهى اليه أمر ابراهيم وابن محتاج مع نوح بن)
(نصر وما اتفق من الاسباب التي أعادت نوحا)
(الى سريره ومقرّ عزه بخراسان ^(١٤٥))

كان سبب ذلك ان ابراهيم أصغى الى قوم حساد لابي علي ابن محتاج
فكانوا يوهونه ان أبا علي إنما استعان به ليجمع له جيوش خراسان فاذا
فرغ من نوح عطف عليه فعامته بمثل ما عامل به نوحا وان الصواب له ان
يحتز منه . فوقر ذلك في نفس ابراهيم وأطلق ابن سمجور وابن قراتكين
وخلع عليهما من غير رأي أبي علي ابن محتاج فاستوحش ابن محتاج
واقبض عن ابراهيم وتمكن ابن سمجور وابن قراتكين من استمالة الجند
وكتابة نوحا وترددت الرسل بينهم سرا . ثم ان نوحا سار الى تقور
خراسان فجمع منها جيشا واستخرج أموالا وعاد الى بخارى فملكها وقهر
عنه وحصل أسيرا في يده فممله وسمل جماعة من أهل بيته

(ذكر الخيل التي تمت لنوح على عمه حتى تمكن منه ومن عسكره)

كان ابراهيم وابن محتاج خرجا الى ظاهر بخارى وعسكرا بموضع
يقال له ريستان فينما هم نزول اذ صاح صاح في الميدان الذي بجذاه دار
الامارة بخارى « نوح يامنصور » واجتمع اليه طائفة من الحشم . ثم ان نوحا
رحف الى عمه ابراهيم وكان يدبير أمره ابن أبي داود البلخي فاحتال على
تقوية قلوب أصحابه بان أعظمهم ان مددا كثيرا قد أقبل اليهم وهم يلحقون
في ^(١٤٦) الليل وكانت الحرب قد وقعت في ذلك اليوم فكانت على نوح .
فلما كان في الليل أتت طائفة من عسكره مع سراكبهم وأمرهم بالإبعاد
فاذا كان في الثبات الآخر من الليل ضربوا بطولهم وبوقائهم وبادبهم

ودخلوا المسكر في صورة المدد قعلوا ذلك فلم يزالوا الى الصبح يدخلون
المسكر على هذه الصورة فلما أصبحوا وتصافوا للحرب استأمن الديلم الذين
كانوا مع ابراهيم وانهمز قوم من أصحابه وانهمز أبو علي ابن محتاج وظفر
نوح بابراهيم وعامله بما ذكرت

وفي هذه السنة مات أبو بكر محمد بن طنج الاخشيد وتقلد مكانه ابنه أبو القاسم
أوجور وغلّب كافور الخادم الاسود وكان خادم الاخشيد على الامر^(١)
وفيها مات علي بن عيسى عن تسعين سنة^(٢)

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وكان ابن طنج جباناً شديد النقط في حروبه وكان
حيثه يحنو على أربعمائة رجل وكان له خمسة آلاف مملوك يحرسونه بالليل بالنبوة كل
بوبة ألما مملوك ويوكل بجانب خيمته الخدم ثم لا يبق بعد ذلك فيمضي الى خيم الفراسين
فيناوم . قال التوخي : لقب الرازي أبا بكر محمد بن طنج أمير مصر بالاخشيد وسبب
ذلك انه فرغاني وكل ملك فرغانة بذما اخشيد كما تدعو الروم ملكها بقبصر والفرس
بكسرى وشاهانشاه والمسلمون بامير المؤمنين وملك أشروسنة الافشين وملك خوارزم
خوارزم شاه ، وملك الترك خاقان وملك جرجان صول وملك آذربيجان اصهبذ وملك
طبرستان يدما سالار . وأبو بكر ابن الاخشيد على مذهب الجياي كان جده يدما بحضرة
المتعضد الاخشيد ولقب على ابنه بذلك وهو من أولاد الملوك بفرغانة .

والجياي هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي شيخ المعتزلة توفي سنة ٣٠٣
كذا في تاريخ الاسلام

(٢) قال صاحب التكملة : حكى هلال بن الحسن : قال أبو علي بن محفوظ : لما
ورد معز الدولة وأبو جعفر الصيمري معه الى بغداد أراد أبو الحسن علي بن عيسى
الركوب اليه وقضاء حقه . وأتفق أنه نزل الى داره ليجلس في سميرية وأبو جعفر محتاج
في طيارة وأنا وأخي وأبو الحسين طيزاد بن عيسى معه فقال لنا : من هذا ؟ قلنا :
الوزير أبو الحسن علي بن عيسى . فقال لابي الحسن بن طيزاد : قدم بنا اليه فأسأله ان
ينزل معنا في الطيار . فقدمنا منه وسلمنا عليه فقال له أبو الحسن طيزاد : الى أين نوجه
سيدنا . قال : أسأركم فقلنا بلقاء الامير الوارد وقضاء حقه . فعملت معي ذلك . فقال له :

(ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلثمائة)

لما اجتمع لمز الدولة أمر بغداد في هذه السنة زاد في التوثق من أمير المؤمنين المطيع لله فاستحلفه يمين عظيمة الا يتغيب عن معز الدولة ولا يغيبه

فيقتل سيدنا الى الطيار فاته أولى . فامتنع . ولم يزل يراجعهم وكان معه ابنه أبو نصر فخطبه حتى قفل وسهل عليه ذلك ونزل . وقام له أبو جعفر الصيمري عن موضعه وقد وصانا ان لا نعرفه اياه وكان أبو نصر عرفه وأراد ان يشمر أباه فلم تدعه طاعة لابني جعفر . وسرنا مصعبين ووصلنا الى معسكر معز الدولة باب الشامية وقدم الطيار الى المشرعة فقال أبو جعفر لابني الحسن : تجلس يا سيدنا بمكانك حتى أصعد الى الامير وأعرفه خبرك وأؤذنه بحضورك . فقال له : لك أطال الله بقاءك عند الامير آرة وبه أنسية : قال : نعم . وصعد فلما صعد قال أبو نصر لايه : هذا الاستاذ أبو جعفر الصيمري . فارتاع وقال له : ألا أعلنتنا ذلك لآوفي للرجل حقه ؟ قال : منعتي أمهانيا . وأقبل على طازاد فقال له : لا أحسن الله جزاءك كذا يفعل الناس ! فقال : والله يا سيدنا ما نعلت ما نعلته الا لان الاستاذ أمرني به ولم تمكنني الخالفة له . فقال . انا لله وانا اليه راجعون . ووجم وجما شديدا ثم قال : من هاذان أعزهما الله ؟ (وأشار اليّ والى أخى) فقال طزاد : ابنا محفوظ . فاستتبته وقال : الذى كان يصحب جعفر بن الفرات ؟ قال : نعم . فقال : قد كان جعفر من الممال الظالمة .

ولما صعد الصيمري الى معز الدولة وجدته على شراب فلم يقل له شيئا وعاد الى على بن عيسى فهض له وأعظمه وقال له : قد جننا على أصحابنا في كتابي موضع الاستاذ حتى كان في قصيرى في قضاء حقه ما لم أحتمله وأنا أعتذر اليه أدام الله عزه من ذلك . فقال : فهل الله بك يا سيدنا وصنع وأى قصير جرى ؟ فالتفت الى طازاد فقال : ألم أوصك بترك اعلامه أمرى ؟ فقال : أبو نصر ولده أعلمه وقد حصلت بين العتب أيها الاستاذ منك ومنه . وقال له أبو جعفر : الامير على حال لا يجوز لهاه مملك عليها وهو يمتد من تأخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها واذا تكلف سيدنا المود في خداة عز لقبه ووقاه من الحق ما يجب ان يوفيه اياه والطيار يا كراهه . وانصرف أبو الحسن وعاد أبو جعفر الى معز الدولة فقال له : واتي على بن عيسى لقاء بك وخدمتك فاعتذرت اليه ضحك بانك على نبيذ ولم يجوز ان يراك عليه . فقال : من على بن عيسى ؟

سواء ولا يُمالي له عدوا فلما حلف أزال عنه التوكيل وعاد الى دار الخلافة واعتزل أبو علي الحسن بن هرون النظر في الامور لتجامل

فقال : وزير المقتدر بالله . فقال : ذلك العظيم ! قال : نعم . قال ما وجب ان ترده فاني كنت أقوم الى مجلس آخر واللقاء فيه . فقال : ما كان يحسن ان يشم منك رائحة شراب وفي غد يا كرك . فقال معز الدولة : وكيف آمنة وما الذي أقول له ؟ فقال له الصيمري : تزجج له بعض الانزعاج وترفع مجلسه وتعطيه مخدة من مخدك وتقول له « ما زلت مشتاقا الى لقائك ومثوقا للاجتماع معك وأريد ان تشير علي في تدبير الامور وعماراة البلد بما يكون الصواب فيه عندك »

وجاء أبو الحسن علي بن عيسى من غد ودخل على معز الدولة فوفاة من الاجلال والاكرام أكثر بما واقفه عليه أبو جعفر وأعطاه مخدة من دسسته فقبلها أبو الحسن وقال له ما يقال لثله فقال له معز الدولة : كما نسمع بك فيعظم عندنا أمرك ويكثر في نفوسنا ذكرك وقد شاهدت منك الآن ما كنت مؤثرا واليه متطلما والدنيا خراب والامور على ما تراه من الانتشار فأشرف علي بما تهضدك في اصلاح ذلك . فقال له أبو الحسن : هذه النية منك أبا الامير داعية الى الخير ومسهلة الى التبعج وطريق الصمارة ودورر المسادة واستقامة أمر الجند والرعية والمدل . والذي أملاك الدنيا وأذهب الاموال وأخرج الممالك عن يد السلطان خلافة وانما يأتي الضلاح ويظرد الاغراض بالولة الموفقين والاعوان المنصحين

وجدتنا عمر بن شبة قال : حدثنا فلان (و ذكر الاسناد عن النبي صلعم) انه قال : اذا أراد الله بوال خير أقبض له وزير صدق ان غفل اذ كره وان رقل أقبظه . وقد وفق الله للامير من هذا الاستاذ (وأشار لابي جعفر) من تمت فيه أسباب الكفاية وبانت فيه شواهد الخاصة ويوشك ان يجرى الخير على يده وينأى المراد بحسن تدبيره . فتراجع أبو جعفر وتوقف عن تفسير هذا القول لمعز الدولة فظن معز الدولة ان توفقه لامر كره ذكرك فقال لابي سهل العارض : انظر ما يقول . ففسر له تفسير الم يفهم عنه ولا استوفى القول فيه وتلجج في ذكر رجال الحديث حتى استفهم معز الدولة أسماهم وقال : هؤلاء أصحاب رسول الله صلعم ؟ فقال أبو الحسن : لا هؤلاء رجال قتلوا لنا الحديث عنه . ثم عاد أبو جعفر الى الترجمة بينهما وقال أبو الحسن : ومن أولى ما نظر فيه الامير وقدمه سد هذه البثوق هي أصل الفساد وخراب السواد . فقال له :

الصيمري^(١١٧) عليه ومصادرة كاتبه فرد النظر في الاعمال الى أبي الحسين على بن محمد بن مقله من قبل أبي جعفر الصيمري ورعى له معز الدولة مكابته له أيام مقامه في الجانب الغربي فلما عبر معز الدولة ولقيه لزمه ثم رد في هذا الوقت اليه النظر في الامور^(١) وقُلد كتبه الخليفة أبو أحمد الفضل

وقد نذرت لله عند حضوري في هذه الحضرة الأقدم شيئاً على ذلك ولو تفتت فيه جميع ما أملاك . قال : إذن يحسن الله عونك ويدل لك على صعب ويسهل كل مراد بين يديك . فلما أفضى القول بينهما في ذلك قال معز الدولة : أذكر حوائجك لا أقدم فيها بما أفضى به حقاك . قال : الحاجة الحاضرة هي الي الله تعالى في ان يطيل بقائك ويدم علاك ومتى عرضت من بعد حاجة اليك كان المعول فيها عليك . قال : لا بد من ان تذكر شيئاً . قال حراسة منازل قائمنا تشمل على عدد كثير من بين وبنات وعجائز وأهل وأقرب وأتباع وأصحاب . قال : هذا أقل ما اقله . ومنه أبو الحسن وشيعة أبو جعفر وشي الغلان بين يديه .

وتوفي أبو الحسن بعد عبور معز الدولة وهزيمة ناصر الدولة يوم فضي أبو عمران موسى بن قتادة وكان معه مائتا رجل من الديلم فنزل داره . وركب الصيمري اليها وقد فرغ من تجهيزه ووضع في تابوته ففلى عليه وقال لوسي : اخرج من هذه الدار فما يجوز نزولك فيها . فقال لا اخرج . فقال لا أمكنك منها . فقال لا أقبل منك . قال اذا لم قبل أكرهتك . وتنابذا بالقول تنابذا تولدت منه فتنة واجتمع الي موسى أصحابه والى أبي جعفر آخرون وعرف معز الدولة ذلك فادر لاطفاه النائرة وقال للصيمري ليس هذا وقت ذلك . قال بل أيها الامير هذا وقته ومتى اقتضنا أمرنا بسقوط هيتنا استمر ذلك وبعد تلافيه وازداد الامر من بعد وهناً والطمع استحكماً . فاخذ معز الدولة بيد موسى بن قتادة فاخرجه منه وقال له يكون نزولك في الدار التي أزلها ولا تفتح أمرأ بما يجيح من انزواج أولاد هذا الشيخ المشهور ذكره في الدنيا وعياله عن منازلهم وأوطانهم . وبقيت دور أبي الحسن على ولده ودور (ابن) أخيه أبي علي بن عبد الرحمن عايه في حياته جعل أبي حضر ناقله .

(١) زاد صاحب التكملة . وكان ابن مقله يواصل معز الدولة في أيام الحصار بالهدايا والاخبار فلما عبر الى الجانب الشرقي سما داره بها واستخدمه . فاخذ في المصادرات

ابن عبد الرحمن الشيرازي وسُلمت اليه ضياع الخدمة ارتفاع مائتي ألف دينار في السنة

وفيها ورد الخبر في المحرم بدخول الامير دكن الدولة الريّ وانه ملك الجبل باسره .

وفيها ورد أبو بكر ابن قرابة من عكبرا برسالة ناصر الدولة يلتمس فيها من معز الدولة الصلح وقد كان تردد قبل هذه الوقعة مرات فتقرر أمر الصلح على ان يكون في يد ناصر الدولة من خد تكريت الى فوق ويضاف الى أعماله مصر والشام على أن لا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئاً مما كان يحمله من المال ويكون الذي يحمله عن مصر والشام ما كان يحمله الاخشيدي محمد بن طنجع عنهما وعلى أن يدرّ ناصر الدولة الميرة الى بغداد ولا تؤخذ لها ضريبة وحلف معز الدولة بمحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به

وأنفذ القضاة مع ابن قرابة الى معز الدولة لآتماس الصلح^(١١٨) بغير موافقة منه للآتراك ولا علم منهم فلما علموا بذلك وظهر أمر الصلح اجتمع الآتراك للإيقاع به وأحسن ناصر الدولة بذلك فخرج بالليل وعبر الى خيمة ملهم . وكان ملهم والقرامطة في الجانب الغربي والآتراك وناصر الدولة في الجانب الشرقي واستجاره فاجاره^(١١٩) وسيّره في الجانب الغربي ومعه ابن

للتجار والشهود فصادف أحد العامة معز الدولة منصرفاً متقدماً نصف النهار فعرفه ما الناس فيه من الخوف فقدم بصرف ابن مقله . واستقرت دور ابن شيرزاد ودوز أسبابه وأخيه وصودر على مائة وعمانين الف درهم. وقد معز الدولة الشرطة أبا العباس بن خاقان (١) قال صاحب التكملة فاستجار بأم ملهم حتى أمرت ولدها بتسييره

شيرزاد وبقي الأتراك في الجانب الشرقي . فلما فاتهم ناصر الدولة اجتمعوا على تأمير تكين الشيرزادي وقبضوا على أبي بكر ابن قرابة بعد ان نزل به مكروه عظيم وقبضوا على كتاب ناصر الدولة وأسبابه وساروا يطالبونه واستأمن ينال كوشه ولؤلؤ الى معز الدولة واسرع ناصر الدولة في سيره فلم يلحقه الأتراك . ولما صار الى مرج جهينة قبض على ابن شيرزاد وسلمه وعلى طازاذ وعلى أبي سعيد وهب بن ابراهيم وجوهر خادم ابن شيرزاد وأنفذ جماعتهم الى القلعة . ولم يتلبث ناصر الدولة ومضى الى نصيبين ورحل تكين الشيرزادي والأتراك الى الموصل وغلبوا عليها ثم ساروا في طلبه فمضى الى سنجار فقبضوه وكتب الى معز الدولة يستصرخه فانفذ اليه معز الدولة جماعة من قواده ثم أنفذ أصفه دوست بدمهم ثم أخرج الصيمري . ولما سار^(١١١) تكين الشيرزادي الى سنجار في طلب ناصر الدولة سار من سنجار الى الحديثة فبعه تكين الى الحديثة فلما قرّب منه سار ناصر الدولة الى السن وهناك لحق به جيش معز الدولة وأبو جعفر الصيمري واصفهدوست فساروا باسرم الى الحديثة للقاء تكين الشيرزادي . ووقعت الواقعة بالحديثة وكانت شديدة فانهزم تكين وتقطع أصحابه واستؤسر منهم وجوه القواد وجماعة من الاصغر وقتل منهم خلقٌ بعد ان كان استعلى واستظهر في الحرب

﴿ ذكر السبب في هزيمة تكين والظفر به بعد استملائه ﴾

كانت العرب على كثرة عددم في عسكر الصيمري يتقصون صفوف الديلم ولا يصدتون اللقاء فقال لهم الصيمري : اعزلوا عنا ولا تدخلوا بيننا وانظروا فان انهزم واحد منهم فابعوه وان ثبت فدعونا واياهم ما دام نأبأ

واعلموا انكم اذا قربتم منا واختلطتم بمصافنا بدأنا بكم قبل اعدائنا . فعملوا واعتزلوا وصبر الفريقان وحمل الأتراك حملات شديدة ثبت لها الديلم ثم وثبوا في وجوه الأتراك فلما ولوا حمل عليهم العرب ووضعوا الرماح بين ظهورهم ونكسوم فأكثروا القتل والأسر . ثم استأسر^(١٠٠) جنود تكين الشيرزادى فقتربوا به الى ناصر الدولة فسمله للوقت وأخذته الى قلعة من قلاعهِ وسار ناصر الدولة وأبو جعفر الصيمري الى الموصل فزل الصيمري في الجانب الشرقي بإزاء الموصل ودخل اليه ناصر الدولة وحصل عنده في خيمته وخرج من عنده وعبر الى الموصل ولم يعد اليه بعدها .

حكى عن ناصر الدولة انه قال : لما حصلت مع أبى جعفر الصيمري في خيمته ندمت وعلمت انى قد أخطأت وغررت فبادرت الى الانصراف . وحكى عن الصيمري انه قال : لما خرج من عندي ناصر الدولة ندمت على تركي القبيض عليه وعلمت انى قد ضيقت الحزم وأخطأت بعد ان فاتني الصواب ثم تسلم أبو جعفر الصيمري طازاذ ووهباً وجوهراً والف كر حنطة وشعيراً وأنحدر بهم الى بغداد مع ابن لناصر الدولة رهينة يقال له هبة الله وأدخل ابن شيرزاد بعده يوم الى بغداد موكلاب^(١٠١) وصاحبه معز الدولة

(١٠١) قال صاحب التكملة . وضمن لناصر الدولة طازاذ وأبو سعيد وهب النعماني الكتاب (وهو الكتاب الذى مدحه ابن تباته) حسين الف دينار على ان يطلقه فلم يفعل بسلبه الى الصيمري وكان الصيمري مرغياً لطازاذ . وقال أيضاً وكتب أبو عبد الله ابن تواتة (وترجمته في ازشاد الاريب ٢ : ٨٠) عن المطيع لله كتاباً بالفتح الى عماد الدولة منه فلم يفر العجاج الا عن قبيل مرسل أو غريق معجل أو جريح معطل أو أسير مكبل أو مستامن معصل أو حنينة ملاءها الله بلا نصب أو غنيمة أقاله الله بلا نصب . وفي هذه الحنة صرف أبو الحسن محمد بن الحسن بن أبي الشوارب عن القضاء بالجانب

على خمسمائة الف درهم ثم حمل ناصر الدولة تكين الشيرزادي مسمولا الى معز الدولة فأحسن اليه معز الدولة وأطلقه واقطعه اقطاعا .

وفيها خرج لشكرروز بن سهلان في جيش الى الاهواز ومعه عامل خراج وظهرت الوحشة بين الامير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدي وقبض معز الدولة على نبال كوشة^(١٥١) وكان استجبه وعلى أرسلان كور وعلى فتح للشكري وحملهم الى قلعة رامهرمز

وفي يوم الاحد ثمان خلون من شوال ضرب الصيمري ابن شيرزاد بحضرته بالمقارع وطالبه بمال المصادرة وانحدر الصيمري الى الاهواز وفيها جرت وقعة بين أصحاب البريدي وبين أصحاب معز الدولة فكانت على البريدي وأسر منهم نحو مائتي رجل من وجوه الديلم

الغربي وضيف الى عمل القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي ويعرف بان أم شيان . وفي النصف من شعبان خرجت العامة لزيارة قبر الحسين وعقدت الفياض الطاق . وورد الخبر ان سيف الدولة قضى على الفراريطي واستكتب بعده أبا عبد الله بن فهد الموصلى . وفي هذه السنة انقضت قطرة دهما بأسرها . وفي تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة ولما مات الاخشيد بدمشق صار سيف الدولة من حلب فلك دمشق واستأمن اليه يانس المونسي ثم صار سيف الدولة وزل الزملة . وجاء من مصر انوجور بن الاخشيد بالجوش والقلم بامر كافور الجندم فرد سيف الدولة الى دمشق . وثار وراءه انصريون فانهزم الى حلب فملروا خلفه فانهزم الى الرقة ثم تصالحوا علي ان يهود سيف الدولة الى ما كان يسعه . قال المسحجي وكان بين سيف الدولة وبين أبي المظفر حسن بن طنبج وهو أخو الاخشيد وقعة عظيمة بالهجون فانكسر ابن حمدان ووصل الى دمشق بعد شدة وتشتت وكانت أمه بدمشق فزل المرح خاتفا وأخرج حواصله وثار نحو حصن على طريق قلرا وثار أخو الاخشيد وكافور الاخشيد الى دمشق ثم سار الى حلب في آخر السنة واستقر أمرهم . وكثرة المظفر لابن حمدان مذكرة في كتاب الولاية لابي عمر الكندي من ٢٨٥

﴿ ودخلت سنة ست وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفيها سار الطيع لله والامير معز الدولة الى البصرة واتزعاها من يد أبي القاسم البريدي فسار من واسط في البرية على الطوف فلما صاروا في البرية ورد على الامير معز الدولة رسول الهجريين القرامطة من هجر بكتاب منهم اليه بالانكار عليه في سلوك البرية من غير أمرهم اذ كانت لهم فلم يجب عن الكتاب وقال للرسول: قل لهم « ومن أنتم حتى تستأذنوا في سلوك البرية وكفى أنا أقصد البصرة انما تصدى بلدكم واليكم بمد فتحي اياها وستعرفون خبركم » وكلام في هذا المعنى فانصرف الرسول . وانحدر أبو جعفر الصيمري وموسى فيادة في الماء فملك مسباران ودخل دار البريدي بها بعد حرب يسيرة ووصل الخليفة والامير معز الدولة الى الدرهمية فاستأمن اليه ^(١٥٢) جيش البريدي بأسره وهرب أبو القاسم البريدي الي هجر وملك معز الدولة البصرة فاحتمت الاسعار كلها ببغداد انحلالا شديدا . وقبض معز الدولة على جميع قواد البريدي بالبصرة واستخرج أمواله وودائمه وقبض خزائنه وأحرق كل ما وجد له من آلات انشاء من الشدات والطيارات والزبازب واستدعى لؤلؤا من بغداد فقلده أعمال البصرة والحرب . ووصل معز الدولة من البصرة الى الأهواز لياق أخاه عماد الدولة وتأخر الخليفة والصيمري بالبصرة . وتأخر كوركير عن صحبة معز الدولة من غير موافقة وقيل انه في التدبير عليه وعقد الرياسة لنفسه فوجه اليه بابي جعفر الصيمري فامتنع عليه وحاربه في داره فظفر به أبو جعفر وقبض عليه وصار به الي معز الدولة فأخذته الي القلعة برامهرمز

ولقى معز الدولة أخاه عماد الدولة فقبل الارض بين يديه واجتهد به
 عماد الدولة أن يجلس بين يديه فلم يفعل وكان يتردد اليه كل يوم بالعداء والمشية
 فيقف ولا يجلس . وقيل الابر معز الدولة ان عماد الدولة يريد أن يسأله
 في الافراج عن رامهرمز وعسكر مكرم فحكى أبو الحسن للمفروخي^(١)
 انه كان مع معز الدولة وكان عماد الدولة ورد أرجان فالتقيها قال : فدعاني
 عماد الدولة وقال : بلغني انه حكى لآخي^(١٢٣) اني وافيت الى هذا الموضع
 لا تجمع منه بعض أعمال الاهواز . وضرب يده الى الحية وقال : سوءة لها
 انما تواضعت لهذه الحال امن لي حتى احتاج الى استكثار البلاد وادخار
 المال له ؟ هذا وأخوه ابناى وانما أريد الدنيا لهما والله ما وافيت الا لا اعتقد
 ما بينهما من الرياسة حتى لا يجري خلاف ان حدثت بي حادثة فاني عليل
 كما ترى واسأله أن يقدم الكبير على نفسه كما جرت العادة وبارك الله له في
 بلاده ولو أراد بعض فارس لو هبته له ولقد أصبحت وأمسيت وما منى
 على الله الا العافية وسلامتهما وبقاؤهما فأنهما أخواي بالنسب وابناى
 بالترية وصنيتاي باولايات ومن لي غيرهما فيقدر ما يقدر . (قال) فعدت
 الى معز الدولة وحدثته بالحديث فبكى وحضر في آخر النهار عند عماد
 الدولة فاسرف في الشكر والدعاء وتذكر الكلام فبكى بحضرة حتى
 ضمه عماد الدولة الى نفسه .

ثم أنصرف الى بغداد وامتد الى باب الشماسية وقدم الخليفة فزل
 بالريديته . وأظهر معز الدولة انه يريد الموصل وكتب عن المطيع لله كتابا
 الى ناصر الدولة وورد أبو بكر ابن قرانه الى هناك بجواب الرسالة وردد

(١) هو محمد بن أحمد كذا في ارشاد الارب ٣ : ١٨١

مرات ثم حمل المال وتم الصلح^(١)

﴿^(١١) ودخلت سنة سبع وثلاثين وثمانمائة﴾

وفيهما ورد الخبر بوقعة للروم مع سيف الدولة انهزم فيها سيف الدولة
وأخذ الروم مرفشاً وأوقعوا باهل طرسوس^(٢)

وفيهما قبض معز الدولة على اصفهدوست وحمله الى قلعة رامهرمز^(٣)

ذكر السبب في ذلك

كان اصفهدوست خال ولد معز الدولة وولد له من أخته الحبشي وكان
يكتر الدالة عليه ويقل الهيبة له وكان يزري عليه في كثير من أفعاله وبلغ معز
الدولة عنه انه يرسل المطيع لله في الايقاع به وانه قد استجاب له الى ذلك

(١) قال صاحب التكملة . ولما ورد المطيع لله من البصرة وكان في محبته أبو
السائب عقبة بن يزيد الله الهمداني فولاه قضاء القضاة وصرف ابن أم شيان ولم يرتزق
أبو السائب واستخلف أبا بشر عمر بن أكنم . وورد الخبر بأن ركن الدولة فتح
طبرستان وجرجان وهزم وشمكير بن ذيلر واستأسر من أصحابه مائة وثلاثة عشر قائدا
وفي ذي القعدة ضمن روزبهان الديلمي السواد والضرائب بعشرة آلاف درهم
واستكتب على ذلك ابن سنجلا . وضمن الصيرى أعمال واسط واستكتب عليها أبا
الحسن طازاذ . وفي ذي الحجة خلع معز الدولة على هبة الله بن ناصر الدولة الذي كان
رهينة عنده وأقنذه مع ابن قرابة الى أبيه

(٢) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٣٦ . وفيها غارت الروم لعنه الله
على أطراف الشام فسبوا وأسروا فساق وراهم سيف الدولة ولحقهم فقتل منهم مقتلة
واسعد ما أخذوا ثم أخذ حصن برزبة من الاكراد بعد ان نازلهم مدة ثم اقتحمه في

سنة سبع

(٣) قال فيه صاحب التكملة . وقبض على اصفهدوست لانه اشار على معز الدولة
ببإيعة ابن عبد الله ابن الداعي فقال الصيرى انه قصد ان يوليه الامارة اذا صار الامر
اليه فكان ذلك سبباً لاعتقاله رامهرمز ومات بقلعها معتقلاً .

فلما كثر عليه ذلك قبض عليه

وفيه ورد الخبر بان ركن الدولة هزم العلوى الذي كان بمرجان وطبرستان

وفيه دخل أبو القاسم البريدى فى الامان الى بغداد ولقى ممز الدولة

وقبل الارض بين يديه وأنزله وأقطعه بمائة وعشرين الف درهم ضياعاً^(١)

وفيه ورد الخبر بسمير السلاز وهو المرزبان بن محمد الى الزى طامعاً

فبها وفى دفع ركن الدولة عنها غاربه ركن الدولة وأسره مع ثلاثة عشر قائداً

من قواده وحمله الى القاعة بسميرم وحبسه فيها وعاد الامير ركن الدولة

الى الرى وقد شرحنا أمره على الاستقصاء فيما بعد

وفيه خرج الامير ممز الدولة^(١٥٥) الى الموصل ودخلها ووجرت

مراسلات بين ناصر الدولة وممز الدولة استقر آخرها على ان يحمل عن

الموصل وديار ربيعة وديار بضر والرحبة والشام فى كل سنة ثمانية آلاف

الف درهم ويقم الخطبة لعماد الدولة وممز الدولة وبختيار بن ممز الدولة وأخذ

الفضل والحسين ابى ناصر الدولة رهينة وانصرف الى بغداد . ولم يكن

الصيمرى أخذ خط ناصر الدولة بهذه المفارقة وذلك لان ابن قراتكين

غلام صاحب خراسان قصد الرى واضطرب ممز الدولة فبادر الى بغداد

لينفذ منها جيشاً الى أخيه فوسف أبى جعفر عمقاً شديداً فى فصل القصة .

فقال الصيمرى تسكيناله : ارحل اذا شئت فقد أخذت الخط بثمانية آلاف

الف درهم . ونما بمض الخبر الى ناصر الدولة فامتنع على أبى جعفر من بذل

الخط وخاف أبو جعفر أن يخبر الامير ممز الدولة بالصورة بعد الاعتراف

(١) زاد صاحب التكملة . واعاد عليه ضيقه المرونة بفروخباذ من بادوريا

وانزله فى الدار المعزوفة بالموزة بمرزعة الناج عتاطاً عليه .

فلا يقبله العثرة والمخدر الى بغداد

فقال أبو محمد المهلبى وكان يخلف الصيمرى : قلت لابي جعفر : بأى شىء تمتج على الامير اذا طالب بهذا الخط فلم تحضره اياه ؟ قال : اطلب ابن قرابة حتى يكتب خطه عنه فانه لا يقدر على مخالفتى ثم ان أنكر ناصر الدولة قلت انه خليفته وما كتب عنه يلزمه . قلت : فان لم يكتب ابن قرابة خطه وهذا مما لا يجوز ان تكلمه عليه ؟ قال : زور^(١٥٦) على خط ابن قرابة . (وكان بغداد من زور على الخطوط عجيباً) قلت : فاذا صح رأيك على هذا فلا تطالب ابن قرابة بكتب الخط فانه ان امتنع عليك بطل التزوير به ولكن زور . فزورنا والله على خط ابن قرابة ضمناً بنمانية آلاف درهم وخرج الصيمرى لحرب عمران ثم حدثت الحادثة من موت عماد الدولة وشخص وكانت كرتة التي ما عاد بعدها . ووافى ابن قرابة وطالبت بالمال فابى وأرثه الخط فجدده وحلف بالطلاق انه ما كتبه ثم قال : ما أشك انه خطى ولكن ما كتبه . ثم هذا يا هذا انا قد شككت فكيف غيرى من أشبهه عليه الخطوط ؟ وأنت تعلم يا أبا محمد ان ناصر الدولة امتنع من كتب الخط على ابي جعفر وان أبا جعفر خرج وما أخذه وقد أحاطت بى البلوى وليس هذا حقى عليك . فقالت : الاستاذ أبو جعفر غائب وكلامك فيه لا يقبل والامير ينصر وزيره ولا ينصرك ويشهد ونحن معه ان هذا خطك لكلا يبطل ماله ويصير محصوه مخاصمة وزيره ولكن الرأى ان تقول للامير : « لما حدث أمر ابن قرانكين وخرج الجيش الى الرى طمع ناصر الدولة وجعد الضمان والوجه مقارنته حتى يصح من جهته بعض الملك والا بطل الاصل ثم اذا زال هذا الشغل بعد سنة صار^(١٥٧) الكلام لسنة مستأقمة

ويعجل شيئاً يؤخذ منه فان هذه السنة أصلح ، فأعاد ذلك على الامير معز الدولة ودعاني على خلوة وقال لي : أى شيء ترى ؟ فقلت : الوجه ان تقارب وتأخذ ومتى تمسكنا من قصد الموصل فالضمان معنا ونحن نستوفي تمام الغمانية آلاف الالف الدرهم . قال : فافعل . وقررنا الامر على ثلاثة آلاف الف درهم لسنة واستوفيناها . وكان الصيمرى لما انصرف من عند ناصر الدولة بالصلح صار ناصر الدولة الى الموصل وعسف الناس وطالبهم بالالتجيل . وفي هذه السنة خرج سبكتكين الحاجب ومعه أكثر الجيش والقرامطة الى الري مددا لركن الدولة ثم أتبعه معز الدولة بروزبهان وعليان وجماعة من الديلم ولحقوا به

(ذكر السبب في ذلك)

كان السبب فيه أن جيش خراسان تمركز فورد الخبر على ركن الدولة وكان ابن عبد الرزاق من كبار أصحاب الجيوش بخراسان الا أنه كان مستوحشا من صاحبه فكاتب ركن الدولة بأنه صائر اليه في الجيش الذي معه فاستمد له ركن الدولة واعدت أصناف الكرامات له . وكاتب أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه معز الدولة وأخاه أبا الحسن على بن بويه عماد الدولة فدخل كل واحد منهما اليه شيئاً كثيراً من المال والدواب^(١٥٨) والسياب والالطاف فصرفها كلها اليه مع ما أضاف اليه من جهته وذلك بعد أن حضره ووطئ بساطه ورده الى الدامغان فوصل اليه شيء لاعهد له بمثله وانما رده الى الدامغان لئلا يتضايق الري بالعساكر وقيل له : فرق من الاموال ما ترى على من ترى . ثم استقر الرأي بين الامراء الثلاثة أعني عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة على تقليد ركن الدولة خراسان والمقد له عليها ليكون

محلوته اياهم على الاصل والولاية . ثم وردت الاخبار بحركة الرزيان بن محمد بن مسافر وهو السلار وانه عازم على قصد الري لمحاربة وكن الدولة مفتتاً وورود جيش خراسان وانه سيسفله ذلك عنه . فندب عند ذلك معز الدولة سبكتكين الحاجب السير الى ركن الدولة مددآ له بعد أن عظم أمره ونغم شأنه وضم اليه جاهير عسكره وأكابر قواده وفيهم بوريش وروزبهان ومن يجزي مجراها وقطعة وافرة من الأتراك وثلاثة آلاف من شجعان العرب المروفين فيهم ابراهيم بن المطوق المعروف بابن البارد وعمار المجنون واحمد بن صالح السكلابي وطبقتهم وأطلق الاموال وأزاح العمل في الخيل والسلاح وغيرها . وكتب عهد ركن الدولة على خراسان وعقد لواءه وحملت الخلع اليه معه وخرج بذلك أحد حجاب^(١٥٩) السلطان مع سبكتكين الحاجب فسارت الجماعة معه على أتم أهبة . فلما وصل العسكر الى ظاهر الدينور خلع بوريش الطاعة وأنف من متابعة سبكتكين والمسير تحت رايته وجمع الى نفسه الديلم الذين في العسكر فاستجابوا له جميعاً وبكروا عليه في غداة غد وهو فيها غافل جالس في خيمة له فمافصوه ورماه بزوين اثبتة في كتفه وولى من موضعه وخرج مجروحاً من تحت ذيل خيمته وركب جنيدة الزوبة فبرز الى الصحراء وتلاحق به غلمانه وسائر الأتراك مع العرب وتمكن الديلم من رحله وسواده فنهبوه وسلب رحل حاجب السلطان الذي منه الخلع فذهبت في النهب . وتجزى الديلم كلهم مع بوريش الآ روزبهان ونفر آ قليلا معه فانهم اختاروا طاعة سبكتكين على طاعة بوريش وسمو بوريش هاتماً على وجهه ورجع عنه الديلم الى سبكتكين فقبلهم سبكتكين وبسط عندهم ولم يسي^١ المهاجرة منهم . وأمر للعرب بطلب بوريش فلم يكن بأسرع من

أن يوافي به ابراهيم بن المطوق المعروف بابن البارء أسيراً مسلوباً فأقيم بين يدي سبكتكين فخطبه مما يجرى مجرى النشفي واسمه القبيح ثم أمر بتقييده ورحل الى همدان واستأنف تجديد الخلع التي انتهت حتى^(١١٠) أقام العوض عنها ثم تم السير الى حضرة ركن الدولة فوجده نازلاً بباب الري فلم يورث اليه فكان آخر العهد به . ولبس الخلع فبرز فيها للناس وقرى عهده على خراسان بمشهد من القضاة والقواد ووجوه الناس ووافاه المدد من شيراز واستدعى محمد بن عبد الرزاق من الدامغان لمناجزة المرزبان فإنه كان أهم وأولى بالابتداء فلما واقعه ظفر به وأخذ أسيراً كما حكينا في أخباره

(ودخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة)

وفيها انحدر أبو جعفر الصيمري لمحاربة عمران بن شاهين وكان هذا الرجل من أهل الجامدة^(١١١) وجنى جناية فهرب الى البطيخة من سلطان الناحية فأقام بين القصب والاجام واقتصر على ما يصيده من السمك قوتاً ثم اضطر الى معارضة من يسلك البطيخة متلصصاً وعرف خبره جماعة من صيادي السمك فاجتمعوا اليه مع جماعة من المتلصصة هناك حتى حوى جانبه من السلطان فلما اشفق من أن يقصد استأمن الى البريدي فقلده أبو القاسم الجامدة للحماية والاهواز التي في البطائح فما زال يجتمع الرجال الى أن كثرت أصحابه وقوى قلبه على تلك النواحي .

وفيها ورد الخبر بان ابن قرانكين غلام صاحب خراسان^(١١٢) انصرف الى نيسابور وتفرقت جموعه عنه وبقي وشمكير بطبرستان فسار اليه ركن

(١) زاد صاحب كتاب العيون . وهي قرية من اصف واطراف يزعم انه عربي من بني سليم ولكنه سوادى المنغول واللغة وكان قد جنى الخ

الدولة يريد به فلما قرب منه انصرف بغير حرب وعارضه علي بن سرخاب
أحد قواد ركن الدولة فواقع بسواده واستأمن أكثر أصحابه وشمكير الى
ركن الدولة ودخل ركن الدولة آمل

وفيها أوقع الصيمري بمران بن شاهين دفعةً بعد دفعةً واستأسر أهله
وعياله وهرب عمران بن شاهين واستتر . ثم ورد الخبر بموت عماد الدولة
علي بن بويه فاضطرب الجيش هناك وكتب معز الدولة الى الصيمري بالمبادرة
الى شيراز لاصلاح الامور وبها فترك الصيمري ما كان فيه من طلب عمران
ابن شاهين وبادر الى شيراز . ووافق ركن الدولة الى شيراز واجتمعوا على
تقرر الامور وضبط البلد واصلاح أمر الجيش فلما استقام الامر وصالح البلد
سأله الى الامير أبي شجاع فناخسره بن ركن الدولة وانصرف عنه

وكانت عماد الدولة التي مات فيها قرحة في كبد طالت به ونهكت
جسمه^(١٦٢) ولما مات نفذت كتب الخليفة بأنه قد نصب أخاه الامير ركن
الدولة مكانه وجعله أمير الامراء .

وتنيرت نية الامير معز الدولة على أبي الحسن المافروخي وقبض على
أبي محمد علي بن عبد العزيز ابن عمه بالبصرة ثم على أبي الحسن بدمه لما
عجزا عن^(١٦٣) ضمان البصرة والاسافل فان أمرها كان مشتركاً وكتب
الى أبي جعفر الصيمري وهو بشيراز بان يُنفذ اليه أبو الفضل العباس بن
فسانجس فانفذه وقلده الدواوين التي كانت الى أبي الحسن المافروخي
ويسألها منه قبل ان يستكتب الامير معز الدولة أبا محمد الميمني بأسبوع
ثم حاول ان يدخل يده في ديوان السواد ليحرق في ديوانه فتمعه أبو محمد

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وله نع وخمسون سنة

المهلبى واحتج عليه بان هذا الديوان كان يجرى فى ديوان الصيمرى ثم حاول أن يدخل يده فى ديوان النفقات وكان يتولاه أبو الفضل العباس ابن الحسين الشيرازى وفى ديوان الجيش وكان الى سهل بن برديشت وفى حساب الخزانة الذى يتولاه أبو على الحسن بن ابراهيم الشيرازى^(١) ففنه معز الدولة من ذلك لخصوص هذه الطائفة به^(٢) وسكونه اليها

وفىها ورد الخبر بان كوركير وبنال كوشه قتلوا الموكلين بقلمة رامهرمز وكسرا قيودهما وخرج بنال كوشه وهرب فلقبه الاكراد وما منهم فقتلوه ولم يخرج كوركير ولا فتح اللشكرى ولا ارسلان كور ولا اصفهدوست وكتب معز الدولة الى أبى جعفر الصيمرى وهو بشيراز ان يبادر الى القامة وحفظها فبادر وكان اصفهدوست عليلا من قونج فبات بها . ولما بعد الصيمرى عن عمران^(٣) وشغل بهذه الاسباب بعد ان لم يبق فى أمره شىء تنفس وخرج من استتاره وعاد الى أمره وجمع اليه من كان تفرق عنه من رجاله وقوى أمره .

وفى هذه السنة أحس على بن بويه عماد الدولة بالموت لمخافة الطل اياه وخاف ليُمد أخيه عنه وكثرة من فى جلته من كبار الديلم ان يطمع فى مملكته بعده فاستدعى فناخسره بن ركن الدولة من أبيه ليرشحه للامر بعده ويأنس به القواد والجيش ففعل ذلك وسار فناخسره بن ركن الدولة الى شيراز وضم عسكره اليه أبوه حاشيته الثقات ولما قرب من شيراز تلقاه عماد الدولة فى جمع وأجلسه فى داره على السرير وأمر الناس بالسلام عليه ووقف بحضرته لثلاث يمتع أحمد فكان يوما عظيما مشهودا ثم عبد اليه بعد ذلك ومات

(١) هو « النصرانى » فى ارشاد الاريب: ٣ : ١٨٢ (٢) ليس فى الاصل

﴿ ذكر استعمال حزم واستظهار من عماد الدولة قبل موته ﴾
كان عماد الدولة يهتم جماعة من أكابر قواده ويعرفهم بطلب الرياسة
لأنفسهم وكانوا يرون أنفسهم أكرم منه من نصبا وأحق بالولاية فنظف
سكبه منهم وقبض على جماعة . فكان ممن قبض عليه شيرنجين بن جليس
فخوطب فيه وتشفع فيه ^(١٦٤) وجوه حاشيته وثقات أصحابه فقال لهم : اني
أحدثكم عنه بحديث فان رأيتم بعد استماعه ان أطلقه قلت . ثم ابتدأ
يحدثهم انه كان بخراسان في خدمة نصر بن أحمد قال : ونحن يومئذ في
خدمة من الديلم وكان يجلس نصر بن أحمد للسلام في كل أسبوع مرتين
بفلس ذات يوم وحواليه من مماليكه ومماليك أبيه بضعة عشر آلاف
غلام سوى سائر المسكر فرأيت شيرنجين هذا قد جرد دشنيا ^(١) واشتمل
عليه بكسائه فقلت له : ما هذا ؟ قال : أريد أن أصنع اليوم ما أذكر به آخر
الدمر . قلت : وما هو ؟ قال : اذنو كاني متظلم أو طالب حاجة فاقبل
الارض ولا أزال اذنو حتى اذا وثقت بالوصول الى هذا الغلام (يعني نصر
ابن أحمد) فتسكت به ثم لا أبالي ان أقتل بعده وقد أنفت من القيام بين
يدي صبي (وكان لنصر بن أحمد يومئذ عشرون سنة وقد خرجت لحيته)
فعلت انه ان فعل لم يُقتل وحده حتى تُقتل كلنا معه مماثر الديلم فأخذت
بيده وقلت له : ابني وبينك حديث . وجدت عليه الديلم وحدثهم بما عم به
وما يحىء علينا كلنا ان تم له ما يريد فقبضوا على يده وأخذوا منه الدشنى .
أقتر بدون من بعد ان سمعتم رأيه في نصر بن أحمد ان أمكنه من الوقوف
بين يدي هذا الصبي ؟ ^(١٦٥) فامسكوا عنه وقالوا : الامير أعلم بحيشه . ولم

يزل محبوبا حتى توفي في محبته .

وفي هذه السنة قُلت أبو السائب عتبة بن عبيد الله قضا القضاة ^(١)

﴿ ودخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ﴾

وفيهما ورد الخبر بدخول ابن قراتكين غلام صاحب خراسان الى الري وانصراف من كلن بها من أصحاب ركن الدولة وكان ركن الدولة بطبرستان واستولى أصحاب ابن قراتكين على الجبل كله .

وفيهما مات أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري في حُمى حادة بالبزبوني من الجلادة لما عاد لمحاربة عمران بن شاهين ^(٢)

وفيهما استكتب معز الدولة أبا محمد الحسن بن محمد المهلبى ولما ورد

(١) وله قصة مع صاحب ابن عباد : ارشاد الارب ٢ : ٣٣٨

(٢) زاد صاحب التكملة : وكان الصيمري محمد المهلبى على تخصيصه وأدبه فكان اذا جلس معه على الطعام رأى كلامه وفصاحته فيأمر الفراشين بيمينه فيطرحون المرقعة على ثيابه فكان المهلبى منصبا به وكان يستصحب مع غلامه دائما ثيابا يغيرها ماعليه . وقال أيضا : ولما خرج الصيمري في هذا الوجه استخاف أبا محمد المهلبى فلما علم نفاقه على معز الدولة أطلق لسانه فيه فكان أبو محمد قد تبقتن انه يهلك على يد الصيمري فأنفذ الى معسكره طيورا وأوقف من يكتب عليها اخباره فأناه البراج بطير قد أقبل بالماء بكتاب لم يقف عليه فقال للصائبي (يعني أبا اسحق إبراهيم بن هلال الذي ولى ديواز الرسائل بعد أبي عبد الله بن نوبة في سنة ٣٤٩ كذا في ارشاد الارب ٢ : ٨٠) . تلطف في قراءته . فقراه بعد جهد فاذا فيه « هلك الصيمري » فدخل الى معز الدولة وعزاه وجلس للعزاء به . وترشح للوزارة أبو على الطبرى وهو عامل الاهواز قال التنوخى . من أعظم المصادر مصادرة معز الدولة لابن على الحسن بن محمد الطبرى صادره على خمسمائة الف دينار فلما مات الصيمري طمع في الوزارة وبذل فيها مالا عظيما قدم منه اول نوبة ثلاثمائة الف دينار فلما بين عليه خروجهما فآخذها منه وقبده المهلبى . وليراجع أيضا ارشاد الارب ٣ : ١٨١

الخبر بموت أبي جعفر الصيمري أرجف جماعة بان الامير معز الدولة
يستكتبه فمنهم أبو علي الطبري ومنهم أبو علي الحسن بن هرون ومنهم أبو
محمد المهلبى واجتمع أبو محمد المهلبى وأبو علي الحسن بن هرون فتحالفوا على ان
من صح له الامر منهما كان لصاحبه على مودة ومشاركة . وسعى أبو علي
الطبري وكان رجلاً أميناً في أول أمره فحاشاً ببيع الرقيق فخطب كتيبة
الامير أبي الحسين مكان أبي جعفر الصيمري وبذل مالا فاطمعه معز الدولة
فما قدر وتقدم اليه بحمل المال فجعل الى الخزانة مالا فلما صح المال عدل عنه
الى أبي محمد المهلبى فقلده كتابته وتدير أعمال الخراج وبيارة الاموال^(١٦٦)
وخلع عليه لذلك يوم الاثنين ثلاث بقين من جمادى الاولى . وزوج أبو
محمد المهلبى ابنته من أبي علي الحسن بن محمد الانبارى الكاتب واستخلفه
بالحضرة وانحدر الى الاهواز

﴿ ذكر السبب في اختيار معز الدولة أبا محمد المهلبى ﴾

﴿ وابتزازه اياه على وجوه الكتاب من الحضرة ﴾

﴿ وغيره مع وفور عدد الكفاة يومئذ ﴾

سبب ذلك انه وجده جامعا لادوات الرياسة وكان لا يجمعها غيره
وان كان فيهم من هو أرجح كتابة وأيضاً فقد أنس به على طول الزمان
وانه خاف الصيمري على الوزارة فعرف غوامض الامور وأسرار الملكة
وكان الباقون لا يعرفون ذلك ولا يخرج اليهم ولا يوثق بهم فيها . وكان مع
ذلك حسن الانباء عن نفسه فصيحاً مهيباً متوصلاً الى انارة الاموال عارفاً
برسوم الوزارة القديمة سخياً شجاعاً أديباً يفصح بالقارضية فتلقى أكثر
مادارس من رسوم الكتابة واستدرك كثيراً من العمارات وأثار وجوه

الاموال من مواضعها فحسنت آثاره . وتوفر مع ذلك على أهل الادب والعلوم فاحيا بما كان درس ومات من ذكركم ونوّه بهم وزعّب الناس بذلك في معاودة ما أهمل منها . ثم خرج الى الاهواز فجمع أموالاً^(١٦٧) كان قد طمع فيها العمال من بقايا وزيادات زادها في العقود عليهم ومن مؤامرات ناظر عليها العمال والضمناة فألزمهم أموالها فانصت حموله وظهر فضله على من تقدّمه .^(١٦٨) ثم انتقل من الاهواز الى البصرة فسكان أثره فيها أوفر وإثارته للاموال منها أكثر كما سندكر بعضه

وفي هذه السنة ورد الخبر بان سيف الدولة غزا وأوغل في بلاد الروم وفتح حصونا كثيرة من حصون الروم وسبي عدداً فلما أراد الخروج من بلد الروم أخذ الروم عليه الدرب الذي أراد الخروج منه فتلف كل من كان معه من المسلمين أسراً وقتلاً وارتجع السبي الذي كان سباه وأخذ سواده وكُرّاهه وخزائنه وأمواله وسلاحه وغنم الروم منه غنيمة لم يروا مثلها

(١) زاد صاحب التكملة : وكان المهلبى ثقيل البدن ومشي في صحون الخليفة وقد أنقله ماعليه من اللباس فسقط بين يدي المطيع لله عند دخوله من ذلك ومن شدة الحر ووقع على ظهره فاقم . وظن من معه انه يحصر بما جرى فتكلم وأحسن وأطال الشكر والقول وتمثل بايات فتعجب الناس من بديته وركب الى داره ومعه جميع الجيش وحجاب الخلافة . وداره هي الدار المروفة بالمرشد ونزلها السلطان (ظنريك) ركن الدولة في سنة ٤٧٧ عند دخوله بغداد وتقضيا موفق خادم القائم باسم الله رضوان الله عليه في سنة ٤٥٥ وبنى بالها حجرة لاطيور ياب النبي وعمرها سعد الدولة الكوهرايني في سنة ٤٩٠ ولما قتل وقفها زوجته ونفذ ما كان بقي من القرض في الدور الشاطية ياب الطاق وما امتدت يده من قصر بني المأمون رضي الله عنه ثم نزلها قوام الدولة كرتبا في سنة ٤٩٣ ثم خلت بعد خبروجه . وليراجع أيضا ارشاد الاربيب ٣ : ١٨٢

وأفلت في عدد يسير^(١)

وفيها خرج الحاجب سيكتكين الى همدان مدداً لركن الدولة ظاهراً
دخل قرميسين أسير من كان بها من أصحاب ابن قراتكين .

وفيها رد القرامطة الحجر الأسود الى موضعه من البيت الحرام بمكة
وكان أخذه أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنائبي من البيت الحرام وكان بحكم

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وفيها غزا سيف الدولة فسار في ربيع الاول
ووفاه عسكر طرسوس في أربعة آلاف عليهم القاضي أبو حصين فسار الى قيسارية ثم الى
الضندق ووغل في بلاد الروم وفتح عدة حصون وسي وقتل ثم سار الى سمندو ثم الى
خرشنة يقتل وبسي ثم الى بلد صارخة وبينها وبين قسطنطينية سبعة أيام فلما نزل عليها
واقم الدمستق مقدمته فظهرت عليه فليجاً الى الحصن وخاف على نفسه ثم جمع والتقى
سيف الدولة فهزمه الله أفبح هزيمة وأمرت بطارقه وكانت غزوة مشهورة وغنم المسلمون
مالاً يوصف وبه وفي النزو أشهراً . ثم ان الطرسوسيين قتلوا ورجع العربان ورجع
سيف الدولة في مضيق صعب فاخذت الروم عليه الدروب وحاولوا بينه وبين المقدمة
قطعوا الشجر وسدوا به الطرق ودهشوا الصخور في المضائق على الناس والروم وراه
الناس مع الدمستق يقتلون ويأسرون ولا منفذ لسيف الدولة وكان معه أربع مائة أسير
من وجوه الروم فضرب أعناقهم وعقر جماله وكثيراً من دوابه وحرق النخل وقاتل قتال
الموت ونجا في تمر يسير واسدباج الدمستق أكثر الجيش وأمر أمراء وقضاة ووصل
سيف الدولة الى حلب ولم يكده . ثم مالت الروم فأتوا وسبوا ونزلوا للناس ثم لطف الله
تعالى وأرسل الدمستق الى سيف الدولة يطلب الهدنة فلم يجب سيف الدولة وبمت
بهدده ثم جهز جيشاً فدخلوا بلاد الروم من ناحية حران فغنموا وأسروا خلفاً وغزوا أهل
طرسوس أيضاً في البر والبحر ثم سار سيف الدولة من حلب الى آمد فحارب الروم
وحزب الضياع وانصرف سائلاً . وأما الروم فلمهم احتالوا على أخذ آمد وسعى لهم في
ذلك نصراني على ان يتقب لهم قبا من مسافة أربعة أميال حتى وصل الى سورها فقبل
ذلك وكان قباً واسمها فوصل الى البلد من تحت المور ثم عرف به أهلها فقتلوا النصراني
وأحكوا ماتبه وسدوه . ومعنى الدمستق نائب البلاد التي في شرقي قسطنطينية .

بفل في رده خمسين الف دينار فلم يُردّ وقيل : أنا أخذناه بامر و اذا ورد الامر يردو رددناه . فلما كان في ذى القعدة ^(١٦٨) من هذه السنة كتب اخوة أبي طاهر كتابا يذكرون فيه أنهم ردوا الحجر بامر من أخذوه بامرهم ليتم مناسك الناس وحجهم . وكان الذي جاء به أبو محمد ابن سنبر ثم سار به الى مكة ورده الى موضعه ^(١)

﴿ ذكر الآثار الجميلة التي أثرها الوزير أبو محمد المهلبى ﴾

﴿ حتى عمرت الخراب وتوقر دخلها واتصل ﴾

﴿ الحمل منها بعد انقطاعه ﴾

قد كان معز الدولة لما فتح البصرة ودخلها نظام اليه الرعية من سوء ماملات البريديين فعرف أكثرها وذلك ان أبا يوسف البريدى خاصة ترد بالنظر في أعمال البصرة وجباية أموالها فرسم لابي الحسن ابن أسد الكاتب ان يطالب ملاك الارضين التي يؤخذ منها حق الشر (وتعرف

(١) وفي تاريخ الاسلام : قال المسجى : وافي سنبر بن الحسن الى مكة ومعه الحجر الأسود وأمير مكة معه فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سقف وعليه ضباب فضة قد عمّت من طولها وعرضه تضبط شقوقا حدثت عليه بعد انقلابه وأحضر له صائغا معه جص يشده به فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده وشده الصائغ بالجلس وقال لما رده : أخذناه بقدره الله ورددناه بمشيئة الله .

وفيه أيضا في ترجمة سنة ٣٤٠ : وفيها قلع حجة الكعبة الحجر الذى نصبه نبر صاحب الجباب وجملوه في الكعبة وأحبوا أن يحملوا له طوقا من فضة فيشده به كما كان قدسنا لما عمله عبد الله بن الزبير وأخذ في إصلاحه صائغان حاذقان فاحكاه . قال أبو الحسن محمد بن نافع الجزاعى . فدخلت الكعبة فبين دخلها فتأملت الحجر فاذا السواد في رأسه دون ساثره وساثره أبيض وكان مقدار طولها فيها حزرت مقدار عظم الذراع . قال . ويبلغ ما عليه من الخضة فيما قيل ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعة وتسعون درهما ونصف .

بصدقات اراضي العرب) بالبصرة عن كل جريب من الخنطة والشهير
عشرين درهما وانما فعل ذلك بسبب زيادة الاسعار بالبصرة وان السكر
بالمعدل من الخنطة بلغ بها مائتي دينار ولم يُستعمل ذلك الا على تدرج . فلما
قتل أبو عبد الله البريدي أخاهُ أبا يوسف أقرَّ ابن أسد على العمل وأجرى
الناس على ذلك الرسم . وكانت العمارة تنقص في كل سنة لاجل جور
البريدين وعمّالهم وهم يُطالبون بالمبرة فنقص مال المبرة ^(١٦٩) عن جربان
العمارة فزاد ذلك ما يلزم كل جريب في السنة على ما كان يلزمه في السنة
التي قبلها . وكان قد حط أهل البصرة بالمحاصرات التي لحقتهم فآلزموا ان
يزرعوا تحت النخل خنطة وشميرا فلما فعلوا الزموا عن كل جريب أربعين
درهما فقصروا في العمارة فجعل ما كانت يرتفع عبرة عليهم واستوفى من
ملاك أرض المشرفهأرب الناس فزاد ذلك على من بقي . فلما تقلد أبو محمد
المهلبى وزارة معز الدولة ودخل البصرة وتظلم اليه أهل البصرة من العبر
التي جُمعت عليهم في أرضي الخنطة والشهير فوعدهم بكل ما أنسوا به . ثم قرر
أمرهم على ان يردوا الى رسمهم القديم في أخذ العشر جباً بمينه من غير تريمع
ولا تسمير ونظر فيما بين ذلك وبين ما يؤخذ منهم على تقريب فإشار على
أرباب العشر ان يتاعوا فضل ما بين المعاملة على الظلم والمعاملة على الانصاف
بمن يرغب فيه معز الدولة عاجلا فيسهل عليه ما ينحط من الارتفاع مع
ما يتمجل له من المال ثم يضاف الى ذلك ما يثمره العدل وموقعه من قلوب
الناس مع الرجاء في المستقبل لزيادة الارتفاع . فاستجابوا وقرر الامر بينهم
على ألفى الف درهم ^(١٧٠) ومائتى الف درهم وكتب لهم بذلك وثيقة ثم
حط من الجميع عن الضيق مائتى الف درهم وكتب الى معز الدولة بان في

ذلك حفا عاجلا وصلاحا ووفورا في ارتفاع الناحية في المستقبل فصن
موقع فله من معز الدولة فامضاه . وحضر البصريون فاشهدوا على المطيع لله
باليبيع وسجلوا بالابتياح ونسب المتبايع الى فضل ما بين المعاملتين في العبر
فعمر الناس وتضاعف الارتفاع للسلطان وزال عن البصرة تلك الرسوم
وصار يرتفع عن المراكب ما يعدل ألفي الف درهم فكان هذا من الآثار
الجيلة لابن محمد المهلبى .

وفي هذه السنة ورد الخبر بشغب جرى في عسكر الحاجب
سبكتكين وان القرامطة انصرفوا عنه مع الأتراك بعد ان أوقع بهم
ركن الدولة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان الاجتهاد شديدا في استصلاحهم لانهم كانوا بازاء حرب فلما
تمذر قال ركن الدولة : هؤلاء أعداء معنا في عسكرنا وهم أشد علينا من
أعدائنا الذين بازائنا والوجه ان نحاربهم ونطردهم . فحاربهم وهزمهم فلما
العرب فصاروا الى معز الدولة وأما الأتراك فمضوا الى الموصل ولما سار
ركن الدولة الى همدان ارتحل ابن قراتكين من الري^(١٧١) الى أصبهان
وفي هذه السنة واقع أبو محمد المهلبى عمران بن شاهين ومع أبي محمد
المهلبى روزبهان فكانت على المهلبى وروزبهان واجتوسر أكثر قوادهما
وقتل أبو التتج ابن أبي طاهر بعد ان استظهر المهلبى واستولى

﴿ ذكر السبب في ذلك وفي هزيمة المهلبى بعد ﴾

﴿ الاستظهار على عمران ﴾

كان السبب في ذلك ان معز الدولة كان هول على روزبهان في محاربة

عمران فبنى آلات الماء وأثبت الرجال واحتشد فظاوله عمران وتمعن
 في مكانه من البطائح فضجر روزبهان وأقدم عليه طلباً لمناجزته فاستظهر
 عليه عمران وهزموه وهزم أصحابه وغنم جميع آلاته وسلاحه فقوى بها .
 وتضاعف طمعه في السلطان وضرى أصحابه على جند السلطان واستخفوا
 بهم فكان بعد ذلك اذا اجتاز بهم الحجاب الكبار المحتشمون والقواد
 والامراء من الديلم والأتراك سفروا عليهم وطالبوهم بحق المرصد والبذرة
 فان تأبى عليهم احد تناولوه بالشم القبيح والضرب المبين وكان الجند
 لا يستنون عن الاجتياز بهم لحاجتهم الى ضياعهم ومعاملاتهم بالبصرة^(١٧٢)
 والاهواز ثم انقطع طريق البصرة الاعلى الظفر . فشغل ذلك قلب معز الدولة
 وكثر بكاء الامراء والحجاب والقواد بين يديه بما يجري عليهم من الهوان في
 اجتيازاتهم فكتب الى الوزير المهلبى بالاصعاد الى واسط لتلافي الحادثة
 والتجرد لطلب عمران ومعاودته الحرب وجرد اليه عسكريا جرارا فيه ابن
 أبي طاهر ووجوه قواده وغلماة وحمل اليه سلاحا كثيرا واطلق يده في
 اتقاق الاموال فزحف الى عمران وسد عليه مذاهبه واتهى الى مضيق في
 البطيحة شعب لا يعرف مسالكها الا عمران واصحابه . فاحب روزبهان ان
 يلحق المهلبى مثل ما لحقه من الهزيمة ولا يستبد بالظفر فاشار عليه بالاحتكام
 والمجوم وتوثق المهلبى واراد سد تلك المضائق فاختد روزبهان في التضريب
 عليه وعارضة في كل مادبره ومنعه من هذا الاستظهار وسد الشعب وكتب
 الى معز الدولة يستعجزه ويذكر أنه انما يحجم ويمنح الى المطاولة ليحتسب
 بالاموال في النفقات ولم يزل بذلك وشبهه ال أن وردت كتب معز الدولة
 بالاستنباط فترك المهلبى الحزم وركب الخطا وعدل عما يدره كله ودخل

بجميع عسكره ^(١٧٣) هاجماً على عمران وتأخر روزبهان ليصير أول الخارجين عند الهزيمة . وقد كمن عمران كمناءه في تلك المعترضات وشحنها بالآلات الموافقة لتلك المضائق فخرجوا على العماكر وهم متزاحمون متضامون في طريق الماء لا يرفونها فوضعوا فيهم الحراب فقتلوا وأسروا وانصرف روزبهان موفوراً ونجا الوزير المهلبى سباحة وحصل القواد والوجود في الاسر . فاضطرت الحال الى مصالحة عمران فقوى واستفحل امره . واجيب الى كل ما اقترح

وقد كنا ذكرنا ورود الخبر بمسير السلاط المرزبان الى الري ووعداً هنالك باستقصاء خبره والان حين نبدأ بذلك

﴿ ذكر الاسباب التي بدت السلاط المرزبان على قصد الري ﴾

﴿ وما انعكس عليه من تدابير حتى أسر ﴾

(وجس في القلعة بسميرم)

كان المرزبان انفذ رسولا الى معز الدولة في أمور حمله اياها فورد مدينة السلام وقد رحل عنها الى البصرة فافتحها وأقام هذا الرسول منتظراً له الى أن عاد فأدي اليه الرسالة وكان فيها ما غاظه فتقدم بحلق لحيته ففعل وأسمع نهاية ما كره وانصرف على هذه الحال . فخكى للمرزبان ما جرى عليه فامتض وأخذ ^(١٧٤) في جمع الرجال والاستعداد ورأى أن يتدبى بالري فراسل ناصر الدولة سراً يبذل له المعاونة بنفسه وأولاده ورجاله وماله وأشار عليه بأن يتدبى بقصد بغداد فخافه وأجابه بحميل واعلمه أنه يرى الصواب في الابتداء بالري فانتم له ما يريد طلب بعد ذلك بغداد وغيرها . وكان استأمن اليه من قواد الري على بن جوانقوله فعرفه نية القواد الذين

وراه بالري وانهم على المصير اليه فزاده ذلك طمعا واستدعي اياه محمد بن مسافر واخاه ابا منصور وهسودان فلما وافاه ابوه تلقاه وقبل الارض بين يديه واجلسه في صدر الدست ووقف بحضرة وامتنع من الجلوس حتى حلف عليه ابوه دفعات كثيرة بجلس وامتنع وهسودان من الجلوس فلما جن الليل خلوا جميعا وتفاوضوا فلما عرف ابوه صحة عزمه في قصد الري فأتى عزمه وعرفه أحوالاً توجب الامتناع من قصدتها فأبى عليه وقال : قد وردت على كتب واكثر القواد هناك مستعدون للانحياز الى . فلما كان وقت الوداع بكى ابوه وقال : يا مرزبان ابن اطلبك بعد يومى هذا . فقال يجيباً له : اما في دار الامارة بالري واما بين القتلى .

وقد كان ركن الدولة^(١٧٥) حين عرف خبره كتب يستمد من اخويه عماد الدولة ومعز الدولة وخشى أن يعاجله المرزبان قبيل ورود المدد فكتب اليه على سبيل المسكر والخديعة يظنه ويستخذي له ويستله أن ينصرف عنه على شريطة أن يفرج له عن ابهر وزنجان وقزوین . ولم تزل الرسائل تتردد بينهما الى ان ورد حضرة ركن الدولة يارس الحاجب في الفى رجل من جيش عماد الدولة وورد سبكتكين الحاجب في الفى رجل من جيش معز الدولة وكان قد صار اليه محمد بن عبد الرزاق مستأمناً من عسكري خراسان ومحمد بن ما كان مدداً من جهة الحسن بن الفيروزان فلما تناسهى استظهاره قبض على جماعة من قواده الذين شك فيهم واتهمهم بمكاتبة المرزبان وسار الى قزوین في جميع هذه الجيوش . فعلم المرزبان أنه لاطاقة له به ولكنه أنف من الرجوع فعمل على محاربتة وكان مع المرزبان يومئذ خمسة الآف من الديلج والجيل والاکراد فحمت . يمته ركن الدولة ويسرته على ميمته

المرزبان وميسرته فلهمزتا جميعا وثبت هو في القلب الى ان قتل بين يديه
جموه بلي وونداسفحان بن ميشكى وأسر على بن ميشكى المعروف ببُلَط ومحمد
ابن ابراهيم وعدة من أ كابر قواده وأحاطت الرجال به فاسر وحمله ^(١٧٦)
ركن الدواة الى الري ومنها الى أصبهان وحمل من أصبهان الى قاعة سميرم
فلما انفصل من الري مع جماعة من قواد ركن الدواة وخواصه وكانوا
مضمومين الى الاستاذ الرئيس حقا أعنى أبا الفضل ابن النمير رحمه الله
وكان ^(١) هو المتولى حفظه والاستظهار عليه الى أن يحصل في القلعة
﴿ ذكر تدير تم على المرزبان حتى حصل باصبهان بعد ان كان واطأ الديلم ﴾
﴿ الذين أخرجوا معه على الفتك بابي الفضل ابن العميد والحرب به ﴾
حدثني الاستاذ الرئيس أبو الفضل قال : لما كنا بين الري وأصبهان
تحقق عندي مراسلة الديلم اياه واجتماعهم على أن يأخذوه قهراً ويحلوا قيوده
ويقتكوا بي وظهر ذلك حتى كادت المكاشفة تقع . فلما ختمت فوت التدير
سائرته وهو في عمارية وحادثته وهو ينتظر في ذلك اليوم أن يتم له ما يريد
وجملت أقاربه والين له فاطهر التوجع والتألم مما حصل فيه فلما أطمعته في
تصبي (وكان لا يطمع في ذلك من قبل) أمال الى رأسه وقال : أنت مقبل
فان كنت صادقاً فابدأ بحل قيودي وعلى لك كيت وكيت . وضمن
الضمانات التي تبذل في مثل ذلك الوقت (قال) فلو همته اني لا أعرف شيئاً
من مواطاة الديلم له وقت : اخشى الا يساعديني من معي على ذلك . فقال :
غفر الله لك انت لا تعرف ^(١٧٧) الصورة جميع من معك قد عملوا على فك
قيودي والفتك بك وأنا أريد ذلك الساعة ان شدت . فقلت : يكفيني ان

اتق بذلك ثم انا اول عبد خدمك وناصحك وتابعك حتى يتم لك ما تريد .
 وحدثته باشياء أنكرتها من صاحبي وحقود في قلبي عليه فاستدعني واحداً
 بعد واحد من القواد الذين كانوا معي وأسر اليهم أتي منه وموال له ووصل
 حديثه معهم بان أدخلني معهم في التدبير فاظهرت سروراً شديداً بذلك
 وتواعدنا النزول في المنزل القريب واتمام التدبير . فلما نزلنا وضربت خيمتنا
 وخر كاهاتنا وحصل في موضعه راسلني وأخلاقني بنفسه ثم قال لي : ابنت
 الى فلان وفلان (يعني جماعة ممن يثق بهم) حتى يحضروا . فقلت : أيها
 السار از هاهنا تدبيراً يجب أن تُسمعه فان وقع بوفائك والاقا تأمر به
 ممثلاً . فقال : وما هو . فقلت : ان حرم ركن الدولة وأولاده وخزائمه
 كلها باصبيان وأنا وزيره وثقته والمتولى للجميع فلو امتدنا على صورتنا هذه
 حتى لانهم لتمكنت من القبض على الجميع وحصلنا في مدينة عامرة تمكن
 فيها من التدبير ومع ذلك فان حرم جميع القواد باصبيان وكذلك أولادهم
 فاذا قبضنا عليهم لم يبق في واحد^(١٧٨) منهم فضل لمحاربتك واستسلم الجميع
 لك وانهد جانب ركن الدولة انهداداً لا انجبار له وتمكنا ايضاً من قلاعه
 وذخائره وأخرجناها ولم يكن له بقية وان نحن عاجلنا الامر وخرجنا من
 هذا المكان طلبنا الخيول وأحدثت بنا ولم نأمن مع ذلك تقرب بعض من
 هو الآن معنا الى تلك الجنبه ونحن في عدة يسيرة وحوالينا اصحابه ورجاله
 ولاثق بالسلامة الى المأمن . (قال) فرأيت قد تهلل وجهه ولم يملك نفسه
 لما استخفه من السرور وقال : ليس الرأي الا ما رأيت . قلت : فاني منصرف
 عنك فراسل انت كل من واطاك على وأريك الاول بماحدث لك من الرأي .
 قال : نعم . وقت عنده وليس عنده شك في حصول الملك له يواطاني وانه

قد انبل جده وتمت سعادته بتمام تديري وشاع في أصحابه ومن كان واطاه
انا في تدير فسكنوا بصد أن كانوا هموا بما هموا به . وسرت آمانا حتى
حصات باصبيان فلما تمكنت من الرجال والتدير بدأت بالقبض على اوائك
القواد واستظهرت علي المرزبان بثقاتي حتى حصاته في القلعة بقيوده
﴿ ذكر ما جري في أمر عسكر المرزبان في آذربيجان ﴾
﴿ بعد حصوله في الاسر ﴾

اجتمع من أفلت من عسكره وقواده وفيهم جستان بن تيرمزن وعلى
ابن الفضل وشهينروز بن^(١٧١) كردويه وجماعة من الرؤساء مع ألقى رجل من
الفل إلى الشيخ محمد بن مسافر فمقدوا له الرياسة عليهم وصاروا إلى أردليل
فلك آذربيجان وهرب ابنه وهسودان منه ونحمن في قلعة بالطرم لما كان
يعرفه من حقه وسوء رعايته . فلم تأت الايام على محمد بن مسافر حتى تجبر
وعاد إلى أسوأ أخلاقه مع الديلم فاجتمع الديلم على الوثوب به فشنبوا وهو
بقتله فالتجأ بالضرورة إلى ابنه وهسودان وعنده أنه يمصمه قبض عليه
وحبسه في قلعة شيسجان التي كان فيها وضيق عليه فلم تنبسط له يد ولا شذله
أمر حتى توفي وكانت وفاته قبل خلاص ابنه المرزبان من قلعة سيمر . وقد
ركن الدولة محمد بن عبد الرزاق أعمال آذربيجان بعد أسر المرزبان وأنفذه إليه
فتجبر وهسودان في أمره واضطر إلى اخراج ديسم بن ابراهيم من القلعة
لطاعة الاكراد اياه ولرياسته القديمة على آذربيجان فاطلقه وخلم عليه
وقواه ومكنه ووافقه على جمع أكراد آذربيجان ومن يطيعه من غيرهم
ويقصد محمد بن عبد الرزاق . وكان الديلم بعد محمد بن مسافر اجتمعوا إلى على
ابن الفضل ورأسوه فتوسط وهسودان بينهما حتى أطاعه على بن الفضل

وتم^(١٨٠) أمره وسار ديسم الى أردبيل واستكتب أحمد بن عبد الله بن محمود وورد ابن عبد الرزاق فانجاز عنه الى ورتان من نواحى برذعة ليستخرج الاموال وترد عليه عما كرا الا كراد

﴿ ذكر خطأ ديسم فى ايجاش وزيره حتى فاراته وثلمه فبهزه عدوه ﴾
كان بنواحى خوى^(١٨١) وسماس كاتب نصرانى يعرف بابن الصقر من جهة المرزبان قبل أسره فلما بلغه خبر ديسم صار اليه وحمل اليه ما كان جباه فحسن موقعه من ديسم فأكرمه وبالغ فى اكرامه حتى صار يخلو به ويشاوره فاستوحش وزيره ابن محمود واتقاه . فلما استعد ديسم للقاء ابن عبد الرزاق سلم الى ابن محمود خزائنه ونقله وأمره بالمصير الى جبال موقان للتحصن بها استظفارا الى أن يكشف الأمر فنسلم ابن محمود ذلك كله وعدل الي أردبيل وأرسل ابن عبد الرزاق بانه صائر اليه وسأله ان يستقبله بطائفة من عسكره فعمل ذلك ووقع ذلك من ابن عبد الرزاق أحسن موقع . وقت فى عضد ديسم وبلغه ذلك يوم القتال فضمنت نفسه واضطرب رأيه وتبين ذلك منه أصحابه فاضطربوا واستظفروا عليه ابن عبد الرزاق فبهزه^(١٨١) .

﴿ ودخلت سنة أربعين رثلمائة ﴾

وفىها لحق ركن الدولة بابن قراتكين غلام صاحب خراسان وواقعه بروذبار من خان التجان سبعة أيام متوالية فلهمزم ابن قراتكين وذلك فى الحرم من هذه السنة

قال الاستاذ أبو على أحمد بن محمد مسكويه صاحب هذا الكتاب :
أكثر ما أحكيه بمد هذه السنة فهو عن مشاهدة وعيان أو خبر محصل بحري عندى خبره مجرى ما عاينته وذلك ان مثل الاستاذ الرئيس أبى الفضل

محمد بن الحسين بن العميد رضى الله عنه خبرنى عن هذه الواقعة وغيرها بما
دبره وما اتفق له فيها فلم يكن اخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة به والسكون
الى صدقه ومثل أبى محمد المهلبى رحمه الله خبرنى بأكثر ما جرى فى أيامه
وذلك بطول الصحبة وكثرة الجبالسة . وحدثنى كثير من المشايخ فى عمرها
بما يستفاد منه تجربة وأنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره منه وما شاهدته
وجربته بنفسى فسأحكيه أيضا عشيته الله

حدثنى الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه
الواقعة وأنا أحكى أولا السبب فى ورود ابن قراتكين ^(١٨٢)

هو ذكر السبب فى ورود ابن قراتكين الرى

كان ركن الدولة عند وفاة أخيه عماد الدولة بنواحى جرجان وذلك أنه
تصدد وشمكير وهزمه وتبعه الى حالوس فلما بلغه وفاة أخيه اضطرب وجزع
وعلم ان فارس ستضطرب على ابنه فسارع الى السير اليها لتوطئة الامور
وانصرف الى الرى فاستخلف بها على بن كامه وانسع خناق أعدائه يعمده
عن ممالكه وكل حدث نفسه بامر . وكتب ركن الدولة الى معز الدولة
بما عزم عليه وبما كان من وفاة أخيهما فكتب معز الدولة الى وزيره أبى
جعفر الصيرى وهو يومئذ منازل ليمران بن شاهين بالبطائح بان يخلى
ما هو بسيدله ويصير الى فارس لخدمة ركن الدولة فعمل وسبق وصوله
وصول ركن الدولة فحسن موقع ذلك من ركن الدولة . فلما وصل الى
شيراز ابتداء زيارة قبر أخيه ياب اصطخر فثنى حافيا حاسرا ومثى أهل
عسكره وعسكر فارس على تلك السبيل ولزم المصيبة ثلاثة أيام الى ان خاطبه
الرؤساء وسألوه ان يرجع الى المدينة فعمل وأقام ستة أشهر . وأخذ نصيبا
(١٨ - تجارب (س))

من تركة عماد الدولة الى أخيه معز الدولة وكان في جملتها مائة وسبعون غلاما ومائة وقر من السلاح ثم ما يجرى مجرى ذلك من الثياب والآلات وانتطع من أعمال^(١٨٣) فارس ارجان وهي كورة من كور فارس الى أعماله وخلف وزيره هناك وانقلب الى الري . وحدت اطماع من ذكرت وامتدت الى الري والجل واصهبان وتمرتب المساكر اليها فن ذلك . سير صاحب جيش خراسان الى الري ووجه محمد بن ما كان من جهة الحسن ابن الفيروزان وسار شيرج بن ليل بن قبل وشمكير ثم جمهور عسكر خراسان وكان أبو الحسن علي بن كاهن قد انحاز الى أصهبان وتفرق قواد عسكر ابن قرائكين في ولايات أعمال الجبل وكان منهم همدان بنال قام وفي كل بلد من بلدان الجبل مثله . وكان ركن الدولة قد كاتب أخاه معز الدولة وهو بمد فارس يستدعي من يدفع معرات هؤلاء فأمدته بسبكتكين الحاجب في عسكر ضخم من الأتراك والديلم وفيهم جماعة من الأتراك القديماء التوزنية وجماعة من العرب وكان مسيره من بغداد سنة ٣٣٩ فتبر سبكتكين تديرا جيدا

﴿ ذكر تدير صواب تمكن به سبكتكين من ﴾

(أول عدو لقيه قرميسين)

رأى سبكتكين ان يخلف عسكره وما ثقل من سواده وينتخب من الفرسان من يثق به ويسرى الى قرميسين وكان فيها قائد من قواد الأتراك الخراسانية يقال له بجكم الخمارتكنيني وكان^(١٨٤) بنال قام أنفذه الى همدان والياً عليها فكبسه سبكتكين وهو في الحما وأخذه أسيرا وأوقع برجاله وأصحابه وأنفذه الى معز الدولة فاعتقله مدة طويلة ثم أطلقه . ولما بلغ ولادة

أعمال الجبل ما جرى على بحكم هذا فارتوا سرا كرم واجتمعوا الى بنال قام
بهمدان فلما سار سبكتكين نحوهم ساروا من همدان باجمعهم فلم يحاربوا
وورد سبكتكين همدان وأقام بها منتظرا ركن الدولة وذلك ان كُتِبَ ركن
الدولة كانت تردُّ عليه انه يسير من فارس على طريق الجبل ثم تأخر انتظارا
لانحسار الثلوج ثم ورد همدان وتقدم الى سبكتكين بالمسير على مقدمه .
فغضب الصنف من الاترك التوزونية وأظهروا التضجر بالمقام الطويل
فيوسط الاستاذ الرئيس أبو الفضل رحمه الله بينهم وداراهم وسكنهم فسكنوا
في الوقت ثم عاودوا من الغد وطال ذلك منهم حتى أتهموا . فسمعت
أبا الفضل ابن العميد رحمه الله يقول : اني قلتُ للامير ركن الدولة : هؤلاء
أعداؤنا وقد كانوا فكيف نسير بهم الى أعدائنا ؟ فانفق الرأي بيننا ان
نُسكنهم فان سكنوا والآن حاربناهم وفرغنا من العدو الاقرب فداعملنا على ذلك
عداوا على الحرب فاقهناهم ومضوا مفلولين .^(٨٥) وسبق خبرهم الى معر الدولة
فكتب الى ابن أبي الشوك الكردى وسائر وجوه الاكراد المقيمين في
أعمال جلوان بطلبهم والايقاع بهم ففعلوا ذلك وطلبوهم وأسروا منهم وقتلوا
فاما الاسارى فأنفذهم الى بغداد وأما القل فصاروا الى الموصل بمجال سيئة
وأقام ركن الدولة بهمدان ليعرف خبر ابن قراتكين الى ان صح
عنده مسير ابن قراتكين من الري نحو همدان فبث جواسيسه وطلانه
ليعرف خبره فآله الخبر بانه عدل عن سمت همدان وأخذ على طريق
بودى الى اصبهان فسار ركن الدولة في أثره يقفوه حتى انتهى الى
جرباذقان ووصل ابن قراتكين الى اصبهان فمات بها عينا كثيرا مدة ما أقام
ثم عرف قرب ركن الدولة منه فسار الى طرف مغارة يقرب من اصبهان

فزل منها على زرين روذ ليكون وصول ركن الدولة اليه مع عسكره . وقد
تطمعوا المغازة ومسمم السمب والعطش ولا يصلون الى الماء فرأى ركن
الدولة ان يدلل الى خان النجان ليلزم سميت قري زرين روذ ولا يدمم الماء
وانضل ذلك بابن قراتكين فاتقاب عن موضعه معترضاً له الا يملك عليه
طهره فالتقى في الموضع المعروف بالروذبار وبينهما زرين روذ ولكنه يُغيض
ولا يسمع الرجل ولا الفارس^(١٨٦) العبور وذلك ان الفصل مكان ضيقا .
فدامت الحرب بينهم اسبعة أيام واشتدت في اليوم السادس خلسة ثم انهزم
ابن قراتكين في اليوم السابع

وعاد الحديث الى حكاية ابى الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه
الوقعة . حكى انه لحقه وركن الدولة وسائر الجيش من الاضافة وعوز الميرة
والعلوفات وتذر جميع الاقوات ما لم يلحقها مثله وذلك ان الاكراد أخذوا
بنا فلم يتمكن أحد من اطلاق رأسه عن الصكر وانقطعت عنا المواد
وكننا نصل الى اقواتنا مما نحمله الاكراد الينا وبيعوناه باوفر الأمان وكذلك
العلوفات فكان يجئنا الكردى بجراب أو مخلاة أو وعاء فيه دقيق فيحناه
بحكمه فاذا أخذناه ونقضناه وجدنا قدر الدقيق فيه مقدار ما رأيناه في رأس
الوعاء وأسفله كله تراب ثم يختلط ذلك القدر اليسير بالتراب فلا يتنعم بشئ منه
وكذلك يفعل بالشعير والخنطة وكانت لهم حيل تجرى هذا المحرى كثيرة
قال : فكنا نحر الجمل أو الدابة فتوزع لهما بين عدد كبير وتبلغ به على
عادة الديلم وصبرهم على المجاعة والشدة في الحرب وكان أعداؤنا الأتراك
في مثل حالنا الا أنهم لا يصبرون كما نصبر ولا^(١٨٧) يقنعون بما تقنع^(١)

فاذا ذبحنا نحن جزورا ذبحوا أضغافا كثيرة ثم ان أصحابنا يعودون الى نشاطهم في الحرب ويسخط اولئك ويشغبون على صاحبهم ولا يناصحونه في الحرب الى أن ملوا . وأصبحنا يوما وقد رحلوا من معسكرهم فتركوا خيمهم بازائنا وأنا الخبير برحيلهم فما صدقنا به حتى عبر عنا جماعة وتلامم المسكر أولا أولا واشفقنا أن يكون لهم كين أو بكيدة فلم يكن الا هزيمة وذهبوا على وجوههم

﴿ ذكر خبر عجيب واتفاق غريب ﴾

حكى الاستاذ أبو الفضل ابن العميد نصر الله وجهه ان ركن الدولة دعاه في اليوم السابع وقد نفذ صبره وصبر أصحابه : وشكا الى شدة الامر وصعوبته عليه وكأنه يفكر في حيلة للانزمام وان كانت متفجرة عليه فقلت : أيها الأمير انك كنت منذ اسبوع مالك أكثر مما لك سرير الخليفة فينفذ أمرك في أكثر بلاد الاسلام ومن لم يكن من الملوك في سائر الارض تحت امرك وولايتك فهو ايضا تحت حكمك خشمة لك يقبل امرك تجملا ويطيعك تهيبا وقد أصبحت اليوم وانت لا تملك من الارض الا ما عليه مضربك وقد اجتمع عليك هؤلاء الاعداء^(١٨٨) ليضربوا عليه وينموك منه ولا مفرغ لك الا الى الله عز وجل فاخض نيتك له واعقد عزيمتك على ما بينك وبينه ثمالي يطع على صدقتها ويعرف صحتها وانو المسلمين خيرا والسكافة الناس مثله وعاهده على ما نهاه وتقي به من الاعمال الصالحة والاحسان فيما تلى الى من تلى عليه فان الخيل البشرية كلها انقطعت بنا ولم يبق لنا الا هذا الذي نصحتك به . قال فتبسم وقال : يا أبا الفضل قد سبقتك الى ما اشرت به . وجرى في هذا الباب ما جرى مثله من الدور وصدق النية . وثبتنا تلك الليلة

على حالنا فلهذا كان في الثالث الاخير من الليل جاءني رسله متقاطرة فصرت اليه وهو مسرور قوي النفس بخلاف ما عهدته وقال : يا أبا الفضل انت تعرف مناماتي وصدقها وقد رأيت ما أرجو ان يكون تأويله قريبا غير بعيد . قلت : وما ذلك . قال : رأيت كأنى على دابتي المعروف بفيروز وقد انهزم عدونا وأنت تسير الى جانبي وتذكر لي نعمة الله علينا فيه وأن الفرج جاءنا من حيث لا نحتسب فينا نحن في هذا الحديث وشبهه حتى مدت عيني بين غبرة الموكب الى الارض فرأيت خاتما يتلألأ قد سقط الى الارض عن صاحبه بين التراب فقلت ^(١٨) للركابي الذي بين يدي « يا غلام هات ذلك الخاتم » فطأطأ ورفمه الى فاذا خاتم فيروز فاخذته وجعلته في أصبى السبابة وتبركت به واتبته وقد تقالت به وأيقنت بالظفر (وذلك ان الفيروز معناه الظفر اذا عُرِب وكذلك لقب دابته الذي رآه فيروز) . قال ابو الفضل ابن العميد رحمه الله : فوالله ما أضاء الصبح حتى جاءنا الخبر والبشرى بان العدو قد رحل فما صدقنا به ولا التفتنا اليه حتى ثوأت الاخبار وعبر سرعان الخيل وعادوا الينا مستبشرين فقمنا حيثئذ وركبنا متمجبين لا نعرف سبب هزيمته حتى عبرنا على حذر من كمين او مكيدة فينا نحن نسير وانا الى جانب ركن الدولة وقد تعمد ركوب دابته فيروز ليصدق رؤياه اذ صاح الامير بغلام بين يديه « يا غلام ناولني ذلك الخاتم » فطأطأ وناوله من الارض خاتم فيروز فاخذه وابسه في سبابته والفتت الى وقال : هذا بلا تأويل هو الخاتم الذي حدثتاك بحديثه منذ ساعة . فهذا من طرائف الاخبار ولولا صدق عمدته وجلالة قدر من حكاه لي وبمعهده عن التبريد لما سطرته في كتابي هذا

وفيه تم الصلح بين معز الدولة وبين عمران بن شاهين وقلده معز الدولة^(١١٠) البطائع وأطلق اخوته وعياله وأطلق عمران بن شاهين من أسأر من القواد وغيرهم

فاما ابن قراتكين فانه عاود حرب الامير ركن الدولة وجرت بينهما وقائع عظيمة بناحية الري ومات ابن قراتكين فجأة وكان سبب وفاته انه كان شرب أياماً متوالية لباليها فاصبح يوماً ميتاً وذلك في شهر ربيع الآخر من هذه السنة

وفيه انهزم صاحب عمان من باب البصرة من بين يدي أبي محمد المهلبى وأسر جماعة من أصحابه وأخذت عدة من مرابيه ودخل أبو محمد المهلبى بغداد ومعه المراكب والانسارى

﴿ ودخات سنة احدى وأربعين وثمانائة ﴾

وفيه ملك الروم مدينة سروج وسبوا أهلها وأحرقوا مساجدها وفيها ضرب الامير معز الدولة أبا محمد المهلبى بحضرته بالمقارع وحمله الى داره وأقره على كتابته

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك أن ابا محمد المهلبى لما خرج الى عمان وافق في ذلك الوجه ما اتفق ثم انهزم تنكر له معز الدولة وهم بالقبض عليه فلما حدث بالرى ما حدث من ورود جيش خرسان اليها شغله ذلك عما في نفسه منه . وكان ورد ابو العباس الخناط الى الحضرة برسالة ركن الدولة يطالب بمال يحمل اليه فدفت الضرورة^(١١١) الى مكاتبة الوزير المهلبى وهو بواسط قد وافاها منبرها وأمر بالمدول الى الاهواز وتسليم الف الف درهم الى

بنى العباس الخناط من القلعة ورد الدوض مما يستخرجه وأن يواصل الحمل
الى الحضرة ويسرب الجيوش الى الاهواز على طريق اصبهان الى الري فنفذ
لذلك كله وفي نفس الامر معزالدواغية ما فيها . فلما أصعد المهلبى الى الحضرة
اثر في أمر يوسف بن وجيه صاحب عمان اثرآ كبيراً وذلك أنه كان قصد
البصرة فسبقه أبو محمد المهلبى اليها وحاربه وهزمه وأسر أصحابه وأخذ
مراكبه كما ذكرنا

(ذكر السبب في طمع ابن وجيه في البصرة ثم انهزاه منها)

كما ذكرنا ما كان من استيحاء القرامطة من معز الدولة وبين جوابه
اليهم عن رسالتهم واستخفافه بهم فلما عرف ابن وجيه ذلك كاتبهم وأطمعهم
في البصرة وسألهم أن عمدوه من ناحية البر فأمدوه بأخيهم أبي يعقوب في
سرية قوية فورد باب البصرة وأنهض ابن وجيه رجاله في مراكبه من
ناحية البحر ونهض هو بنفسه . ووافق ذلك فراغ المهلبى من الاهواز فباخر
الى البصرة وأخرج معه من القواد والرجال والربازب والطيارات وآلات
الماء كفايته وشحنها بالرجال وأزاح عليهم في الجيش والسلاح وأتقذ اليه معز
الدولة ^(١٩٢) مدداً من بغداد . وكان المهلبى رتب على سور المدينة بالبصرة
الزجال يحمونه وجمع الى نفسه وجوه القواد مثل نشكرورز بن سسلان
وموسى فيلذه وموسى بن ما كان وأشباهم من وجوه الناس وطبقات الغلمان
وحارب ابن وجيه ايما ثم هزمه وظفر المهلبى بمراكبه ورجاله وأسر جماعة
من وجوه أصحابه فنخف بذلك بعض ما كان في قلب معز الدولة وانجلي
هم كثير كان في نفسه

فلما قدم بغداد تلقاه معز الدولة وجملة مديدة ثم وقف على طراذ

مال من ضمانه له قدر وكان سبب عليه للأترك والمهمات فرد التسيبات
وطالب أصحاب المال باستحقاقهم وأضجر ذلك معر الدولة فطالب أبا محمد
المهلي وهز المهلي طازاذا فاستسلم وأظلمت القصة . فدخل المهلي الى معر
الدولة فصدقة عن الصورة فانتاظ من جريته في الامر وأثار ما كان في
نفسه منه فزبره وطرده من بين يديه وأمره الآيمود اليه الا بعد ان
يستدعيه فانصرف كثيرا . وحرك بطازاذا فصيح له مالا ونهض الى الامير
مُجبا له من طازاذا بغير استدعاء من الامير له فلما حصل بين يديه وأخبره
بالصورة بطش به وضربه مائة وخمسين مفرعة ترازح منها (ثم أمر) بان
يرفع عنه الضرب حتى ^(١٩٣) يويخه ويبيكته بذنوبه منذ استخدامه ثم يعيد
عليه الضرب الى ان تفسخ وقل وقيل له انه كالتالف وأراد ان يرمى به الى
دجلة ثم تماسك وردة الى منزله ووكل به . وفي اليوم الثاني استدعى طازاذا
أيضا وضربه وعمل على صرف المهلي فلم يرتض خدمة أحد ممن كان
بمخضرتة في الوقت فترجع رأيه وصمد و صوب فلم يقم أحد مقام أبي محمد
وكان أبو محمد المهلي شهما قوى النفس لا يتحرك لشيء من نواب الدهر
فعمل عمال يشتمل على ثلاثة عتر الف درهم باقية في الممالك والأعمال
وأنفذه اليه وذكر انه يقيم باستخراجه وانه ان تبادت الايام في التوكيل به
تمزقت وطمع فيها فشاور معر الدولة من حضره وكان فيهم أبو محمد عبد
الله بن يحيى وقال : هل يجوز أن أستنيم الى هذا الرجل وقد لحقه منى هذا
المسكروه العظيم ؟ فقال أبو محمد : قد ضرب مر داويج وزيره أبا سهل أعظم
من هذا الضرب ولحقته ما لحقتك من السوء عنه ثم خلع عليه وردة الى
أمره وكان لا يطيق المشي لما حل به من الضرب فركب عمارية رثر عليه

في الطريق مال ولا يمكنه ان يستقل بالجلوس وبقي كذلك مدة ثم عاود
مرذويج الانكار عليه فنكبه وأتى على نفسه. ^(١١١) فشد ذلك راسله ممر
الدولة بالر كوب اليه اذا استقل وأزال عنه التوكيل فتجدد المهلبى وركب
بعد أيام يسيرة نفلع عليه وعاد الى أمره

وكان ممر الدولة حديداً سريع النضب بذى اللسان يكثر سب
وزرائه والمحتمسين من حشمه ويفترى عليهم فكان يلحق المهلبى رحمه الله من
غته وشمته عرضه مالا صبر لاحد عليه فيحتمل ذلك احتمال من لا يكثر
له وينصرف الى منزله وكنت أنادمه في الوقت فلا أرى لما بسمه فيه أثرا
ومجلس لانه نشيطا مسرورا حتى لقد سمعت أبا العلاء صاعد بن ثابت
وكان يخلفه ويأنس به يما تبه ويقول في عرض كلامه : ان الامير اذا اتصل
به أنسك وقلة اكثر انك لنضبه وما يلحقك من شيمته نسبك الى الاستمارة
به فيزيد ذلك في ضرره عليك فان أظهرت الانخزال والاستكانة حتى
يلغه تهرؤمك واتباضك كان أحرى ان يقصر ويندم ولا يشتم على عاذته
مك وعضه منك . فقال له أبو محمد المهلبى : ما يذهب على ما تقول ولكن
هذا امير يخرق عجز لا يملك لسانه فان ذهبت أظير الاستيحاش من
هذباته وقع له انى قد تنكرت له وانى لا أناصحه وانه يتهنى بما لا يدور
في فكري فيكون سببا لجائحة ونكبة وليس له غير التفاؤل والتبسم ^(١١٢)
في وجهه اذا أمكن فان لم يمكن ذلك خوفا من غضبه فليس الا قلة الفكر فيه .
فكان الامر على ذلك .

وحدثني أبو بكر ابن أبي سعيد رحمه الله ان ممر الدولة وقت مقامه
بالبصرة وهزيمته للبريدى اقترى على المهلبى وذكر جرمة وأخس عليه وكان

المافروخي حاضرا فلما انصرفنا من عنده قال لي المافروخي : قد سامني أن أجري هذا الفحص القويح بخضرتي على الوزير فكيف الطريق الى تسليته؟ (وانما أراد ألا يتهمه بالتماتية ولا يراه بعين من علم استهانة الامير به) فقالت: الامساك في مثل هذا أولى من الكلام. فأمسك أياما لا يركب اليه الا مع الناس وقت الاذن ثم اتفق ان يدخل المافروخي وأنا معه لمهم فوجدناه واجما طرفا فقال المافروخي : أرى الوزير واجما فهل تجد أصرا؟ فقال : ويحك اني أرى الامير منذ أيام قد أمسك عما كان يتعاهدنا به من بره بلسانه وأخاف أن يكون مشغول القلب بطارق تطرقه وأنا مفكر في ذلك . قال أبو بكر ابن أبي سعيد : فلما خرجنا من عنده قال لي المافروخي : هل رأيت أدهى من هذا الرجل وأذكر منه؟ فقالت : لا

وفيها خرج أبو محمد وأبو بكر عبد الواحد بن أبي عمرو الشراي حاجب الخليفة المطيع لله الى صاحب خراسان في الصلح بينه وبين أمراء بني بويه وكتب معهم كتاب عن الخليفة^(١) ^(١١)

﴿ ودخلت سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها مات أبو الفضل العباس ابن فسانجس بالبصرة^(٢) وقلد الديوان

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : فيها اطلع أبو عمدة المهدي على قوم من التماسخية فيهم شاب يزعم ان روح علي رضي الله عنه انتقلت اليه وفيهم امرأة زعم ان روح فاطمة عليها السلام انتقلت اليها وفيهم آخر يدعي انه جبريل فضربوا قعدوا بالاتباء الى أهل البيت فامر من الدولة باطلاقهم ليله الى أهل البيت وهذا كان من أقواله الملعونة . وليراجع ما قال فيه ابن الاثير في الكامل في سنة ٣٤٤ في العزاقرة يعني أصحاب محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن العزاقرة (٢) زاد صاحب التكملة :
وسنة سبع وسبعين سنة وحمل تأبونه الى الكوفة

بعده أبو الفرج محمد ابنه وأجرى على رسم أبيه .
وفيها ليلة الجمعة للتاسع من جمادى الآخرة ولد الامير أبو اسحق
ابراهيم بن ممر الدولة بطالع السنبلة .

وفيها وافى أبو سالم ديسم بن ابراهيم الكردي فهزما من
آذربيجان هزمه السلار المرزبان وهو الذي حكينا ان ركن الدولة أسره
وحبسه في قلعة سميرم فاحتال حتى فكّ قيده وقتل صاحب القلعة وخرج
منها وسنحى حياته هذه فيما بعد . وعاد الى آذربيجان واجتمع اليه من كان
مع ديسم من الديلم والعرف ديسم عنها وصار الى الحضرة مستجيرا بمز
الدولة ومستنصرا فأكرمه ممر الدولة جدا ووقع منه وأنس به وعاشره
وحمل اليه مالا وثيابا وكان يسميه في كتبه « الاخ أبو سالم »

﴿ ذكر السبب في خروج ديسم عن آذربيجان بعد ﴾

﴿ عكثه منها وانزاهه من بين يدي المرزبان ﴾

كناذ كرناخبر ابن عبد الرزاق وتمكثه من آذربيجان من قبلي ركن
الدولة واتفق ان أوحش كاتباه كان صحبه من خراسان واعتمد لوزارته ابن
محمود لخدمته اياه بالاموال قديما وخبرته بالبلدان فاستوحش الكاتب
وتركه الى ان أشخصه لجباية الاموال في نواحي ديسم وضم اليه جيشا فلما
وجد الفرصة كاتب ديسما وهرب اليه بذلك الجيش كله . فنفرت نفس ابن
عبد الرزاق ^(١٩٧) من آذربيجان وعاد الى الري وأخذ معه ابن محمود وسار
ديسم الى أردبيل واستأذنه الكاتب الخراساني في العود الى بلده فأذن له
وأحسن اليه بالخلع والجوائز . ودبر أمره أبو عبد الله النعماني وابن الصقر
النصراني وتوافق اليه الديلم والاكراد فملك آذربيجان وبلادها وحي

الاموال وأعطى البلاد له باليد. فتمكن من آشوا ودّ بيل وكان عليهما الفضل ابن جعفر الحمداني و ابراهيم بن الضابي على سبيل التغاب فصاحت حاله وانتظمت. واتفق ان مات ابن الصقر النصراني فوصل من تركته اليه مائة الف درهم سوى ما اغضى عنه وهو شيء كثير فنفر د النعيمي بوزارته. ولم يزل أمره منتظما الى ان شره الى مال النعيمي وطمع فيه فقبض عليه ونصب في موضعه كاتباً له يقال له علي بن عيسى فاحتال النعيمي * * * الى بذل خطه بكل ما اقترحه عليه ولم يحالفه وسلك سبيل المداراة ثم قال له : ان ردّدتني الى العمل وسلمت اليّ خليفتي علي بن عيسى صححت لك من جهته وجهتي سوى مال الموافقة الف الف درهم . فشرهت نفسه الى ذلك وورده الى موضعه وقبض على علي بن عيسى وسلمه اليه .

وكان المرزبان بن محمد في تلك الايام قد ملك القلعة التي حبس فيها بسيميرم وقتل المؤكل به وهو شيراسفار وكان أيضاً قد أفلت علي بن ميشكي المعروف. يئسكا المأسور معه ^(١١٨) من حبس ركن الدولة وصار الى الجبل وجمع جمعاً كثيراً وكانب الديلم الذين كانوا مع ديسم واستألمهم وسار حتى قرب من وهسودان أخى المرزبان فكانا جميعاً يدبران على ديسم . ثم وصلت كتب المرزبان اليه ما بخلصه من القلعة وكانب سائر الديلم بأذربيجان وليس عند ديسم من الخبر كله الا خبر علي بن ميشكي وظن أنه وحده يقايله . فلحق باردبيل ابن أخت له يقال له غانم مضموما الى وزيره النعيمي ومستوفيا عليه المال الذي ضمنه عن نفسه وعن علي بن عيسى خليفته وسار على اختراع بين معه من الديلم فوجد النعيمي الفرصة لما كان في نفسه وأفسد غانماً على

خاله ديسم وقتل على بن عيسى بالمكروه العظيم واستأمن الى على بن ميشكى
واختل ٥٠٠ كل ما قدر عليه من المال . وبلغ الخبر ديسما فعاد الى أردبيل بعد
ان كان بلغ الى زنجان وشغب الديلم عليه فاخرج كل ذخيرة له من الصياغات
وغيرها وتوجه الى بردعة على سبيل النزهة والصيد وهو يظن ان خصمه
على بن ميشكى وليس عنده خبر الرزبان . وكان أتخذ الى أرمينية من بوطنى
له نيات ملوكها من ابن الديرانى وابن جاجيق وأخيه حمزة وابن سباط وغيرهم
ليجأ اليهم ان حزبه أمر وورد عليه خبر على بن ميشكى بتوجهه الى أردبيل
مع عدة يسيرة ثقة بان الديلم الذين مع ديسم سيستأمنون اليه فانكفأ ديسم
الى أردبيل ووقعت الحرب فقلب ^(١١) الديلم ترأسهم في وجهه وانمازوا
الى ابن ميشكى سوى جستان بن شرمزن فانه أخلص مودة ديسم فقبض
الديلم عليه وانهمز ديسم في نفر من الاكراد الى بلد الارمن فحمل اليه ملوكها
ما تمامك به . وورد عليه خبر الرزبان هناك في مسيره عن قلعة سميرم
التي كان عبوسا فيها وحصوله بأردبيل وتسلبه القلاع والاموال وانفاذه على
ابن ميشكى في جيش لطلب ديسم فلم يمكنه المقام فهرب الى الموصل ثم صار
الى بغداد وذلك في سنة ٣٤٢ فتلقاه معز الدولة وأكرمه ورتبه في أعلى
مرتبة وقضى حقه وواصل اليه المبار والالطاف وبذل له خمسين الف دينار
اقطاعاً في كل سنة على أن يقيم بحضرته فاقام مديدة في أطيب عيش وأرخى
بال فكان يقول ذلك لكتابه وأسبابه ويقول : أرغد عيش لي وأهناه أيام
مماي بغداد

ثم كاتبه أسبابه من آذربيجان بما اغتربه فترع الى الامرة والاستبداد
فرحل من بغداد وزوده معز الدولة مالا كثيراً وثياباً ودواباً وصراً كـ

فسار الى الشام زائراً سيف الدولة في طريقه ثم انقلب من عنده الى أرمينية وقصد ابن الديراني وابن جاجيق لثقتهم كانت به وانه كان أودعه ذخيرة له وكتب المرزبان اليه يلزمه القبض [عليه] فدافعه ثم اضطر الى أن أطاعه في القبض عليه وسأله الا يلزمه تسليمه اليه فأجابته المرزبان الى ذلك فأوقع ابن الديراني الحيلة على ديسم حتى قبض عليه وحصله عنده فلما فعل ذلك كتب اليه المرزبان يلزمه حمله الى حضرته نأقضا الشرط فدافعه مدة ثم اضطر الى تسليمه فحبسه عنده ثم سمل عينه فلما توفي المرزبان قتلته بعض أسبابه خوفاً من عائلته

﴿ ذكر حيلة المرزبان على صاحب قلعة سيرم وماتم عليه حتى ﴾
﴿ أفلت من موضعه وعاد الى مملكته بأفريجان ﴾

لما حصل المرزبان في القلعة امتنع من الطعام والشراب خاصة اللحوم وما أشبهها واقتص على القوت اليسير من الخبزة التي يستظهر منه أيضاً فبلغ خبره ركن الدولة فأمر أن يوصل اليه طبائخه الذي يثق به لينولى له ما كان يتولاه من المأكل والمشرب فحصل الطبائخ في القلعة معه وأخذ المرزبان في تدبير الخلاص على يده . وكان الطبائخ خفيفاً أحرق وظهر منه ما في نفسه وعرف خبره شيراسفار صاحب القلعة فرمى به من قلعة القلعة فهلك وضيق على المرزبان . وكانت والدة المرزبان خراسوية بنت جستان بن وهسوزان الملك تبذل الاموال في تعرف أخباره وتحتال في خلاصه وكان ابراهيم المعروف بابن الضابي (وقد تقدم ذكره) في حبس ديسم فخصص به ولم يجد مفزعا الا خراسويه ففصدها ولاذ بها^(١١) وضمن لها أن يتوصل الي المرزبان فأطلقت له مالا وأنفذته . وكانت المرافعة بها رجل يعرف بتوبان

بصارع ويقامر ويدخل في كل منكر فطلبه أصحاب الشرط بها يخاف
وهرب من المراغة وقصد خراسويه وضمن لها السمي لها في أمر ابنها
فظمت في جلادته وأطاعت له مالا وعرفته خبر ابن الضابي وأنه تقد قبله
فاجتمعا وبسا لباس التجار وأظهرا الستر والدين والورع ولزما فناء القلعة
وراسلا شيراسفار وعرفاه أنهما تاجران وأنهما كانا فيما مضى يعاملان
المرزبان وأنه أخذ بضائعهما وامتعة التجار وسألاه أن يجمع بينهما وبين
المرزبان ليتجرا كتبه وعلاماته بازاحة علمهما فيما يستحقانه وتستحقه التجار
عليه وواصل الدعاء له وعلى المرزبان وأكثرا لعنه وشتمه وكانا يقولان :
الحمد لله الذي كفى الناس شر هذا الظالم الذي لا يعرف الله ولا يؤمن
بنيه صلى الله عليه . وما أشبه هذا حتى رق شيراسفار لها وأوصل
واحدا واحدا منهما إليه من غير اجتماع فقال المرزبان : لا أعرفهما .
فأغلظاه وواجهاه بالقبيح وخوفاه بالله وسوء العاقبة وقال : انى لا أعرف
حسابهما ولكنى أكتب بان بحاسبا . وكثر^(٢٠٢) تردهما إليه فضمت
والدته اليهما وصيفا الديلمي للتنقب وكان في عسكر السلطان قديما ورجلا
آخر يعرف بابي الحسن ابن جنى وجماعة من أهل الطرم على هيئة التجار
وحملوا اللطاف الى شيراسفار وأسبابه والى بواب القلعة وكانوا يشترون
مهم الخوايج ويمدونهم الى أن يصلوا الى أموالهم وبضائعهم أنهم يبذلون
لهم أموالا جلية وفي خلال ذلك يكون ويشكون ظلم المرزبان وعدوانه
وكانوا يصلون الى المرزبان فرادى ويوصلون الكتب ويتجزون الاجوبة
ويدسون اليه في خلال ذلك الدنانير الكثيرة ليذللها وينفقها فيما يحتاج اليه .
وكان لشيراسفار الموكل بالقلعة غلام أسرد وضى الوجه يحمل ترسه

على مذهب الديلم فأظهر المرزبان عشقاً له ومجبة مفرطة فكان يعطيه سرا
الشيء بعد الشيء ويعده ان هو نخلص بأمور عظيمة وولايات كبار حتي
طمع الغلام وواطأه على كل ما أحب وأوصل اليه درعا في زنبيل فيه تراب
وعدة سكاكين وأوصل اليه شموعا فيها مبارد واجتمع معه على وجوه الحيل .
وأظهر أولئك القوم الذين كانوا في زى التجار الذسك والتأله والخشوع
فصاروا يصلون الى باب القلعة ويوصلهم البواب واحدا واحدا الى ان تمت
الحيلة بموافقة هذا الغلام للأسير سرا^(٣٠٣) وكان اتفق معه على يوم بعينه اذا
دخل اليه شيراسفار يناوله الترس والزوبين الذي لصاحبه اذا استدعاه منه
ووافق بمض أولئك التجار ان يكونوا مع البواب ليفتكوا به اذا صاح بهم .
فلما كان في ذلك اليوم وصل اليه توبان وكان أجلدهم وجلس آخر مع
البواب ليفتك به اذا سمع الصوت وجلس الباقيون قريبا من الباب ليدخلوا
عند التمكن فلما صار اليه شيراسفار على رسم كان له وكان المرزبان قد برد
سهم قيده على مر الايام ولبس في ذلك اليوم درعه والتف بكسائه وكان
يخاطب شيراسفار قديماً ويسئله ان يطلقه ويعده المواعيد العظام فيمتنع عليه
شيراسفار ويقول : لا أخون ركن الدولة أبدا ولكن أساعدك على كل
ما يخفف عنك غير هذا الباب . فلما كان في ذلك اليوم عاد المرزبان في
مسئله وكان توبان حاضرا فقال لهم توبان : بالله الا خلصتموني من الديون
عليكم ثم عودوا لثأنكم . فقال المرزبان لشيراسفار : قد أظلت عنائي .
ونفض من موضعه وقد أخرج رجله من القيد وبادر الى الباب فقلتم
الترس والزوبين من الغلام ونفض شيراسفار ليعلق به فوثب توبان
البسه وعاركه وصرعه ثم وجاه بسكين كان معه حتى قتله وصاح المرزبان
(٢٠ - تجلوب (س))

اشتم^(٢٠٤) على عادة الديلم فوثب الرجل^(٢٠٤) الذي كان في الدهليز على البواب
فقتله ودخل القوم الذين كانوا بالقرب فأحدقوا بالمرزبان وكان منغمسا في دم
شيراسفار . وكان الموكاوز في القاعة على تفرق ولعب بالترد فتداخلمهم الرعب
واجتمعوا وطلبوا الامان فجمعهم المرزبان في بيت وأخرج حرم المقتول
شيراسفار وحرم الجماعة ثم طالب سلاح القوم الذين في البيت فلما تم
أخرجهم من القلعة وتوافى اليه الرجال حتى خرج ولحق بأمنه

وفي هذه السنة تم الصلح بين ركن الدولة وابن محتاج بعد حروب
كثيرة على باب الزى ومنازلة ثلاثة أشهر وانصرف ابن محتاج الى خراسان

(ذكر السبب في ذلك)

كان استمد وشمكير على عادته صاحب خراسان . فامسده بابي على ابن
محتاج في جموع كثيرة وتوجهوا الى الري وظنوا أنه الاستيصال وانه لا يات
لركن الدولة ولا بقية له وجاء وشمكير على ثقة بذلك فلم ركن الدولة أنه
لا يقوم لهؤلاء الجمع الكثير الا بالمطاوله والتحصن بحيث يكون القتال من
وجه واحد جعل بلد الري خلفه وحارب في الموضع المعروف بطبرك فدامت
الحرب وصبر الفريقان الى أن قرب الشتاء وصل الخراسانية فلم يصبروا
وخافوا ايضاً سقوط الثلج عليهم فاخذوا^(٢٠٥) في العتاب والتراسل ورق
أمر الحرب . وكان الواسطة من قبل الخراسانية أبو جعفر الخازن وهو
صاحب الكتاب المعروف بزيج الصفائح^(٢) وله تقديم في علوم الرياضة ومر
بينهما كلام كثير انتهى الى المودعة والصلح

(١) كلمة فارسية معناها المنف

(٢) وردت ترجمته في تاريخ الحكماء لجلال الدين الفطحي ص ٣٩٦

فاشير على ركن الدولة بان يجهز على الجرح ولا ينفس عن خناق عدوه فانه انما جنح للسلم عن ضرورة وقد فقد صبره وماله وشغب عليه جنسده « ووراءك بلدة مثل الرى وانت وادع جام بها » ولم ير له احد من نصحاته ان يجيبهم الى الصلح وذلك ان النكول كان قد ظهر فيهم . فلم يقبل ركن الدولة هذا الرأي من احد على سداده ووضوحه ولو صدقهم بصدمة يصدمهم بها لآتى عليهم والله اعلم بمواقب الامور فقبل الصلح وشق ذلك على وشمكير وبلغ منه مبلغا عظيما وذلك انه كان لا ينتظر ولا يرجو ان يجمع اكثر مما جمع ولا يفتشدا اكثر من هذا الاحتشاد . فلما انصرف ابن محتاج طالب ركن الدولة وشمكير فانهزم من بين يديه ولم يقف فاتبعه حتى اخرجه من طبرستان وجرجان وحصل باسفر ايين . وكتب الى نوح بن نصر يدرفه ما جرى ويفريه بان محتاج فاعتناظ نوح وتحرك منه ما كان في نفسه على ابن محتاج^(٢٠٦) فعزله من الجيش بيكر بن مالك وانفذه في جيوش عظيمة فصار ذلك سببا قويا ضروريا لمسكاتية ابي علي ابن محتاج ركن الدولة وعوده الى طاعته بعد ان اصابه في نفسه واسبابه واحواله مكاره عظيمة ازالته عنه بصاحبه وثقة صاحبه به ولم يبق بينهما حال يرجي معها الصلاح .

وكتب الخليفة في هذا الصلح كتابا تقدم على يد ابن ابي عمرو الشرايى حاجب الخليفة وابي محمد عبد الله بن يحيى صاحب معز الدولة واتفق موت نوح قبل ان يؤدى الرسالة والكتاب وقعد مكانه عبد الملك بن نوح . ولما قدم ابو محمد من خراسان عائدا ومعه ابوبكر عبد الواحد بن ابي عمرو الشرايى اغترضهما ابن ابي الشوك الكردى من الشاذنجان وكان متقلدا أعمال النماون بجلوان واليه الجباية والطريق وأظهر الخدمة وخرج معهما مبدوقا بهما ثم

غدر فنهيهما وهب القافلة التي كانت معهما وأسر أبا مخلد وأفلت ابو بكر عبد الواحد بن ابي عمرو والشرابي فطالب ابن ابي الشوك معز الدولة باطلاق رهائته ووعده أنه ان أطلقوا اطلق ابا مخلد فضمن له ذلك واطلقوا واطلق أبا مخلد ثم خرج الحاجب سبكتكين الى حلوان للايقاع بالاكراة فدخل حلوان وقرر أمر الاكراة وابن أبي الشوك^(٢٠٧) وعاد

﴿ ودخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها خرج أبو سالم ديسم من بغداد وذلك لما يئس من نصرة معز الدولة .

﴿ ذكر السبب في يأس ديسم من نصرة معز الدولة اياه ﴾

سبب ذلك ان ركن الدولة صالح المرزبان بن محمد السلار وصاهرة وتمكن سلار من آذربيجان فانصرف ديسم من حضرة معز الدولة وودعه وظن انه يجد عند ناصر الدولة عوناً فقصدته وأقام عنده بالموصل مدة ثم مضى من عنده بعد اليأس منه الى سيف الدولة أخيه وأقام عنده أيضاً مدة وفي هذه السنة قصد أبو علي ابن محتاج ركن الدولة للضرورة التي ذكرناها وجاء على طريق جبل ونداز هُرُضْر فاستقبله ركن الدولة وبالغ في إكرامه وأضافه وجييع من ماله وأقام لهم الانزال الواسعة والنمس ابن محتاج عبداً يُسَكَّب له من جهة الخليفة على خراسان فكتب معز الدولة في ذلك فتكفل به حتى فعل .

وفيها وصل رسول ابن محتاج الى بغداد ولقي معز الدولة فاحتشد له احتشاداً كثيراً وأوصله الى الخليفة حتى عمداً لابي علي على خراسان وقلده اياها مكان نوح بن نصر وسلم اليه المقد والخلم وضم^(٢٠٨) اليه أبا مخلد وأبا بكر بن أبي عمرو والشرابي وأنفذ معهم معز الدولة أبا منصور لشكرورذ

نجدة لابي علي ابن محتاج ومعاونة له علي نوح فلما كان بعد مدة ورد كتاب
أبي علي ابن محتاج بأنه قد خطب لامير المؤمنين المطيع لله بنيسابور ولم يكن
خطب له الى هذه الغاية في شيء من بلدان خراسان^(١) وذكر في كتابه
صحة موت نوح . وورد الخبر بان نوحا لما حضرته الوفاة كان بحضوره ابن
مالك وهو أحد قواده السكبار فطلب علي الاور وعقد الامر لعبد الملك بن
نوح في ولاية خراسان وتقلده هو رئاسة الجيش مكان أبي علي ابن محتاج .
وسار يطلب ابن محتاج وانقل عن ابن محتاج رجاله وعادوا الى صاحب
خراسان وبقي أبو علي في مائتي رجل من أصحابه سوى من ضم اليه من
الديلم فاضطر الى الهرب من بين يدي ابن مالك . وورد خبره من الدامغان
بأنه صائر الى ركن الدولة مستجيرا به فقبله ركن الدولة أحسن قبول وأقام
عنده بالرى . وزل ابن مالك بنيسابور وتبع أسباب ابن محتاج

وفيهما صرف الازعاجي عن الشرطة ببغداد واعتقل وصودر علي
ثمانمائة ألف درهم وتلد الشرطة مكانه تكينك ثقيب الاتراك وقد كان
طولب قبل صرفه بأربعين ألف درهم علي ان يقرّر^(٢) في عمله من
الشرطة ووعد بانقطاع فلم يفعل

﴿ ذكر الرأي الخطأ من الازعاجي حتى استمرت عليه ﴾

﴿ النسكبة وعظمت بعد ان كانت خفيفة ﴾

كان الازعاجي منقطعا الى أبي علي الخازن فاستشاره وكان أبو علي
يعتني به فأشار عليه ألا يلتزم شيئا ولا يدخل تحت شيء مما يُطالب به وقال

(١) زاد صاحب النسكبة . وبلغ الخبر بموت موسى قباده فاستمدد المهدي لحيازة

تركته وكانت عظيمة

له : هذا يطعم فيك ويسير رسماً عليك فان امتنعت انخس الطمع فيك وفيما بعده . فقبل رأيه فاداه ذلك الى النكبة وما أراد به أبو علي الا الخير ولكنه أخطأ الرأي كما يخطئ الانسان ولما أدى هذا المال وانصرف الى منزله قبض أيضاً عليه ونُكِب نكبة ثانية وسُلبم الى تسكينك فجرى عليه مكروه عظيم وصور على مائتين وخمسين الفا فاذاها .

وفيها دخل ركن الدولة الى جرجان ومعه أبو علي ابن محتاج بغير حرب وانصرف وشمكير عنه ودخل خراسان

وفيها خُطِب (بمكة والحجاز) لِرِكن الدولة ومُعز الدولة وبختيار وبمدم لابن طنج وذلك بعد حرب جرت بين أصحاب معز الدولة وبين المصريين وكان أبو علي ابن محمد بن عبيد الله صاحب الحاج من قبل السلطان بمكة وقاتل وقتل ابن له بين يديه

﴿ ودخلت سنة أربع وأربعين وثلثمائة ﴾^(٢١٠)

وفيها عقد معز الدولة لابنه أبي منصور بختيار الرياسة وقلدهُ أمة الامراء وذلك في المحرم من هذه السنة وكان سبب ذلك انه عرض لامز الدولة علة يقال له فريافسمس وهي علة الانماط الدائم ويكون معه وجمع شديد مع تواتر القضب وكان معز الدولة خواراً في أمراضه فاوصى وقلده ابنه كما حكينا أمة الامراء .

وبلغ عمران بن شاهين ان معز الدولة تسدمات واجتاز به مال يحمل الى معز الدولة من الاهواز ومعه كاركبير فيه للتجار أمنسة عظيمة وكان مقدار المال المحمول لمعز الدولة مائة الف دينار وما للتجار أضعاف ذلك . فد عمران يدهُ الي المال والكار علي رسسه في مثل ذلك فأخذ الجميع وقبض

على المزعبل ملاح معز الدولة الذي كان مع المال فصادره وضربه ضربا عظيما ودهته الى أن أزمته ثم أتخذ اليه معز الدولة أبا الحسين الكوكبي^(١) نقيب الطالبين رسالة الى ان رد المال وذهبت أسمعة التجار واتفق الصلح وتأدى الامر الى الوحشة

وكان الحاجب سبكتكين أخرج الى شهرزور في جيش كثير ومعه عرادات ومنجنقات فأقام مدة عليها ولم يتمكن فتحها^(٢) واتفق أن جيشا ورد من صاحب خراسان الى الري فاحتيج الى اتقاذ سبكتكين الى ركن الدولة مدد له فانصرف من شهرزور ولم يصنع شيئا

وفيهما ورد ابن ما كان اصبهان وكان مسيره اليها على طريق المفازة من خراسان فهجم هجومًا واضطر أبو منصور بويه بن ركن الدولة وعيال ركن الدولة وجميع أصحابه أن يخرجوا على وجوههم الى خان النجان ومنها الى الرباط على أقبح صورة واستولى ابن ما كان على اصبهان . وكان الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رفع الله درجته بارجان فبادر مع قطعة من العرب وتفر يسير من الديلم كانوا معه فوجد ابن ما كان قد تبع أبا منصور بويه بن ركن الدولة ومن معه من الحرم فلحق سواده وملك خزائنه وتخلص الامير بويه والحرم على . وقد أشرف هو والحرم على الفضيحة والاسر

(١) هو أحمد بن علي بن أبي جعفر محمد الكوكبي من ولد محمد الارقط بن عبد الله الباهر بن علي زين العابدين وقال صاحب كتاب عمدة الطالب انه كان نقيب القباة ببغداد في أيام معز الدولة : وفي كتاب الافادة في تاريخ الاثمة السادة لابن غالب يحيى ابن الحسين البطحاني العلوي المتوفى سنة ٤٣٣ . كان فيه زعارة وغضب فشكا العلوية الى معز الدولة سوء معاملته أيام مرة بعد أخرى . فقال لهم . قد عزلته عنكم فاختراروا لاقسكم من ترضونه . فاجتمع العلوية كلهم على الرضي بأبي عبد الله ابن الداعي .

فلحقه الاستاذ الرئيس قهارض ابن ما كان ودافعه بخان النجان فاقوم به واستأسره وبه ضربات وأسر جميع قواده وقتل أصحابه قتلا ذريما . وحمل الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن ما كان وقواده الى القلعة بالخان ثم صار الى اصبهان فاقوم بمن فيها من أصحاب ابن ما كان وورد الامير ^(٢١٢) أبا منصور بويه بن ركن الدولة مع الحرم الى اصبهان مصونين وتلافى ذلك الخطب العظيم أحسن تلاف .

وكان بمحدثي رحمه الله بخبر هذه الواقعة مرات فيقول : لما التقينا بالخان انهزم عنى أصحابي واشتغل أصحاب ابن ما كان بالنهب والغارة وثبت آفة فقط من غير رجاء منى في ظهر بل وقفت وقوف المستسلم للقتل والاسر . وذلك انى افكرت في تلك الحالة وقلت « ان انصرفت بنفسى سالما ومثلت بين يدى صاحبي أى وجه يكون لى عنده وأى لسان يدور بعذرى بحضرتة بمد ان أسلمت أعزته وأولاده وحرمة وبالجملة ملكه ا » ونظرت فاذا القتل على فى حالتى تلك أهون من هذه الحال التى تصورتها فصرت لان أقتل كريما (قال) فكنت واقفا وراء خيمة لى بعمودين وأنا أرى أظنابها تقطع وما فيها يخرج ومن يرانى لا يظن انى أثبت فى ذلك الموضع مع تلك الصورة فينما أنا كذلك وأصحاب ابن ما كان مشغولون عنى بالنهب اذ ناب الى ثلاثى روين وفلان وذلان وراهم العرب فتاب منهم جماعة يسيرة فحملت بهم وصاح الناس السكره فقتلنا وأسرننا ولم يفلت أحد ولما كان بمد ساعة من النهار لم يبق من جيش ابن ما كان عىن تطرف ^(٢١٣) الا من أخذ أسيرا وحمل الى ابن ما كان وبه ضربة فى يده وقد تعلق منها اصبعان بجملة رقيقة تمدها حتى قطعها (قال) فهو على ذلك بين يدى حتى شق الزحمة اليه

مكار أو ركايب فصفعة صفعة طن بها الموضع وغاص فلحقتني غيظ عظيم
وأمرت بطلبه وهمت بالثلة به وقطع يده فما وقف له على أثر ولا عرف
له خبر الى اليوم

وكان ابن ما كان مع عظم قدره في نفوس الديلم وشدة بأسه محربا
عظيم القوة ورأيت انا جوشته وهورزين جدا يمرض على فتیان الديلم
واشدأهم أن يلبسه فيستفي منه لثقله على اليد

وفي هذه السنة أنجد سيف الدولة دينا وعاضده بعض الاكراد
فقصد سلباس وملكها وخطب لسيف الدولة بها وكان السلباس غائبا بناحية
باب الابواب مشغولا بقوم خرجوا عليه هناك فلما عاد من باب الابواب
وأصلح أمره هناك وظفر بمدوء فقصد دينا فاستأن رجاله الى سلباس
وهرب ديسم ومضى الى ابن الديراني صاحب أرمينية مستجيرا به فقبله ثم
غدر به وقبض عليه وقيده وحمله الى السلباس. فيقال ان السلباس سمله ثم قتله
وفيه مات أبو علي ابن محتاج وابنه بالزي في وبا حدث هناك

وفيهما تم الصلح^(٢١٤) بين ركن الدولة وصاحب خراسان .
وفيهما ورد أبو الفضل القاشاني صاحب ركن الدولة مع ابن أخت ابن
مالك برسالة عبد الملك بن نوح صاحب خراسان يلتمس أن ينفذ اليه خلع
ولواء على خراسان فمقد له الخليفة اللواء وولمه مع الخلع الى ابن أخته الوارد
برسالته وورده مع أبي الفضل القاشاني وقاد أيضا اليه فرسا وأضاف الى خلع
الولاية خلع منادمة^(٢١٥)

(١) زاد صاحب التكملة . وفي هذه السنة سد معز الدولة فوهة نهر الرجيل وسد
بق النهروانات وحفر للخلاص محوله وشرع في سد يثق الرومانية يادوربا . وقال أيضا

﴿ ودخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفها خوطب أبو محمد المهلبى بالوزارة وأمر بذلك معز الدولة وخلم
عليه وزاد في أقطاعه

وفها خرج روزبهان بن ونداذ خرشيد الديلمى على معز الدولة وخرج
أخوه المسمى بيلكا بشيراز وكاشفا بالمصيان وفعل مثل ذلك أخوه الآخر
أسفار بالاهاواز وجاء روزبهان الى الاهاواز وكان بها الوزير المهلبى ليحاربه
فاستأمن رجاله الى روزبهان وانحاز الوزير عنه . وورد الخبر بذلك على معز
الدولة فلم يكن يصدق بذلك لشدة ثقته به فانه هو الذى اصطنعه ونوّه
باسمه فكان خاملا وعظم قدره وكان صغيرا قبل ذلك من رجال موسى فيأذه
وصغار أصحابه . وأتقذ معز الدولة شيرزىل على مقدمته للحرب واضطرب
الديلم بأجمعهم على معز الدولة^(٢١٥) اضطرا ابا شديدا وأظروا أشياء كانت في
نفوسهم عليه من الدتب والاستبطاء وكاشفوه وواجهوه بكل ما كره
وأخذوا يستأمنون . فقلد معز الدولة الابزاعجى الشرطة بواسطة وأتقذه اليها
وفي يوم الخميس لخمس خلون من شعبان خرج معز الدولة من داره ببغداد متوجها
الى قتال روزبهان وزاد الامر في استئمان الديلم الى روزبهان . وخرج الخليفة
المطيع لله منحدرًا الى معز الدولة وذلك ان ناصر الدولة لما بلغه خبر روزبهان
وما عمله هو واخوته حدث نفسه ببغداد فوجه بابنه أبى المرججى وآخر من
أولاده الى بغداد وبلغ ذلك معز الدولة فرد الحاجب سبكتكين من واسط
لضبطها وكتب الى مسافر بن سهلان (وكان بنهاوند متقلدا لها) يأمره

وأنحدر روزبهان في شهر رمضان لقتال عمران وجاء المهلبى الى زاوطا لمعاوته وترك
روزبهان محالوبة عمران ومضى الى الاهاواز عاجيا

بالمجمل الى بغداد لمضامة الحاجب سبكتكين ببغداد . فشغب الديلم المقيمون ببغداد لطلب أرزاقهم فبعث اليهم مسافر وسبكتكين ولشكرورز ووعدم بالمال فسكنوا وكان مسافر نزل في أعلى القطيعة وخرج سبكتكين الحاجب فنزل يباب الثماسية وهم على قنوط من [معز] الدولة . ومنع معز الدولة جميع الديلم من العبور لقنطرة أربق معه لما رأى من استئمانهم الى روزبهان ووكل بالقنطرة من يمنهم من عبورها قلة ثقة بهم^(٢١٦) وخوفاً من أن يغدروا به ويشوشوا باقى عسكره لانه كان ينفق فيهم فاذا قبضوا النفقات صاروا الى روزبهان من فورهم فمابى معه من الديلم الا ليلى بن موسى فياذه وشيرزىل ابن وهري والحسن بن فناخسره فقط

وكان اعتماد معز الدولة على غلخانه الاتراك خارب روزبهان يوم الاثنين اندلخ شهر رمضان نهاره كاه الى ان سقط القوم^(٢١٧) ثم حمل بنفسه في غلخان داره وحضهم بأن قال : يا أولادى قدر بيتكم تربية الاولاد فأرونى غناهكم الساعة . فحملوا معه جملة الصبيان الاتحار فلم يردهم شىء وانهمز روزبهان وأصحابه وأسر روزبهان وبه ضربات وأسر كوركيز وفتح اللشكري وأرسلان كور

﴿ شرح صورة هذه الحرب على سياقة من شاهدها ﴾

استوحش الديلم من منع معز الدولة اياهم من العبور فاجتمعوا عليه وقالوا له : ان كنا رجالك فاخرجنا نقاتل بين يديك فأنا لا نصبر ان نجلس مع الصبيان لحفظ سوادك وترى الاتراك يقائلون عنك فتى ظفرت بمدوك فخرجنا من المحمدة ومتى ظفر مدوك فلحقنا الدار والسبى . وكانهم سلكوا

في هذا الكلام مسلك الخيلة يُطابق لهم العبور فيتمكنون من ^(٢١٧) كسر
عسكره والاستثمان الى عدوه فسألهم التوقف وقال : انما أريد ان أشام
القوم ولا أناجزهم فيما فعلت بالامس فاذا كان في غد باكرناهم باجمعنا على
تعية واستعنا بالله وناجزناهم . وكان يدبر عليهم النفقات وبواصل المطايا
ويكثر المداراة فامسكوا عنه وعبر معز الدولة وعبي غلماه كراديس تتاب
في الحملات الى وقت غروب الشمس فهناك قتل الانراك واقطعت حيلهم
وفى أشابهم وشكوا الى معز الدولة وقالوا : ليس فينا فضل وقد أمسينا
فستريح الليلة وشرق فينا النشاب ونا كرههم الحرب . فعلم معز الدولة
انه ان رجع عن هذه الحالة زحف روزبهان والديلم وثار من خلف وراءه
من أصحابه الديلم الذين كان يهملهم فلا يمكنه الهرب وكان الهلاك فبكي
بين أيدي غلماه وكان سريع الدمعة ثم سألهم ان تجمع الكراديس
كلها ويحملوا وهو في أولهم فاما ان يظفروا واما ان يقتل أول من يقتل
فطالبوه بالنشاب فقال : قد بقي مع الغلمان الاصغر نشاب نخذوه وتوزعوه
وكانت عدة من الغلمان الاصغر تحتم الخيل الجياد العناق وعليهم الجب
والتجايف وكانوا سألوا معز الدولة ان يأذن لهم في الحملة نوبة في
الكراديس فلم يأذن لهم ^(٢١٨) وقال لهم : اذا كان الوقت الذي يصلح
لكم ما سألتهم اذت فيه . فوجه اليهم بنقيب وأوما يده ان اقبلوا ما يقول
النقيب ليأخذ النشاب منهم فلم يشكوا انه انما أوما اذنا لهم فيما كانوا
يسألونه ووعدهم به فحملوا وهم مستريحون . كذلك خيلهم فصدمو اصفوف
الديلم فكسروا بعضهم فوق بعض وصاروا من ورائهم وحمل معز الدولة
فوضع فيهم التوت فكانت اياها وكتب بالظفر الى بغداد

فورد على الديلم القيمين بغداد ما أدهشهم ولم يصدقوا به وقدروا
انه أرجف بذلك ارجافا فكانوا يستهزئون استهزاء ظاهراً ويقولون « نعم
كانوا دجاجاً وضع عليهم مِكبّة فما أفلت أحد » وكانت نفوسهم اشراقت
الى روزبهان فلما صبح عندهم الخبر ضعفت نفوسهم وانخذلوا . وأمرع معز
الدواة الانصراف ليلحق بغداد قبل ورود أصحاب ناصر الدولة اليها فدخل
بغداد يوم الجمعة لاثني عشرة ليلة بقيت من شوال ودخل داره ثم سار في
يومه ذلك في الماء الى معسكر الخلاجب بباب الشماسية في زبزب ومعه
روزبهان في زبزب آخر مكشوقاً ليراه الناس وكوركير في زبزب آخر
واجتمع الناس على الشطوط فدعوا له وعلى روزبهان . وقد كانت العامة
محين لا يام^(٢١١) معز الدولة وذلك لما كان منه في سد بئق نهر الرفيل
وسد بئق بادوريا فانه خرج بنفسه حتى سد هذا البئق وحمل التراب بنفسه
في بركة قبائه حتى فمل جميع المسكر مثل فعله وسد ذلك البئق ثم خرج
الى النهروانات فسد بئقها وكانت النهروانات قد بطت وكذلك بادوريا
فلما سد بئقها عمرت بغداد وبيع الخبز النقي عشرين رطلا بدرهم فالت
العامة الى أيام معز الدولة وأحبوه .

ومضى الامير معز الدولة ممتداً الى عسكره بقطربل وكان أبو المرجى
وأخوه قد وصلا الى عكبرا ووصلت خيولهما الى البركان فلما بلغهما قدوم معز
الدولة وما جرى على روزبهان انصرفا من عكبرا الى الموصل وتبعهما الخلاجب
سبكتكين فلم يلحقهما لاغذاهما السر .

وحبس روزبهان بالصراة في حصن كان هناك فكان الديلم يحدتون
أنفسهم بكبس موضعه واخرجه وأشار أبو العباس مسافر على معز الدولة

قتله فأبى وكره ذلك الى ان قال جماعة من تقاته : انك ان لم تبادر الى قتله
أخذه الديلم غصبا وزالت الدولة وذهبت أرواحنا . فأخرج حينئذ بالليل
وغرق في سُميرية أسفل دار الخليفة وورد الخبر بعد ذلك بظفر الاستاذ^(٢٢٠)
ابن العميد يُلُكًا أخى روزبهان وردّه الملك على أبي شجاع فناخسره بن
ركن الدولة . فانظوى ذكر روزبهان واخويه بعد ان اشتعل اشتعال النار
وانحاز اليه والى أخيه بُلُكًا الديلم وظنوا انهم قد ثقلوا ملك بني بويه والله
الامر من قبل ومن بعد . ثم ان معز الدولة أسقط الديلم الروزبهانية وقبض
على جماعة من قواده وأعرض عن سائر الديلم وأقبل على الاتراك واصطنعهم
وكتب بالفتح الى الامصار

﴿ ودخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفى فيها ورد الخبر بموت السلار المرزبان بأذربيجان في شهر رمضان
وكانت وفاته بفساد المزاج فلما يئس من نفسه أوصى الى أخيه وهسودان على
ان يكون الرياسة له ثم من بعده لابنه جستان وكان قد تدم الى أصحاب
قلاعه الموكلين بحفظها ان حدث عليه حدث الموت الا يسلموها الا الى
جستان ابنه فان حدث به حدث الموت فالى ابنه ابراهيم فان مات فالى ابنه
ناصر . وكان له ولد رابع يقال له كيخسره^(١) فلم يذكره لصغره وقال « فان
لم يبق من هؤلاء أحد فسلموها الى أخى وهسودان » ولما وصى الى أخيه
وصيته هذه عرفه علاماته التى بينه وبين أصحاب قلاعه فانفذ وهسودان^(٢٢١)
بعلاماته وخاتمه الى المرتسين فى القلاع فى تسليمها اليه فابوا عليه وأظهروا
وصيته المستورة . وكان ابراهيم بن المرزبان متزوجاً بابنة ولكين بن خرشيد

(١) وهو مذكور مع صاحب ابن عباد فى ارشاد الارب ٣ : ٣٠٨

وهو من أكابر الديلم وكان ولكن هذا محبوسا من جهة المرزبان باردبيل فلما مات المرزبان خاطبته زوجته في أبيها وحماته على ان يمضى بنفسه ويخرجه من محبسه فركب وأخرجه من غير استئذان عمه وهسودان فاستوحش وهسودان وفكر في مخالطة أخيه له في الوصية وفي اقدام ابن أخيه ابراهيم عليه وإخراجه ولكن من محبسه بنير اذنه فساء ظنه وخرج من أردبيل كالمهارب الى الطرم فاستولى جستان على بمالك أبيه وأطاعه أخواه ابراهيم وناصر وقلد وزارته أبا عبد الله التميمي وتوافق اليه قواد أبيه الاجستان بن شمرزن فانه تأخر عنه وفكر في التغلب على ناحية أرمينية وكان واليها . وأخذ وهسودان في التضريب بين أولاد أخيه وتفريق كلمتهم واطماع أعدائهم فيهم والتشفي بما عومل به حتى اضطرب عليهم عسكريهم وطالبوهم بما لا يتسعون له حتى تمكن منهم وقتل بعضهم وحرص على من لم يمكنه قتله حتى بلغ ما أراد واشتق وزاد^(٢٢٢)

وفي هذه السنة كثر بينداد أورام الخلق والمائرا وكثر الموت بهذين الضربين^(١) وموت الفجأة وكل من اقتصد انصبت الى ذراعه مادة حادة عظيمة يتبعها حتى حادة فيحتاج الى بطّة وما سلم أحد من اقتصد . وكانت شتوة هذه السنة دفيّة عادمة الامطار وحكى أهل البحر ان البحر نقص في هذه السنة ثمانين باعا وانه ظهر لهم جبال وجزائر لم يعرفوها ولا سمعوا بها قط وكانت زيادة دجلة في هذه السنة يسيرا نحو عشرة أذرع وكان بالرى ونواحيها زلازل عظام مات فيها من الناس ما يعظم مقداره وبكثرت عدده^(٢)

(١) لعله «المرضين» (٢) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة خرج أبو الحسين ابن مقلة الى كربلاء لزيارة وبه فالح فسات في طريقه وأعيد الى داره ودفن في مربة أبي

﴿ ودخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيهما كثرت الزلازل يتعداد وحلوان وبلدان الجبل وعظم أمرها
بالجبل خاصة تغربت الابنية وقتلت الخلق^(١)

وفيهما شغب الأتراك والديلم بالموصل على ناصر الدولة وزحفوا الى
داره وأرادوا القتاك به فخاربههم بفلمانه وبالعمامة وظفر بهم وقتل بعضهم في
الوقعة وقبض على جماعة وهرب الباقون الى بغداد

وفيهما ورد الامير أبو منصور بويه بن ركن الدولة الى بغداد يخطب ابنة
معز الدولة ومعه أبو علي ابن أبي الفضل القاشاني وزير اومه أبو القاسم
اسماعيل بن عباد يكتب له على سبيل^(٢٢٣) الترسل . فلما كان ليلة السبت
للياسين خلنا من جمادى الأولى زُفَّت بنت معز الدولة الى أبي منصور بويه
ثم حملها الى إصبهان

وفيهما خرج معز الدولة نحو الموصل يوم الخميس لاربع عشرة خلت من
جمادى الآخرة وعبر من باب الشماسية الى قطربل وضرب مضاربه هناك
وعزم على قصد الموصل لمحاربة ناصر الدولة وأولاده لما كان منهم في قصد

عيد الله . وزاد صاحب تاريخ الاسلام . وله تسع وثلاثون سنة (١) زاد صاحب تاريخ
الاسلام : وكان بالرى ونواحيها زلازل عظيمة وخسف يد الطالقان في ذى الحجة وم
يفلت من أهائها الانحو الاثني رجلا وخسف بخسین ومائة قرية من قرى الري واتصل
الامر الى حلوان تخسف بأكثرها وقذفت الارض عظام الموتى وتفجرت منها المياه
وتقطع بالرى جبل وعامت قرية بين السماء والارض بمن فيها نصف نهار ثم خسف بها
وانخرقت الارض خروفا عظيمة وخرج منها مياه مننته ودخان عظيم هذا نقل ابن الجوزى
فان الله أعلم . وقال أيضا . وفي سنة ٣٤٧ عادت الزلازل بحلوان وقم والحبال فالتفت خنقا
عظيما وهدمت الحصون وجاه جراد طبق الدنيا فأتى على جميع الغلات والاشجار .

مملكه والطمع فيها بعد الصلح والموادعة وتردّت الرسل فامر ممر الدولة ان تُكتب عنه توبيخات وتهجينات عنيفة شديدة وأمر ان تُقرأ وتُستوفى أجوبتها

﴿ ذكر هذه التوبيخات ﴾

قال فيها: أنت ذاكر ماجرى عليك من تكين الشيرزادي فانه أخرجك من نعمتك وكاد يأتي على مهجتك فلجأت الى بعد عداوة سبقت امنك لي ومنازعة نازعتنيها عن بلاد لم يكن في يدك منها شيء فاطرحت لاحقاد وانغمرت الذنوب وآرتك على تكين وهو اذ ذاك يبذل لي الخدمة والطاعة وحمل المال واقامة الخطبة ولا ينمس مني الا ترك الدخول بينك وبينه والانصراف عن النصرة لك عليه فأثرتك . وأنفذت كتابي وعسكري باموال أنفقتها ومؤون تكلفتها^(٢٢٤) حتى أخذت بناصيته وسلمته اليك فشفيت صدرك منه وعدت الى وطنك . ثم حصلت في يد وزيرى الصيمري حصول المستجير الذليل فوفى لك ولو شاء لأسرك واشتمل على بلادك وقلاعك . وظننت انك تعرف لى حق هذه النعمة وتطالب نفسك عليها بالمجازاة فاييت الا غدرآبي وتقييحا في معاملتى . وليتك لما لم تعمل عمل الاصدقاء الاوفياء عملت عمل الاعداء الحزماء فكاتبتي تعرض نفسك على فى النائة العظيمة التي نابتي فى أوثق الناس عندى وتبذل لى معاوتك فكنت تنفذ عسكري الى تكريت على انه مدد لى فان لاح لك استظهار منى تحمدت على وتوددت الى وان لاح لك استظهار على أظهرت ما فى نفسك حيث تكون فيه أعذر وأقل ملامة . ثم اتبع هذا القول بالتوعد والتهدد بالسير الى أعماله واستيصاله .

﴿ الجواب عن هذه الرسالة ﴾

انك قد صدقت في جميع ما عددت واني معترف به ووالله ما كان عن رأي ولا أمرت به ولا كنى شيخ لي أولاد أحداث يخالفونني في تديريهم فيركبون الهوى في أمورهم ولا رأي لمن لا يطاع . وتمت الموافقة بينه وبينه على تعجيل ألفي ألف درهم فمجلها له^(٢٢٥) والتزم مثلها في كل سنة فظهر معز الدولة الرضاء ضرورة لانه كان غير واثق برجاله ولان أعماله اختلت بتلك الفتنة فعاد الى داره . ثم أخر ناصر الدولة المال الثاني لان الاول كان في سنة ست نخرج معز الدولة اليه وسار ناصر الدولة الى نصيبين ودخل معز الدولة الموصل وسار الى نصيبين وخلف سبكتكين بالموصل . وأنفذ سرية الى سنجار لانه بلغه ان أبا المرجي وهبة الله ابني ناصر الدولة بها وبلغها خبر السرية فانصرفا وقد كان أعجلها الأمر فتركها خيمهما وجميع معسكرهما بحاله ولم يمكنهما حمل شيء فاسرع الديلم الذين كانوا في السرية الى الغارة والنهب

﴿ ذكر عجلة واضاعة حزم ﴾

ان الديلم نزلوا في خيم أبي المرجي وأخيه فعادة وكبسا المسكر واستأسرا جماعة وقتلا جماعة وكان ممن قتل ابن ملك الديلمي المعروف بسياجثم قتله هبة الله ووقع في الاسر شيرزاد وشيرمردي وعدد كثير

﴿ ذكر السبب في هذه النكبة وضعف ﴾

﴿ معز الدولة بعد الاستلاء ﴾

كان من عادة ناصر الدولة اذا تنجى من بين يدي معز الدولة الايترك في البلد لا كاتباً^(٢٢٦) ولا دليلاً ولا أحداً ممن يعرف تقع السلطان وضره وتحشرهم

الى قلاعه مع حساباته ودواوينه ثم يأمر الصماليك والعرب أن يتصرفوا
 البلد ويعنوا العلافة ومن يخرج لطالب العلف والطعام الا أن يكون معهم
 عسكر قوى فاذا رأوا عسكراً قويا لم يظهروا ولم يتعرضوا وكان غرضه في
 ذلك أن يضيق السير والعلوفات فينصرف عنه معز الدولة ففعل ذلك في هذا
 الوقت . وبلغ معز الدولة كثرة الغلات بنصيبين وكانت للسلطان ققصدها
 وخلف حاجبه سبكتكين بالموصل فلما صار ببرقيد بلغه أن أبا المرحي وهبة الله
 ابني ناصر الدولة مقيمان بسنجار فعمل على كبسهما ونذب لذلك جماعة من
 القواد الكبار وجعل الرئيس عليهم تكين الجامدار وكان غلاما أمرد وضىء
 الوجه منهمكا في الشرب لا يعرف الصحو ولا تقدمت له حنكة فاشار الوزير
 المهلبى الأيخرجه في مثل هذا الوجه وان يعدل الى أحد مشايخ القواد فلم يقبل
 منه وأنفذه في خمسةائة رجل فاشرفوا على أبي المرحي وهبة الله فارهقوها عن
 تقويض الخيم واستصحاب شيء من رجالها وافتتا على ظهور دوابها وتركوا
 جميع ما لهم ^(٢٢٧) فأتبهم العسكر . ثم تعجل اصحاب معز الدولة الى الخيم وتركوا
 الحزم فنزلوها واستقروا فعطف عليهم أولئك وصارت الكبسة لهم فقتلوا
 وأسروا وغموا ما شاءوا . وبقي معز الدولة في عدد يسير ببرقيد في طريقه
 الى نصيبين فكتب الى بغداد يستدعى المساكم فتعجلوا وتلاحقوا اليه فلما
 قويت عدته سار من برقيد الى نصيبين وسار ناصر الدولة من نصيبين الى
 ميافارقين وفض جيشه عنه بأسره وصرفهم فصار جميعهم الى معز الدولة في
 الأمان واستأمن أبو زهير اخو ناصر الدولة الي معز الدولة ورحل ناصر
 الدولة من ميافارقين الى حلب مستجيراً بأخيه سيف الدولة فلقاه أخوه
 باجل تلقى وقبله احسن قبول وخدمه بنفسه حتى تولى زرع خفيه بيده . وكان

حامد بن النمى توجه من قبل معز الدولة الى الرحبة فهزم من كان بها من جيش ناصر الدولة

وكان طريف الخادم وهزارمرد وهما غلاما ناصر الدولة تطرفان الموصل في الجانب الشرقى منها كل يوم ويلتقطان عمال معز الدولة ويأخذان العلافة من عسكر الحاجب ويعثمان ورود^(٢٢٨) شىء الى الموصل حتى صارت محاصرة واخذوا من الثرثار من عمال معز الدولة رجلا يعرف بعلى بن الصقر وحمله الى القلعة ثم كبسا الحديثة وكان فيها محرز حاجب الوزير ابى محمد المهلبى وأبو العلاء ابن شاذان يتقلد عمالتها فقبضا عليهما ثم اطلقا محرزا وحملأ أبا العلاء الى القامة

وكان معز الدولة راسل كافور الخادم بمصر يأمره بمحمل مال الى الحضرة فحبس كافور الرسول حبسا جميلا وطاوله وبث جواسيسه لتعرف الاخبار فلما عرف انصراف معز الدولة عن ذلك الوجه الى بغداد رد الرسول خائبا . وورد عمرو التقيب من قبل ناصر الدولة الى نصيبين وسفر في الصلح وطال الخطب بينه وبين معز الدولة فلم يتم الصلح فلما رأى عمرو الصورة استأمن الى معز الدولة وأقام بحضرته ولم يعد الى ناصر الدولة . ثم ترددت رسائل بين معز الدولة وبين سيف الدولة وتوسط بين أخيه وبينه حتى تقرر ما بينهما ورجع معز الدولة من نصيبين قاصداً الموصل

﴿ ذكر اتفاق صعب غير محتسب ﴾

لما صار معز الدولة بين الموصلية وأذمة في اليوم الخامس عشر من شباط^(١) هبت ريح باردة^(٢٢٩) مغربية ووقع دمق قلف في ساعات يسيرة

من النهار عدد عظيم من عسكره ولحق معز الدولة غشية وكاد يتلف من كثرة ما عليه من الوب والخر . فقلع أهل المسكر ستوف آذمة وأبوها وأوقدوها فاطلق معز الدولة لاهلها ثلاثة آلاف درهم ليتعوا بها . كان ما أخذ من اتقاضها

﴿ ذكر تدير سبيء ورأى ظاهر الفساد رآه معز الدولة ﴾

﴿ بعد فراغه من روزبهان ادى الي تخريب المملكة ﴾

(وسوء عاقبة الاولاد والرعية)

دبر معز الدولة عند فراغه من حرب روزبهان أن يطرد الديلم الروزبهانية يسك من لم يفارقه منهم وان كانوا متمين عنده وكان وعدم للعشرة ثلاثة في اصول اموالهم وظن انه ان وفي للكامل لم يتسع له مع ان الفتح للترك وكان ماثلا اليهم بالهوى قبل الاستحقاق فكيف بعد هذا الاثر العظيم ! فابتدأ يجازى الاثر بالاحسان فقود منهم جماعة واستحجب جماعة وتقب جماعة ورفع كل طبقة ابي ما هو اعلى منها ونفى الديلم الروزبهانية ليتوفر عليهم ما لهم ويصير ذلك بازاء ما يلزمه لاصحابه الديلم من الزيادات . فاخرجهم الي الاهواز وكتب الي وزيره المهلبى بجمعهم^(٢٣٠) من جميع النواحي والاعمال والتوكيل بهم والمسيز معهم الي آخر الحدود ليتفرقوا حيث شاءوا . فدفع الوزير من ذلك الى خطة صعبة وحال مخاطرة عظيمة لان القوم كانوا ذوي عدد وعدة الا انه تطف واحسن التدير حتى اخرجهم زمرة بعد زمرة . ثم حمل معز الدولة الاثر على التحسب على الديلم وتميرهم بشق العصا وخلع الطاعة وتقريرهم بهذا ونحوه وان عدد الاثر مع قتله وفوا بهم حتى قهرهم واذلهم . ثم رسم للترك رسوما صار سببا لضراوتهم وطلب الاموال

والتغلب على الاعمال والتسحب على العمال وذلك انه امر بتسبيب ما يستحقونه على واسط والبصرة والاهواز واخرجهم طبقة بعد طبقة على النوبة لاستيفاء أموالهم ولمن وراءهم من رفقاتهم المقيمين وان يقام لهم نزل ياخذونه راتبا في كل يوم الي ان يستوفى ماله ومبلغه عشرة دراهم لكل غلام في كل يوم وعشرون درهما لمن كان نقيبا وأراد ان ينفعهم عاجلا لا مؤبداً . وانفتح عليه من ذلك باب من الفساد كان اضر عليه من زيادة أوزارها في أصول استحقاقهم وذلك انهم اثروا أن تتأخر أموالهم المسببة لتكثر أيام مقامهم^(٣٣١) وصيروا اصول أموالهم بضائع يتجرون فيها واذا راج لهم من مال تسيبائهم لم ينسبوا شيئا منه الى الاصل وقد بقي لهم درهم واحد ويستروح العمال الى اطلاق الشيء بعد الشيء لثلاث ربهقوا بالمال جملة فرمما أقاموا سنتين وثلاثة . وولت التجارات في سدورهم وإجازة ما يحصل لهم في الطريق بغير ضريبة ولا مؤونة تم تجاوزه الى الدخول في التلاجىء فملكوا البلاد واستطالوا على العمال وحاموا على التجار ومن اعتصم بهم فضعت أيدى العمال واستعبدوا الناس واستمر ذلك وازداد الى اليوم

(ودخلت سنة ثمان وأربعين وثلثمائة)

وفيها وافي أبو محمد الفياضى كاتب سيف الدولة الى الموصل في المحرم وتقرر الامر على أن عقدت الموصل وديار ربيعة والرحبة على سيف الدولة بالفي الف درهم وتسعمائة الف في السنة وذلك لان معز الدولة لم يستجب الى عقدها على ناصر الدولة وعلى أن يقدم من ذلك الف الف درهم ويطلق الاسارى الذين أسروا بسنجار. فلما تقرر هذا انحدر معز الدولة وتأخر الوزير المهلبى والحاجب سيكتكين بالموصل والجيش بأسره معهما^(٣٣٢) الى أن يحمل

مال التعجيل ثم وردا مع الجيش ومع أبي محمد الفياضى كاتب سيف الدولة
 ﴿ ذكر انحدار معز الدولة والسبب فيه بعد ﴾
 (تمكنه من ديار ربيعة ومضر)

كان السبب في اصعاده الاضافة الشديدة التى لحقت به بعد الامور التى
 ذكرناها وتأخر أموال الجحول عنه فلم ناصر الدولة بذلك فانهمزم من بين يديه
 وقال لاصحابه : اذهبوا حيث شئتم فانى لأؤف للحرب . فاستأمن اصحابه الى
 معز الدولة كما كتبنا فيما تقدم فازدادت اضافة معز الدولة ولم يمكنه ضبط
 النواحي ولا الحماية وتقاعد الناس باداء الخراج احتجاجا بأنهم لا يصلون الى
 غلاتهم وطلبوا الحماية واضطر معز الدولة الى الانحدار ولكنه أنف وأقام
 على كره ومشقة فلما ورد عليه رسالة سيف الدولة استراح اليها وأجابه بالشكر
 الجليل وشكا اليه أخاه وقلة وفائه والعدو به مرة بعد مرة وقال له : ان
 ضمنت أنت أجبت . فضمنه وانحدر معز الدولة

﴿ وفي هذه السنة انقطعت الجحول من واسط الى البصرة والاهواز ﴾

(ذكر السبب في ذلك)

السبب في ذلك ما كنا ذكرناه من استيلاء الاتراك واستنضامتهم العمال
 ومضايقتهم ايام حتى اضطروهم الى بذل المرافق^(٢٣٣) الكثيرة لهم فاقنوا
 الاملاك وحاموا على قوم على سبيل التلاجيء فتغلبوا على حقوق بيت المال
 وصار العمال يعولون على النلمان الاتراك في أخذ حقوقهم على التناء فيتجزونها
 كما يتجزون تسيبائهم وتشبه بهم الديم واصطلمح الفريقان على هذا السبيل
 فكسروا على السلطان حقوقه . واجتمع العمال بذلك فكسروا أصول العقود
 وسألوا ازالة ما دهمهم فلم يمكن ذلك وصارا بمنزلة الداء الذى لا يرجى حسمه

لان الديلم كانوا مستوحشين ومتفرقين والاراك متطاولين مدلين فلو قمعوا لصارت كلمتهم مع الديلم واحدة . فجرى الرسم بأن ينقل ما رفعه العمال من فاضل ما عليهم الى السنة التي بعدها وحصل الوزير وكل من دبر فيه تدييرا متعرضا لسفك دمه وذهاب نفسه الا ان هذا الفساد كان في أيام معز الدولة كالظفل الناشيء لهيبته وبقية حشمته ثم ظهر الافراط بعد على أولاده ولما أتى عليه الزمان بعد وفاته

وفيا خلع السلطان على الامير أبي منصور بختيار بن معز الدولة وعقد له لواء وقلده إمرة الامراء ولقبه عز الدولة^(١)

وفيا أئقذ لواء وعهد الي أبي على^(٢٣٤) [محمد] بن الياس وكان السفير في ذلك كله القاضي أبو بكر أحمد بن سيار الصيمري وفيها مات أبو الحسن محمد ابن أحمد المافروخي وكان يكتب لمعز الدولة وكتب له بمده أبو محمد علي بن عبد العزيز المافروخي مدة شهر ثم استعفى وانصرف وتقلد مكانه أبو بكر ابن أبي سعيد

وفيا كانت وقعة بين علي بن كامه ابن أخت ركن الدولة وبين يستون ابن وشمكير فكانت على يستون

وفيا غرق الحاج الواردون من الموصل وكانوا في بضعة عشر زورقا

(١) زاد فيه صاحب كتاب البيون : واستكتب له ابا الحسن المافروخي الاصبهاني وزوجه بانية أبي منصور لشكوروز بن سهلان فمات بعد الاجتماع والانتقال وقد كان زوجه بانية روزبهان فاقطعت بصيان أبيها العلاقة بينه وبينها ثم خطب له ابنة أبي على محمد ابن الياس صاحب كرمان وأئقذ في ذلك أحمد بن سيار الصيمري القاضي فتمت الوصلة ولم تقع الفتنة . وقال أيضا : وفي هذه السنة توفي لشكوروز بن سهلان بيلة القولنج وتبعته وفاته وفاة أخيه مسافر بن سهلان بنهاوند في هذه السنة وكان بين وفاتهما أمد قريب

كباراً فيها من الرجال والنساء نحو الف نسمة
وفيهما غزا الروم الساميين فأسروا وقتلوا وسبوا^(١) وانصرفوا وذلك
في طرسوس والرها

(ودخلت سنة تسع وأربعين وثلثمائة)

وفيهما ورد الخبر بأن صاحب خراسان قتل رجلاً من قواده يسمى
بمختكين [وكان] من وجوه قواد الأتراك فاضطربت خراسان لاجله
وفيهما ورد الخبر بأن ابناً لعيسى بن المكتفي بالله ظهر بناحية أرمينية
وتلقب بالمستجير بالله يدعو إلى المرتضى من آل محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولبس الصوف وأمر بالمعروف [ونهى عن المنكر] . وكان هذا
الرجل ماضى إلى بلد الجبل فاستنصر بجماعة من الديلم المعروفة^(٢٣٥) والمسودة
والمتسيين إلى مذهب السنة من مذاهب المسلمين فخرجوا معه وصاروا إلى
آذربيجان فقلب على عدة بلدان منها ما كان في يد سلار الديلمي . ثم ورد
الكتاب في شهر رمضان من جهة ابن سلار بأنه أوقع بهذا الرجل المتلقب
بالمستجير بالله فأسره وقتله

(ذكر السبب في خروجه وسرعة هلاكه)

كان السبب فيه أن جستان بن المرزبان ترك طريقة أبيه في سياسة
الجيش وتوفر على النساء واللعب ثم أدخلهن في التدبير . وكان جستان بن
شرمزن تحصن بسور أرمينية وكان وهسودان بالطرم ويضرب بين أولاد

(١) قال صاحب التكملة : أسروا (الروم) محمد بن ناصر الدولة من نواحي
حلب وأسروا أبا الهيثم ابن القاضي أبي حصين ابن عبد الملك بن بكر بن الهيثم وغلغله
من سواد حران

المرزبان كما حكينا فيما تقدم . وكان جستان بن المرزبان قبض على وزيره النعيمي واتفق بين النعيمي وبين كاتب جستان بن شرمزن وهو أبو الحسن عبيد الله ابن محمد بن حمدويه مصاهرة فلما قبض جستان بن المرزبان على النعيمي استوحش صهره أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وحمل صاحبه على مكاتبة أخيه جستان وكان يومئذ بأرمية وأطمعه في أموال عظيمة ووعده أن يقوم بين يديه وينصره بجيشه الذين جمعهم ويقم مقام أخيه فعمل ابراهيم على ذلك وأشار عليه نصحاؤه بالأبى ^(١٣٦) فخالقهم وركب هواه وسار الى أرمية واجتمع مع جستان بن شرمزن وكاتبه أبو الحسن عبيد الله بن حمدويه ووعدهما بكل ما سكتا اليه فصاروا الى المرائنة واستولوا عليها . وقد كان جستان ابن المرزبان صار الى بردعة فلما عرف خبر أخيه ابراهيم وانحيازه الى جستان ابن شرمزن عاد الى أردبيل فراسل ابن شرمزن وكاتبهما ومناهما ووعدهما باطلاق النعيمي وبذل لهما كل ما اقترحا فعاد الى موالاته وترك ابراهيم وانصرفا عنه الى أرمية واخلفاه في كل ما كانا بذلاه فلما رأى ابراهيم ذلك عاد الى أرمية وبقي جستان بن شرمزن وكاتبه يطمغان كل واحد من الاخوان أعنى ابراهيم وجستان ابني المرزبان أنهما معه حتى استكملا بناء سور أرمية وقلمة في داخلها منيعة واستكثر من جمع الاقوات والآلات . وظهر للاخوان معاينة ابن شرمزن في النفاق والعداوة فتراسلا وتصالحا وعملا على أن يجتمعا ويقصدا . واتفق ان هرب أبو عبدالله النعيمي من حبس جستان بن المرزبان وصار الى موقان وكاتب ابن عيسى بن المكتفي بالله المتلقب بالمستجير بالله وأطمعه في الخلافة وأن يجمع له من الرجال من يستولي بهم على آذربيجان فاذا قوي بالمال والرجال ^(١٣٧) قصد العراق . فسار المستجير بالله في نحو

ثلاثمائة رجل من المسودة ولم يكن بعد تمكن ولا اجتمع له من الرجال ما اراد فلما اطعمه النعمي صار اليه واجتمع معه وصار أيضا اليه جستان بن شرمزن في عسكره فقوى به وقلده أمر عسكره وبأيمه الناس . وسار اليه جستان و ابراهيم ابنا المرزبان في جموعهما فلما عبي جستان عسكره تقدم اليهم بان يلزموا مصافهم ويحفظوا نظامهم ولا يحملوا حتى يأذن لهم وكان معهم انفضل بن أحمد الكردي القحطاني وهم صنف من الاكراد ومع جستان الصنف الآخر من الاكراد الذين يعرفون بالهدايبانية وتلقاهم الهدايبانية وابتدأوا بالحرب فانقض على جستان بن شرمزن صفوفه فخرج من موضعه الذي كان فيه مع الديلم لينكر على الفضل مخالفته اياه ويرده الى موضعه فوجده قد أبعد فاتبعه فما شك أصحابه في انهزامة فافتقروا اثره وصحت الهزيمة . وركب الهدايبانية وأصحاب جستان و ابراهيم اكدافهم واضطر جستان بن شرمزن الى الانصراف الى ارمية وظفر باسحق بن عيسى بن المكتق بالله ولم يدر ما فعل به الا اني سمعت بقتله وسمعت بموته حتف أنه في الحبس

وتم لو هسوذان تفرق كلمة بني أخيه وذلك ^(٢٣٨) انه استزار ابراهيم فلما صار اليه أكرمه ووصله بجوائز كثيرة وحمله على دواب وكاتب ناصراً واستغواه حتى صار الى موقان مفارقاً لآخيه ووجد الجند سبيلاً الى اقامة سوقهم والمطالبة بالاموال فقارق أكثرهم جستان وصاروا الى ناصر فقوى وسار الى أردبيل فملكها والجالأ أخاه جستان الى القلعة المعروفة بالنير . ثم اجتمع الديلم والاكراد على ناصر يطالبونه بما لا يفي به وقعد به عمه وهسوذان فلم حينئذ ان وهسوذان عمه كان يغويه وعرفا جميعاً مغزاه فتراسلا وتصالحا وسلم ناصر الامر الى أخيه جستان فنزل من قلعته وصارا جميعاً الى أردبيل

على اضافة شديدة لنفاد الاموال وكثرة المتغلبين على الاطراف فاضطر الى الخروج الي عمهما وهسودان مع والده جستان بعد أن توثقوا منه بالايان الغليظة والعهود فلما حصلوا تحت قبضته حبسهم ونكث واستولى على المسكر وعقد الامارة لابنه اسمعيل بن وهسودان وسلم اليه أكبر قلاعه شميران وأخرج الاموال وأرضى الجند وجعل ابا القاسم شرمزن بن ميشكى صاحب جيشه واخرجه الي أردبيل . وكان ابراهيم قد صار الي أرمينية فتأهب^(٢٣٩) لمنازعة اسمعيل ومحاربتة ولاستنقاذ أخويه جستان وناصر من محبس عمهما وهسودان وكان وهسودان قد ضيق عليهما وأساء كل الاساءة اليهما فلما عرف وهسودان اجتماع ابراهيم على حرب اسمعيل واجتماع خلق من الديلم معه باذر بقتل جستان وناصر وأمهما وأتى على كل من يقرب منهم ويخاف ناحيتهم وكاتب جستان بن شرمزن والحسين بن محمد بن الرواد بقصد ابراهيم وأنفذ اليهما مدداً من جهته فاستجابا له وزحفا اليه وزحف اسمعيل فهرب ابراهيم الي أرمينية وكان جستان بن شرمزن قريباً منه فاستولى على عسكره وملك المراغة وأضافها الي أرمينية

وفيها غزا سيف الدولة في جمع كثير فأثر في بلدان الروم آثاراً عظيمة وأحرق وفتح حصونا وحصل في يده سبي كثير وأسارى وانتهى في غزوه الي خرشنة فلما أراد الخروج أخذ الروم عليه المضايق فماتياً له ان يتخلص الا بجهد عظيم هو ونحو ثلاثمائة غلام وهلك باقي أصحابه أسرا وقتلا وارتجع منه السبي كله والاسارى والغنيمة وأخذ جميع خزائمه وسلاحه وكراعه وقتل من الوجوه الذين [كانوا] معه حامد بن النمى وموسى بن سيا كان والقاضى أبو حصين^(٢٤٠) وكان معه من المسلمين ثلاثون ألفاً وخرج أهل طرسوس

من طريق آخر فسلموا

﴿ ذكر السبب في سلامتهم ومصاب سيف الدولة ﴾

كان هذا الرجل أعنى سيف الدولة ممجيا يجب أن يستبد برأيه والا
تحدث نفسان انه عمل برأى غيره وكان أشار عليه أهل طرسوس بأن يخرج
مهم لانهم علموا ان الروم قد ملكوا عليه الدرب الذي يريد الخروج منه
وشحنوه بالرجال فلم يقبل منهم ولج فأصيب المسلمون بأرواحهم وأصيب
هو بجاله وسواده وغلمايه

وفيها استأمن أبو الفتح المعروف بابي العريان أخو عمران بن شاهين
وصار الى واسط بجرمه وعياله وولده لانه خاف أخاه ودخل بغداد في
ذي القعدة ولقي معز الدولة

وفيها أملك أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي^(١) بابنة الوزير
أبي محمد المهلبى

وفيها مات ابو القاسم عبد الله بن أحمد بن البريدي^(٢)

وفيها اسلم من الأتراك نحو مائتى الف خركاه

وفيها انصرف حاج مصر بعد ان قضوا حجهم فنزلوا في واد بمكة فلما
كان بالليل حملهم الوادى وهم لا يشعرون ففرق اهل مصر وكانوا عددا

(١) قال صاحب التكملة: وفي هذه السنة انحدر أبو أحمد الصيرازى كاتب المستكنى

بالله الى شيراز فقبله عضد الدولة واقطع ابنه أبا الفضل مائة الف درهم وحصن به

(٢) وقال فيه صاحب كتاب العيون: وأنزله معز الدولة دار خسنة على دجلة

وأطلق له ضياعه القديمة التي كانت لآبيه في السواد وأقطعه اقطاعا بعشرة الاف دينار
ورسمه بمائة مئة ولم يزل مصونا مكرما مجتمع الشمل مع اخوته وولده متمتا بملاذه
متمتا بملاذه وأوطاره الى أن توفي

كثيرا جدا وكبسهم الماء مع امتعتهم الى البحر^(٢٤١)
﴿ ودخلت سنة خمسين وثلثمائة ﴾

فيها اشتدت علة معز الدولة وامتنع عليه البول فاشتد جزعه وقلقه واستدعى
الوزير ابا محمد المهلبى فى الليل والحاجب سبكتكين فاصلح بينهما عن وحشة
قديمة وبكى وندب على نفسه على عادة الديلم فلما كان آخر الليل بال دما
بشدة ثم تبعه رمل وخف ألمه فلما كان من الغد وهو يوم الخميس لخمس خلون
من المحرم سلم داره وكراعه وغلمانه الى ابنة عز الدولة وفوض اليه الامور وجمع
المهلبى الوزير والحاجب سبكتكين على الوصاية به وخرج فى عدة يسيرة من
غلمانه وخاصته ليمضى الى الاهواز

﴿ ذكر سبب هذه الحركة والخروج بعد ظهور ﴾

﴿ الصلاح والبراء من المرض ﴾

كان سبب ذلك استشاره ان بغداد هى التى أحدثت له الاسقام وهى
التي افسدت عليه صحته وتذكر ايام مقامه بالاھواز وهى ايام شبابه ووقور
قوته وظن أن الاهواز هي التي كانت تجلب له الصحة وانها توافقه فوصى
الحاجب سبكتكين والوزير المهلبى بابنة عز الدولة وبالجنش وغيره مما كان
فى نفسه وانحدر الى كلواذى . فلما صار بها أشار المهلبى بان يقيم ويتأمل أمره
ويفكر فيه ولا يجعل فأقام بكاواذى وأخذ^(٢٤٢) فى تقدير بناء قصر ثم انتقل
الى الشيفي وقدر هناك البناء ثم انتقل منه الى قطربل لانها أعلى بغداد والهواء
والماء هناك اصفى واعذب وعمل على ان يبنى من حد قطربل الى باب حرب
قصران ثم صاح من علته وابو محمد المهلبى فى كل ذلك يطله ويصرف رأيه
لعلمه بكثرة المؤن والنفقات التي تلزمه وبكراهة الجند والحاشية لانزعاجهم

من اوطانهم ومآلئهم ولكراهية تخريب بغداد بانتقال الملك عنها فلم يزل به حتى صرف رأيه . ولما علم انه لم يكن من البناء بد [فيجب] ان يكون متصلا ببغداد من اعاليها ليكون هواؤه ومآؤه اصح وانظف انزله في البستان المعروف بالصيمري وهو في اعلى بغداد من الجانب الشرقى بمصر فرج واخذ في هدم ما يليه من العقارات وابتاعها من اهلها الي حدود ربيعة الدور وكلف ابا القاسم ابن مكرم و ابا القاسم ابن جستان العدلين ابتياع العقارات المجاورة له . واصطح ميدانا على طول دجلة وبنى الاصطبلات على نهر مهدي وقلع الابواب الحديد التي على المدينة (مدينة ابي جعفر المنصور) والتي بالرصافة وعلى شارع نهر الملى ونقلها الي داره ونقض قصور الخلافة بسر من رأي وسور الجبس المعروف بالحديد وبنى به داره وبالأجر الذي استعمله وطبخه في الآتئين ووثق البناء واختيرت له الآلات^(٢٤٣) والجص والنورة وبالغ في الاحكام وجلب له البناءون الحذاق المشهورون من جميع البلدان الكبار من الاهواز والموصل واصبهان وبلدان الجبل وغيرها . ونزل [سقلا في الارض] لبعض الاساسات ستا وثلاثين ذراعا ورفعها الي وجه الارض بالنورة والاجر الي ان ارتفع فوق الارض باذرع . ولزمه على هذا البناء الي ان مات ثلثة عشر الف الف درهم صادر فيها أسبابه سوي ما لم يشتره من الآلات التي ذكرناها والتي لم نذكرها . وكان مقبلا طول المدة في بستان الصيمري ثم انتقل الي الدار التي بناها في يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة سنة ٣٥٠ قبل أن يستم بناؤها^(١)

(١) وفي تاريخ الاسلام : فقد درست هذه الدار من قبل سنة ٦٠٠ ولم يبق لها أثر وبقى مكانها دحلة يأوي اليها الوحوش وشيء من الاساس يعتبر به من يراه

وفيه مات أبو بكر أحمد ابن كامل القاضي رحمه الله ومنه سمعت كتاب التاريخ لابي جعفر الطبري وكان صاحب أبي جعفر قد سمع منه شيئاً كثيراً ولكني ما سمعت منه عن أبي جعفر غير هذا الكتاب بعرضه قراءة عليه وبعضه اجازة لي وكان ينزل في شارع عبد الصمد ولي معه اجتماع كثير. وفيها مات قاضي القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله^(١) وقُبضت أملاكه وصور محمد الحاجب غلامه وضربه الوزير أبو محمد المهلبى بحضرتي ضرب التلف لما كان بلنغ [عنه] من التخرم والتهتك في أيام^(٢٤٤) أبي السائب ولم يكن به الا التثني منه فنثر كتابه ضرباً. وكان هذا الرجل عاهراً يتعرض لحرم الناس وكان مرسوماً بحجة قاضي القضاة فكان لا يتمتع عليه من لها خصومة أو حاجة عند قاضي القضاة وكان جميلاً مقبول الصورة ويتصنع مع ذلك ويتهم بفواحش منع صاحبه

وفيه مات أبو نصر ابراهيم بن علي بن عيسى كاتب الخليفة بجأة وتقلد كتابة الخليفة عن خاص أمره أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجال وفيها قبض معز الدولة على أبي علي الخازن^(٢) وأبي محمد وأبي الفرج

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمته . عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمداني القاضي أبو السائب كان أبوه تاجراً يؤم بمسجد همدان فاشتغل هو بالعلم وغلب عليه في الابتداء اتصف بالرفد وسافر فلقى الجليل والعلما وعني بفهم القرآن وكتب الحديث وتمقه للشافعي ثم دخل مراغة واتصل بابي القاسم ابن أبي الساج وتولى قضاء مراغة ثم تقلد قضاء اذربيجان كلها ثم تقلد قضاء همدان ثم سكن بغداد واتصل بالدولة وعظم شأنه الي ان ولي قضاء القضاة بالعراق سنة ٣٨٠ وتوفي في ربيع الاول ولدت ونمانون سنة وقد سمع في الكهولة وحدث عن عبد الرحمن بن ابي سنان الرازي وهو اول من ولي قضاء القضاة بالعراق من الشافعية (٢) هو الحسن بن ابراهيم النصراني .
ليراجع ارشاد الاربع ٣ : ١٨٢

محمد بن العباس صاحب الديوان وعلى أبي الفضل العباس بن الحسين
الشيرازي وأبي سهل ديزويه صاحب ديوان الجيش وحملهم الى دار الوزير
المهلبى وسلمهم اليه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

احتيج الى النفقة على البناء وكان الوزير المهلبى رحمه الله يقصد أبا على
الخازن لشيء كان بلغه عنه قديما وكذلك أبا محمد وأبا الفرج فذكر لمعز
الدولة انه يلزم مالا ويلزم كل واحد من هؤلاء مما ادخره واحتجته ولا
يحتاج اليه مالا يتم به أمر البناء وكان معز الدولة شديد الثقة بابي على الخازن
وكان أبو على كثير التمويه متناقرا يظهر من الفقر والاقتصاد أكثر مما
يحتمل مثله فقال معز الدولة للوزير أبي محمد: ما تريد من هذا البائس^(٢٤٥)
الذي قد قنع منا بالقوت اليسير؟ فقال له الوزير: أنا أستخرج منه وحده
ما يحتاج اليه للبناء. وتكلم على غيره بقريب من ذلك فنأم الجميع اليه
فحضرت مناظرة الوزير أبي محمد للجماعة.

أما أبو محمد فإنه لما خوطب والتمس منه مال قال: اني خدمت الامير
معز الدولة ولا أملك الاطنفسة وكساء ودواة وأنا اليوم نظير أكبر ملك
من ملوك الاطراف مالا وضياعا وأنا وغانا وغانا روفة وفرشا فالى ان أعود الى
رأس مالي فانا على الربح. فإزاه الوزير خمسمائة الف وجزاه الخبر وصرفه
الى منزله بمد ان أخذ خطه بها فلما خرج التفت الوزير اليها وقال: هذا رجل
مقبول كنت أظنه يمان ويخاطبني بحسب دالته وموضعه من الامير فقد
اتقاني بما قال وحى نفسه وعرضه والله وهكذا يصنع الاقال بصاحبه.
وخاطب أبا على الخازن فسلك سبيله المعروف وزعم انه لا يستيت ولم

يستجيب الى شئ، بته فئحي من بين يدي الوزير ووُكِّل به في ناحية من الدار .
وأما أبو سهل ديزوبه فمراض وشد رأسه بخزقة فأحضر كرازا
ووضعه عند رأسه وقال : أنا غريب . فأضحك الناس من نفسه وأعرض
الوزير عنه ذلك اليوم

وأما أبو الفضل فلحقته عناية الوزير لما بينهما من الوصلة ^(٢٤٦) فأخذ
خطه بثلاثمائة الف درهم وصرفه الى منزله وكذلك فعل بابي القرح صلح
الديوان أجراه مجرى أبي الفضل وأخذ خطه بثلاثمائة الف فلما كان بعد
أيام راسله ديزوبه وسأله أن يفور عنه ويحريه مجرى أبي الفضل فقبل ذلك به .
وبقي أبو علي الخازن على الجاحه لا يلتزم شيئاً ثم أنم بعد التهديد بشئ .
وراسل أخت معز الدولة يستقرض منها ما يشتري به نفسه من مكروه
الوزير ووطن ان ذلك يبلغ الامير فيكون سبب اطلاقه فغاطب معز الدولة
الوزير فيه وقال : ألم أقل لك انه لا يملك شيئاً . فقال : أيها الامير لا تلتفت
الى مخاريفه وخذائمه ودعي أستخرج منه مالا عظيماً . فسكت عنه وراسل
أبو علي الخازن كل من عرفه فاستقرض منه حتى شاع خبره في الدولة بالفقر
واند الوزير يقصده فلما كان في بعض الليالي لسمه في ظهره شيء أدماه وتالم
منه وكن موضع النبي وكيِّل به فيه من دار الوزير موضع غم فيما تقدم فظنه
الناس لسع طبوع . وقالوا : ليس شئ من الهوام يُخرج بلسعته الدم الا هذا
الحيوان أو الافعى . فاتفق ان مات أبو علي الخازن بعد أيام ثلاث في اعتقاله
وقطعت على الوزير أبي محمد المهلبى القيامة وخاف ان يتهم به ومع ^(٢٤٧) ذلك فلم
يكن ارتفع من جهته الا شئ نزر قليل ثم عرف انه قد وصل اليه من القروض
ضمافاً ما أداه في مصادرتة فتعجب من جلادته وتوقع عتب الامير معز

الدولة في بابه ووطن نفسه على [كل] مكروه . ثم رأى ان يتسدى معز الدولة ويستأذنه في البحث والتنقيب عن أسبابه وأظهر انه على ثقة من تلك الاموال التي وعده بها من جهته حتى ساكن من معز الدولة وأخذ أذنه في ذلك (ولم يكن يثق بشيء مما ضمنه من جهته ولكنه برّد عن نفسه في الحال) . ثم أخذ في التفتيش فأثار له أموالاً كثيرة بعضها جرى بحضرتي فكان من ذلك ان قبض على غلمانه وأسبابه وخلا بواحد واحد منهم فارهبه وأرغبه وسأله هل يتهم موضعاً من داره بدين أو يتهم مُطاملاً له بوديعة فقال له : ان هذا الرجل كان أدهى من أن يعمل شيئاً مما تطلبه وتبحث عنه بحضرة أحد ولست أتهم أحدا الا أنه طرد غلاماً له مزيناً من حجرة مرسومة به وجلس في حجرته للخلوة أياماً . فمير الوزير بنفسه الى دار أبي علي الخازن والتمس حجرة نازين وكان غلاماً حبشياً أونوبياً جلس فيها خفي مواضع فيها فظفر بمال لم أعرف مبلغه ^(١) وكان في جملة المدفون آلة شبيهة ^(٢٤٨) بميزان أعنى بيت الميزان من خشب الساج له طوق كطبق الميزان وليس فيه موضع كفة ولا موضع السنج بل هو محفور من ترائعه شبيهاً بمحوض وعليه طبقة مهندما ظليه وهو خال لاشيء فيه فمجب منه ثم تلب ذلك الطبق ووجد عليه كتابة ختم تلك الآلة الى منزله وحمل المال الى خزانة معز الدولة .

فعهدى به يقاب تلك الآلة ويتأمل تلك الكتابة وكانت بخطه خط رديء فاذا هي أسماء قوم ورموز لا يفهم منها شيء وكانت تلك الاسماء

(١) وودت هذه الحكاية في ارشاد الاربيب ٣ : ١٨٣ . ويقال فيه ان الوزير

استخرج حدة قتلهم فيها نيف وتسعون ألف دينار

مفردة لا يقترن بها شيء يستدل به على صاحبه . فباشك الوزير ان تلك
الاسماء أسماء قوم مودعين وان تلك الرموز مبلغ ما عندهم من المال فاستعمل
دهاءه فيه وقال : أجد هذا الاسم وهو « على » مكررا فان استخرجناه
أخرج لنا باقي الاسماء . فقيل له : كم من رجل اسمه على كان يواصل هذا
الرجل . فقال : لا تفعلوا فان المعاملين الذين هذا اسم لهم قليلون فمن كان
منهم يصلح للوديعة أقل منهم . ثم تجاوز ذلك الى اسم أخته « أحمد » فقال :
هذا اسم صيرفي في دار أبي على (وهو في درب عوث) فاحضرونيه .
فأحضر وقال له الوزير : قد وجدنا ثبنا باسمك وبخط أبي على يبلغ ما عندك
فاخذ الساعة صاحبك ليحضره . فاضطرب الرجل وأنكر ان يكون ^(٢٤٩)
له عنده مال فبطش به ولحقه أذى ومكروه ثم أمر به بحبسه وقيده بقيد ثقيل
فيه ثلاثون مئنا فتفسخ فيه الرجل ودخل اليه المستخرج وهدده فاعترف .
وكان باسمه سبعة أوكي ولم يكن فينا أحد يعرف معنى « أوكي » فقال
الوزير : فطالبوه بسبع بدر دينار استظهارا . فقعل ذلك فوافق تخمينه صحة
الامر وأدى خمسين الف دينار . ثم لم يزل يتتبع تلك الاسماء وقد صحت له
الرموز فاستخرج نحو مائتي الف دينار من هذه الوجوه سوى دفاثه .
وقامت حرمة الوزير أبي محمد عند معز الدولة وانبسط لسانه وجاهه وصار
مقبول القول عنده بعد ان ظن ان الذي فاته من خازنه شيء لا عوض له
منه امانة وثقة ودينا . وتقلد مكان أبي على الخازن أبو محمد على بن العباس بن
فسانجس للنصف من شعبان واقطع اقطاع أبي على

وفيا تقلد القاضي أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب
القضاء في جاني بغداد ومدينة أبي جعفر المنصور وقضاء القضاة وخلع عليه

من دار السلطان من حيث امتنع الخليفة من ان يصل اليه وركب بالخلع من دار معز الدولة^(١) وبين يديه الدبادب والدرك والبوقات وفي موكب الغلمان الاتراك والجيوش^(٢) وكان توصل الى تقلد ذلك بان خدم ارسالان الجامدار فتى معز الدولة ووافقه على ان يحمل الى خزانه الامير في كل ستة مائتي الف درهم وكتب عليه بها كتاب وجمعت على نجوم معروفة ولم يأذن الخليفة ان يصل اليه هذا القاضي في يوم موكب ولا غيره . وكان فعل القاضي ما فعله من سماجته وقبح ذكره سيدا لان ضمنت الحسبة ببغداد وضمنت الشرطة بعشرين ألف درهم في كل شهر من شهور الاهلة وهذا القاضي مع قبح فعله قبيح الصورة مشوها .

وفيهما وافي أبو القاسم أخو عمران مستأمننا .

وفيهما ورد الخبر بان عبد الملك بن نوح صاحب خراسان تقطر^(٣) به

فرسه فمات واقتنت خراسان ونُصب مكانه أخ له يسمى منصورا

وفيهما حُمل الى ابراهيم السلار من دار السلطان خلع وعقد له على

آذربيجان .^(٤)

﴿ ودخلت سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيهما نقل الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى سنة خمسين اخر ارجية

الى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة^(٥)

(١) وفي الاصل : الخليفة . والصواب في تاريخ الاسلام (٢) امله « تقطر » كما في تاريخ الاسلام (٣) وقال صاحب التكملة : وفي شعبان ابدى بيناه المنغيز بنهر الرقيل نولى البناء أبو بكر بن الحلبي (٤) قال صاحب تاريخ الاسلام : فقلت السنة من حيث الفلات وكتب الصابي (وهو أبو اسحق ولي ديوان الرضا سنة ٣٤٩ كذا في ارشاد الاربيب ٢ : ٨٠) كتابا عن المطيع في المعنى فنه : ان السنة الشمسية

وفيها دخل الامير ركن الدولة سارية من بلاد طبرستان وانصرف عنها
 وشمكير الى جرجان واستأن من أصحابه الى ركن الدولة ثلاثة آلاف رجل
 وفيها ورد الروم عين زربة [في مائة وستين ألفا وهي] في سفح جبل
^(١٠٠) والجليل مطل عليها فلما جاءه الدمستق في هذا الجمع العظيم أنفذ تحفة من
 جيشه الى الجبل ونزل هو على بابها فملك جيشه الجبل فلما رأى أهل ميين
 زربة ان الجبل قد ملك عليهم وان جيشا آخر قد ورد الى باب المدينة وان
 مع الدمستق دبابات كثيرة وانه قد أخذ في نصب السور طلبوا منه الامان
 فأمهم وفتحوا له باب المدينة فدخلها . فوجد خيله الذين في الجبل قد نزلوا
 الى المدينة فقدم على اعطائهم الامان فنادى في البلد من أول الليل بان يخرج
 جميع أهله الى المسجد الجامع وان من تأخر في منزله قُتل فخرج من أمكنه
 الخروج فلما أصبح أنفذ رجاله في المدينة وكانوا ستين الف رجل وكل من
 وجدوه في منزله قتلوه فقتلوا عالما من الرجال والنساء واله بيان والاطفال
 وأمر بجمع ما في البلد من السلاح فجُمع منه أمر عظيم وكان في جملة أربون
 الف ربح وقُطع ما في البلد من النخل فقطع نحو خمسين ألف نخلة . ونادى

ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع بالتقريب وان الهلاية ثلاثمائة وأربعة وخمسون
 يوما وكسر وما زالت الامم السالفة تكسب زيادات السنين على اختلاف مذاهبهم وفي
 كتاب الله شهادة بذلك قال الله تعالى « ولبنوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا »
 فكانت هذه الزيادة بزاء ذلك كما الفرس فأمهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي
 شهورها اثني عشر شهرا وأيامها ثلاثمائة وستون يوما ولقبوا الشهور اثني عشر لقبيا
 وسماوا الايام باسمي وأفردوا الايام الخمسة الزائدة وسماوا المشرقة وكبسوا الربيع في كل
 مائة وعشرين شهرا فلما انقضت ملكهم بطل ذلك وذكر كلاما طويلا حاصله
 تهجيل الخراج وحساب أيام الكهيس .

فبعين حصل في المسجد الجامع من الناس بان يخرجوا عن البلد الى حيث
شاؤوا وان من أمسى ولم يخرج قتل نخرج الناس مبادرين وتزاهوا في
الابواب فمات بالضغط جماعة من الرجال والنساء والصبيان ومروا على
وجوههم^(٢٥٢) حفاة عراة لا يدرون الى أين يتوجهون فماتوا في الطرقات
ومن وجد في المدينة آخر النهار قتل وأخذ كل ما خلفه الناس من أمتعتهم
وأموالهم وهدم السوران اللذان على المدينة وهدمت المنازل. وبقي الدمستق
مقيما في بلدان الاسلام أحد وعشرون يوما وفتح حول عين زربة أربعة
وخمسين حصنا منها بالسيف ومنها بالامان

فكان في بعض الحصون التي فتحت بالامان حصن أمر أهله
بالخروج منه فخرجوا فعرض بعض الارمن للنساء اللواتي خرجن منه
فاحق رجالهن غيرة عليهن فجردوا سيوفهم فاشتاط الدمستق منهم وأمر بقتل
الجميع وكانوا أربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا جارية حدة
أو من يصلح ان يسترق

فلما أدركه الصوم انصرف على ان يعود بمد الفطر وزعم انه يخلف
جيشه بقيسارية. وكان ابن الزيات صاحب طرسوس خرج في أربعة آلاف
رجل من الطرسوسيين فاوقع به الدمستق وقتل جميع من كان معه وقتل
أخاه وكان ابن الزيات قد قطع الخطبة لسيف الدولة وأخذ اليه رسلا ظما
وقف ابن الزيات على ذلك لبس سلاحه واعتم^{٢٥٣} وخرج الى روشن داره
وكانت داره على شاطئ نهر فرمى بنفسه من داره الى^(٢٥٣) النهر ففرقها

وفيها دخل ركن الدولة جرجان وذلك في المحرم
وفيها ورد الخبر بان صاحب خراسان أخذ جيشا كثيرا الى غلام له

شدّ عنه يقال له الفتكين وان الفتكين أوقع بالجيش وهزموه واستأسر وجوه القواد وفيهم خال صاحب خراسان وفيها لقب الخليفة الامير أباشجاع فناخسره بن ركن الدولة عضد الدولة وكتب به كتاب .

وفيها أسر الروم أبافراس ابن أبي العلاء ابن حمدان من منبج وكان متقلدا لها

وفيها ورد الخبر بان الدمستق ورد الى حلب وملكها وكان الدمستق وافها ومعه ابن أخت الملك ولم يعلم سيف الدولة ولا أحد بخبره لأنها كانت كبتة فلما علم سيف الدولة به أعجله الامر فخرج نحوه وحاربه قليلا فقتل أكثر من مائة وقتل جميع ولد داود بن حمدان وابن الحسين بن حمدان فأنهزم سيف الدولة في قر يسير وظفر الدمستق بداره وهي خارج مدينة حلب فوجد لسيف الدولة من الورق ثمانمائة وتسعون بكرة فأخذها ووجد له ألف وأربعمائة بقل قد سلمها ووجد له من خزائن السلاح مالا يحصى كثرة فقبض جميعها وأحرق الدار وملك الربيض . وقاتله أهل حلب من وراء السور فقتل من الروم جماعة بالحجارة وسقطت ثلثة ^(٢٥) من السور على قوم من أهل حلب فقتلهم وطعم الروم في تلك الثلثة فأكبوا عليها ودفنهم أهل البلد عنها فلما جنهم الليل اجتمع المسلمون عليها فبنوها وأصبحوا وقد فرغوا وعلا عليها وكبروا وبعد الروم قليلا الى جبل هناك يعرف بجبل جوشن . وذهب رجاله اشربة بحلب الى منازل الناس وخانات التجار ينهبونها وقيل للناس « الحقوا بمنازلكم فانها قد نهبت » فزلوا عن السور وأخلوه ومضوا الى منازلهم . بادرن لي دفعوا عنها فلما رأى الروم السور خاليا وطالت المدة

وتجاسر الروم صعدوا وأشرفوا على البلد ورأوا الفتنة فيه والنهب
فزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا فوضموا السيف في الناس فقتلوا كل من
لقيهم ولم يرفعوا السيف الى ان كلوا وضجروا . وكان في البلد من أسارى
الروم الف ومائتا رجل فخلصوا وحملوا السلاح على المسلمين وكان سيف
الدولة قد أعد من الروم سبعمائة رجل ليفادى بهم فأخذهم الدمستق وسبي
من البلد من المسلمين والمسلمات بضعة عشر الف صبي وصبية وأخذ من
خزائن سيف الدولة وأمتعة التجار ما لا يحصى ولا يوصف كثرة فلما لم يبق
معه شيء يحمل عليه أحرق الباقي بالنار وعمد^(٥٥) الى الجباب التي يجرز فيها
الزيت فصب فيها الماء حتى قاض الزيت على وجه الارض وأخرب المساجد
وأقام فيها تسعة أيام .

وكان بذل لاهل البلد قبل أن يفتحه الامان على أن يسلموا اليه ثلاثة
آلاف صبي وصبية ويحملوا اليه مالا وأمتعة حذها وينصرف عنهم فلم يستجيبوا
له الى ذلك . وذكر ان عدة رجاله كانت مائتي الف رجل وازعدة أصحاب
الجواشن فيهم ثلاثون الف رجل وفيهم ثلاثون الف صانع للندم ولتطريق
الناج أربعة آلاف بقل عليها حسك الحديد يطرحه حول عسكره^(٥٦) بالليل
وخر كاهات عليها ابود مغرية فن صمد قلعة حاب تخلص بحشاشته فلما كان
بمقدسة أيام أراد الدهستق ان ينصرف بما فاز به وحصل في يده فقال له ابن
أخت الملك : هذا بلد قد حصل في أيدينا وليس بازاثنا من يدفعا عنه ومن كان
فيه من العلوية وبنى هائم والوزراء والكتاب ومن لهم أموال مقيمون في
القلعة فباي سبب تنصرف عنه قبل فتح القلعة ؟ فقال له الدهستق : قد وصلنا الى

(١) وفي النسخة : يتحدثون به على عسكرهم

مالم نكن نقدره ولا يقدرها الملك وقتلنا وسبينا وأسرننا وأحرقتنا وهدمنا
وخلصنا أسراءنا وأخذنا من أردنا أن نفاذي به بلا فدية وغنمنا غنيمه ماسمع
بمثلها^(٢٥٦) ومن حصل في القلعة فهم عراة واذا نزلوا هلكوا لانهم لا يجدون
قوتنا والرأي ان تصرف عنهم فان طلب النهايات والغايات ردى . فأقام ابن
أخت الملك على أمره ولح وقال : لا أنصرف أو انتح القلعة . فلما لح قال له
الدمستق : فانزل عليها وحاصرها فان الصورة والضرورة تقود من فيها الى
فتحها . فقال : لا أفتحها الا بالسيف . فقال له : شأنك وما تريد فاني أنا مقيم
في عسكري على باب المدينة . فما كان من غد ترجل وأخذ سيفاً ودرقة
وصعد راجلاً والمسلك الى باب القلعة ضيق لا يجمل أن يسلكه أكثر من
واحد فصعد وتبعه أصحابه واحداً واحداً . وقد كان حصل في القلعة الجماعة
من الديلم فتركره حتى اذا قرب فتحوا الباب وأرسلوا عليه حجراً فوقع عليه
وانقلب ثم وثب وهو مدوخ فرماه واحد من الديلم بخشب فانفذ صدره
وركب رأسه فأخذه أصحابه وانصرفوا الى الدمستق فلما رآه مقتولاً أحضر
من كان أسر من المسلمين فضرب أعناقهم بأجدهم . وسار الى بلد الروم بما
معه ولم يعرض لسواد حلب والقرى التي حولها وقال لاهلها : هذا البلد قد
صار لنا فلا تقصروا في العمارة فانا بعد قليل نمود اليكم^(٢٥٧)

(١) وفي تاريخ الاسلام : واقعة حلب من تاريخ علي بن محمد الشمشاطي (وترجمته
في ارشاد الارباب ٥ : ٣٧٥) قال : في ذي القعدة أقبات الروم نخرجوا من الدروب
نخرج سيف الدولة من حلب يتقدم الى عزاز في أربسة الاف فارس ورجال ثم يقن
أنه لا طاقة له بقاء الروم اكثر منهم فرد الى حلب وخيم بظاهرها ليكون المصاف هناك
ثم جاء الخبر بان الروم مالوا نحو العمق فجهز قتاه نجبا في ثلاثة آلاف لقصدهم ثم
لم يصير سيف الدولة فسار بعد الظهور بنفسه . ونادى في الرعيصة : من لحق بالامير فله

﴿ ودخلت سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بان قوما من رجالة الارمن صاروا الى الرها فاستاقوا

دينار . فلما سار فرسخا ليه بعض العرب فاخبره ان الروم لم يرحوا من جبرين وانهم على ان يصبحوا حلب فرد الى حلب ونزل على نهر قويق ثم تحول من الغد فنزل على باب اليهود وبذل خزائن السلاح للارعية . وأشرف المدو في ثلاثين الف فارس فوق القتال في أما كن شتى فلما كان العصر وافى ساقه المدو في أربعين الف رجل بالرمح وفيهم ابن الشمسقيق وامتد الحيوش على النهر وأحاطوا بسيف الدولة فحمل عليهم فلما ساراهم لؤي رأس فرسه وقصد ناحية بالس . وساق وراءه ابن الشمسقيق في عشرين الفا فانكس في أصحابه وانهمزت الرعية الذين كانوا على النهر عندما ما انصرف سلطانهم وأظلم السيف وازدحموا في الابواب وتملق طائفة من السور بالحبال قتل منهم فوق الثلاثة وقتل من الكبار أبو طالب بن داود بن حمدان وابنه وداود بن علي وأسر كاتب سيف الدولة الفيضى وأبو نصر الي ابن حسين بن حمدان وكان عسكر الملائين ثمانين الف فارس والسواد فلا يصحي .

ثم قدم من الغد منصور حاجب الدمستق الى السور فقال : اخرجوا الينا شيخين نعلمون عليهم . فخرج شيخان الى الدمستق ففرهما وقال : اني احييت ان أحقن دماكم فتخبروا اما ان تستروا البلد أو تخرجوا عنه باهلكم . وانما كان ذلك حيلة منه فاستأذناه في مشاورة الناس فلما كان من الغد آتى الحاجب قتال : اتخرج الينا عشرة منكم لتعرف ما عمل عليه أهل البلد . وكان رأى أهل البلد على الخروج بالامان فخرج العشرة وطلبوا الامان وتدخل الروم فقال الدمستق : صح ما بلفنى عنكم . قالوا . وما هو ؟ قال : بلفنى انكم قد اقمتم مقاتلتكم في الازقة مخنئين فادا خرج الحرم والصبيان ودخل أصحابي للذهب اغتالوهم . فقالوا : ليس في البلد من يقاتل . قال : فاحلفوا . خلفوا له وانما أراد ان يعرف صورة البلد فحينئذ تقدم بجيوسه الى قبالة السور ولجأ الناس الى القلعة . وانجبت الروم سلام على باب أربعين وعند باب اليهود وصدوا فلم يروا مقاتلة فنزلوا البلد ووضعوا السيف وفتحوا الابواب وقضى الامر وعم القتل والسبي والحريق طول النهار ومن الغد وتى السيف يعمل بها ستة أيام الي يوم الاحد ثلاث بقين من ذى القعدة فزحف الدمستق وابن الشمسقيق على القلعة ودام القتال الى الظهر فقتل ابن الشمسقيق من عظامهم ونحو مائة وخمسين من الروم وانصرف الدمستق الى نجيمة ونودى : من

خمسة آلاف رأس من النعم وخمسمائة رأس من البقر والدواب واستأثروا
 قرا من المسلمين وانصرفوا موفورين
 وفيها قلد القاضي أبو بشر عمر بن أكرم القضاء بمدينة السلام على أن
 يتولى ذلك بلا رزق وأعفى مما كان يحمله أبو العباس ابن أبي الشوارب^(١)
 وخلع عليه وأمر بالأيضي شيئا من أحكام وسجلات ابن أبي الشوارب ثم
 قلد قضاء القضاء .

ومنها خرج الوزير أبو محمد المهلبى ومعه الجيش لفتح عمان وذلك يوم
 الاربعاء لست خلون من جمادى الآخرة فأنحدر وبلغ الى هلمى^(٢) من قم
 البحر واعتل فسكت أسمع من طيبه فيروزبانه مسموم لا محالة وكنت
 أسأله عن سمة فلا يصرح باسمه الى ان كان بعد ذلك بمدة وانقضت
 تلك الايام فذاكرته بذلك فقال : كان خرج معه فرج الخادم وكان أستاذ

كان معه أسير فليقله . فقتلوا خلقا كثيرا ثم عاد الى القلعة فاذا طلائع قد أقبلت نحو
 قسرين وكانت نجدة لهم فتوهم الامستق انها نجدة لليف الدولة فترحل خائفا .
 وفيه أيضا ان في هذه السنة وقع بالعراق بارض الجلمدة برد وزن البمض منه رطل
 ونصف بالعراق

وقال صاحب التكملة : وفيه خلغ ممر الدولة على أبي الفرج محمد بن العباس (وهو
 ابن فسانجس) وقلده كتابة عز الدولة مضافا الى ما اليه من الدواوين
 (١) هو عبد الله ابن الحسن وقال فيه صاحب التكملة . وفي رجب عزل ابن أبي
 الشوارب عن القضاء وقد ذكر انه ضربه فكان النظر يحيلون عليه بمناهرة النساء والنقاطين
 وكانوا يجيئون به ويشدون ناهم على بابه ويدخلون يطالبونه كما يفعلون بضامن المأخور .
 فأتى أبو عبد الله ابن الداعي العلوي ممر الدولة وقال له : رأيت في المنام جدي عليا
 رضى الله عنه وهو يقول لك « أحب أن تظمنى ما على القضاء » وتأمر بأزائه . قال :
 قد ضاعت . وهكذا رواية ابن الصامى في كتاب القضاء لابن عمر الكندي ص ٥٤٥
 (٢) وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ٤ . ٩٧٩ : هنا

داره والمستولى على خاص أمره ومعه جماعة من الخدم يطيعونه وكان قد فارق نعمة ضخمة وخرج من خيش وثلج وتنعم الى حر شديد وشقاء كثير وتوجه الى عمان فواطأ الخدم على سبه وقتله والراحة من ذلك السفر وظنوا أنهم يسمون ويمودون^(٢٥٨) الى نعمهم . وكان فيروز الطيب لما أحس بذلك استأذن في العود الي بغداد وزعم انه لا يركب البحر فأرغب في مال كثير فامتنع ثم أرهب بالحبس فصبر وقال : لا أخرج البتة . فأذن له وانصرف . فلما كان في النصف من شعبان ثقل ورد الى الابله زائل العقل مسبوهاً فيئس منه وعمات له آلة شبيهة المحفة يحمله أربعون رجلاً يتناوبون عليه وينام فيها ورد على طريق البر فلما كان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان وقت العصر مات رحمه الله بزأوطا .

وكان ممر الدولة لما سمع بخبر عاهه أتقذ أبا على حمولى اليه لتعرف خبره وتقدم اليه أن وصل اليه وقد توفي ان يحاط على تركته واسبابه ففعل ذلك وقبض على كتابه وأسبابه وجمل جميعه الى الحضرة . وورد تابوته مدينة السلام يوم الاربعاء لخمس خلون من شهر رمضان^(٢٥٩) وقبض على عياله وولده

(١) قال صاحب التكملة انه دفن بالتونجية بقرية قريش . وروى أيضا عن أبي على التوخى الحكاية التي وردت في ارشاد الأريب ٣ : ١٩٣ وقال أيضا : وكان المهلب قد اصطنع أبا العلاء عيسى بن الحسن بن أبرونا النصراني السكابي واستكتبه على خاصه وأطلع على أموال وذخائر دفتها فأخذ أبو العلاء في جهة المأخوذين وعوقب أشد عقوبة وضرب أبرح ضرب وهو لا يقر بشيء ولا يعترف بذخيرة . فعذل أبو الفضل (وهو العباس بن الحسين الشيرازي) وأبو الفرج (وهو محمد بن العباس بن الحسين بن فساجس) الى يحيى (وهى أم أبي الفنائم الفضل بن الوزير المهلبى) وأمرأ بضرب ابنها أبي الفنائم بين يديها فبكي من عرفها من الذي يتم عليها . وقالت لهم : ان مولاي المهلبى فعل هذا بي حين استدعي الآت العقوبة لزوجة أبي على الطبري لما

ومن دخل يوما اليه ، مثلا وصوروا حتى المكارين والملاحين الذين كانوا
يخدمون خاشيته وجرى من ذلك ما لا جرى مثله الا على عدو مكاشف
واستظفم الناس ذلك واستقبحوه لمعز الدولة . وكانت مدة وزارته ثلاث
عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات بموته عن اليكتاب السكرم والفضل رحمه
الله .^(٢٥٩) ولما مات الوزير أبو محمد المهدي رحمه الله نظر أبو الفضل وأوالفرج في
الامور من غير تسمية لواحد منهما بالوزارة .

وفيا ورد الخبر بان الطرسوسيين غزوا ودخلوا من درب من دروب
الروم الى بلد الروم ودخل نجا غلام سيف الدولة من درب آخر فغم أهل

قبض عليها بعد وفاته . ثم قالت : أحضروني أبا الملا ، ابن أرونا . فاحضروه وحمل في
سبية بين أربع فراشين فطرح بين يديها فجملت تسأله عن شيء شيء وهو يجبرها بمكانه
حتى كان في جملة ذلك ثلاثون الف دينار فقال له من حضر : وبك ألت من
الا دميين ! قتل هذا القتل ويفضي حالك الى التلف وأنت لا تترقب : فقال : ياسبحان
الله أكون ابن ابرونا الطيب القصاد على الطريق ، دنانق ونصف دنانق يأخذني الوزير
أبو محمد ويصطعني ويجعلني كاتب سره وأعرف بخدمته واطامع الناس على ذخيرة دخرها
لولده ! والله ما كنت لافعل هذا ولو هلك . فاستحسن فضله وكان ذلك سببا لاطلاقه
وتقدم بذلك عند أبي الفضل وأبي الفرج وابن بقة وتوفي سنة ٣٦٩ في أيام عضد
الدولة . وروى أيضا عن التوحى : قال المهدي : سأعزم معز الدولة على إقاضي الى
عمان طرقتي أمر عظيم فبت بيلة مابت في عمري مثلها لاني فقري ولا في صفر حالي
وما زلت أطلب شيأ يسلي به عما ذهني فلم أجد الا آني ذكرت اني كنت حصلت في أيام
صبائي بسريراف لما خرجت اليها هاربا فعرفت هنك قوما أولوني جيلا وحصلت لهم على
أياد فقكرت وقلت «لعلني إذا فصدت تلك البلدان أجدهم أو بعضهم أو أعقابهم فأ كافيهم
على تلك الايادي » فلما ذكرت ه ذا تسليت عن المصيبة بالخروج وسهل على ووطننت
تسمي عليه .

وفي سبب خروج الوزير الى عمان ليراجع ما رواه ياقوت في كتاب إرشاد الاريب

طرسوس غنيمة يسيرة وأقام سيف الدولة على درب آخر ولم يدخل لانه كان عليا من فالج لحقه قبل ذلك بستين فلما خرج نجا والطر سوسيون عاد سيف الدولة الى حلب وهو غليل ولحقته غشية ظن معها انه قد تلف . وجاء أبو الحسين ابن دنجا الى هبة الله ابن ناصر الدولة يسلم عليه ويهنئه بمييد النظر وكان هبة الله راكبا فاستجر أبو الحسين ابن دنجا الحديث الى ازاء صخر ثم رماه بنخشب كان في يده فوق في لبتة ومضي يركض يريد الحرب فلحقه هبة الله وانما فعل ذلك لغيره لحفته من تعرض ابن دنجا انغلام من غلامه . وبلغ هبة الله ان عمه لم يموت وأنه أفاق من غشيته فخافه واستوحش مما فعله بان دنجا نجد في السير الى حران .

وابن دنجا هذا هو الذي كان استأمن الى معز الدولة ثم انصرف عنه الى سيف الدولة لانه لم يصل^(٢٦٠) يبتدأ الى ما كان يرجوه وما جسر أن يعود الى ناصر الدولة فساقه الحسين الى ما ذكر . فتبع نجا غلام سيف الدولة هبة الله فلم يلحقه ولحق سواده فأخذه وانصرف به الى سيف الدولة ودخل هبة الله حران وأوهم أهله أن عمه قد مات فانه قد كتب الى أبيه ناصر الدولة يستنجده لينجده بالرجال ويقوم بحران ويدفع كل من نازعه عليها وطالب أهل حران بان يلقوا له أن يكونوا معه حربا لمن حاربه وسلم لمن سلمه وظن أهل حران أن الذي خبرهم به صحيح فلقوا له على ما أرادوا واستثنوا في عيهم الا أن يكون الذي يحاربه عمه سيف الدولة فانهم لا يحاربونه ورضى بذلك منهم . فلما كان بعد أيام وافى نجا أخو نجا غلام سيف الدولة فاعلق هبة الله وأهل حران ابواب حران في وجوههم وعلم نجا انه لا يمكنه فيهم خيلة فظهر انه لم يرد (ابواب) حران وانما اراد قصد ارزن وميافارقين

فانصرف عن حران اليها وكتب الى أخيه نجبا (يعرفه ما جرى وينزبه بأهل
 حران فسار نجبا الى حران فلما قرب منها هرب هبة الله الى أبيه واسلم أهل
 حران فنزل نجبا) خارج حران وخرج اليه وجوه أهلها واشرافها وهم سبعمون
 شيخا يسلموا عليه فوكل بهم وتهددهم بالقتل وطالبهم عن البلد بالف الف
 درهم ارش ما عملوه من غلق الابواب في وجه اخيه ولم يسمع لهم عنذرا
 وجرت^(١) لهم معه خطوط الى ان تنع منهم بثلاثمائة الف درهم وعشرين
 الف درهم ووجه معهم بالفرسان والرجال والزمهم الاجمال الثقيلة وروم ان
 يستخرج له المال في يوم واحد وبمد الجهد الى أن يكون المسدة خمسة أيام
 وتسط المال على أهل البلد وأدخل فيه المني والذبي والسوقة والنساء الارامل
 وغيرهم ووضع عليهم المعصبي والضرب في دورهم بمحضرة حريمهم وعيالهم
 فاخرجوا أمتهم وباعوا ما يساوي دينارا بدرهم ولم يجدوا من يشتري لان
 أهل البلد كلهم كانوا يديعون فاشترى اصحاب نجبا الامتعة والحلي بحكمهم وبما
 أرادوا . ولزم أهل البلد من الاجمال امر عظيم وخرب بذلك البلد واقتصر
 اهله وانصرف عنهم نجبا الى ميفارقين بمد ان استوفى جميع المال وترك البلد
 شاعرا بلا سلطان فتنابط عليهم العيارون . وأظهر نجبا الخلاف على مولاه
 سيف الدولة والخروج عن طاعته ولم يزرع في هذه السنة أحد بديار مضر
 كبير شيء للجور الذي كانوا فيه .^(١)

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : يوم عاشورا قال ثابت (بن سنان)
 أزم معز الدولة الاس بخلق الاسواق ومنع الهراسين والطباخين من الطبخ وتصبوا القباب
 في الاسواق وعلقوا عليها السوح وأخرجوا نساء منشورات الشعوب ومضجات ياطعن في
 الشوارع ويقمن المسائم على الحسين عليه السلام وهذا أول يوم نبح عليه يفداذ
 وقال أيضا : وفي ثامن عشر ذى الحجة عمل عيد غدير خم وضربت الدباب

﴿ ودخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيه ورد الخبر من حران بأنه اجتاز بهم الغازي الوارد من خراسان في نحو خمسة^(٢٦٣) آلاف رجل ماضين الى حلب الى سيف الدولة وهذا الرجل وافى من خراسان على طريق اذربيجان ثم الى أرمينية ثم الى ميفارقين ثم الى حران ثم الى حلب ثم ورد بان هذا الغازي اجتمع مع نجا غلام سيف الدولة . وكان يبلاد ارمينية وملازجرد رجل يعرف بابي الورد قد استولى عليها فطمع نجا فيه ولم ياتفت الى حديث الغزو ولا الى الخراساني وقصد

وأصبح الناس الى مقابر قبريس لصلاة هالك والي مشهد الشيعة . واستنصرت الروم على الاسلام بكاتبة حلب فضمف أمر سيف الدولة بعد تلك الملاحم الكبار التي طير فيها لب المدو ومزقهم فله الامر وما شاء الله كان . ففيها عبرت الروم الفرات لقصد الجزيرة وأغلق أهل الموصل الاسواق واجتمعوا في المسجد الجامع لذلك ومضوا الى ناصر الدولة فضمن لهم الغزو . ووردت الكذب من بغداد أن الرعية أغلقت الاسواق وذهبوا الى باب الخلافة ومعهم كتاب يشرح مصيبة حلب وضجوا فخرج اليهم الحاجب وأوصل الكتاب الي الخليفة فقرأه ثم خرج اليهم فمرفهم أن الخليفة بكى وأنه يقول : قد غمى ماجرى وأنتم تعلمون أن سبق معز الدولة وأنا أرسله في هذا . قتلوا : لا تقع الا بخروجك أنت وان تكذب الي سائر الافاق وتجمع الجيوش والافانزل تؤلى غيرك . ففاظه كلامهم ثم وجه الى دار معز الدولة فركب معه الا تراك فصر فهم صرقا قبيحا ثم لطف الله وجاهت الاخبار بموت طائفة الروم وان الحلف واقع بينهم في من يملكونه . فطمع عسكر طرسوس ودخلوا أرض الروم في عدة وافرة وأوقوا بالروم ونصروا عليهم وعادوا بغنائم لم ير من دهر مثلها فلما ردوا الى الدرب اذاهم ابن الملائني على الدرب فاقتنوا طول النهار ونصر المسلمون . وبلغ سيف الدولة أيضا اختلاف الروم فيادر ودوخ الاعمال وأحرق وحصل من السبي أكثر من الفين ومن المواشي مائة الف رأس وفرح المؤمنون بالنصر والاستظهار على المدو . ثم بعد شهر أو شهرين توجه سيف الدولة غازيا فصار على حران وعطف على ملطية فلا يديه سييا وغنائم ثم خرج الى آمد

أبا الورد^(١) فأوقع به وملك قلاعه وبلده وحصل في يده من أمواله ما يكثر قدره فأقام في القاعة وحصل في يده من بلدان أرمينية وملازجرد وخلاط وموش . ومضى النازي الخراساني الى سيف الدولة فلما اجتمع معه تفر الى المصيصة وورد الخبر^(٢) بنزول الروم على المصيصة في جيش ضخم وفيه الدمستق وأنه أقام عليها سبعة أيام ونقب في سورها نيفا وستين نقبا ولم يصل اليها ودفعه أهلها عنها ثم انصرف لما ضاقت به المير وغلا السعر وبهد ان أقام في بلاد الاسلام خمسة عشر يوماً . وأحرق رستاق المصيصة وأذنة وطرسوس وذلك لمعاونتهم أهل مصيصة فظفر بهم الروم وقتل منهم خمسة آلاف رجل وقتل أهل أذنة من الروم عددا قليلا وكذلك أهل طرسوس . ولما مضى سيف الدولة^(٣) والخراسانية الى المصيصة وجد جيش الروم قد انصرف عنها وتفرقت جموع الخراساني لشدة الغلاء في الثغور وبجلب ورجع أكثرهم الى بغداد وعادوا منها الى خراسان . وقيل انصرف الدمستق عن المصيصة^(٤)

(١) وقال الفارقي في تاريخ ميفارقين : وصل الخبر بان أبا الورد صاحب اخلاط وما يليها وقع من السور وهلاك وملك البلاد جميعها نجاة غلام سيف الدولة وقتله . وقال أيضا في هذه السنة حضر نجاة ميفارقين لياخذها ويسلمها الي معز الدولة وأمدته بالعساكر فلما جد في ذلك وصله الخبر ان سيبا لابي الورد ونب على ملازجرد وأخذها فاتفصل عن ميفارقين فطلب اخلاط وتلك الولاية فخرج أهل ميفارقين فهبت عسكره .

(٢) زاد صاحب تاريخ الاسلام : أن الروم خرجوا يريدون أذنة والمصيصة فاستجد أهل أذنة بأهل طرسوس فجاءوهم في خمسة عشر الف فارس وراجل فالتفوا واشتد القتال وركب المسلمون أقتية الروم وأنهبوهم فخرج للروم كمين أفتنع أربعة الاف وراجل فقاتلوا عن أنفسهم وتجزوا الى تل فقاتلوهم يومين ثم كثر عليهم جموع الروم فاستأصلوهم ثم نزلوا المصيصة الخ . وفيها ملك المسلمون حصن اليمانية بحيلة وهو على ثلاث فراسخ من آمد . (٣) وفي الأصل : الضبعة .

وجه الى أهلها بأني :منصرف عنكم لا لعجز عنكم وعن فتح مدينتكم ولكن لضيق العلوقة وانا عائد اليكم بمد هذا الوقت فن أراد منكم الانتقال الى بلد آخر قبل رجوعي فليقتل ومن وجدته بعد عودي قتله .

وفيهما اجتمع الا كراد على قافلة الحاج الصادرة الى خراسان فلكوها واجتاحوها فوق حلوان ورجع الحاج الى حلوان

وورد الخبر بان الغلاء اشتد باظطاكية وجميع الثغور حتى لم يقدر احد على الخبز وأكل الناس الرطبة والحشيش وانتقل قوم من الثغور الى الرملة ودمشق وغيرها نحو خمسين ألف انسان هربا من الغلاء فان الدمستق قد جمع الجوع للخروج الى بلدان الاسلام وان السلطان بجران مقيم بمد الذي جري على أهلها من نجا على ظلمهم وطرح الامتعة عليهم والجور في معاملتهم وان الغلاء بها وبالرقة شديد جدا .

وفيهما استهدى المهجريون من سيف الدولة^(٢٦٤) حديدا فقلع سيف الدولة أبواب الرقة وهي من حديد وسد مكانها وأخذ حديدا بديار مصر حتى أخذ سنجات الباعة والبقالين ثم كتبوا اليه : انا قد استغنينا عن الحديد . فأخذ القاضي أبو حصين الابواب فكسرها وعمل منها أبوابا لداره . ثم كتب المهجريون يلبسون الحديد فأخذ الابواب التي عملها أبو حصين وسائر ما قدر عليه من الحديد وحمله في القرات الى هيت ثم منها اليهم في البرية .

وفيهما ورد أبو الحسين الباهلي برسالة ناصر الدولة ليقرر ما يرضه وبين معز الدولة فقرر على أن يحمل ناصر الدولة عن سنة ٣٥٢ الف الف درهم يقدم منها ثلثمائة الف درهم وعن سنتي ثلاث وأربع الف الف درهم يقدم منها مائتي الف درهم والباقي في نجوم . ولما تقرر الامر بذل ناصر الدولة

زيادة عشرة آلاف دينار على أن يعقد لابنه أبي تغلب فضل الله الغضنفر فلم يستجب معز الدولة الى ذلك فلما كان مستهل جمادى الآخرة وردت الخمسمائة الالف درهم التي وقع الاتفاق عليها مع الباهلي وقبضت وصحت في الخزانة . وأظهر معز الدولة الاصله الى الموصل وأخذ يستمد له فسأله الباهلي التوقف^(٢٦٤) عن المسير الى أن يمضى برسالة الى ناصر الدولة ويهود فقيل له : تمضى وتتمس رد ما لزم من النفقة على التأهب للسفر . فمضى وأخرج معز الدولة مضاربه الى باب الشماسية وخرج الحاجب سبكتكين وجماعة من القواد على المقدمة الى الموصل وتبعه معز الدولة . ومد الجسر الذي يفتد الى السن وعقد هناك وعبر عليه مع الجيش الى الجانب الغربي وسار على الظهر الى الموصل

وكان الباهلي قد عاد بجواب الرسالة وبتل ان يحمل ثلاثمائة الف درهم عوضا عما لزمه من النفقة على السفر فلم يقبل منه وانصرف الباهلي من تكريت وتم معز الدولة المسير . ولما بلغ ناصر الدولة أن معز الدولة قد قرب من الموصل ونم يكن له عزم على لقائه رحل من الموصل الى نصيبين ورحل معز الدولة من الموصل الى بلد في آخر النهار وخلف بالموصل أبا العلاء صاعد بن ثابت ليحمل الفلوات ويستخرج الاموال وخلف بكتوزون وسبكتكين العجمي ووهري وجماعة من الأتراك والديلم لضبط البلد . ولما بلغ ناصر الدولة مسير معز الدولة نحوه سار من نصيبين الى ميافارقين (يوم السبت للنصف من شعبان وسار خلفه الحاجب أنكبير فلما قرب من ميافارقين) رحل ناصر الدولة عنها ورجع الحاجب الى نصيبين وعرف معز الدولة أن العدو قد رحل لما قرب منه^(٢٦٦) وأنه لا يدري اين قصد فرحل معز الدولة

لوقت من نصيبين يريد الموصل خوفا من مخالفة ناصر الدولة اليها وخلف
الحاجب وجماعة من القواد بنصيبين . وكان صار أبو تغلب ابن ناصر الدولة
واخوته الى الموصل ووقع بينهم وبين من خلفهم معز الدولة بها حرب شديدة
وكانت على أولاد ناصر الدولة وانصرفوا الى الموصل وأحرقوا زبازب معز
الدولة التي كانت ببلد وزواريق العسكر التي كانت بالموصل وبلغ ذلك
معز الدولة فسكنت نفسه الى ظهور أصحابه بالموصل على بني حمدان . فلما
كان بعد ذلك اجتمع ناصر الدولة مع أولاده وقصدوا الموصل فأوقعوا
ببكتوزون وسبكتكين العجمي وعسكر معز الدولة الذي كان خلقه بالموصل
واستأمن الديلم الى ناصر الدولة فأخذ ترأسهم وأحرقها ووهب لكل واحد
منهم عشرة دراهم وصرقهم وأسروا بكتوزون وسبكتكين وسائر الأتراك
ووهرى وصاعداً واحمد الطويل غلام موسي فيأذه وكان قد أصعد من
الاهواز لينظم الى معز الدولة من وضيعة لحقته في ضمان كان في يده^(١) وأخذ
بنو حمدان ما كان لمعز الدولة بالموصل من كراع وسلاح وثياب خز ومائتي
الف درهم كانت (حملت اليه من بغداد ومائتي الف درهم كانت) للحاجب
وحمل جميع ذلك مع الاسارى^(٢٦٧) الى القلعة . وبلغ ناصر الدولة وأولاده
مسير معز الدولة من نصيبين فلم يقيموا ومضوا الى سنجار وصار معز الدولة
الى برقميد ولم يكن عنده ماجرى على أصحابه بالموصل وبلغه ببرقميد ان
ناصر الدولة قد صار بالجزيرة فعدل من برقميد الى الجزيرة . فبلغه اقبال
حمدان بن ناصر الدولة اليه فوقف له فاذا هو مستأمن اليه مع علوان القشيرى
وسار معز الدولة الى الجزيرة فلم يجد بها ناصر الدولة فسار الى الموصل

(١) وفي التكملة : وكان قد ضمن الاهواز واصعد منها ليفسخ ضمانه

وبلغه في طريقه ماجرى على أصحابه بالموصل فكتب الى الحاجب وهو
 بتعيين أن يصير الى بلد وعبر هو الى بلد واتخذ سواده الى تكريت .
 ووافاه الحاجب وأبو الهيجاء حرب بن أبي العلاء ابن حمدان مستأمنًا وسار
 يريد نصيبين ووافاه أبو جعفر العلوي النصيبيني برسالة ناصر الدولة يأمس
 الصالح فلم يجبه . وكان أبو تغلب قد صار الى الموصل ونزل في الدير الاعلى
 ولم يهيج في ايام مقامه أسباب معز الدولة ولا عرض لهم واظهر جنيلًا
 ومضى حمدان الى الرحبة وكان بها الفتكين خاربه هناك وأقبل معز الدولة
 الى الموصل فرحل أبو تغلب من الدير الاعلى وجاء معز الدولة فنزل مكانه
 واستأمن^(٢٦٨) اليه هزارد الصغير من غلزان أبي تغلب وجاء المسيب
 والميأ بكشمرد أسيراً فخلع على المسيب والميأ وطوقا وسورا . وراسل
 أبو تغلب معز الدولة بصاحبه أبي الحسن علي بن عمرو بن ميمون ووجرت
 له خطوط استقرت على ان ضمن أبو تغلب ما كان في يديه ناصر الدولة
 من الموصل وديار ربيعة والرحبة على ان يحمل عن بقايا سنة ٣٥٣ ستمائة الف
 درهم وعن أربع سنين مستأنفة آخرها سنة ٥٧ لكل سنة ستة آلاف الف
 ومائتي الف درهم وان يجعل حمل الستمائة الاف مع الاسارى الذين في
 يده الى الحديثة اذا حصل الامير معز الدولة بها وضمن ان يرد من جملة
 ما حصل في أيديهم من المال والامتنعة التي أخذت في وقت الايقاع
 يكتوزون ما حصل في يده بقسطه ووعده بطلب الباقي وحمله وتقرر ذلك
 وأشهد معز الدولة على نفسه القواد والعدول وقاضي البلد بامضاء ذلك
 وكتب الى الفتكين بالانصراف من الرحبة وكتب على بن عمرو خطه
 بضمان ما تقرر عليه الامر ورهن نفسه على امضاء أبي تغلب ذلك وسار معز

الدولة الى الحديثه وورد صاحب أبي تغلب بالمال ثم وافاه بكتوزون^(٢٦٩) وسبكتكين المعجمي وسار الي بغداد .

وفيهما ورد الخبر بالموصل بان أبا عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الداعي الحسيني^(١) خرج من بغداد سرا إلى بلد الديلم وخلف والدته وابنه وعياله في داره ببغداد ظاهرين

(١) ووالده الحسن بن القاسم هو امام الزيدية الذي قام بالرى وقتل سنة ٣١٦ (صلة عريب ص ١٣٧) وأما أبو عبيد الله فقال صاحب التكملة أنه كان نزم الكرخي والحنبلي وقرأ عليه الفقه وقرأ الكلام على أبي عبد الله البصري ومنشاه بطبرستان وكان يجيب في الفتاوى أحسن جواب والزعم معز الدولة النظر في نقابة الطالبيين ببغداد سنة تسع وأربعين فقتل بخيرا وعمر وقوفهم . وسأله معز الدولة عن طائفة والزبير فقال : هما من أهل الحجة لان النبي صلعم بشرهما بالحجة . وكان للمهلبى يخافه فوضع عليه موضوعات منها أنه كان يأخذ البيعة على الديلم وبلغ من اجلال معز الدولة له أنه دخل عليه وهو مريض فقبل يده استشفاه بها . ولما غاب معز الدولة في هذه السفارة الى نصيدين تخلف ابنه عز الدولة ببغداد فدخل ابن الداعي فخطبه بمض أصحاب عز الدولة في معنى علوى خطابا أوما عليه فامتعض أبو عبد الله من ذلك وخرج مغضبا وكان ينزل بدار على دجلة بباب الشخير فرتب قوما معهم بالجانب الشرقي وأظهر أنه مريض وخرج مخفيا ومعه ابنه الاكبر وخلف أولاده وعياله وزوجته ببغداد وامتته وكما تحويه داره ولم يستصحب غير جبة صوف بيضاء وسيفا ومصحفا وسلك طريق شهرزور ومضى الى هوسم . وسمه علوى هناك قام بعده وكانت وفاته سنة ٣٥٩ . وفي الاصل هو أبو عبد الله محمد بن الحسين وكذا في الكامل لابن الاثير والصواب انه ابن الحسن .

وأما الكرخي فهو أبو الحسن شيخ الخنزية بالعراق اسمه عبيد الله بن الحسين بن دلال. وعن الخطيب : أنه لما أصاب أبو الحسن الكرخي الفالج في آخر عمره حضره وحضر أصحابه أبو بكر الدامغانى وأبو على الناشئ وأبو عبد الله البصرى وقالوا : هذا مرض يحتاج الى ثقافة وعلاج والشيخ مقل ولا ينبغي ان نبذله للناس . فكتبوا الى سيف الدولة ابن حمدان فأحس أبو الحسن بما هم فيه فيكى وقال : اللهم لأنجمل رزقي الا من حيث عودتي . فمات قبل ان يجمل اليه شيء ثم ورد من سيف الدولة عشرة

وضار سيف الدولة الى ميافارقين واحتال أصحابه على القلعة التي كانت
حصلت له من أبي الورد وهرب نجا فحصل لسيف الدولة القلاع وأسارى
[الروم] وأخ لنجا .

وأقام الدمستق على المصيصة وهادى سيف الدولة بينال وجواب
وثياب ذيباج رومية وصياغات ذهب وقبلة سيف الدولة بهديا فصار سببا
لمقام الدمستق في بلدان الاسلام ثلاثة أشهر لا ينازعه أحد ولا يمكنه فتح
المصيصة وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ووقع في أصحابه الربأ فاضطر الى
الانصراف بعد ان حمل اليه مال من المصيصة
وفيها ظهر بالكوفة رجل ذكر انه علوي وكان مبرما فوقت بينه
وبين أبي الحسن محمد بن عمر العلوي وقائع فلما دخل معز الدولة بغداد
هرب المبرقع .

وورد الخبر بان نجا صار الى مولاه سيف الدولة فأعاده الى مرتبته (٢٧٠)

آلاف درهم فتصدق بها . توفي سنة ٣٤٠

وأما أبو عبد الله البصرى فهو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي
المشكاه صاحب أبي الحسن الأشعري وهو بصرى قدم بغداد ودرس بها علم الكلام
وصنف التصانيف وغلبه درس القاضي أبو بكر ابن الطيب الباقلائي هذا الفن (وفي ترجمة
الباقلائي أنه أخذ عنه علم النظر) وقال الخطيب : ذكر لنا غير واحد أنه كان تخمين السمر
حسن الدين توفي في حدود سنة ٣٧٠ - ٣٦٠ كذا في تاريخ الاسلام .

وأما أبو علي الشاشي فقيه أيضا انه الحسن بن صاحب بن حميد وانه طواف جوال
أرخته الخطيب وفتنه بالفظ الخليلي وتوفي سنة ٣١٤ وهو مذكور في كتاب الانساب
لحمهاني ص ٣٢٥

وفيه أيضا (ص ٢١٩) ان أبا بكر الدامغاني هو أحمد بن منصور الانصاري أحد
الفقهاء الكبار من أصحاب الرأى فدرس ببغداد على أبي الحسن الكرخي ولما فلج
الكرخي جعل الفتوى اليه دون أصحابه فاقام ببغداد دهرأ طويلا .

﴿ ودخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيهما فتك غلمان سيف الدولة بحضرته على نجا بالسيوف فقتلوه^(١) ولحق سيف الدولة في الوقت غشية مكث فيها نحو الساعة فامرت زوجته وهي بنت أبي العلاء سعيد بن حمدان ان يُجر برجل نجا فعمل ذلك الى ان اخرج من قصرها وفيه كان جرى على نجا ما جرى وطُرح في مجرى ماء ينصب اليه المياه والاقذار وبقي فيه الى الند وقت العصر ثم اُخرج وكفّن ودُفن وفيها وصل أبو أحمد خلف بن أبي جعفر ابن بانو الى الخليفة أوصله معز الدولة فقلده سجستان وخلق عليه وعقد له لواء .

وورد الخبر بان الاتراك نزلوا على بلد الخزر واستنصروا أهل خوارزم فامتموا من نصرتهم وقالوا : أنتم يهود فان أحييتم ان ناناونكم فاسلموا . فاسلموا الا ملكهم

وورد الخبر بان أبا عبد الله ابن الداعي لما وصل الى بلد الديلم اجتمع اليه منهم عشرة آلاف رجل وان ابن الناصر العلوي هرب من بين يديه . ثم اوقع بمائتة كبير من قواد وشمكير وانه تلقب بالمهدي لدين الله^(٢)

(١) وقال صاحب تاريخ ميفارقين . حضر نجا في مجلس سيف الدولة وعنده جماعة على الشراب فكلم سيف الدولة في شيء وحاجة وخرج عليه بكلام قبيح فوثب عليه غلام لسيف الدولة يسمي نجاها فضربه على رأسه بسيف فقتله فحمل الى ميفارقين ودفن بها وندم سيف الدولة على قتله وسار وملك اخلاط وتلك الولاية بأسرها .

(٢) الناصر لدين الله هو أبو الحسن أحمد بن المهادي الى الحق بجي امام الزيدية استمان به وجوه خولان على أخيه المرتضى (أبي القاسم محمد بن يحيى) في سنة ٣٠١ وقام الناصر قويم وتوفي سنة ٣٢٥ وله اولاد منهم الحسن وجعفر ويحيى كذا في كتاب الحدائق الوردية . وفي كتاب عمدة الطالب (طبع بمبني ص ١٥٧) ان ابنه الحسن قام بالامر بعد أبيه وكان يلقب بالمتجب لدين الله ونازعه أخوه يحيى على الامامية وياقوب

وورد الخبر بان تقفور ملك الروم بنى بيسارية مدينة^(٢٧١) وهي
تقرب من [بلاد] الاسلام فاقام بها وتقل اليها عياله ليقترب عليه ما يريد
من بلدان الاسلام^(٢٧٢) وان أهل المصيصة وطرسوس أنفذوا اليه رسولا
يسألونه أن يقبل منهم إنلوة يؤدونها اليه على ان ينفذ اليهم صاحبها ليقوم
فيهم فعمل على اجابتهم الى ذلك . فورد عليه الخبر بأن أهل هذه البلدان قد
ضغفوا جداً وأنه لا ناصر لهم ولا دافع له عنها وأنه لم تبق أقوات وأنه قد
آل الامر بأهل طرسوس الى أكل السكلاب [و] الميتة وأنه يخرج منها
في كل يوم ثمانمائة جنازة فانصرف رأيه عما كان عمل عليه وأحضر رسولهم
وضرب له مثلاً وقال « مثلكم مثل الحية في الشتاء اذا لحقها البرد وذبلت
وضعت حتى يقدر من رآها انها قد ماتت فان أخذها انسان وأحسن اليها
وأدفاها انتمشت ولدغته وأنتم انما بختتم بالطاعة لما ضمتم وان تركتكم
حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم . وأخذ الكتاب الذي أورده فاحرقه
على رأسه فاحترقت لحيته وقال : امض اليهم وعرفهم انه ليس عندي الا
السيف . فانصرف وجمع الملك جيوشه وعمل على ان ينفذ^(٢٧٣) جيشاً الى

بالمصور كان فيه خير أنفذ رجلا الى بغداد أيام كان أبو عبد الله ابن الداعي بها وذلك في
أيام معز الدولة وقال له : اختر حاله فان رأيت أنه أفضل مني وأولى مني بالامامة فاكتب
الي بذلك لابايه له وأدعوا اليه . وفي الحدائق أنه لما قام ابن الداعي في سنة ٣٥٣
حاربه أبو محمد الحسن بن محمد بن الثائر المعروف بأميركا وأنه أنفذ اليه من جرجان نصر
ابن محمد الاستدار لحاربه فالتقوا بشالوس ثم وقع تحايط عسكر ابن الداعي بسوء تدبير
من كان اعتمده وخيانة بعض أقاربه له بمخديمة عليه فلم يتمكن من الامتداد الى طبرستان
وعاد الى هوسم فاقام بها على ضجر شديد من سوء أدب كثير من أولئك الديلم بالجبل وكان
ينادي بتلوهم وتقايمهم وقلة وفائهم بما كانوا بذلوا له أيام مقامه ببغداد وتوفي سنة ٣٦٠
(١) وفي تاريخ الاسلام : وسكنها لغير كل وقت وترك أباه بالسطنطينية

الشام وجيشاً الى الثغور وجيشاً الى ميفارقين وكان سيف الدولة بميفارقين
[قد] تخصّص البطارقة الذين في يد نجا وكان بميفارقين نحو الف كثر حنطة
فمزقها وفرقها لثلاثا تأخذها لروم

ثم ان ملك الروم اتفق الى المصيصة قائدا من قواده فاقام عليها يحارب
أهلها ثم جاء الملك بنفسه فاقام عليها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف في
أهلها فقتل منهم مئة مائة عظيمة ثم رفع السيف وأمر أن يساق من بقي في
المدينة من الرجال والنساء والصبيان الى بلد الروم وكانوا نحو مائتي الف
انسان ثم سار عنها الى طرسوس فعاصرها فاذعن أهلها بالطاعة فاعطاهم الملك
الامان وفتحوا له أبوابها فدخلها ولقي أهلها بالجميل ودعاه رؤساءهم الى طعامه
فأكلوا معه وأمرهم بالاتقال عنها وان يحمل كل واحد من ماله وسلاحه
ما أطاق حمله ويخلف الباقي ففعلوا وساروا وسيروا معهم ثلاثة نفر من
البطارقة يحمونهم فعرض لهم قوم من الارمن فواقع الملك بهم وعاقبهم وقطم
انافهم لمخانتهم أمره . ولم يزل طول طريقهم يتعرف أخبارهم بكتبه ورسله
الى ان عرف سلامتهم وحصولهم بانطاكية وحمل بعضهم في البحر في
شلنديات له الى حيث ارادوا .

ثم جعل الملك المسجد الجامع بطرسوس اصطبلا لدوابه ونقل ما كان
فيه من قناديل الى بلده وأحرق المنبر وقلد البلد بطريقا من بطارقه في خمسة
آلاف رجل وقلد المصيصة بطريقا آخر وتقدم بمعمارة طرسوس وتحصينها
وجاب الميرة اليها من كل جهة فعمرت ورخص السعر بها حتى صار الخبز
بها رطلين بذائق فترجع أهلها اليها ودخلوا في طاعة الملك وتنصر بعضهم
وعمل الملك على ان يجعلها حصنا ومعقلا له لخصانتها وليقرّب عليه ما يريد

من بلدان الاسلام .^(١)

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وقيل رجع جماعة من أهل المصيصة اليها وتصروا وكان السبب في فتح المصيصة أنهم هدموا سورها بالقوب فأشار عليهم رجل بحيث أن يخرجوا الاسارى ليعطف عليهم الملك فقور فاخرجوهم فعرفه الاسارى بعدم الاقوات وأطموه في فتحها فزحف عليها ولقد قاتل أهلها في الشوارع حتى أبادوا من الروم أربعة الاف ثم غلبوهم بالكثرة وقتلوهم وأخذوا من أعينهم مائة ضربوا رقابهم بإزاء طرسوس فأخرج أهل طرسوس من عندهم من الاسرى فضربوا أعناقهم على باب البلد وكانوا ثلاثة الاف . وقال أيضا . ان في هذه السنة اشتد الحصار على مدينة طرسوس وتكاثرت عليهم جموع الروم وضمفت عزائمهم بأخذ المصيصة وبما هم فيه من القلة والنلاء . وعجز سيف الدولة عن نجدهم وانقطعت المواد عنهم وطال الحصار وخذلوا فراسلوا فقور ملك الروم في أن يسلموا اليه البلد بالامان على أنفسهم وأموالهم واستوتفوا منه بايمان وشرائط . ودخل طائفة من وكلاء الروم فاشتروا منهم من البز الفاخر والوانى الخروطة واشتروا من الروم دواب كثيرة تحماهم لانه لم يبق عندهم دابة الا أكلوها وخرجوا بجرعهم وسلاحهم وأموالهم .

فوفى تبحر الثملى من مصر في البحر في مراكب فاقبل بلك الروم خبره فقال لاهل طرسوس . غدرتم . قالوا : لا والله ولوجاهت جيوش الاسلام كلها . فبثت الى الثملى : ياهذا لا تقصد على القوم أمرهم فانصرف . ثم عمل فقور دعوة لكبار أهل البلد وخلع عليهم وأعطاهم جملة وخفرهم بمجيش حتى حصلوا يفراس وحصل منهم خمسة الاف بانطاكية فآكرمهم أهلها . ثم دخل الروم مدينة طرسوس فاحرقوا المنبر وجعلوا المسجد اصطبلا

وأما سيف الدولة فانه سار الى أرزن وأرمينية وحاصر بدليس وخلط بها أخو نجا غلامه عصيا عليه فتلك المواضع ورد الى ميفارقين . وعمد أهل انطاكية فطرخوا نائب سيف الدولة عنهم وقالوا . نذارى بيت المال ملك الروم أو نبرح عن انطاكية فلا مقام لنا بعد طرسوس . ثم اتهم أمروا غايمهم رشيقا النسيبي الذى كان على طرسوس فكتب ملك الروم على حمل الخراج اليه عن انطاكية فقرر الامر على حمل أربعمائة الف درهم في السنة وجعل على كل رأس من المسلمين والنصارى ثلاثين درهما والامر لله . وفي هذه السنة ورد الخبر بإجابة فقور الى ما طلبه منه سيف الدولة من الهدنة

وكان معز الدولة قد أنفذ كردك النقيب الى عمان فلقى أميرها نافما ووافقته على الدخول في طاعة الامير معز الدولة واقامة الخطبة له وكتب اسمه على الدنانير والدرهم واستجاب نافع الى ذلك وكتب اسم معز الدولة على الدرهم والدنانير . فلما انصرف كردك عنه وقف أهل البلد على ما عمله نافع من ذلك فوثبوا به وأخرجوه من البلد وأدخلوا أصحاب الهجرين القرامطة وسلموا البلد اليهم فهم يقيمون فيه^(٢٧٤) نهارهم ويروحون الى معسكرهم في آخر النهار وكتبوا الى أصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليرد عليهم الامر بما يعملون به .

وورد الخبر بان تففور ملك الروم عاد الى قسطنطينية وان الدمستق وهو ابن الشسقيق كتب اليه يستأذنه في قصد سيف الدولة الى ميفارقين فكتب اليه بالتوقف الى أن يالحق به بقسطنطينية فضى اليه وكان سيف الدولة

والفداء على أن يخرج بدل ابي الفوارس محمد بن ناصر الدولة ومن معه من بني عمه جماعة من البطارقة وان يقادى بلمان سيف الدولة عدة من الروم وان يتناح ما يفضل من الاسرى ببلد الروم كل واحد بثمانين دينارا فأحضر سيف الدولة أعان التي راس وذلك مائة وستون الف دينار فعانها الرسول وجاءت كتب الطرسوسيين الى سيف الدولة ليأخذ منهم الاسارى فانهم عجزوا عن أقواتهم للفداء . ثم جاء من بلد الروم كتاب أبي فراس ابن حمدان من الاسر بتصحيح أمر الفداء وتقذ شرائط ملك الروم وفيه خط ملك الروم بالاحمر وخطوط بطارقه على ان يأخذوا عندهم ستة من بني حمدان وبأخذه سيف الدولة عنده ستة من البطارقة

ووردت الاخبار أن ملك الروم أرسل الى أهل طرسوس يهدنهم على أن يخرجوا سور المدينة وان يبنوا بعة كانت لهم تخربت فلم يجيوا فسار حتى نزل عليهم وحاصرهم وبذلوا له ثلاثمائة الف دينار واطلاق ما عندهم من الاسارى فإني الا أن يخرجوا بالامان بما قدروا على حمله أو ان يكونوا في طاعته ويخرجوا سوزهم فامتنعوا وأخذت الروم نفر المصبية فقتلوا كل الرجال فلم يقات منهم الا سبعة نفر فاشاء الله كان

قلد رشيقا النسيمي وهو من وجوه أهل طرسوس فلما حصل سيف الدولة
 بديار بكر وسلم رشيق هذا طرسوس في جملة من سلمها الي ملك الروم خرج
 الى انطاكية . فالتصق به انسان صنير القدر يعرف بابن الاهوازي كان يتضمن
 الارجاء بانطاكية وكان قد اجتمع عنده مال فاغوى رشيقا وسلم اليه ما اجتمع
 عنده من المال وأطمعه في أن سيف الدولة لا يعود الى الشام وخرج معه الى
 حلب . وجرت بينه وبين قرغويه حروب كثيرة وصعد قرغويه الى قلعة حلب
 فتحصن فيها فانفذ سيف الدولة خادما له أسود ويدرف يباشرة ليكون مع
 قرغويه في القلعة فنزل هذا الخادم في بعض الأيام وانضم اليه قطعة من
 الاعراب كانوا قد وافوه وجماعة من الجند والعلمان فلما^(٢٧٥) أحس بهم رشيق
 انهزم وسقط عن دابته فنزل اليه رجل من الاعراب من بني معاوية عرفه
 فحز رأسه وصار به الى قرغويه وبشارة وانهم أصحاب رشيق وتركوا كل
 ما لهم في ظاهر حلب وهرب ابن الاهوازي الى انطاكية وكان أخوه
 مقيا بها . فنصب رجلا من الديلم اسمه دزبر وسماه الامير واعتضد برجل
 علوى أفضى ووعد الملوى ان تم له الامر ان يجعله الرئيس والمدبر وتسمى
 بالاستاذ فظلم الناس بانطاكية وجمع الاموال وقصده قرغويه الى انطاكية
 وجرت بينهما وقعة فكانت على الاهوازي أكثر الليل وقطعة من النهار
 ثم صارت له على قرغويه لان أهل البلد عاونوه

وقد كانت سيف الدولة كتب الى قرغويه الايخرج الى انطاكية
 فانهزم قرغويه وعاد الى حلب وانصرف سيف الدولة من القداء ودخل
 حلب وأقام بها ليلة وخرج من غد فواقع دزبر وأسر دزبر وابن الاهوازي
 في ضيعة في طريق بالس يعرف بتسمين فانهزم أصحاب دزبر وأسر دزبر

ومضى ابن الاهوازي فطرح نفسه في بيوت بني كلاب فوجه اليهم سيف الدولة يطالبهم به ووهب لهم ثلاثين الف درهم فسلموه اليه^(٢٧٦) وقتل دزبر واعتقل ابن الاهوازي مدة . ثم خرج ملك الروم الى الشام واشتغل بسيف الدولة به وأمر باحضار ابن الاهوازي^(١) فقتل بحضرته .

وفي هذه السنة أفتد أبو تغلب ابن ناصر الدولة الى الامير معز الدولة شيئا كثيرا من المال والثياب التي كانت أخذت بالموصل وقت القبض على بكتوزون فاما المال فانه قبله وأما الثياب فانه ردها عليهم وقال : لعل فيها شيئا استحسنتموها وقد وهبتها لكم . وكانت لها قيمة عظيمة ولكنه ترفع عن ارتجاعها

﴿ ودخات سنة خمس وخمسين وثلثمائة ﴾

وفيا ورد الخبر بأن بنى سليم قطعوا الطريق على قافلة المغرب ومصر والشام الحاجة الى مكة في سنة ٣٥٤ وكانت قافلة عظيمة وكانت فيها من الحاج والتجار والمتقلين من الشام الى العراق هربا من الروم ومن الامتعة التي لهم نحو عشرين الف حمل منها دق مصر الف وخمسمائة حمل ومن أمتعة العرب اثني عشر الف حمل وكان في الاعمال الامتعة من العين والورق ما يكثر مقداره جدا . وكان فيها لرجل يعرف بالخواتيمي قاضى طرسوس مائة وعشرون الف دينار هينا وان بنى سليم أخذوا الجمال مع الامتعة فبقي الناس رجالة^(٢) . منقطعا بهم كما أصاب الناس في الهير سنة القرمطى^(٣) فعن الناس من عاد الى مصر ومنهم وهم الاكثر تلف .

(١) وفي تاريخ الاسلام هو محمد بن احمد بن الاهوازي (٢) وفي الاصل : رجالهم

(٣) قد ذكر فيما تقدم ١ : ١٢٠

وورد الخبر بأن أبا عبد الله الملوي ابن الداعي لبس الصوف وأظهر
النسك والصوم وتقلد المصحف وواقع ابن وشمكير فهزبه وأمر جماعة من
أصحابه وقواده وعمل على السير إلى طبرستان وكتب إلى العراق كتابا يدعوهم
فيه إلى الجهاد

وفيها لقب الحبشي بن ممر الدولة بسند الدولة وكتب به كتاب عن الخليفة

﴿ ذكر ما جرى في عمان ﴾

كنا حكينا من أمر عمان ماجرى في أمرها إلى وقت دخول القرامطة
إليها باختيار أهلها وكان مع القرامطة كاتب يعرف ببلي بن أحمد وكان هو
الذي ينظر في أمر البلد والجيش . وكان قاضي البلد رجلا له عشيرة وعزّة
منيع فرأى مع وجوه البلد بعد نفي نافع من البلد أن ينصبوا في الإمارة رجلا
يعرف بابن طغان وكان من صفار القواد بعمان وأدناهم مرتبة فخاف من القواد
الذين فوقه في المرتبة والمحل أن يغلبوه على أمره فقبض على ثمانين قائدا منهم
وقتل بعضهم وغرق بعضهم . وقدم إلى البلد ابنا أخت لرجل ممن غرق وسألا
عن حاله فمر فإنه غرق فأهسكا وأقاما مدة فلما ^(٣٧٨) كان يوم من أيام السلام
دخلوا في جملة المسلمين على ابن طغان فلما تقوض المجلس فنكابه وقتلاه . فاجم
رأى الناس على عقد الأمر لعبد الوهاب بن أحمد بن مروان قرابة القاضي
فوجهوا يلتمسونه فاستتر فألزموا القاضي حضارته والزامه تقلد إمارة البلد
فقبل القاضي ذلك وراسله فظهر وتقدم الأمر وبويج له واستكتب له علي بن
أحمد الكاتب الذي كان وافي مع المهجريين ووافق علي بن أحمد الجيش على
أن يطلق لهم رزقتين صلة فأخرجت الأموال وأبدأ علي بن أحمد ينثق في الناس

رزقتين فلما انتهى الى الزنج وهم ستة آلاف رجل لهم بأس وقوة وقال^(١) لهم : ان الامير عبد الوهاب امرني أن أطلق لكم أنتم رزقة واحدة فقط . واضطربوا من هذا فقال لهم : امضوا اليه وخاطبوه . فمضوا فلما بعدوا منه قليلا استردهم الى مجاسه وقال لهم : انكم اذا مضيتم لم يوصلكم اليه ولم يزدكم على رزقة واحدة فهل لكم أن تبايعوني وأطلق لكم رزقتين وتسكون الامارة لي ؟ فقالوا : نعم . فاطلق لهم رزقتين فاضطرب البيضان من ذلك ووقع بينهم وبين الزنج مناوشة فقتل من البيضان جماعة فسكنوا وصارت كلمتهم وكلمة الزنج واحدة وبإيدوا على بن أحمد^(٢٧١) ثم راسلوا عبد الوهاب بن احمد ابن مروان : باننا قد عقدنا الامر لنيرك فلخرج عن البلد . فخرج وحصل الامر لعل بن احمد .

وفيهما خرج الامير مع الدولة الى واسط لمحاربة عمران بن شاهين وأتخذ جيشا الى عمان وكان خروجه من بغداد يوم الثلاثاء الحادي عشر من رجب ورحل الى واسط وهو محموم فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من رجب وافى نافع الاسود مولى يوسف بن وجيه مستأمنا اليه فقبله . ونظر مع الدولة فيما يحتاج اليه من أمر عمان مما سذكروه وانحدر من واسط الى الابله ونزل في شاطئها في شاطيء عمان في دار البريديين وأخذ في الاستعداد لاقاد جيش الى عمان وبني الشذات والمراكب قبل ذلك وطالب الديلم بالخروج الى عمان فاستجابوا الاقوما وهم بضعة عشر رجلا فاسيرم امتنعوا فامر بطردهم فانقاد الديلم والامراك الى ما أراد وندب أبا القرج محمد بن العباس للخروج مع الجيش الى عمان لرياستهم وتديير الحرب

(١) الواو هاهنا زائدة

وولاية البلد اذا فتحه

فما كان يوم الخميس للنصف من شوال نفذ الجيش في المراكب والشذات وهي مائة قطعة ومعهم المعروف بابي عبد الله جب ونافع الاسود فلما صاروا بسيراف^(٢٨٠) انضم اليه جيش عضد الدولة في مراكب وشذات وكان أعدهم هناك نجدة لعمه فلما وصل أبو الفرج الى عمان مع الجيش دخلها ومالكها وقتل بها مقتلة عظيمة وأحرق مراكب أهل عمان وهي تسعة وسبعون مركبا . فاما عمران بن شاهين فانه أنفذ معز الدولة اليه أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي مع جيش فابتدأ أبو الفضل يسد الانهار عن البطائح وأصعد معز الدولة الى واسط ومنها الى بغداد وخلف بواسط عسكره وغلمانه والحاجب الكبير على ان يعود الى واسط بعد عشرين يوما فيستلم ما شرع فيه من أمر عمران فلما وصل الي بغداد مات فدفت الضرورة الى مصالحة عمران كما سنشرحه من أخباره في سنة ٣٥٦ وفي هذه السنة انهزم ابراهيم السلار من بين يدي أبي القاسم ابن ميشكي بأذربيجان وورد حضرة ركن الدولة بدابته وسوطه ولم يفت معه أحد فأكرمه ركن الدولة للوصلة التي كان عقدها المرزبان وكان ركن الدولة قد رزق من أخت ابراهيم ابنه أبا العباس وبالغ ركن الدولة في اعظام ابراهيم وأجزل له العطاء وحمل اليه من كل صنف يكون عند الملوك وفي خزائهم . وكنت حاضرا بالرى فركت^(٢٨١) للنظر الى الهدايا المحمولة الى ابراهيم فوقفت مع جماعة النظارة قريبا من دار الامارة وابتدأت الهدايا تحمل من نخوت الثياب والرزم والاسقاط من جميع أصناف الثياب فكانت مع مائة رجل يحملونها على رؤوسهم ثم ابتدأت هدايا الطيب [وكانت على

صواني فضة وآلاتها من الادراج وغيرها وكانت على أيدي ثلاثين رجلا ثم ابتدأت بدر الاموال [فكانت على صدور الرجال مع صرار الذهب أما أكياس الدراهم فكانت مع خمسين رجلا وأما صرر الدنانير فكانت من حرير أحمر مع عشرين رجلا ليفرق بينهما وكانت أكياس الورق بيضاء ثم ابتدأت خزائن الفرش على البنغال فلم أحصها وتبعها جنائب الدواب بمراكب ذهب وفضة وجلال ثم تبعها الجمال مزينة موقرة بالآلات الفرش الثقيل والخم والخركاها والشرع والسراقات فكانت كثيرة حسنة لم أر مثلها هدية في وقت واحد يسمح بها

﴿ ذكر السبب في هزيمة ابراهيم من آذربيجان على تلك الصورة ﴾

﴿ القبيحة ووروده الى حضرة ركن الدولة ﴾

لما انهزم ابراهيم من بين يدي اسماعيل بن وهسودان وأبي القاسم ابن ميشكى الى أرمينية ابتداء في أهبة أخرى واستعداد آخر فبالغ واجتهد وكتب ملوك أطرافه من الارمن وغيرهم وجمع الاكراد واستصلح ناحية جستان بن شرمزن ورجب الناس^(٢٨٢) في الولايات والاقطاعات وبذل خطه لهم بها. واتفق ان توفي اسماعيل بن وهسودان فسار ابراهيم الى أردبيل وملكها وانصرف ابن ميشكى مع جماعة الى طاعة وهسودان فزحف ابراهيم الى الطرم منازعا عمه وطالبا بثار اخويه جستان وناصر فاحجم وهسودان عن اقامته والثبات له وشججه أبو القاسم ابن ميشكى فابى عليه ورأى أن يسير الى بلاد الديلم فسار معه أبو القاسم بن ميشكى ودخل ابراهيم الى أعماله بغيظ أبيه ودوخ دياره وبحث عن أنواله وبالغ في الاضرار به مدة ثم عاد الى آذربيجان . وجمع وهسودان وابن

ميشكى الرجال من سائر بلدان الديلم فاحتفلا واحتشدا ورجما الى الطرم وسار أبو القاسم ابن ميشكى الى آذربيجان وقد قواه وهسودان بالمال والرجال فنزل اليهم ابراهيم وجرت بينهما حروب كانت على ابراهيم فانهزم على تلك الحال وتبعه الطلب من قبل عمه وهسودان فتقطع الناس عنه حتى بلغ الري الى حضرة ركن الدولة على حاله لا ئذا به .

وفي هذه السنة تم الفداء بين سيف الدولة والروم وتسلم سيف الدولة أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأبا الهيثم ابن القاضي أبي حصين^(١)

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفي هذه السنة قدم ابو الفوارس محمد بن ناصر الدولة من الاسر الى ميفارقين أخذه أخت الملك لتفادي به أخاها فجاء ستة آلاف فنقد سيف الدولة أخاها في ثلاثمائة الى حصن المناخ فلما شاهد بعضهم بعض سرح المسلمون أسيرهم في خمسة فوارس وسرح الروم أسيرهم أبا الفوارس في خمسة فالتقى في وسط الطريق وتناقش ثم صار كل واحد الى أصحابه فترجلوا له وقبلوا الارض ثم احتفل سيف الدولة لابن أخيه وحمل له الخيل والماليك والعدد التامة فن ذك مائة مملوك بمناظفهم وسيوفهم وخبولهم . وطال مقام سيف الدولة بميفارقين فاتفق في سنة وثلاثة أشهر نيفا وعشرين الف الف درهم ومائتين وستين الف دينار وتم الفداء في رجب نخلص من الاسر من بن أمير الى راجل ثلاثة آلاف ومائتان وسبعون نفسا وتقدر أمر أربعة أعوام . وأرسل أبا القاسم الحسين بن على المغربي لتقدير ذلك ومعه هدية بعشرة آلاف دينار منها ثلاثمائة مثقال مسك واتفق سيف الدولة على الفداء ثلاثمائة الف دينار

وقال ايضا : وفيها سار طاغية الروم بجيوشه الى بلد الشام فمات واقصد واقام به نحو خمسين يوما فبعث سيف الدولة يستجد أخاه ناصر الدولة يقول : ان تقفور قد عسكر بالدر ب ومنع رسولنا ابن المغربي أن يكتب بشيء . فقال : لا اجيب سيف الدولة الا من انطاكية ليذهب من الشام فانه لنا ويمضى الى بلده ويهادن عنه . وان أهل انطاكية راسلوا تقفور وبنذوا له الطاعة وان يحملوا اليه مالا وانه التمس منهم يد يحيى بن زكريا عليهما السلام والكرسي وان يدخل ريعه انطاكية ليصلى فيها ويسير الى بيت المقدس

وفيها لقب الخليفة أبا منصور بويه بن ركن الدولة بمؤيد الدولة
وكتب^(٢٨٣) بذلك الى الامصار

وكان الذي جر خروجه واحتقه احراق بيعة القدس في هذا العام وكان البترك كتب الى
كافور صاحب مصر يشكو قصور يده عن استيفاء حقوق البيعة فكتاب متولى القدس
بالشد على يده فجاءه من الناس ما لم يطق دفعه فقتلوا البترك وحرقوا البيعة وأخذوا زيتنها
فراسل كافور طاغية الروم بان يرد البيعة الى أفضل ما كانت فقال : بل انا ابنها بالسيف
واما ناصر الدولة فكتب الى اخيه : ان احب سيرة اليه سار وان احب حفظه ديار بكر
سار اليها . وبث سراياه واصعد سيف الدولة والناس الى قلعة حلب وشحنها وانجفل الناس
وعظم الخطب واخذت نصيبين . ثم نزل عظيم الروم بجيوشه على منبج وأحرق الريض
وخرج اليه أهلها فآقرهم ولم يوذهم ثم سار الى وادي بطنان وسار سيف الدولة متأخرا
الى قسرين ورجاله والاعراب قد ضيقوا الخناق على الروم فلا يتكون لهم علوفة تخرج
الا أوقعوا بها . وأخذت الروم أربع ضياع بما حوت فراسل سيف الدولة ملك
الروم وبذل له مالا يعطيه اياه في ثلاثة أقساط فقال : لا أجيبه الا أن يعطيني نصف الشام
فان طريقى الى ناحية الموصل على الشام . فقال سيف الدولة : لا أعطيه ولا حجرا واحدا .
ثم جالت الروم بأعمال حلب وتأخر سيف الدولة الى ناحية شيزر وانكت العربان في
الروم غير مرة وكسبوا ما لا يوصف ونزل عظيم الروم على انطاكية محاصرها ثمانية أيام لا
وتهارا وبذل الامان لاهلها فابوا فقال : انتم كاتبتموني ووعدتموني بالطاعة . فاجابوا : انما
كاتبنا الملاك حيث كان سيف الدولة بارمينة بعيدا عنا وظننا أنه لا حاجة له في البلد وكان
السيف بين أظهرنا فلما عاد سيف الدولة لم يوبه على ضبط أدياننا وبلدنا شيئا . فلما جزم
الحرب من جوانها غار بوه أشد حرب وكان عسكره معوزا من العلوفة ثم بعث نائب
انطاكية محمد بن موسى الى قرغويه متولى نيابة حلب بتفاصيل الامور ونبات الناس على
القتال « وأنا ايلي ونهاري في الحرب لا أستقر ساعة وان الامين قد ترحل عنا ونزل الجسر »
وفيها أوقع تقي السيفي بسرية الروم فاصطلموها ثم خرج الطاغية من الدروب وذهب
ثم جاء الخبر بان نائب انطاكية محمد بن موسى الصاحي أخذ الاموال التي في خزائن
انطاكية معدة وخرج بها كأنه متوجه الى سيف الدولة فدخل بلد الروم مرتدا فقبل
انه كان عزم على تسليم انطاكية للملك فلم يتمكنه لاجتماع أهل البلد على ضيقه فخشي أن
يخبره الى سيف الدولة فهرب بالاموال

وفيهما ورد جيش من خراسان عظيم

﴿ ذكر خبر النزاة الواردين من خراسان وما دبروه بالرى ﴾

(على الدليم وما انعكس عليهم من الامر بعد استعلائهم)

ورد الخبر على ركن الدولة بالرى بخروج قوم من خراسان يحزرون عشرين الفا ويظهرون أنهم غزاة واستراب بهم صاحب الحد وهو اسفوزن بن ابراهيم وذلك أنهم عاثوا لما دخلوا الحد وخاطبهم وراسل رؤسائهم فلم يجد عندهم نكيرا ولم ير سيرتهم سيرة النزاة ولم يكن لهم رئيس واحد بل كان لاهل كل بلد من بلادهم رئيس منهم فلما ورد كتاب اسفوزن بصورتهم أشار الاستاذ الرئيس حقا على ركن الدولة الا يأذن لهم في دخولهم مجتمعين وان يرأسهم في أن تصير منهم عدة في نحو الفى رجل الى الرى فاذا خرجت هذه العدة منها ورد منها حتى يتناهبوا على ذلك فلا تكون منهم معرفة ولا يحدثوا أنفسهم بسوء أدب فامتنع ركن الدولة من قبول رأيه « ولا يتحدث الملوك انى احترزت من لقيف خراسان وخشيت نايرتهم » فقال له وزيره أعنى الاستاذ الرئيس حقا : فان لم تفعل هذا فكاتب عساكرك فانهم متفرقون عنك بالجبل واصبيان وغيرها حتى تتوافى اليك فان معك بالرى ^(٢٨٤) عدة يسيرة وأنت غير مستظهر بالرجال ولا آمن أن يكون لهؤلاء القوم مواطاة مع صاحب خراسان وعددهم كثير وهم مستعدون بعة الغزو ونحن على غير أهبة ولا استعداد . فابى عليه في هذا الرأى ولم يفعل بالقوم وكاتب صاحب الحد بان يأذن لهم ويفرج عن وجوههم ولا يُصير للشر مبدأ .

فسار القوم باجمعهم ومعهم فيل عظيم من بين القيلة حتى نزلوا بالرى

واجتمع رؤسائهم الى مجلس الاستاذ الرئيس يخاطبونه في مسألة الامير ركن الدولة أن يطلق لهم مالا يستعينون به علي أمرهم فوعدهم بذلك وظن ان القليل يسعهم على رسم النزاة فاذا هم يطعمون في شيء كثير وقالوا : نحتاج الى مال خراج هذه البلدان كلها التي في أيديكم فانكم انما جيتموها لبيت مال المسلمين لنايبة ان نابتهم ولا نائبة اعظم من طمع الروم والارمن فينا واستيلائهم على ثغورنا وضعف المسلمين عن مقاومتهم . وسألوا مع ذلك أن يخرج معهم جيش ينضمون اليهم وأخذوا في هذا النحو من الكلام وتبسطوا في الاقتراح ورفع الاصوات وكان معهم قهواء خراسان وشيوخها مثل المعروف بالقتال^(١) وغيره . فتبين الاستاذ الرئيس^(٢٨٥) خبث سرائرهم وتيقن ما كان ظنه بهم من الشر وطلب الفتنة ولكنه كان يداريهم ويرفق بهم . فلما لم يجدوا سبيلا من طريق القول اليه والشغب به عدلوا الى مشافهة الديلم فكانوا يكفرونهم ويلعنونهم وكان ذلك في شهر رمضان وكانوا يخرجون ليلا ومعهم آلاتهم من السيوف والحراب والقسى والسهام ويزعمون أنهم يأمرسون بالمرور فيسلبون العامة مناديلهم وعماثمهم واذا تمكنوا من تفتيشه وأخذ جميع ما معه لم يقصروا فيه والناس مع ذلك يدارونهم . فاتفق ان وقعت بينهم وبين بعض اصحاب ابراهيم بن بابي خصومة لم يحتملها منهم فتأدى الى القتال فقتل ذلك الرجل الديلمي واجتمع رفقاؤه للقتال فاجتمع من النزاة نحو الف رجل على باب

(١) هو محمد بن علي بن اسمعيل الامام أبو بكر الشافعي الفقيه الشافعي توفي سنة ٣٦٥ وقيل انه ولد سنة ١٩١ وهو الذي أجاب عن الخليفة المطيع لله للقصيدة التي وردت من قفود عظيم الروم على المسلمين ساقهم وشقت عليهم لما كان فيها من التشريب وضروب الوعيد والتهديد ونسخة القصيدة تسمى «وحدودة» في كتابخانه

ابراهيم بن بابي فخرج اليهم محامياً على اصحابه وقاومهم مدة الى ان راسله ركن الدولة بالكف وراسلهم بمثل ذلك فابوا فتسرع الديلم ومن كان قريبا لنصرة الديلم فاشتبكت الحرب وحجز بينهم الليل ورجع الخراسانية الى معسكرهم يضربون بطبولهم الليل كله ويتواعدون للقتال . فلما أصبحوا باكروا الحرب ودخلوا المدينة من ناحية اجران وفيها دار الاستاذ^(٢٨٦) الرئيس (وبرر للقائم وبين يديه حاجبه روين وكان شهما شجاعا فعمل عليهم في غلمان دار الاستاذ الرئيس) فحاربهم وكسرهم حتى رجعوا الى الدرب الذي دخلوا منه ثم كثروا عليه ولم يول عنهم حتى طعنه بعضهم بحربة دخلت في كم درعه وافضت الى ساعده فخرقه وكثر الناس عليه وحامى عليه الأتراك الذين معه حتى رد الى منزله وقد نزفه الدم وضعف وانكسر الاستاذ الرئيس وهضي كل من معه وثبت بنفسه على عادته . فتعاق به السار وكان حاضرا معه وقال له : ايها الاستاذ ارجع الي الامير ولا تهجمه بنفسك فانه لم يبق حوالياك أحد . وأخذ بلجامه وردده وسمته يقول : عصبها بي وانت بريء من عارها . فرجعا الي دار الامارة واشتغل الخراسانية بنهب داره واصطبلاته وخزائنه وكانت موفورة جامدة الى أن أتى الليل وانصرفوا وكان الي خزانة كتبه فسلمت من بين خزائنه ولم تعرض لها . فلما انصرف الى منزله ليلا لم يجد فيه ما يجلس عليه ولا كوزا واحدا يشرب فيه ماء فانفذ اليه ابن حمزة العلوي فرشا وآلة . واشتغل قلبه بدفائره ولم يكن شيء اعز عليه منها وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من انواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقرية وزيادة فلما رأى سألني عنها فقلت : هي بحالها لم تمسها يد . فسرني عنه وقال : اشهد^(٢٨٧) انك ميمون النقية اما سائر الخزائن فيوجد منها عوض وهذه

الخزانة هي التي لا عوض منها . ورايته قد اسفر وجهه وقال : باكر بها في غد الى الموضع القلاني . قفلت وسامت باجمعها من بين جميع ماله واجتمع الخراسانية من غد ذلك اليوم وكانوا قد كسروا ركن الدولة في آخر نهار امسه وقويت نفوسهم وكانوا قصدوا باب روين الحاجب لينتهبوا داره وكان طريقا فيها غير مستقل فامر غلمانہ بطرح الخطب المدد للشتاء خلف الباب واشعاله بالنار ففعل ذلك فلم يصلوا الى الدار من نحو الباب . راموا أن يتسوروا سورها فرماهم الغلمان بالسهم فتراجعوا عنها . وعمِلوا على مباكرتها من الغد فلما أصبحوا راسلهم ركن الدولة وداراهم وعرض على أن يتقلعوا من مملكته فلم تكن فيهم حيلة وكان الامر قد ابرم معهم بخراسان وكانوا ينتظرون مددا يلحقهم . وأشار على ركن الدولة نصعاؤه بالمسير الى اصبهان مع أولاده وحرمه ويترك هؤلاء والرى حتى يجتمع اليه عساكره ويقصدهم بعميد وعباد فابي عليهم وخاطر بنفسه ودولته فانه كان في خمسمائة من قواده وخواصه ونحو ثلاثمائة من الغلمان وباقي^(٢٨٨) عسكره كما ذكرنا متفرقون في ولاياتهم فلما كان من غد ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء للنصف من شهر رمضان تفرق الخراسانية^(١) على أبواب المدينة وهجموا من كل وجه فامتلات منهم الشوارع والمحال ونادوا في البلد بما يسكن الناس والترعية وقصدوا دار الامارة وفيها الامير وأولاده وخزائنه . وكان الاستاذ الرئيس أمر بتحميل ما أمكن والمبادرة بالحرم وصغار الاولاد الى طريق اصبهان لينتظروا ما يكون من أمر الحرب وهم على ظهور الدواب مستعدين للتوجه الى حيث شاءوا فاختص الميدان الذي في الدار بالبغال التي عليها صناديق

(١) وفي الاصل : الحاشية

الخزائن والعماريات فلم يكن للامير ركن الدولة مخلص من بينها وكان قد ركب في غلمان داره والاستاذ الرئيس معه وجماعة من قواده وحاشيته فلم يجدوا طريقا الى الخروج لتزاحم من ذكرت فوضع بينهم الدبايس وكسرت عدة من الصناديق والبغال حتى أفرج للفرسان على ضغط شديد وزحمة منكرة فخلصوا الى الطريق وكنت مع القوم . وكان الخراسانية قد دنوا من الباب ومعهم السلايم وعندما ان ركن الدولة يتحصن في داره فخرج ركن الدولة من نحو الميدان وخرج حجابيه من الابواب الأخر وصدمو القوم^(٢٨١) وصدقهم الديلم في المضايق حتى ردوهم الى الصحراء من الناحية المعروفة بالشجرة بعد أن أشرفنا على ذهاب النفس وزوال الدولة فلما حصلوا في السعة صافوا رجالهم للحرب

﴿ ذكر مكيدة لركن الدولة في الوقت نفذت له ﴾

كان ديلم ركن الدولة ضعفت نفوسهم لما رأوا كثرة الرجال من أعدائهم وقلة عددهم وأقبلوا يقولون : أتينا من ورائنا . فاشفق ركن الدولة إشفاقا شديدا وقال لأصحابه : طيخوا نفسا فان الذين وراءنا هم أصحابنا . وبشرهم بورود علي بن كامه وتقدم الى الزكائية والمجرين أن يبادروا الي نحو طريق علي بن كامه الذي يقبل منه وأمرهم أن يركضوا هناك ويشيروا الغبرة ما استطاعوا ففعل القوم ذلك وارتفع الرجح وكبر الناس وقالوا : هذا علي بن كامه . ونشط الناس ركن الدولة وقال لهم : احموا حملة قبل وروده . فحمل الديلم بنشاط واستبشار بورود الندد فكانت أياها وركب الخراسانية بعضهم بعضا فدنس ركن الدولة الى بعض رؤساء الخراسانية بالانحياز اليه فأمنه وبذل له ففعل وتحطم ذلك المسكر وقتلوا كل مقتلة وطلبوا الامان فانهم

على أن يتغلي لهم الطريق فأجابهم الى ذلك . وكان قد حصل منهم عدد^(٢١٠) كثير بالبلد يذبجون كل من وجدوه على زى الديلم فاذا ذبحوه كبروا كما يفعل في بلد الكفر بالكفر فينماهم كذلك اذ انكفأ اليهم الديلم ظافرين فهموا بهم وقتلوا بعضهم حتى نادى فيهم ركن الدولة بالامان وأمر الديلم بالكف فلما كان بالليل تحملوا وانصرفوا على سمت قزوين هائمين على وجوههم لا يلوى بعضهم على بعض

ثم وردت بعدهم خييل أخرى نحو الف رجل بالعدة والسلاح ولم يلاحقوا أصحابهم الا مفلولين هاربين فراسلهم ركن الدولة بان يتوقفوا ولا يرحلوا وأشفق أن يكون لهم قزوين أوفى بمض الممالك عبث واجتماع آخر فلم يفعلوا وتعجلوا بالرحيل في اثر أصحابهم فاسرع في طلبهم وركض خلفهم حتى أدركهم فصافوا الحرب فقتل منهم عددا كثيرا ورد الباقين الى الري بعد أن طلبوا الامان . ثم أذن لهم في الخروج واطلق أسارهم وأقر لهم بنفقات فخر جوا . وقد ذهبت حشدهم وزالت هيبتهم عن صدور الناس ولو أنهم خرجوا بالماء الذي كان لهم لبلغوا من الروم كل مبلغ ولكثرت غزاة المسلمين معهم والله أمر هو بالته .

فسمعت الاستاذ الرئيس رحمه الله بعد ذلك يقول : لم أرقوما أشد من هؤلاء وما فرق جمعهم الا كثرة رؤسائهم^(٢١١) وتحاسدهم وقد كانت لهم فرص لو اتهموا بعضها تم لهم أمرهم . منها يومهم الذي دخلوا فيه الري فانهم اجتازوا باجمعهم وفي مواكبهم على باب الامير وهو غار وليس بباب كبير أحد فلو هجموا عليه ما حال بينهم وبينه أحد . ومنها ليلة دخلوا البلد لو أقاموا وقصدوا دار الامارة ما تحرك في وجوههم أحد وكانت ليلة مقمرة

وهي ليلة النصف وهي كنهار غدها اشراقا واضاءة ولكن القوم عملوا على دخول البلد يوم عيد الفطر والناس مشغولون (بالصلاة) بمصلاهم غارون وأتظاروا أيضا المدد الذي وعدوا به وكانت الاخبار والرسل تأتيهم بقرهم منهم فعملوا على ذلك . وأبت المقادير الا يصنع الله لركن الدولة وذلك بحسن نيته ودعاء رعيته له ونظر الله تعالى للناس^(١)

وكان لابراهيم السلار في هذه الايام مواقف حسنة وآثار جميلة وأصاب بطنه حريرة لم تصل الى أحشائه لكثرة شحمه لانه كان سمينا

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي هذه السنة قدم الغزاة الخراسانية مياقرون فنظام أبوالمعالى ابن سيف الدولة وبالغ في إكرامهم بالطعمة والعلوفات ورئيسهم أبو بكر محمد بن عيسى . وقال أيضا في رجة سنة ٣٥٦ أن فيها دخلت الخراسانية فغزوا بلد ابن مسلمة وخرجوا بالسلامة والفتائم . وفيها رجع غزاة خراسانية الى بلادهم ودخل سيف الدولة حلب ومعه قوم من الخراسانية ومهم فيل قنات الفيل بعد أيام فاتهموا أن الصارى سمته . وغزت الخراسانية مع لؤلؤ الجراحى من انطاكية الى ناحية المصيصة فالتفاهم ثلاثة الاف فارس من الروم فنصر الله وقتلوا الفان الروم وأسروا خلقا وردا بالفتائم الى انطاكية ثم عادوا غزوانا . ودخل الثغر محمد بن عيسى رئيس الخراسانية ومعه ابن شاكر الطرسوسى فظفروا وغنموا وردوا بالفتائم وتأخر في الساقية محمد بن عيسى وابن شاكر في نحو ثمانمائة فارس فدمهم جموع الروم فقال ابن عيسى : ما استحل أن أوليهم الدبر بعد أن قربوا . وسار ابن شاكر يكشفهم فاذا هم فيها يقال في ثلاثين الفا فرجع وقال : لاطاقة لك هؤلاء . فلم يقبل والتفاهم وقتلوا أشد قتال وأنكروا في الروم نكابة عظيمة واستشهد عامة المسلمين وبقى محمد بن عيسى في مائة وخمسين فارسا فقال له ابن شاكر : لاتلق بيدك الى التهلكة . فقال له فقيهه معه : إن وليت الدبر لحفوك وقتلوك وأنت فار . فقال حتى قتل أكثر أصحابه ثم أسر محمد بن عيسى وابن شاكر . ثم ورد الخبر بأن ابن عيسى اشترى نفسه بمائة الف درهم ومائة وعشرين عابجا كانوا بانطاكية ورتل فصوص فيروزج وأنه بعد ذلك غزا العدو وظفر رحمه الله تعالى وغفر له .

بطينا ولكنها صارت فتقا فكان يشدها بمصائب ورفائد الى أن توفي بعد ذلك بسنين .

وفي هذه السنة اخرج ركن الدولة الاستاذ الرئيس مع ابراهيم السلار مدداله في نخب الرجال من الديلم والعرب^(٢٩٢) واصناف المسكر حتى فتح بلاد آذربيجان وأصلح الاستاذ الرئيس له قلوب أصحاب الاطراف وطوائف الاكراد وقاد جستان بن شرمزن الى طاعته فلما فرغ من جميع ذلك ووطأ له النواحي ومكنه منها خرج عائداً الى حضرة ركن الدولة (بالري) ﴿ ذكر تدير جيد ورأى صواب رآه الاستاذ الرئيس ابن العميد ﴾ (ولم يقبل وعاقبة ذلك)

لما صار الاستاذ الرئيس حقا الى آذربيجان رأي زكاه أرضها وكثرة ريعها وسعة مياهها واحتمالها للعمارة وحسب ما يرجى من ارتفاعه فوجده مالا عظيما مثل ارتفاع ممالك ركن الدولة أو قريبا منه ونظر الى ما تحصل لابراهيم السلار منه فوجده شيئا نزرأ قليلا جدا وذلك لسوء تدير ابراهيم واهماله الامور واشتغاله باللعب والنساء والسكر الدائم وطمع ضروب المعاملين فيه ولا سيما الاكراد الذين قد استأكلوا تلك النواحي . ثم قد عرف بالتزيد وقلة الوفاء فليس يوثق بيمينه ولا عهوده فعلم الاستاذ الرئيس أنه اذا فارق الناحية عادت الصورة مع ابراهيم الى ما كانت ولم يلبث ان يطعم فيه ويخرج من المدينة ثم من الناحية كلها أو يقتل فيضيع سمي^(٢٩٣) ركن الدولة وسعيه . فكتب الى ركن الدولة بصورة الناحية وصورة ابراهيم فيها وعرفه بمقدار ما يصل اليه منها وأشار عليه أن يدبر الناحية لنفسه ليرفع له (منها خمسون الف الف درهم ويهوض ابراهيم مما يحصل له وكان مقدار ما

يرتفع له) من هذه الجملة بمسد ما يخرج في أقطاعات الديلم والا كراد وبمد ما يستولى عليه قوم متمززون لا يتمكن من استيفاء الحقوق عليهم وبمد ما يضيع بالاهمال وترك العمارة أقل من النى الف درهم فرأى أن يعوض ابراهيم من ارتفاع الرى أو اصبهان أو همدان هذا المقدار ويجلس آمنا فارغ البال ويشغل بما يؤثره من صحبة المغنين والمسخر ويتسلم الاستاذ الرئيس اذ ريبجاز فيرفع منها الركن الدولة ما ذكرت مبلغه وكان يرجوا أكثر منه ولكنه استظهر عليه . فابى عليه ركن الدولة وفكر فى شيء يفكر فيه مثله من أصحاب المهم الكبار وقال : يتحدث الناس انى اقتتعت البلاد لرجل لجأ الى ثم طمعت فيه ! وأمر الاستاذ الرئيس بالانصراف اليه مع عسكره وتسليم البلاد الى ابراهيم

فاذ كر يوما كنت جالسا فيه بين يدي الاستاذ الرئيس وهو يتحدثني بالشدة التى قاساها هو وعسكره فى سفرته وقلة جدواها وتمرتها وانها لو أثمرت نعمة باقية عند ابراهيم اسكان محتملا لها وراغبا فيما ينشر^(٢١٤) من الاحدوثة الجريئة عنه بعدها ثم قال : ولستنى سأضرب لك مثلا لما نحن فيه وتأمله الآن لتذكره فيما بعد . اما شهدت من يفزل الابريس ويفتله بالمغازل الكثيرة المعلقة بالصنارات على شبيه الصواجلة من الزجاج . قلت : بلى . قال : اما تعلم أن الصانع انما يتعب حتى ينصب هذه الالة وينظمها ثم يكفيه بعد ذلك أن يتبع أذئاب تلك المغازل ويتعامدها بالقتل ؟ فنحن قد أحكمنا الالة والمغازل دائرة والابريس ممدود والقتل مستمر به فاذا فارقتنا الموضع ابتدأت القوة التى فى الدوران تضعف وليس لها من يعدها بمركبة فيتدى فى الاسترخاء وتضعف سرعة دوران المغازل ثم بتدى فى

الاتكاث وتنتاب راجعة بعكس ما كانت تدور ثم لا تجد أيضا من يتعاهدها فيساقط أولا أولا حتى لا يبقى منها شيء . فكان هذا المثل كان وحيا فانه ما أخطأ شيئا من صورة ابراهيم بعد خروجا وانتهى أمره بعد ذلك الظم الذي نظم له الى أن طعم في ملكه حتى انسلخ منه شيئا بعد شيء الى أن أسر وحبس في بعض تلك القلاع كما سنحكيه فيما بعد ان شاء الله ^(٢٠)

﴿ ودخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيها قصد معز الدولة عمران بن شاهين صاحب البطائح وكان قد صمم على مناجزته وأبى أن يقبل منه صلحا ومالا أو يرضى منه الا بحضور بساطه . فاتفق ان اعتل من ذرب لحقه وأحس بالضعف فعاد الى واسط وخلف على عسكره سبكتكين الحاجب وظن انه يئامل فيما ود واشتدت به العلة وكان لا يثبت في معدته طعام وأحس بالموت ورجع الى بغداد . وعهد الى ابنه بختيار عز الدولة وأظهر التوبة وأحضر وجوه المتكلمين والفقهاء وسألهم عن حقيقة التوبة وهل تصح له فافتوه بصحتها ولقنوه ما يجب ان يقول ويفعل ^(١) وتصدق باكثر ماله وأعتق ممالিকে ورد شيئا كثيرا من المظالم ^(٢) وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ ^(٣) وكانت له أخبار

(١) قال صاحب التكملة : وأحضر أبا عبد الله البصرى وتاب على يده وكان مع أبي عبد الله صاحبه أبو القاسم الواسطي فكانا اذا حضر وقت الصلاة خرجا من الدار وصليا في مسجد على بابها فسألها عن السبب في خروجهما فقال أبو عبد الله : الصلاة في الدار المنصوبة عنها لا تصح . وسأله عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعن الصحابة رضوان الله عنهم فذكر أبو عبد الله سابقهم وان عليا زوج عمر ابنته أم كانوا رضى الله عنهم فاستظلم ذلك وقال : ما سمعت هنا قط . (٢) وفي الاصل : الممالك

(٣) قال صاحب التكملة : ومولد معز الدولة سنة ٣٠٣

وأحوال منها اتفاده جيش الماء والديلم الى عمان حتى دُثِّحت له ولم يكن فيها ما يستفاد منه تجربة فطوبيناها

وكان اتفق عند موته اتفاق حسن لعز الدولة فرأينا اثباته ليكون ممدودا في جملة أمثالها من الاتفاقات العجيبة

﴿ ذكر اتفاق حسن ^(٢٩٦) ﴾

لما مات معز الدولة أُلحَّ المطر ببغداد ثلاثة أيام بلياليها الحاحا شديدا منع الناس من الحركة ولم يتمكن الديلم من اطلاع رؤسهم ومنع سائر الناس من البروز وتردّد الثقباء الى رؤسائهم فارضى كل احد بما سكن اليه وانجحت السماء عن سكون الجنود ورضاء الكافة . فكتب عز الدولة سبكتكين وسائر العسكر بمصالحة عمران بن شاهين والانصراف عنه الى بغداد فعمل وتقيس خناق عمران . ووصل صاحب الموصل واستقرت الامور بيده

وفيها وردت الاخبار باقبال جيش قوى من خراسان مع ابن سمجور ليجتمع مع وشمكير

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما اعتل أبو علي [محمد] بن الياص وقُدِّج بكرمان وخالفه أولاده وقصد عضد الدولة رحل الى خراسان واقى صاحب خراسان وبرى بعض البرء وصار نديما له يعاشره ويؤانسه فوئل له قصد ممالك الديلم وأطمعه فيها وزعم ان أصحاب جيوشه ليس يناصحونه ويقبلون الهدايا والرشي . فوافق ذلك ما كان يشكوه اليه وشمكير حالا بعد حال فاتصلت المكاتبة بين وشمكير [وبين] صاحب خراسان وكذلك الحسن بن

الفيروزان الى ان وقعت المعاهدة والموافقة على^(٢١٧) ان يدبر جميع الجيوش وشمكير . وأتخذ صاحب خراسان الى وشمكير والى الحسن بن الفيروزان هدايا كثيرة من دواب وغلما ن وآلات وسرب اليهما امداد الجيوش مع صاحب جيشه محمد بن ابراهيم بن سمجور وعلى ان يكون الرئيس على الجميع وشمكير . فورد من ذلك على ركن الدولة ما لم يكن في الحساب وعلم ان الامر قد بلغ الغاية وليس الا الفیصل فكاتب عضد الدولة يستمده الرجال والمعونة وكاتب عز الدولة بمثل ذلك . فاما عضد الدولة فامده بخيل عليها أبو جعفر ابن روزمان وشخص نفسه الى اصطخر ليسير الى خراسان وسير أحد حجاجه في جيش المقدمة الى طربيث وأظهر في عسكره ان جيش خراسان قد ساروا باجمعهم مع ليف البلان وغزاتهم الى الري وخراسان خالية وليس دون ملكها شيء . واتصل ذلك بالقوم فأجمعوا قليلا . واتفق سقوط وشمكير بضربة الخنزير وموته فالتفتض ذلك الامر كله .

﴿ ذكر هذا الاتفاق العجيب ﴾

اتفق ان استعرض وشمكير خيله وما قيسد اليه من جهة صاحب خراسان فكان في جملها فرس أدم حسن الصورة فأعجبه وأمر باسراجه وعزم على ركوبه والتصيد في ذلك اليوم . فدخل اليه منجمه فهاه عن الركوب نخالته فلما أصبح عارضه خنزير قد أفلت من أصحابه وقد رُمي بحربة^(٢١٨) فثبتت فيه فحمل الخنزير على وشمكير وهو كالغافل فضربه وفرسه فشب الفرس وسقط وشمكير على دماغه فخرج من أذنيه دم وحمل ميتا وذلك يوم السبت في أول يوم المحرم سنة ٣٥٧ .

وقد كان بختيار عز الدولة اجتهاد في اخراج سبكتكين مع جيش
كثيف على الرسم فامتنع سبكتكين عليه فآوحشه بذلك واضطرب بختيار
لانه لم يجد من يطيعه في الخروج الى ان اتدب الفتيكين وقد كان يتلو
سبكتكين في المرتبة وأحب أن يظهر في تلك الحالة فضلا وحسن طاعة
للمنافسة التي كانت بينه وبين سبكتكين فضم اليه جيشا وورد الري وقد
استغنى عنه فماد

(ذكر سوء تدبير بختيار لما كتبه ولنفسه حتى فسد جنده)

(وطمعوا فيه ثم طمع أعداؤه أيضا فيه)

(وأفضى أمره الى الهلاك)

كان أجود معز الدولة حين أيقن بالتلف وصاه بطاعة ركن الدولة
واستشارته في كل ما يعرض له من مهم وكذلك بطاعته لابن عمه عضد
الدولة لانه أسن منه وأقوم بالسياسة . ووصاه باقرار كاتبه أبي الفضل
العباس بن الحسين وأبي الفرج محمد بن العباس فانهما أ كفي من غيرهما
وأعرف بوجوه الخدمة . ووصاه بمداواة الديلم وازاحة عليهم عند أوقات
استحقاقهم لثلا يخرقوا هيبته بالشغب وطلب الفتن . ووصاه بالاحسان
الى الاتراك فانهم حجرة عسكره واذا ^(٢٩٩) رابته من الديلم ريب أمكنه ان
يقوم به . ووصاه بعد الاحسان الى الاتراك بكبار الحاشية وصغارهم
وان يجريهم على عادتهم ورسومهم . فخالف هذه الوصايا كلها واشتغل باللهو
واللعب ومعاخرة السالخر والمغنين والنساء وأوحش كاتبه وضرب بينهما
حتى استوحشا جميعا منه وطمع في اقطاعات كبار حاشيته وفي سبكتكين
خاصة وهو صاحب جيشه وكان معز الدولة وصاه بالأ يتقطع أسراً دونه

وكان ذا ارب وسياسة وله رئاسة في العسكر قديمة متمكنة يهابه الجميع ويطيعونه واحجب عن عسكره بما ذكرته من الشغل باللعب والسكر الدائم . وابتدأ بناوأة عضد الدولة وذلك انه منع صاحبه المقيم ببغداد من شري الدواب وآلات خدمته التي كان يستدعيها وجرت عاداته بالتمكن منها وترك استشارة عمه ركن الدولة في كل ما عرض له . فكان من عاقبة ذلك ان سبكتكين صاحب جيشه لما أحسر طامعه فيه وفي نعمته انقبض عنه فصار لا يركب اليه ولا يثق به واقتصر على التراسل على أيدي التوسطين وكان لسبكتكين أصحاب أخبار في العسكر وفي دار بختيار خاصة وله عيون وجواسيس من خاصة حاشيته وبطائه فكان لا يخفي عليه شيء من حركاته ^(٣٠٠) فضلا عن تدبيره . فاما كتاباه أبو الفضل العباس بن الحسين وأبو الفرج محمد بن العباس فلنهما لم يعرفا قصده في افساد نية بعضهم البعض (فقد كان بينهما قبل ذلك منافسة في المراتبة وتحاسد في النعمة) أخذوا جميعا أهبة التحرز منه وأخذ هو في الحيلة عليهم حتى أزال باحدهما نعمة الآخر . ثم قبض عليه باصغر الحاشية وأدانى الحشم ومكّن منهما الاوغاد والسفلة فاضطربت أحوال المملكة واضطر الى الاستمانة بمن رفعه من السُّقَّاط ومن لا يكمل للنظر في قرية ولا يصاح للتوسط بين نفسيين فضلا عن العسكر المضطرب فاحتلت أصول أمره وفروعها

وأما كبار الديلم ووجههم فإنه نغاهم عن مملكته ظمعا في اقطاعهم وأمواهم وأموال المتصلين بهم فتمسك أصغرهم واستلوا جانه وتخالفوا عليه وطالبوه بزيادة في رسومهم واضطر الى النزول على حكمهم ثم عجز عن ارضائهم . وأما الأتراك فأنهم نظروا الى ما تمّ للديلم من التحكّم فعملوا مثل

علمهم من الاشتطاط والتسحب والمواجهة بالمخاطبة الغليظة واضطر الى التديير عليهم والراحة منهم . وابتدأ بسبكتكين وكان متحرزاً متيقظاً فساتم له عليه شيء من تدييراته فتحزب الاتراك وصاروا بدأ واحدة . وتحركت الاحقاد والحفاظ^(٣٠١) التي كانت في نفوس الديلم على معز الدولة فبرزوا الى الصحراء مع الاسلحة والجن وساموه ان يثبت من أسقطه معز الدولة وان يطهيم أرزاقهم ويمجبل لهم رزقه منسوبة الى البيعة غير محسوبة . جمع مختيار الاتراك الى داره مع أسلحتهم ليمتصم بهم وترك الديلم في الصحراء ثلاثة أيام فقاظهم ذلك وازدادوا تباعداً في الاشتطاط عليه وفي الاشتداد بالمطالبة الى ان نزل على بعض حكمهم وأعطاهم ثلث رزقة غير محتسب به

وخير أصحاب الاقطاعات بين الاقامة في أيديهم والتسك بنواحيهم وبين تعريضهم منها وأثبت من الديلم الساقطين كل من كان صريحاً في الديلم أو صريحاً في الجبل دون من اختلط بهم ممن ليس منهم . فلما تم لهم ودخلوا البلد اجتمع الاتراك أيضاً على الشغب فخرجوا الى الصحراء واستدعوا الاصغر من غلمان الحجر في دار بمختيار حتى برزوا معهم وتحالفوا وتماهدوا ان تكون كلمتهم متفقة وان ينصر كبيرهم صغيرهم وقويهم ضعيفهم وقد كانت اجتمعت لهم أموال مسببة من تلك الزيادات المضافة الى الاصول التي زادها معز الدولة فطالبوا بتوفيتهم ذلك كله وان يسلك فيهم سبيل أيه في الاستحجاب والتقويد والتقيب والزيادة^(٣٠٢) في المنازل والمراتب . ثم اتفق الديلم والاتراك على الأيمارض كل فريق معهم صاحبه في طلب الحظ لنفسه وتماهدوا على ذلك فقادته الضرورة الى ان ضمن لهم

جميع ما التمسوه وازاحه اللل فيه ولم يتسع لذلك ولا لبعضه فاضطر الى
مناظرة وزرائه على الاحتيال لهذا المال والنظر في جمعه من أين كان
وكيف كان

وكان أبو الفضل العباس أشد جسارة واقداما من أبي الفرج فضمن
ذلك لهم واستعان بكاتب الفارسية شيرزاد بن سُرخاب وكان متكنا من
يختار قريبا منه بسمع كلامه ويتدبر برأيه وضمن له مرفقا على ذلك ومالا
بجمله اليه في كل سنة فسعى له شيرزاد في الوزارة ووعد بها وقيل له « اذا
ظهرت كفايتك فيما ضمنته من ارضاء الجند وغيره كانت الوزارة مقصورة
عليك » فاخذ في مصادرة الخاشية والزمهم أموالا علم أنهم يفون بها وولا
يُجحف بهم واقترح الخراج واجتهد حتى وفقى الدليل ما ضمن لهم وفرقة
الامراك في الزواحي لتنجز تسبيباتهم فتم لهم أيضا ما التمسوه وذلك لجمام
الامر وانه كان مبدأ فوجد أموال الخاشية جامدة والزواحي في بقايا العمارة
فشى أمره في هذه السنة .

واتصل خبره بابي الفرج محمد بن العباس وهو يومئذ بعمان وكان
خرج اليها في حياة ^(٣٠٣) معز الدولة وكانت له بها وقائع بين العمانيين حتى
استوسقوا له فلما عرف وفاة معز الدولة وطمع أبي الفضل في الوزارة وسعى
شيرزاد له فيها لم يلبث ان سأم الناحية الى رجل من أهل عمان يعرف بابن
نهبان وأظهر ان الامر ورد عليه بالافراج عن البلد وتسليمه الى صاحب
عضد الدولة وأقبل مسرعا الى المراق فلما قرب منها استقبله أصحاب أخيه
أبي محمد علي بن العباس الخازن وكتبه يشيرون عليه بالمبادرة وتركه
التأخر عن الحضرة قبل ان يتم لابن الفضل العباس بن الحسين تقلد الوزارة

فورد وصار اللبس حزين وطلب كل واحد منهما عثرات صاحبه وخطب الوزارة لنفسه . ثم تمكن أبو الفضل بماونة شيرزاد الى ان تمت له الزاوة
 ﴿ ذكر رأى صواب لبني حمدان رآه ناصر الدولة فخولف ﴾

لما سمع أولاد ناصر الدولة باضطراب بختيار وسوء سياسته وشغله من تدبير الملك باللعب والسكر الدائم وشغب جنده وانخراق هيئته هموا باخراج الاموال والانحدار الى بغداد ومقارعه بختيار عن سرير الملك فقل لهم أبوهم ناصر الدولة : لا تمجلوا فان معز للدولة قد خلف لابنه خيرة من المال يسيرة وسيفرقتها على جنده هؤلاء وسيجذب أيضا كتابه وعماله أيضا من نواحيه ومن مصائدات أسياحه ما أمكنهم ولستم بمستظيرين عليه ولا ^(٣٠٤) متمكين من دولته الا بعد ان تفي حيله وتخلو يده فاذا كان ذلك الوقت فاندردوا اليه وكأروه بالمال وافسدوا عليه قلوب الرجال فانكم تملكونه لا محالة . وكان الرأي ما قال فان معز الدولة كان أنف ماله على البناء الذي أحدثه وعلى الاتراك الذين اصطنعهم وكان مقدار ما خلفه أربعمائة ألف دينار فأخرجها بختيار شيئا بعد شيء عند الضرورات وعند اجتداد المطالبات . وكان كتابه يستقرضون منه لهذه المهمات على ان يردوا العوض عنه ثم لا يتمكنون من الوفاء حتى استغرقت النفقات والنواب جميع ذلك بمد مديدة يسيرة .

واختلفت كلمة بني حمدان فشغلوا عن مشورة أبهم وكان مبدأ الشر بينهم ان أبا تغلب قبض على أبيه ناصر الدولة لما رآه قد كبر ولم يبق فيه بقية غير سوء النبي والتقدير على أولاده وعلى حاشيته فلما قبض طيه أصعده الى قلعتيه ووكّل به من يخدمه ويزيغ علتيه في حاجاته . فامتنع بعض اخوته

وانتشر النظام الذي كان يجمعهم فشن عليهم حفظ ما في أيديهم عن طلب ما ليس لهم . واحتاج أبو تغلب الى مداراة السلطان وتجميد عقد الضمان والتماس الخلع والعهد والعقد ليحتج بذلك على الجند ويستظهر به على اخوته^(٣٠٥) المخالفين والموافقين فانفذ كاتبه أبا الحسن على بن عمرو بن ميمون حتى أخذ له من السلطان ذلك وبذل لاختيار الف الف ومائتي ألف درهم في كل سنة على الرسم وانصرف الى صاحبه بقضاء حاجاته تقرير العين بما تم على يده غير مفكر في شيء مما كان بهم به .

وفي هذه السنة تلاحق مشايخ الملوك بالموت وتبادوا وكان مدخل القران التاسع فهلك معز الدولة أحمد بن بويه وقبض أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة وهلك سيف الدولة^(١) وهلك تقفور ملك الروم وهلك كافور صاحب مصر^(٢) وهلك وشمكير بن زيار وهلك الحسن بن الفيرزان وهلك

(١) زأد صاحب التكملة : وحكى ان سيف الدولة لما ورد الى بغداد وقت توزون اجتاز وهو راكب فرسه ويده رمحه وبين يديه عبد له صغير وقصد الفرجة وان لا يعرف فاجتاز بشوارع دار الرقيق على دور بني خاقان وفيها قتيان فدخل وسمع وشرب معهم وهم لا يعرفونه وخدموه . ثم استدعى عند خروجه الدواة فكاتب رقعة وتركها فيها ثم انصرف ففتحوا الدواة فاذا في الرقعة « الف دينار » على بعض الصيارف فتمسحوا وحلوا الرقعة وهم يظنونها ساذجة فاعطاهم الصيرفي الدنانير في الحال والوقت فمألوه عن الرجل فقال : ذلك سيف الدولة بن حمدان . (٢) وزاد فيه أيضا : قال أبو جعفر مسلم بن طاهر العلوي : ما رأيت أكرم من كافور كنت أسأره يوما وهو في حوكب خفيف مؤيد متزها وبين يديه غلمانة وعمدة جنائب يمرأ كعب ذهب ومرأ كعب فضة وسخافه بقال الموكب والفرس كما تكون الملوك فسقطت مقرعته من يده ولم ترها ركابته فزلت من دأبتي وأخذتها من الأرض ودفعتها اليه فقال : يا أبا جعفر أعوذ بالله من بلوغ الغاية ما ظننت ان الزمان يظفني الى ان تفعل هذا . ثم ودعني فلما مرت اثنت

أبو علي محمد بن الياس وجماعة أمثالهم وبقي ركن الدولة من بينهم وعُيِّرَ إلى أن استرفى أجله^(١).

﴿ ودخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ﴾

ذكر ما دبر كل واحد من الكاتبين في خطبة الوزارة

وسعي كل واحد منهما على صاحبه

قد ذكرنا ما كان من أبي الفضل العباس بن الحسين من تمشيته للأمور في السنة التي مديده فيها إلى الحاشية وما وجده في النواحي وما تأول به على العمال حتى أَرْضَى الجند . فاستطال على بختيار وانطلق لسانه وزعم أنه قد أظهر الكهامة التي وعده بها وذكر أن دخل المملكة يعجز عن خرجها وأنه إن قلد الوزارة جبر هذا العجز وقام بالامر كما قام به^(٣٠٦) في تلك السنة وضمن لشيرزاد إذا تم له الوزارة مالا . وشخص إلى الكوفة لتقرير أمور المقطعين بسقى الفرات فاجتهد له شيرزاد في الوزارة حتى أنعم له وبلغ أبا الفرج ذلك فشمم عن ساقه في فسخ نية بختيار وزعم أن الذي ذكره أبو الفضل^(٢) من عجز الدخل عن المخرج لاحقيقة له وأن الاموال التي استخرجها ومثى بها الامور إنما كانت من مصادرات الناس ومن بهايا في النواحي وأنه لم

فاذا خافي البغال كلها والجنائب قلت : ما هذا ؟ فقالوا : أمر الاستاذ ان يحمل هذا اليك . فاحتضته دارى . وكانت قبضة زيادة على خمسة عشر ألف دينار (١) قال صاحب التسكرة : وفي شهر ربيعان هذه السنة خلع على القاضي أبي محمد ابن معروف . وولى القضاء بالجانب الشرقي وخالع على ابن سييار وقد القضاء بالجانب الشرقي . وقد أيضا في ترجمة سنة ٣٥٩ : وفي شهر ربيع الاول صرف القاضي أبو بكر ابن سييار عن القضاء في حرم دار الخلافة وتولاه أبو محمد ابن معروف . وفي رجب سنة ٣٦٠ قلد ابن معروف قضاء القضاء . وكان وفاة ابن سييار سنة ٣٦٨ (٢) في الاصل أبا الفرج

يؤثر أثره ولافتح فتحا ولا أستحق من الراتب ما لا يستحق مثله واتصل ذلك بأبي الفضل فوافى من الكوفة ركضا وجرت بينهما مناظرات استقرت على أن يعمل كل واحد منهما عملا لاصول الارتفاعات وما يضاف اليها وعملا لاصول النفقات الراتبية وما يضاف اليها من الحوادث لتعرف الصورة فيما اختلفا فيه ولازما الديوان مع كتابهما حتى ارتفعت هذه الاعمال . فاما أبو الفرج محمد بن العباس فانه أورد في عمله أصول العقود على غيرها وأبوأبا ينكسر بعضها ثم خفف النفقات الحادثة وحذف الاستظهار لها حتى لم يظهر العجز وقام الدخل بالخارج . وأما أبو الفضل فانه وضع من الاصول ما نسبه الى المنكسر وما ينظر به للضمناء واعتمد بالزاجي دون التاوي^(٣٠٧) واستظهر في تقدير النفقات الحادثة وزاد في مبالغته حتى أوجب في عمله عجزا في الدخل عن الخرج . ثم حكى في عمله انه يقيم وجوها لهذا العجز وانه ان بقيت منه بقية نقلها في كل سنة الى التي تليها على الرسم الجاري في ذلك . وتقابلا على حسابهما وتناظرا على الخلاف بينهما ووقف الكلام بين المتوسطين وفيهم شيرزاد على ابطال الوزارة والتراضي بالاشترك في الكتابة . ثم جد شيرزاد سرا في اوقات خلواته ببختيار في السعي لابي الفضل وبذل عنه لبختيار مالا على سبيل الهدية وأعلمه أن فيه اقدا ما وبسالة يحتاج اليهما في الوقت وانه ذو مال ويسار يزيد على مال أبي الفرج اضما فا وانه ذو حيلة وتأول وبطش وأبو الفرج صاحب تشف وتوقف وتعد وأن الامر بمثله لا يمشی فلم يزل بهذا واشباهه حتى أمضى ببختيار العزيمة

وقلد أبا الفضل الوزارة وخلع عليه القباء والسيف والمنطقة المحلين بالذهب وحمله على فرس بمركب ذهب واقطعه أقطعا ببخسين الف دينار على رسم

الوزراء وضم اليه عددا كثيرا من الديلم على رسوم الوزراء . فصار اليه أبو الفرج مسلما وأظهر الامتناع من العمل وكره^(٣٠٨) أبو الفضل ذلك لانه أحب أن يجرى على رسمه في تقلد الديوان ليشغله عن تدبمه والظمن عليه وأيضا ليراهم من يمدو ويروح اليه وينحط عن رتبة المساواة التي كان فيها الى رتبة الاتباع . وكره أبو الفرج جميع ذلك فخطب فيه وأعلم أنه (ان) لم يصبر على هذه الحال والقناعة بها انقطعت العلاقات بينه وبين صاحبه بختيار ونصب للديوان غيره ثم يكون مطرّحا بمرض النكبة وربما تأدى الامر الى أكثر من ذلك من تسلط أعدائه عليه وانبساط أيديهم فيه وفي أعزته فاستجاب الى عمل الديوان واستوفى بتقليده اياه وخلع عليه الدراعة على رسم الكتابة . وكان مما وفره أبو الفضل في وزارته أقطاعات استرجعها من قوم مثل أبي الفتح أخى عمران بن شاهين ومثل أبي عبد الله الايسر المعروف بالجبّ ثم تجرد للاهواز ومحاسبة آذرويه وكتابه واتفق في وزارته ان أظهر الحبشى بن معز الدولة عصيان أخيه وطمع في البصرة والتفرد بها

﴿ ذكر السبب في عصيان الحبشى وتمنّى أن أبي الفضل منه ﴾

(وحصول أمواله وذخائره وأسبابه له)

لما توفي معز الدولة احتوي على الحبشى ابنه بالبصرة جماعة من حاشيته وجند البلد وأطمعوه في البصرة وأقاموا في نفسه أن المال الذي يرتفع من البصرة ينصرف معظمه الى الجيش^(٣٠٩) المصميين بها وباقية مصروف الى تقائه وليس يبقى بعد ذلك الا ما لا يستكثر أن يجعل حظه من ميراث أبيه ويفضى عنه . ثم أوهموه مع ذلك ان أخاه بختيارا لا يمكن من الوصول

اليه مع حصاتها لوم بذلك فابتدأ يستبد بالاموال والامور ويستولى على
الهمال ويتعسفهم . وكان مغيظا على عامل البصرة الحسين بن الحسن المكنى أبا
طاهر فعمل على القبض عليه والتشفي منه وازالة الحشمة فيه ونفى الخبر الى
الامل فهرب الى الحضرة . وكتب الحبشي في أثره الى بختيار بدمه ويظن
عليه وينسبه الى الخرق والجهل وأنه لم يخف شيئا أنكره ولكن فعمد التشنيع
وذكر في الكتاب أنه قد تقدم بحفظ الاعمال والاموال الى أن يعود فيجري
على رسمه في التدبير لها . ثم سأل في هذا الكتاب أن تسلم اليه المدينة ويخلى
بينه وبين تدييره وأن يوافق على ارتفاعه ويحتسب له بنفقته التي تخصه
وباهوال الجند المقيمين بحضرته وان بقيت بقية سبب عليه ليزيح العلة فيها
فاجابه بختيار بالتصديق لقوله ووعدته أن يعمل بحجته . ثم زاد بتسط الحبشي
حتى كان يشرق الامر ويظهر الخلاف وكتب اليه بختيار بالتأنيس والاستمالة
والمعاطبة اللطيفة^(٣١٠) وأعلمه أن وزيره العباس بن الحسين شاخص الى الاهواز
وأنه سيراسله منها ويبلغ محابه في الامور التي التمسها . وندب وزيره العباس
للشخص وأمره بالحيلة عليه حتى ينزع البصرة من يده اما مكرآ وخديعة
واما حربا ومكاشفة فاستخلف أبا العلاء صاعد بن ثابت الثمري بالحضرة
وانحدر وأخذ معه أبا الفرج محمد بن العباس صاحب الديوان وأبا سهل
ديزوبه العارض وجرده معه عسكريا وأزاح عتله في السلاح والجن والآلات
سرا . فلما وصل الى واسط أقام بها شهرا ونظر في أمورها ومصالح أعمالها
ومظام أهلها وأظهر أنه راحل الى الاهواز وكتب الى ليلي بن موسى
فياذه وكان بالاهواز يأمره بالاستعداد لقصد البصرة والمسير الى بيان وقدم
حديدياته وسفته على أن فيها أثقاله وكانت مملوءة بالسلاح وأمر أصحابه

المتحدرين فيها بأن يتجاوزوا الابلّة ولا يدخلوها ويقصدوا يسان ويظهروا
أنهم يحملون ما معهم الى الاهواز على طريق حصن مهدي وحدر الطيارات
والزبازب تفاريق . وكتب الى أحمد بن محمد المعروف بالطويل بأن يصير
الى بيان وكان يتقلد حصن مهدي وأن يحفظ هذه الآلات واطلمه على
التدبير . وكتب الى الحبشي بن معز الدولة ^(٣١١) من واسط بأنه يفعل كل
ما يؤثره ويهواه ويتعهد عليه بأن مصيره عاجلا الى الاهواز ليستدعي كاتبه
اليها ويوافقه على ارتقاع البصرة ويسلمها اليه وأوماً في آخر الكتاب الى
التماس صلح ^(٣١٢) منه على ذلك ويقول في جملة تعريضاته « أنه قد التزم عن الوزارة
غرمًا ثقيلاً » ويسئله معونة بما يحمله اليه فسكن الحبشي الى قوله ووعدته
وحمل اليه عاجلاً مائتي الف درهم ولم يشك أنه قد اشترى بها منه البصرة فلما
وصلت اليه أنقذها الى بختيار . ورحل كأنه يريد الاهواز الى الخويزة ونهر
العباس ثم عدل عنها الى نهر البصرة وكان للحبشي رسل قد أتقذم باطيار
ليكاتبه بخبره فأرسلت الاطيار اليه بخبره فثار الحبشي وهاج ولم يملك
نفسه وأظهر المنابذة والخلاف . واستوحش من كان بالبصرة مقبياً من الغلمان
الأتراك في تسبيباتهم فهربوا الى بيان فصادفوا بها عسكراً قويا مع ايلي بن
موسى فياذه وأحمد الطويل فانضموا اليهما وكانت قد حصلت الزبازب
عندهم والملاحوز والجنن والآلات والسلاح . وأخرج الحبشي عسكره
الى الابلّة ورتب غلماناً وأثبت من عشائر العرب قوماً رتبهم على أفواه
الانهار وقلد حاجباً له تركياً يقال له بكتيجور ^(٣١٣) رياسة عسكر الماء وجعل
استفسلار الديلم في عسكر الظهر صلوك بن باطاهر ^(٣١٤) أحد وجوه قواد

(١) يعني مرفق كذا في التكملة وفي النسخة التي في أكفرد (٢) كذا في الاصل

البصريين . فلما ورد الوزير أبو الفضل عسكر أبي جعفر وجه إلى ليل بن موسى فيأذة وإلى أحمد الطوبل ومن معهما يأمرهم ان يشحنوا تلك الزبازب والطيارات بالرجال والسلاح ويصعد اليه على تعية من جانب دجلة الشرقي المعروف بالقرات ولا يعبروا في طريقهم إلى الأبله ولا يقاتلوا أصحاب الحبشى ولا يهيجوهم إلى أن يصلوا اليه فيضيف اليهم من معه من الخواص والعلمان وقد كانوا مستقلين بنفوسهم ومن حصل عندهم من الاتراك الذبن هربوا اليهم من البصرة وأقام ليلته يتظرهم وتعذرت الميرة عليه وانقطعت المادة عن عسكره وتحير في أمره حتى لو تأخر الفتح يوماً لما أمكنه المقام ولاحتاج إلى الرحيل فتكون هزيمة عليه . فلما كان الفد أصعد ليل بن موسى والجماعة على أهبة وتعمية وعملوا على امتثال الامر وترك الترض لمن في طريقهم من أصحاب الحبشى فلما جازوا الأبله خرج أولئك نحوهم وبدأوهم بالحرب فمدل حينئذ ليل بن موسى ومن معهم اليهم وواقموهم وغرقوا عدة من زبازبهم واستأمنت عدة أخرى وهرب بكتيجور صاحب الحبشى ناجياً^(٣١٣) بجماشته واشتملوا على بقية عسكر الماء . ثم طعموا في الظهر فتقدموا إلى الديلم هناك وقاتلوهم ساعة ثم تهباً لطائفة انصعدوا إلى شاطيء الأبله وصاروا في ظهورهم فاضطربوا وانهمزوا وقتل منهم نفر وانهمز قوم واستأمن آخرون وملكت الأبله .

وأقصد ليل غلاماله في بعض الزبازب إلى الوزير أبي الفضل مبشراً بالفتح فاتمس السفن والزبازب وعبر إلى قرية فوق الأبله وعسكر بها وكتب إلى الحبشى يشير عليه بالخروج إلى الأهواز فاتمس منه الامان والتوثقة فأمنه على النفس والولد والحرم وتوقف عن ذكر المال والحال فغيبه الحبشى

على ذلك وترددت فيه الرسل فلم يسكن ولم يخرج . فمجي الوزير أبر الفضل
عسكره ووزبازبه ووزحف الى البصرة وملاك منها الموضع المعروف بالسباحة^(١)
ولم يزل ينفذ اليه رسولا بعد رسول من شجعان الاتراك والديلم وبأمرهم
أن يقيموا عنده ويتكلموا به ولا ينصرفوا بالجواب الى ان أحاط به منهم
بضعة عشر رجلا بالسلاح ثم أفتد أبا سهل ديزويه المعارض في طائفة واقرة
من العسكر فدخلوا اليه وأخرجوه اخراجا بين الجميل والقيح وحمل معه
أهله وولده وما خف من ماله وجواهر كانت له فلم يوصله الوزير^(٢١٤) اليه
وامر بأن يسلم الى أحمد الطويل ليصير به الى حصن مهدي ففعل ذلك وأقام
هناك . متقلا أياما ثم حمل الى الاهواز وبقي مدة أخرى ثم الى رامهرمز
واعقل بها اعتقلا جيلا ثم أزيل التوكيل عنه وحل الى عمه ركن الدولة
بمحدث يطول ولا فائدة في ذكره ثم حصل عند عضد الدولة فأقطعه اقطاعا
يسعه ومن معه وأمره أن يحصل بسابور وهي كورة من كور فارس نزهة
كثيرة العيون والاشجار والصيد فأقام بها الى أن توفي في آخر سنة ٣٦٩

وملك الوزير أبو الفضل البصرة عنوة وأفتد اليه بختيار خلما جليلة
فلبسها وركب فيها ونصبت له القباب فانبسطت . يده وقوى ساطانه وصادر
أصحاب الحبشى وكتابه وحاشيته ومعاليمه وأرتجع منه ما كان حمله معه من المال
والجواهر واستخرج من الاموال شيئا كثيرا وظفر بمخزائه كلها فكان في
جملها خزانة كتبه وفيها خمسة عشر الف مجلد سوى الاجزاء والمشرس^(٢) وغير

(١) في نسخة ا كسرد بالسباحية e (٢) كذا في الاصل وعند ابن الاثير .

وفي القاموس المهرس قال صاحب تاج العروس يقال مصحف مشرز ومهرس المشرز
المشرد بعضه الى بعض المضموم طرفاه فان لم يضم طرفاه فهو مهرس بسنين

المجلد ووجد له من خزائن الاسلحة والفرش والثياب الفاخرة والآلات شيئا يستكثر لمثله فحمل ذلك كله الى بختيار وقد بختيار ابنه المرزبان البصرة وسنه ثمان سنين^(٣١٥) واستكتب له أبا الفناثم المفضل بن أبي محمد الملبلي وهو خال ولد الوزير أبي الفضل .

وفي هذه السنة ظهرت دعوة بين الخاص والعام يدعى فيها الى محمد بن عبدالله القائم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه الرجل الذي ورد بذكره الخبر وانه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد أعداء المسلمين ويجدد ما عفا من رسوم الدين فتطلعت اليه نفوس العامة وجعل دعائه يأخذون البيعة على الرجل بعد الرجل فن كان من أهل السنة قيل له انه عباسي ومن كان من أهل التشيع قيل له انه علوي وكتبت عنه رسالة على عدة نسخ وطرحت في المساجد والمحافل يدعو فيها الى مثل ما حكيناه عنه فخصلت نسخة منها عند الوزير أبي الفضل في أول وزارته فقدم باذكاء العيون على الطائفة الخائضة في هذا الباب والقبض على من يوجد منها ثم انحدر قبل ان يظفر بأحد منهم وتقدم الى خليفته أبي الملاء صاعد بن ثابت بالجهد في طلبهم . فلما نظر في ذلك وجد جماعة من وجوه الكتاب وأماثل الناس قد دخلوا في هذا الامر وبايعوا الدعوة اليه وكذلك وجدوا خلقا كثيرا من الديلم والأتراك والعرب^(٣١٦) قد بايعوه وكان فيهم سبكتكين المعجمي أحد اكبر القواد قواد معز الدولة ممن قاد الجيوش وتقلد الاعمال وكان شجاعا مطاعا جوادا نازلا عند الأتراك بمنزلة من لا يخالف في الرضاء والسخط وكان يتشيع ويويل له ان الرجل علوي وانه يقادك أمرة الامراء فاستجاب واستفحل أمر القوم

{ ذكر السبب في اضمحلال أمره حتى ظفر به وبأسبابه }

(ودعائه وجميع من دخل معه في بيعته)

كان هذا الرجل محمد بن المستكفي طراً الى مصر فقبله كاقور الاخشيدي الخادم واحسن اليه واجري عليه رزقا سنيا فكتاب جماعة من أصحابه بالدعاء اليه فجرى أمره كما حكيناه ^(٣١٦) فلما كثر المستجيبون له وهم لا يعرفونه وتقووا بمكان سبكتكين العجمي كاتبوه بالحضور وكتب اليه سبكتكين : انى أقوم لك بالامر . فورد هيت وهو لا يشك ان الامر مستقر له ومستتب على ارادته . وخرج سبكتكين العجمي وكان يتقلد حماية طريق الغرات الى الانبار وأظهر للسلطان انه ينظر في مصالح عمله فتلقاه وترجل له وأكرمه ثم أدخله البلد مستترا وانفذ اليه فرشاً فاخرا وثياباً تديسة وطعاماً كثيراً وشراباً . وعمل على ايقاع حريق وفتنة في ليلة النيروز المعتضدى لتشاغل الناس بذلك ويهجم على بختيار ويوقع ^(٣١٧) به وواطأه على ذلك خلق من الجند فظفر له قبل النيروز انه عباسى وليس بعلموي فتغيرت نيته وتصوره بصورة المحتال وواجه بمض أولئك الدعاة بذلك وأعلمه انه كذاب مموه وتماقل عن نصرته وأظهر الندم . وخاف محمد بن المستكفي أن يقبض عليه وأحسن أصحابه ودعائه بذلك فاستوحشوا وتفرقوا فبعضهم هرب الى ناحية السواد وبعضهم أمعن في الهرب وعرف السلطان خبرهم فكتاب الهمال بالتيقظ

(١) قال صاحب تلخيص الاسلام : فلاذ به جماعة وأطمعوه في الامر فقالوا : ان رسول الله صلعم قال « المهدي من يمدى يواطى اسمه اسمى وانم ايه اسم أبي » وان أنت قدمت بغداد بايمك الديلم . ومن ياموه أبوا القاسم اسمعيل بن محمد المعروف بزنجى وترتب له وزيراً .

في طابهم واذكاه العيون عليهم فظفر بيمضهم فامر بتقريره بالسوط فاقر على جماعة أخذوا ولم يزل التبع يقع حتى حصل محمد بن المستكفي وأخوه فاوصله بختيار اليه واستشرحه لامر فشرحه بعد أن آمنه على نفسه . فالتمس المطيع لله من بختيار أن يسلمه اليه مع أخيه فأبي عليه ودافع عنه وقال : قد آتته . فبذل المطيع لله لهما الامان على النفس فلما حصل الجميع في يده تقدم بجذع أنف محمد بن المستكفي وقطم أنف أخيه وحبسهما مدة ثم هربا وبخفي خبرهما ووقع الاستعصاء على كل من دخل في بيته فصدروا وأدبوا ضروب التأديب^(١) ولم يقع الاقدام على سبكتكين المعجمي ولا على أحد من وجوه الجملة وانما خوطب سبكتكين خطابا خفيفا فجنح في الجواب الى الانكار وأغضى عنه وعن الجند^(٢)

وفي هذه السنة صفت كرمان لعضد الدولة وملكها وفتح قلعة بردسير وهي خزانة أبي علي ابن الياص التي جمع فيها ذخائره على مر السنين من الاموال والجواهر والامتعة الفاخرة

{ ذكر السبب في ذلك }

كان أبو علي ابن الياص لما عاود كرمان بعد ابراهيم بن كاسك جرى مجرى بعض المتصمكين وآمن ناحية عماد الدولة علي بن بويه لما ذكرناه فيما تقدم فشارك اللصوص وصعاليك القفص والبلاوص فحصل عنده على طول السنين

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : ثم جدد أنفه وقطع شفته العليا وشحمة أذنيه وسجن بدار الخلافة وكان معه أخوه علي واليهما هربا من الدار في يوم عيد واختاظا بالناس ومضيا الى ما وراء النهر وروى براءة شيئا عن المنيني من شعره وله شعر وأدب ومات بخراسان خاملا بعد .

من جهتهم مال عظيم في القلعة التي وصفناها . وللمات علي بن بويه عماد الدولة وترعرع عضد الدولة فناخسره كان في نفسه من هذه القلعة مالا يظهره فلما استوحش اليسع بن محمد بن الياس من أيه صار الى عضد الدولة وأقام عنده حتى أصلح له نية أيه وعاد اليه فوعده بولاية المهدي ورياسة المسكر . ولما كان في هذه السنة وقم النقص على قافلة عظيمة وغنموا أموالا عظيمة للتجار فخرج اليهم محمد بن الياس يطلب نصيبه من غنيمتهم فأصابه في الطريق علة الفالج ورُدَّ الى منزله واستمرت به العلة فجمع أكبر أولاده وهم ثلاثة اليسع وسليمان والياس فخطبهم بما ظن انه يجمع كلمتهم واعتذر^(٣١٩) الى اليسع من النبوة التي سبقت منه حتى فارقه ثم جمع اليه تديرعسكره وولاية عهده ومن بعده الياس فاما سليمان فانه أشار عليه بان يرجع الى بلده وهو الصنفد وأظهر له تذكرة فيها ثبت دفائنه وودائمه هناك وأراد بذلك إبعاده عن اليسع لعداوة كانت بينهما فأظهرت الجماعة قبول أمره والانهاء الى رأيه . وشخص سليمان نحو الصنفد بما قسمه له فلما صار بظاهر المدينة عدل عن ذلك سمت وقصد القفص وطلب منهم ذلك القسم الذي كان أبوه شخص اتسأها فتم له الوصول اليه وأخذ منهم مالا جليلا واستضم الى نفسه جماعة منهم ليقوى بهم ثم عاد الى السيرجان وكان يتولاها من جهة أيه . فلما بلغ أباه ما صنع غضب من مخالفته اياه واعتاظ منه فامر اليسع بطبه وقواه بالرجال وقد كان العسكر مطيعين له وأمره أن يضطره الى الخروج الى الصنفد أو معاودة حضرته ليقبض عليه ووصاه ان يخرج نحو الصنفد أن يخلى له الطريق ولا يتبعه . فخرج اليسع الى السيرجان ومحصن سليمان منه واقتلا أياما ثم استظهر اليسع فحمل سليمان جميع ما كان حصل له وخرج من باب من أبواب المدينة فاصدا

(٣٢٠) خراسان فتركه اليسع امتثالا لامر أبيه وعاقب جماعة من أهلها الذين كانوا عاونوا سليمان عليه ثم صفح عنهم

﴿ ذكر اضطراب أمر اليسع مع أبيه حتى استبدل به وما آل ﴾
(اليه امره حتى أخرج أباه الى خراسان مكرها)

كان في جملة محمد بن الياس رجل يعرف بعبد الله بن مهدي ويلقب بسويوه شديد الغلبة عليه والتمكن منه ويذه وبين اليسع وحشة متأكدة فخافه على نفسه فاجتمع مع اسراييل المتطبب وكان أيضا مكينا عنده ومهندس وكان معه يقال له المرزبان على إفساد نية أبي علي ابن الياس على ابنه اليسع وشككوه فيه وحرروا ما كان في نفسه قديما منه وأشاروا عليه بان يتقض ما عقده له من تدبير جيشه ويجعله لحاجب من حجابيه يقال له ترمش ليكون الامر غير خارج عن يده مادام حيا وليكن غلامه صاحب جيشه فيتصرف معهم على رأيه فقبل منهم هذا الرأي وكتب الى اليسع بان ينكفي اليه واستدعاه الي القلعة وكان لا يصعدھا الا وحده دون كل أحد على رسم القلاع . فلما حصل عنده وليس فيها الا هو وهؤلاء الثلاثة وقر من ثقات أصحابه وجماعة حرمة وجواريه قبض عليه وقيده وفوض أمر الجيش الي ترمش الحاجب فلم يجتمعوا عليه ولا رضوا به . فمشت والدة (٣٢١) اليسع الي والدة الياس وقالت لها : ان صاحبنا كان عقدا لولدنا عقدا هو الصواب لكنه قد اختل عقله وعزب رأيه بهذه العلة وغلب عليه هؤلاء الثلاثة وتم لهم على ابني ماسيتم مشابه على ابنك وحيثذا تخرج هذه الملائكة عن آل الياس وتنتقل اليهم والي من نصبوه (يعني ترمش الحاجب) والصواب أن تساعديني على

تخليص ولدى ليكون الامر جاريا مجراه الاول فساعدتها وقبلت رأيها .
وكان ابن الياس ربما أغمى عليه في علته فاتفقت المرأتان على أن جمعتا
الجوارى وكان عددهن كثيراً وقصدن عبد الله بن مهدي بسوية ليوقن به
فاتفق له ان أفلت وهرب واستقطن اليسع وعالجن قيده فلم يكمن لكسره
وخشين فوت الامر فاتخذت له أمه جبالاً متينة من ثياب ديباج حتى تدلي
من القلعة الي الارض لانها لم تتمكن من اخراجه من باب القلعة فلما حصل
في الارض رآه بعض الجند فكسر قيده وأعطاه دابته فركب وتوسط المسكر
فاستبشروا به وعادوا الي طاعته وخدمته . وهرب ترمش الحاجب وجمع
اليسع الجيش ليسير بهم الي تحت القلعة ويحاصرها ويتغاب عليها وكان الشيخ
في جميع ذلك^(٣٣٣) مغمى عليه لا يعقل شيئاً مما جرى فلما أفاق من غمومه
وعرف الصورة راسل اليسع واطلع عليه وسأله أن يكف عنه ويؤمنه على
نفسه وحرمه ومن معه حتى يسلم اليه القلعة مع جميع أعمال كرمان ويرحل
الي خراسان ويكون عوناً له هناك متى احتاج اليه . فأجاب ابنه الي ذلك ومكنه
من جميع ما أراد فاحتمل مائة وقر من المال والثياب والجوهر وفاخر المتاع
واستصحب ثلاثمائة غلام من غلمانه وما احتاج اليه من الآلات والكرراع
وشقت القلعة وأحرق بقية ما كان فيه من الآلات والكسوة ورحل فلم
يؤاخذ به اليسع بما فعل بل احتمله ووفي له بالامان الذي بذله له وتركه حتى تخذ
الي مقصده . وتسلم اليسع القلعة وظفر بأولئك النفر الثلاثة وسامهم الي كاتبه
ومدبر أمره أبي نصر محمد بن اسميل البتي وأمره بمطالبتهم فاستخرج
مهم مالا عظيماً . وتلف اسراييل الطيب ثم وجد له معروف يسويه كتاباً
كتبه الي خراسان فيه الاغراء به والذم له وكان قد نفا عنه فأعاده الي العقوبة

حتى هلك فيها

وابتداءً فناخره عضد الدرلة في تخيب رجال ابن الياس فاستأمن اليه أكثر الديلم والابراك وكان حينئذ أبو علي ابن الياس بخراسان يطمع صاحبها في مملكة^(٣٢٣) الديلم فكان من عاقبه ما شرحناه من موت وشمكير وغير ذلك . وتفرغ عضد الدولة لقصد كرمان ودس الي كل من له رأى أو نجدة من خبيته وأصلح قلبه له ثم توجه اليها فافتحها ودخلها في شهر رمضان سنة ٣٥٧ واستولى على جميع أعمالها وملك قلعة بردسير وهي عظمة فيها عدة قلاع متصلة بعضها ببعض وأنهزم اليسع الي خراسان وصادف وصول اليسع الي خراسان موت والده فاحتوى صاحب خراسان على ما سلم معه من بقية ماله وكراعه . ولما تم امضد الدولة فتح كرمان واتصل خبره بصاحب سجستان كاتبه وترددت بينهما الرسل حتى صالحه وخطب له وهو أبو أحمد خلف بن أبي جعفر المعروف بابن بانويه . وأتخذ الي عضد الدولة من الحضرة ببغداد عهد الخليفة وخيامه من الطوق والسوارين والعقد على أعمال كرمان كلها فقلد عضد الدولة هذه الاعمال أكبر أولاده أبا الفوارس شيرزيل واستخلف له عليها كوركيز بن جستان وكان وجه قواد عاكره وانصرف الي شيراز^(١)

(١) وزاد في ترجمة هذه السنة صاحب تاريخ الاسلام : وفي ذى القعدة أقبل عظيم الروم تقفور بجيوش الي الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية فلم يلقفتوا اليه فهددم وقال : ارحل وأخرب الشام كله وأعود اليكم من الساحل . ورحل في اليوم الثالث ونازل معرة مصرين فأخذها وغدر بهم وأمر منهم أربعة آلاف ومائتي نسمة ثم نزل على معرة النعمان فأحرق جامعا وكان الناس قد هربوا في كل وجه الي الحصون والبراري والحيال النبيعة ثم سار الي كفر طاب مؤيزر ثم الي حاة وحاص فخرج من يقي بها

﴿ ودخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ^(٣٢٤) ﴾

وفيا استأمن حمدان بن ناصر الدولة الى بختيار ودخل الى مدينة السلام
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ناصر الدولة قلد حمدان ابنه الرحبة وسوغه ارتفاعها وكان أبو

فأنهم ودخلها فصلى في البيعة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا وأحرق الجامع ثم سار الى
عرة فانتحها ثم سار الى طرابلس فاخذ ريفها وأقام في الشام أكثر من شهرين ورجع
فأرضاه أهل انطاكية بمال عظيم . وقال أيضا : ووصل ملك الروم لعنه الله الى حمص
وملها بالامان وخافهم صاحب حلب أبو المعالي ابن سيف الدولة فتأخر عن حلب الى
بالس وأقام بها الامير قرعويه ثم ذهب أبو المعالي الى ميفارقين لما تفرق عنه جنده
وصاروا الى ابن عمه صاحب الموصل أبي تغلب فبالغ في اكرامهم ثم رد أبو المعالي الى
حلب فلم يتمكن من دخولها واستضعفوه وتشاغل بحب جارية فرد الى سروج فلم يمتحوها
له ثم الى حران فلم يمتحوها له أيضا واستنصر بابن عمه أبي تغلب فكتب اليه يرض عليه
المقام بنصيبين ثم صار الى ميفارقين في ثلثائة فارس . قتل ما يده ووافت الروم الى ناحية
ميفارقين وارزن يمشون ويقتلون وأقاموا يلد الاسلام خمسة عشر يوما ورجعوا بما
لا يحصى .

وكان الحج في هذا العام ضعيفا الى الغاية لما لحقهم من العطش والقتل مات من
حجاج خراسان فوق الخمسة آلاف وقيل بل ثلاثة آلاف بالعطش فلما حصلوا بمكة
خرج عليهم الطلحيون والبكريون فوضعوا في الحجيج السيف وأخذوا الركب بما حوى
ولم ينج من مصر ولا الشام أحد . وكان حجاج المغرب خطا ففرج معهم خلق من
التجار فأخذوا فقال انه أخذ لتجار فيها متاع بنحو مائتي الف دينار فانا لله وانا اليه
راجعون .

وفي آخر العام جاءت القرامطة من البرية وتوتبوا على دمشق فملكوها وساروا الى
الرملة فالتقاهم الحسن بن عبيد الله الاخشيدى فهزمهم ثم قاتلوا أهل الرملة أشد قتال
واستباحها بمد يومين ثم ان أهلها دافعوا عن نفوسهم بمائة الف وعشرين الف دينار
وسبوا من أعمال الرملة عشرة آلاف نسمة وعزموا على قصد مصر ليملكوها فجاء
المبيدون فأخذوها وقامت دولة الرافض في الاقاليم المغرب ومصر والعراق وغير ذلك

تغلب وأخوه أبو البركات وأختها المسماة جميلة بنى زوجته فاطمة بنت أحمد الكردى وكانت مالكة أمر أبيهم فاستولى أبو تغلب على مالها وأموال ناصر الدولة وقلاعه وكانت هي مدبرة جميع ذلك وتطابقت الجماعة على الشيخ وغلوه على جميع ذلك ولم يكن له بهم طاقة لتناهيه في الكبر والضعف فابتدأ يدبر القبض عليهم وكاتب ابنه حمدان ليستظهر به ويمتده فيما هم به فظفروا بكتابه هذا ولم ينفذوه وزاد ما بينهم شروقا وانفراجا حتى خافوه ودخل معهم في الخوف كاتبه وأكابر علمائه الذين تابعوا أبا تغلب فاجتمعوا وقبضوا عليه ليلا وحملوه الى القلعة . واتصل ذلك بحمدان فامتعض لايه وكان عدواً مباينا لآخوته هؤلاء وهو أشجع أولاد ناصر الدولة وأفرسهم وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة الى الرقة فللكها ثم سار من الرقة الى نصيبين . واستفز على أبي تغلب من أطاعه ^(٣٢٥) من أهله واخوته وجندهم وطالبهم بالافراج عن أبيه وردّه الى منزله وأمره فتوجه اليه أبو تغلب فانهزم حمدان من بين يديه قبل اللقاء وتحصن بالرقة ومنها في الرفقة ونازله أبو تغلب عليها طويلا ثم اصطالحا على ذحل وعاد كل واحد منهما الى موضعه

وعاش ناصر الدولة شهورا ومات في سنة ٥٨ واستعمل أبو تغلب وعماله كل قبيح مع حمدان في ضياعه وأملاكه وطرد عنها وكلاؤه ^(١) وانخرقت

(١) زاد صاحب التكملة : وكتب اليه حمدان يخاف بطلاق ابنة سعيد بن حمدان وبكل يمين انه ان أحوجه اليه استعان عليه بالديلم فان اتصف والا استعان بالقرامطة فان بلغ غرضا والا استعان بملك الروم فكان جواب ذلك من أبي تغلب ان قبض ضياعه وطرد وكلاؤه وأخذ أخاه الخ

الحشة بينهما فانفذ اليه أخاه أبا البركات في جيش كشف فلما قرب منه استأمن اليه معظم أصحاب حمدان فخرج عن البلد مهزوما واحتمل حرمة وعياله وغلماؤه ومن تبعه وورد هيت مستأمنا الى بختيار وكتب اليه يستأذنه في الدخول فاجابه بالاذن والقبول وخرج فتلقاه ومعه سيكتكين الحاجب وجماعة جيشه وأنزله في دار حسناء^(١) وفرشها فرشاً فاخراً رحل اليه هدايا من مال وافر وثياب فاخرة وطيب وفرش وبقال ودواب بمراكب ذهب وفضة وتكفل بالتوسط بينه وبين أخيه أبي تغلب وأنفذ اليه أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقيب الطالبين برسالة في الصلح قدم بينهما وحلف لكل واحد صاحبه وشخص حمدان الى الرحبة^(٢) وحمل اليه بختيار هدية مثل الاولى وزيادة مع جمال وآلات السفر فرحل وشيعة بختيار مع جيشه^(٣) ثم عاد

(١) وفي التكملة : وأنزله في دار ابن رزق الكاتب النصراني وحمل اليه مائة وخمسين الف درهم وثلاثمائة ثوب أصنافاً من ديباج وعتابي ودبقي .

(٢) وقال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧ : وفيها مات ناصر الدولة وقتل أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وكان قد طعم في تلك الشام وجاء اليه خلق من غلمان سيف الدولة وأطعموه فصادر أهل حمص وغيرهم وقتل قاضيم أبا عمار وأخذ من داره ستمائة الف درهم . فلما أحس بان أبا المعالي ابن سيف الدولة يقصده صار فترق على بني كلابو وخلع عليهم واعطاهم الاموال ونفذ حرمة معهم الى البرية ثم سار أبو المعالي وقرغويه الحاجب الى سلمية فاستأمن الى أبي المعالي جماعة من بني عقيل وتأخر أبو فراس وقال : قد أخذت لهم البلد . ثم سار الى قرغويه وأحاط به فقاتل أشد قتال وما زال يقاتل وهم يقيمونه الى ناحية جبل سنبر فتقنطروا به فرسه بعد المعر فقتلوه وله شعر رائع .

ومات الخادم كافور صاحب مصر ورد أمرها الى الملك أبي الفوارس أحمد بن علي ابن طنج الاخشيدى فوق الخلاف بين الكانورية وبينه ومحاربوا ونظم البلاه نقلت بينهم خلق ثم هزمت الاخشيدية الكانورية وطردوهم عن مصر فصاروا الي الرملة وفيهم ابن

مستأمناً دفعة ثانية على ما سندره

وفي هذه السنة ورد الخبر بدخول جوهر صاحب أبي تميم العلوي صاحب المغرب مصر فاشتمل عليها وتقطع جيش كافور وجماعة الاخشيدية وتمزقوا

﴿ وفيها نفي شيرزاد بن سرخاب كاتب الفارسية عن مدينة السلام ﴾

(ذكر السبب في ذلك)

كان شيرزاد مستولياً على بختيار كما حكيناه وأسرف في التجير وحلف بختيار على ان لا ينفذ عزمه ولا يقرر أمراً الا بعد مشاورته ورضاه وتحقق بالجندية وادعى الشجاعة وأعاره الناس من ذلك ما لم يكن عنده تقريباً اليه وكثر تعلقه بالاموال والتلاجي^(١) وشره الي اكتساب الارياح من غير وجوها ولم يقبض عن شيء مما به ولم يمكن أحد ان يعصم منه . ومنم بختيار من عطاياه التي كان يذلها للديلم والترك وقوى عزيمته على الثبات والتماسك

محمد بن رائق وأبو نحل وفنك وفاتك الهندي قدموا على صاحب الرملة الحسن بن عبيد الله بن طنج فلم يقبل عليهم وقال : لا أحارب ابن عمي . ثم ضاق فقائم توجوهوا الي دمشق ومتولهم فاتك الاخشيدى قم بينهم قتال وبلاء . وقال في رجعة هذه السنة : وفيها ولي أمره دمشق الحسن بن عبيد الله بن طنج الاخشيدى فاقام شهراً ورحل في شبان واستتاب بها شمون الكافورى ثم سار الي الرملة فالتقى البيهقي في ذي الحجة بالرملة فلهزم جيشه وأخذ أسيراً وحمل الي المغرب الي المعز . وأما ابن سيف الدولة فان جند حلب عصوه فجاء من مياقارقين ونازل حلب وبقى القتال عليها مدة . وأستولي على انطاكية للرعيلى وجند شلمر فجاءت الروم فنزلوا على انطاكية وأخذوها في ليلة وهرب الرعيلى من باب البحر هو وحمة آلاف اتيمان فتجروا الي الشام وكان أخذها في ذي الحجة وأسر أهلها وقتل جماعة من كبارها

(١) الثلجثة هي أن ينجيه الضيف ضيفته أن قوي ليحامي عليها قاله صاحب

مفاتيح العلوم

وخاض معه في إيقاع حيلة على سبكتكين الحاجب وقيل انه واطأ بعض
الديلم على الفتك به اذا حضر الدار ليتسع بأمواله ونعمته . وعزم على قتله
الجيش والتسمية^(٣٢٧) بالاسفهلار فبلغ ذلك سبكتكين وامتنع ان يلقي
بختيار او يدخل داره الا في الاحايين البعيدة على تحرز واستظهار . وثقل
أمر شيرزاد على الجنود لان بختيار كان عودهم الا يردم عن شيء يلتمسونه
من واجب ومحال وقليل وكثير فنهه شيرزاد من ذلك وناصبه الكتاب
أيضا العداوة للخوف من شره واتقباض أيديهم عنم يلجى اليه وكثر الدعاء
عليه من أفناء الناس . واجتمع الاتراك على عداوته وصاروا ينسبون كل حال
يكرهونها وينكرونها اليه وأخذ الوزير أبو الفضل يتحرز منه لما فسد بينه
وبينه ويستميل الاتراك ويوسع عليهم فشي بعضهم الى بعض وتوافقوا على
الفتك به ثم رأوا ان يستأذوا سبكتكين الحاجب فقصده جماعة لذلك . ونمى
الخبر الى بختيار فتقدم اليه بالمصير الى سبكتكين واستصلاحه وطرح النفس
عليه ومسلته كفت القوم وضم اليه الوزير أبا الفضل ليعاونه وبينهما اذذاك
منافقة لم ينهت سترها فقصدا سبكتكين ووجدا طائفة كثيرة من الاتراك
عنده يستأمرونه في قتل شيرزاد فلم يأذن لهم ولكن أمرهم بتخوفه حتى
يهرب والا يقرأوه بالخضرة فامسكوا عن قتله^(٣٢٨) بعد ان هموا به .
وكان مجرى أمره مجرى صالح بن وصيف بسر من رأى أيام المهدي بالله^(١)
فلما وصل شيرزاد وأبو الفضل الوزير اليه وخاطياه وتضرعا اليه
صدقهما عن الصورة واعلمهما انه لولا خضره على الاتراك لقتل شيرزاد ولما
تركوه ان يصل اليه وأشار عليه بالرحيل من ساعته الى حيث شاء . ففرج

وهو يأتس من صلاح حاله وخائف على مهجته فصادق الاتراك مجتمعين في دار سبكتكين بموجون في أمره ويتوعدونه وينظرون له ويستمونونه فاسرع الخروج الى حضرة بختيار وعرفه ما جرى ثم التفت الى الوزير فاسمه غليظ ما يكره وقال له : هذا من مملك وتديرك . خلف له بالطلاق على براءته مما ظنه به فأجابه بين الطلاق انه كاذب في جعوده .

ثم خلا بختيار بشيرزاد مخدومه شيرزاد من الوزير أبي الفضل وعقد معه عقداً وعهد اليه عهداً في صرفه عن الوزارة والقبض عليه واستصفاء نعمته ونعم أسبابه وواقفته على ان يحرس عليه بعد خروجه داره وأهله وولده وضياعه وان يوقع عليه اسم ابنه سلار بن بختيار لتعسم عنها اطماع الديلم والجند الى ان يستصلح نيات الاتراك ونيات سائر العسكر^(٣٢١) ثم يعود الى حاله ويجري على رسمه في الخدمة والمخدر في الوقت الى الاهواز ثم صار منها الى ارجان وبها يوهذ الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد . وكان حاجبه روين قريبا لشيرزاد وكان قد توفي قفجج به جدا ووجد به وجدا شديدا فلما وصل اليه شيرزاد رأي فيه شها منه ومخيل فيه شمائله فعطف عليه وتحفى له وأكرمه وحمل اليه مالا وكسوة وكتب له الى ركن الدولة كتابا مؤكدة ووعدته بتوسط أمره وأشار عليه ان يخرج الى حضرة ركن الدولة بكتبه ويقيم يابه الى ان يرد بنفسه فيتوسط أمره فاتفق ان خرج الى الري وتوفي بها .

وكان من سوء ملكة بختيار وقلة وفائه انه ثأني يوم خروجه قبض اتصاعه وضياعه وأملا كه وجواربه وذوره ونسكب كاتبه وأسبابه واستثار أمواله ووداشه ونقل ابنه سلار الى داره وسلم اليه اقطاعه لا على الاصل

الذي قرره معه شيرزاد بل علي ان يصير له ذلك خاصة يتوفر عليه . وحكي أيضا ان نفي شيرزاد كان في سنة ٣٥٩ ثم انه بعد شهرين من نفي شيرزاد قبض علي وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين وكتابه وأسبابه واستصفي امواله وقلد الوزارة^(٣٣٠) ابا الفرج محمد بن العباس وقلد الدواوين أبا قرّة الحسين بن محمد القنّائي .

﴿ ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ﴾

﴿ ذكر السبب في القبض عليه ﴾

كان أبو الفضل الوزير استخدم أبا قرّة وهو زجل من دير قنّي حسن الدكاه قد نشأ بين كتاب واسط وعمّالها وتخرّج معهم واختص باحه ابن علي القنّائي فتمهر ولم يزل يتدرّج في التصرف حتى تقلد واسط ورئاسة من قبل السلطان فاقتى أموالا جليّة وصارت له نعمة ضخمة وكان شديد الجرأة على السلطان يقدم على أمواله انقادا لا يقدم عليها غيره هذا مع اهتدائه الى وجوه الخيل عليه ومعرفة بوجوه الارتفاق والارتفاق فانه كان يرفق الوزراء والعمال باليسير ويتوصل به الى الارتفاق الكثير . فاضطر أبو الفضل في وزارته لاختيار عند الحاجة والاضافة الى مصلحته وكان يشتري منه غلات القضم بالتمن الزائد ويحتسب له بالمال غلات ضمانه يسرها في وقت اليبس فربما قام عليه الكر بثلاثة اكرار هذا الى امثال ذلك في معاملات الخطة وغيرها وعظمت نمته وتمكن من رعيته بواسطة فانبسطت يده عليهم^(٣٣١) فتأول عليهم وقوى باموالهم . وكان الولحد منهم اذا نظّم منه لم ينصف ورده اليه أمره فيسقط المكروه عليه فصارت رعيته تشكوه علي طريق الخوف منه .

ولما غاب أبو الفضل الوزير الى الموصل أيام معز الدولة . مكثه واستخلفه ببنداد ووصل بينه وبين شيرزاد كاتب الفارسية ليعزه ويمنع منه مؤامجة أبي الفرج محمد بن العباس . فكان أبو قرّة يهدى الى شيرزاد ويلاطفه ويكثر وجوه المرافق والمباراة له ليمنع من الاستيقاء عليه وتأن كدت الحال بينهما حتى انقطع اليه ولم يتمكن أحد من الرجلين منه أعنى أبا الفرج وأبا الفضل وكانا يومئذ كاتبين لا يتسمى أحد منهما بالوزارة طول أيام معز الدولة . وكان أبو قرّة يرفع حسابه على ما يريد ولا يتمكن أحد من الكتاب ان يتوفىها عليه فيقرر باكثر ارتقاع ضمانه سوى الأرباح التي ذكرناها وسوي ما يستقله من أملاكه وسوي ما يستخرجه من المصادرات والمصانعات . وكان شيرزاد يطلب الوزير أبا الفضل بما كان وافقه عليه اذا تم له الوزارة وكان أبو الفضل يعتد عليه بما يصل اليه من جهة أبي قرّة وقال له : هذا الرجل عالمي وانما ضمته اليك لينوب عني ^(٣٣٢) عند غيبتى عن مدينة السلام وقد حصل لك من جهته ما ينبغي ان احتسب به عليك وتمتد له . ويستجيبه شيرزاد بأنه لا يحتسب له الا بما يصل اليه من صلب ماله وخاص اقطاعه وارتفاقاته ولم يزل ذلك يتردد بينهما حتى استوحش كل واحد من صاحبه واستوحش أبو قرّة أيضا واختص زيادة اختصاص بشيرزاد . فطمع في المنازل العالية لما يرجع اليه من الكفاية في نفسه ثم للحال المتأثرة واليسار العظيم واضطر الوزير الى مغالطته عن نفسه وائتانه والاستعانة به على شيرزاد وهو كان سبب اتصاله به . فلما تم على شيرزاد ماتم من النبي هم الوزير بالقبض عليه تم أمهله ودر أمره على ان تدرك غلاته وخشي في الحال ان مده اليه ان تنقطع مادة ما كان يقيمه من قضيم

الكرام ووافق بختيار على أنه يستخرج منه عند حضور الوقت مائتي ألف دينار.

وكان بختيار لا يضبط لسانه ولا يكتم شيئاً من اسرار نفسه ولو فيما جرى عليه ذهاب النفس والملك فاخرج حديثه وسره فبلغ أبا قرّة ما جرى وكان يخشى عداوة أبي القرّج فصار يخشى عداوة الوزير ولم يكن له مؤزّر^(١) غير شيرزاد^(٢) وكان قد نفى فاضطرب واحتال حتى توصل الى سبكتكين الحاجب وبذل له على يد أبي بكر الاصبهاني صاحبه وثقتة ذلك المال الذي كان يرتفق به شيرزاد بن سرخاب فنصره سبكتكين نصرته زلذت على نصرته شيرزاد فصار في ظل أحسن من الظل الاول وتمرد على الوزير ان يلاً عينه منه فضلاً (عن) أن يمده اليه . فحينئذ اجتمعت على أبي الفضل الوزير أمور منها الاضاعة وانقباض يده عن استيفاء الحقوق ومنها مطالبة بختيار له بالقرض^(٣) التي كان اقترضها ولم يتسع لردّها عليه ومنها عداوة سبكتكين له وخوفه من حيله ومكايده ومنها حسده له على ظاهر حاله وما جمع من النلمان والحجاب والروءة الظاهرة ومنها استمالته وجوه الأتراك ومكآثرته اياه في الاحسان اليهم ومنها عداوة بختكين آزادويه وكآته سهل ابن بشر اياه لقصد اياها بالاهواز واستقصائه عليهما ومصادرتة اياهما ومنها عداوة صاحب الديوان أبي القرّج وأخيه على بن العباس على قديم الايام ومنها انقلاب أبي قرّة عايه للاسباب التي ذكرناها فخلا من كل صديق

(١) يعني ملجأ ومن ابيات اليقينة (٤ ٣٣٢)

شر السباع العوادي دونه وزر والاس شرهم مادونه وزر

(٢) لهله القروض

ومعين واصطلحت هذه الطائفة عليه . ثم اضطر ^(٣٣٤) أبو الفرج محمد بن العباس الي مصادقة أبي قرّة ليتماضد على أبي الفضل لا لمودّة حقيقة فافقما على ان يخاطبا سبكتين الحاجب في مسألة بختيار ومواقفته على القبض على أبي الفضل وضمنه أبو الفرج محمد بن العباس تسعة آلاف الف درهم يستخرجها منه ومن خلفائه وكتابه وجميع المتصلين به على ان يتقلد الوزارة ويتقلد أبو قرّة الديوان فعمل ذلك وقبض على أبي الفضل كما سبق القول فيه . فلم يلبث محمد بن العباس أبو الفرج في وزارته الا يسيرا حتى اضطربت أموره ولم يف بماضيه لبختيار وتمكن أبو قرّة من السعي عليه وردّ أبي الفضل الى وزارته وضمن لبختيار تصحيح سبعة آلاف الف من جهته بضمان سبكتين عنه

﴿ شرح الحال في ذلك و-سبب تمكن أبي الفضل بعد نكبه ﴾

(حتى أعيد الى الوزارة ومكن من أبي الفرج)

لما خلغ على أبي الفرج الخلعة التي تخلع على الوزراء ومكن من أبي الفضل وسلم اليه مع جميع أسبابه والمتصلين به اتسع بما راج له من جهاتهم وحبس أبا الفضل في داره وضيق عليه وبحث عن أمواله وأموال أهله وحرمه بغاية ما أمكنه فلما وقف عليه الامير طالبه بالمال وناظره فاستقر ما بينهما على ان التزم ثلاثة آلاف الف درهم يحتسب منها ^(٣٣٥) بما أصبح من خاص أمواله وأثمان غلاته وآلاته وكراعه ويوفي ما يبقى واشترط أن يوسع عليه ويسهل الاذن لمن يدخل اليه ليستسقمهم ويقرض منهم . فأحجم أبو الفرج محمد ابن العباس عن التنفيذ عنه خوفا من تعاضد عليه وأعادته الى الحبس والتضييق وانفسخ ما قرره معه وعطف على أسبابه فنتي المصادرات عليهم

وعسفهم وأرهمهم وجازفهم ومات في حيد صهر لابي الفضل العباس بن الحسين يقال له ابراهيم بن محمد الدهمكي فاتهم به وانه قتله بالعباب والمطالبة .
 وخلق على أبي قرة لتقلد الديوان بعد ان أرفق بختيار بمال على ذلك وأثرت
 واسط في يده فصار ضامنا لها خاصة مستوفيا على غيره من الضنناء وتلقب
 بالرئيس لان أبا الفرج كان أيام تقلده الديوان متلقبا بهذا اللقب فانكر أبو
 الفرج ذلك على أبي قرة وأمر الناس أن يخاطبوه بالوزير الرئيس تحصيلنا لهذا
 اللقب عن أبي قرة

﴿ ذكر فساد الحال بين الوزير وبين أبي قرة وماتم له من ﴾

(عزله وتولية أبي الفضل)

وابتدا أبو قرة يطالب بجميع مراتب أبي الفرج التي كانت له قبل
 الوزارة وزعم انها من ^(٣٣٦) حقوق صاحب الديوان ويجب أن يستوفيا
 فاضطرت الحال بينه وبين الوزير أبي الفرج ولم يزل يتزايد حتى ترامت الى
 نهاية الفساد وضمن أبو قرة عن هذا اللقب مالا ثانيا حتى أمضى له وخرج
 الامر بان يخاطب به . وكان معز الدولة اطلق لابي الفرج وأبي الفضل عند
 اخراجه اياها الى جهتي عمان والبطيحة للحرب عليهما أن يضربا على أوجابهما
 بالبدادب في أسفارهما عند حضور أوقات الصلوات فصار ذلك رسما لهما استمرا
 عليه ولم يقطعاه عند انصرافهما من وجه الحرب فلما تقلد أبو قرة الديوان
 أجراه مجرى حقوق العمل التي تستوفى واحب أن يضرب على بابه بالبدادب
 فسأل بختيار ذلك فأجابته اليه ومنعه أبو الفرج الوزير منه وأنكر ثم بذل فيه
 أبو قرة مالا فخرج أمر بختيار بان يطلق له ذلك . ثم خرج الوزير أبو الفرج
 وأبو قرة في التنافس الى أبعاد غاية وفي العداوة الى أقصى نهاية وكانت

صاحبهما لاهيا عنهما واتصلت المنازعة بينهما في أمثال هذه الاشياء ولم تحفظ
مرتبة الوزارة وفضلها على غيرها حتى لم تتميز من سواها
فتقدم الوزير أبو الفرج الي كتابه بعمل لابي قرة ومؤامرة تشمل
على ما يجب عليه في مردود حساباته التي عملها في سني ضمانه واثارة جميع
ماغبين فيه السلطان ومرافقه القديمة^(٣٣٧) والحديثة فعملت هذه المؤامرة
واشتملت على ستة آلاف الف درهم ونسبت هذه الاموال الي جهاتها
وعرضت على بختيار وأطعم في وجوبها وأن حاله بقي بها فامر بمطالبتة .
واعتم بسبكتكين الحاجب فحامي عليه واغتاظ بختيار من تعززه عليه ووجد
خصومه الطريق الي اغرائه به واقاموا في نفسه أنه سيحمل سبكتكين على
خام طاعته وازالته عن مملكته فانفذ بختيار اليه تقياً ووكله به في دار
سبكتكين ثم أنفذ ثانيا يستدعيه وضعف سبكتكين عن مقاومة صاحبه
بختيار ومنابدته وكان شاع عنه انه انما يحامي على أبي قرة لمرفق يأخذه
منه فترك الاغراق في نصرته وسلمه الي بختيار على موجدة في نفسه وحمية
في قلبه ووعد أبا قرة انه سيتكلم فيه ويستنقذه . فلما صار عند بختيار سلمه الي
الوزير أبي الفرج وأمره باستخراج المال فضعف الوزير عن منابذة سبكتكين
فيه ولم يقدم على عسفه ولم يسكن الي اطلاقه فحصل معتقلا اعتقالاتا جملا
ووقفت الامور التي كان ينظر فيها من اقامة القضيض للكراع ومهمات
التسييات عليه . وندم سبكتكين على تقليد أبي الفرج الوزارة ومساعدته
على نكبة أبي الفضل وتذكر ما كان يعامله به من الحماقة والنفاق ورأي
انه على عيانه كان أصلح له من أبي الفرج وضمف قلب أبي الفرج^(٣٣٨)
بضاد رأيه .

وكان أخوه أبو محمد علي بن العباس الخازن مستولياً على بختيار مالكا لقياده لا يفارق مجلسه عند الانس والنادمة فاشفق أن يجري عليه من سبكتكين ما جرى على شيرزاد منه فاتفقا على إرضاء سبكتكين باطلاق أبي قره و تقرير أمره على مال قليل لا يؤثر في حاله وان يصير الى واسط على رسمه الاول ويمتزل الديوان فلما أفرج عنه أقام القضيـم وتقد الامور المتعلقة به وانحدر الى واسط بمد أن واطأ سبكتكين على السمي لابي الفضل في الوزارة وانقذه من محبسه والقبض على أبي الفرج وأبي محمد علي بن العباس وأسبابهما .

وقد كان الوزير أبو الفرج عطل ديوان أبي قره ونقل الاعمال عنه واستبد بمكاتبه المال وكان له كاتب اهوازي يعرف بابن السكر قد اتسمت حاله فشرع في تقلد هذا الديوان وبذل لبختيار مالا يصححه له في كل سنة من حقوق المحاسبات وأعلمه أن هذا الديوان زمام له على الوزراء وأن الوزير الآن مستبد بالجميع وفي ذلك ضياع الدخل والخرج وفساد الاصل والفرع .

واتصل الخبر بأبي الفرج فغلظ عليه وعظم في نفسه وراسل بختيار بأنه لا يصبر^(٣٣٩) على أن يتقلد كتابه هذا الديوان على مرانتمته فاجابه بأنه لا بد من صاحب ديوان يكون معه « فاختر أنت من تحب » فهان عليه رد أبي قره الى نفسه وكان أخف على قلبه وأيسر محملا من نظر ابن السكر فيه فكتب بالاصعاد فوررد وجددت له الخلع وتقلد الديوان . وكانت المراسلات بينه وبين أبي الفضل متصلة وذلك ان أبا الفضل كان واسع الصدر فافضل على الموكلين به . من غلمان الوزير أبي الفرج ووسع عليهم وأكثرت في برم والاحسان اليهم فلم ينعوه من مكاتبه من يريد مكاتبته وواصلوا اليه كتب من كتابه فاحتال ضروب الخيل وتم له أكثر ما حاوله فلما ورد أبو عمرة

بفداد تمكن من اتمام أمره والسعى له .

واشدت الاضاقه بابي الفرج ووقفت عليه أموره ومطالبه لان واسط انطلقت عليه بابي قره والبصرة والاهواز انقلقتا عليه بالاتراك الذين استبدوا باموالهما في تسيبهم ولم ينهض بما ضمنه عن أبي الفضل لانه اقتصر على أخذ ظاهره وخاف أن يطلقه ليضطرب فيحتال عليه ويسعى في الوزارة (وهو لا يعلم انه قد سعى وفرغ) واجتمعت عليه مطالبات كثيرة وصارت حاله في انحراف بختيار عنه وعداوة سبكتكين الحاجب له ^(٢٤٠) ولاخيه وتصب الجند عليهما كحال أبي الفضل لما قبض عليه

﴿ ذكر ما احتال به في هذه الحال وما عرض له ﴾

﴿ من سوء الاتفاق ﴾

لما أحس باضطراب أمره خاف أن يماجله بختيار بالقبض عليه فأحال على أموال وقتت عليه بالاهواز وأنه يريد الشخصوس اليها فتمه بختيار من الخروج الابداء اقامة الوجوه للنفقات التي بمحضرتة لثلاث توجه عليه المطالبات بعد خروجه ويقع اخلال بالاقامات فاحتاج أن يستخلف أخاه بمحضرتة حتي ضمن له ذلك . ووافقه على وجوه ظن انها راجية وأضاف اليه ابن اخته المعروف بابي القاسم علي بن الحسين المشرف علي أنه ناظر في الدواوين والحسابات وشخص الي واسط . وشخص أبو قره علي أثره بعد أن قرر أمر أبي الفضل وفرغ منه . ولكن تلمن طمع بختيار بالمواعيد التي وعده بها أبو الفرج والضمانات التي ضمنها أخوه فلما حصل بواسط ضايقه أبو قره في الامور وعارضه في التدبير وكان مسئوليا على البلد بالضممان ثم على سائر الاعمال بحتى النظر في الدواوين ثم بالعاية التي كانت له من سبكتكين فغضب

الوزير أبو الفرج المقام بواسط وبرز عنها يريد الاهواز . فحدث عند تديره وعمله^(٣٤١) على المسير ان توفي رجل كان متغلبا على أسافل واسط وهي أعمال نهر الصلة ونهر الفضل وكان يعرف هذا الرجل بأحمد بن خاقان وهو جار محمد بن عمران بن شاهين واستولى على هذه النواحي وكان يقطع عنها السلطان كما يريد ولا يمكن الاستيفاء عليه وله حال قوية ونعمة عظيمة فقدر محمد بن العباس الوزير ان يصل الى أمواله فاتمّل الى هذا الوجه وسبقه ابن له يقال له خاقان فاحتمل غلات أبيه وأمواله ودخل الى مضايق البطيحة . ووجد أبو قرّة فرصته فاخذ في مراسلته وتقويته وتشجيعه واعلمه انه معه وعونه ثم عمل اعمالا أوجب بها لنفسه بحق الضمان الذي له في واسط . على هذا المتوفي شيئا كثيرا من الغلة والمال ثم قال للوزير أبي الفرج محمد بن العباس انه لا حق له في شيء مما يصل اليه من أموال هذا المتوفي الا بعد ان يستوفي منه هذه البقايا أو يحتسب بها له من مال ضمانه . فسار الوزير أبو الفرج الى بلاد لم يجد فيها شيئا ولو وجده لنازعه فيه أبو قرّة وحصل منازل خاقان بحيث لا يمكنه الدخول اليه ولم يصادف في تلك الاعمال انسانا يكلمه ولا حبة من غلة ولا أرا من مال فجنح الى مراسلة خاقان والتماس مصالحته فاستمتع عليه ونازله أياما كثيرة حتى مل^(٣٤٢) وساءت حاله وحال من معه وانقطعت عنهم المواد فاضطر الى الرحيل ورضى بمال يسير لم يتمكن من استيفائه وحصل من هذا اليسير شيء يسير . ووقعت المنازعة فيه بينه وبين ابي قرّة حتى اتفقا على اقتسامه وبادر بالخروج الى الاهواز .

وكتب أبو قرّة بختيار يده انه ليس له وجه درهم واحد وانه خرج « متروحا الى البعد عنك لتدفع عنه النسبة التي خافها من جهتك » وكتب

الى مختكين آذاذ رويه يحذره منه فكتب مختكين الى مختيار بانه لم يبق عليه شيء وان تسيبات الاثراك وانزالهم تستغرق الواجب وزيادة كثيرة وان محمد بن العباس الوزير انما يصير الى أعماله ليتأول عليه بالمحالات ويعمل له المؤامرات ويمد يده الى أموال السنة المقبلة . ووافق ذلك ان أخاه أبا محمد على بن العباس الخازن صحح البعض من تلك الوجوه التي أقيمت بالحضرة ووقف عليه الباقي لضعف يده ولسكثرة الارجيف باخيه وجهه وبان مختيار قد تمت الموافقة بينه وبين أبي الفضل على اعادته الى الوزارة. وأخذ خطه في أبي الفرج وأبي محمد أخيه وأسبابهما بسبعة آلاف درهم وانه يطلق الاستحقاقات ويدير النفقات . فكتب مختيار الى مختكين بالقبض على أبي الفرج ومن معه في يوم وصولهم^(٣٤٣) الى الاهواز وكتب الى أبي قره بمثل ذلك وبالاحتياط عليهم حتى لا يفوت أحد منهم وقبض مختيار على أبي محمد الخازن أخيه وكان جالسا معه يشرب على رسم كان له في منادته وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وكان في دار أبي الفرج وخلع عليه للوزارة^(١)

(١) قال صاحب التكملة . قاما ابو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي قوله بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز الدولة بهداد وناب عن المهدي وصاهره على بنته زينة وكان ذلك سبب تقدمه ثم فسد ما بينهما . وكان واسع المروءة والصدر وداره على الصراة ودجلة وهي التي كانت بستانا لقب القباء الكامل وانتقلت الى الفضلوني واتفق عليها ابو الفضل زائدا على مائة الف دينار ثم احترقت فامر معز الدولة ببعثها بستانا . وعمل دعوة لمعز الدولة وجعل في وسط السماط قصرًا من السكر فيها مخاينث وأغانى ينون وبرقاصون ولا يشاهدون وقطع دجلة من فوق الجسر الى دار الخلافة بالقلوس الغلاظ وطرح الورق فيها حتى ملاءها وغطا دجلة . ولم تنزل بهمداد فيان حتى أحضرها وذلك في سنة ٣٥٤ فلما كان في سنة ٥٥ قال له معز الدولة : يا أبا الفضل تلك الدعوة فريدة

وفي هذه السنة خرج الاستاذ الرئيس أبو الفصل ابن العميد الى الجبل
في خيل عظيمة لتدبير أمرها وتقرير أمر حسنويه بن الحسين الكردي
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾^(١)

كان حسنويه بن الحسين الكردي قد قوى واستفحل أمره لما وقع
من الشغل عنه بالفتوح الكبار ولانه كان اذا وقع حرب بين الخراسانية
وبين ركن الدولة أظهر عصبية الديلم وصار في جملتهم وخدم خدمة يستحق
بها الاحسان الا أنه مع ما أقطع وأغضى عنه من الاعمال التي يتسط فيها
والاضافات التي يستولي عليها ربما تعرض لاطراف الجبل وطالب أصحاب
الضياع وأرباب النعم بالخفارة والرسوم التي يبدعها فيضطر الناس الى اجابته
ولا يناقشه السلطان فكان يزيد أمره على الايام وتتشاغل الولاة عنه الى أن
وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف ومشاحة تلاحا فيها الى ان قصده
ابن مسافر بالحرب^(٢) فهزموه حسنويه وكان يظن ابن مسافر انه لا يكشفه
ولا يبلغ الحرب بينهما الى ما بلغت اليه فلم تقف الحرب حيث ظن وانتهي

بلا اخت . فقال : بل هي في كل سنة . وعمل دعوة اتفق فيها الف درهم
ووهب فيها جوارى وغلما نا وأراكا وضياعات واستمد بهد عملها عند الشرايين الف عمل
مشوى وحمل الى أبي الفضل اصحابه ما امكنهم من الهدايا

واما أبو الفرج محمد بن العباس بن قسانجس فولده بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز
الدولة في ذي الحجة سنة ٣٣٨ وابوه من اصحاب النعم الواقعة بفارس صادرة عماد الدولة
على سنانة الف دينار وقال : اني كسبت معه خمسين ألف درهم . وجاء مع معز الدولة
الى بغداد وولاه الزمام على المهلب وتوفي سنة ٣٤٢ وتكفل المهلبى بامر ابنه حتى رد
اليه الديوان

(١) روي هذه الحكاية ياقوت الحموي في كتابه ارشاد الارباب (٥ : ٣٦٨) عن

أبي علي مسكويه

الامر بينهما الى ان اجتمع الديلم وأصحاب السلطان بمد الهزيمة الى موضع شبيه بالحصار ونزل الاكراد حواليتهم ومنعوم من الميرة وتفرقوا بازاءهم . ثم زاد الامر وبلغ الى أن أمر حسويه الاكراد ان يحمل كل فارس منهم على رأس رمحه ما أطلق من الشوك والعرفج ويقرب من معسكر سهلان ما استطاع ويطرحه هناك ففعلوا ذلك وهم لا يدرون ما يريد بذلك فلما اجتمع حول معسكر سهلان شيء كثير في أيام كثيرة تقدم بطرح النار فيه من عدة مواضع فالتهب وكان الوقت صيفا وحجيت الشمس عليهم مع حر النهار فاخذ بكلمتهم واشرفوا على التلف فصاحوا وطلبوا الامان فرفق بهم وأمسك عما هم به . وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمل هذا كله له وتقدم الى وزيره أبي الفضل محمد بن الحسين العميد وهو الاستاذ الرئيس بقصده واستنصاح شافته وأمره بالاستقصاء والمبالغة . فانتخب الاستاذ الرئيس الرجال وخرج في عدة وزينة وخرج ركن الدولة مشيعاً له وخلع على القواد ووقف حتى اجتاز به المعسكر قائد بمد قائد وكوكبة بمد كوكبة ورضى العدة والقوة^(٣٤٥) فودع حينئذ الوزير ابن العميد وعاد الى الري .

وسار الوزير ومعه ابنة أبو الفتح وكان شاباً قد خلف أباه بمحضرة ركن الدولة وعرف تدير المملكة وسياسة الجند فهو بذكاؤه وحدته ذهنه وسرعة حركته قد نفق نفاقاً شديداً على ركن الدولة وهو مع ذلك لقاة حنكته ونزق شبابه وتهوره في الامور يقدم على ما لا يقدم عليه أبوه ويجب ان يسير في خواص الديلم ويمشون بين يديه ويختلط بهم اختلاط من يستميل بقلوبهم ويخضع عليهم خلعاً كثيرة ويحمل رؤسهم وقوادهم على الخيول المارة بالمراتب التمثال ويريد بجميع ذلك ان يسلموا له الرئاسة حتى لا يأنف

أحد من تقبيل الارض بين يديه والمشي قدماه اذا ركب وكان جميع ذلك مما لا يؤثره الاستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة ويعلمه ان ذلك لو كان مما يترخص فيه لكان هو بنفسه قد سبق اليه .

ولقد سمعته في كثير من خلواته يشرح له صورة الديلم في الحسد والجشع وانه ما ملسكم أحد قط الا بترك الزينة وبذل مالا ييطرم ولا يخرجهم الى التحاسد ولا يتكبر عليهم ولا يكون الا في مرتبة أو سطهم حالا وان من دعاهم واحتشد لهم وحمل على حالة فوق طاقتهم لم يمنعهم ذلك من حسده على نعمته ^(٣٤٦) والسعي على ازلتها وترقب أوقات الغرة في آمن ما يكون الانسان على نفسه منهم فيفتكون به ذلك الوقت . وكان يورد عليه مثل هذا الكلام حتى يظن انه قد ملأ قلبه رعبا وانه سيكلف عن السيرة التي شرع فيها فاهو الا ان يفارق مجلسه ذلك حتى يعاود سيرته تلك فاشفق الاستاذ الرئيس في سيرته هذه ان يتركه بمحضرة صاحبه فيلج في هذه الاخلاق ويفتر بما يراه من احتمال ركن الدولة حتى ينتهي الى ما لا يتلافاه فسيرة به واستخلف بمحضرة ركن الدولة أبا على محمد بن أحمد المذروف باذن البيع وكان فاضلا أديبا ركيذا حسن الصورة مقبول الجملة حسن الخبر خلقا وأديبا .

فلما كان في بعض الطريق وكان يركب العماريات ولا يستقل على ظهور الدواب لافراط علة النقرس وغيرها عليه التفت نحوه فلم ير في موكب احداه وسأل عن الخبر فلم يجد حاجبا يخبره ولا من جرت العادة بمسارته غيري فسألني عن الخبر فقلت له : ان الجماعة بأسرهم مالت مع أبي الفتح الى الصيد فامسك حتى نزل في معسكره ثم سأل عن جرت العادة باستدعائه للطعام

وكان يحضره كل يوم عشرة من القواد على مائدته التي تخصه وعدة من القواد على أطباق توضع لهم وذلك على نوبة معروفة يسمى فيها تقباؤهم فلما كان في ذلك اليوم ^(٣٤٧) لم يحضره أحد واستقصي في السؤال فقيل « ان أبا الفتح أضافهم في الصحراء » فاشتط من ذلك وساء ان يجري مثل هذا ولا يستأذن فيه . وقد كان أنكر خلوة موكبه وهو في وجه حرب ولم يأمن ان يستمر هذا التشتت من المعسكر فتم عليه حيله فدعا كبر حجابيه ووصاه بان يحجب عنه ابنه أبا الفتح وان يوصى النقباء بمنع الديلم من مسابرة ومخالطته وظن ان هذا المبالغ من الانكار سيفض منه وينهى المعسكر من اتباعه على هواه فلم يؤثر كلامه هذا كبير أثر . وعاد الفتى الى عادته واتبه المعسكر ومالوا معه الى اللعب والصيد والاكل والشرب وكان لا يخلوهم من الخلع والالطاف فشق ذلك على الاستاذ الرئيس جدا ولم يجب ان يخرق هيبة نفسه باظهار ما في قلبه ولا ان يبالغ في الانكار وهو في مثل ذلك الوجه فيفسد عسكره ويطمع فيه عدوه فدارى أمره وتجرع غيظه وأداه ذلك الى زيادة في مرضه حتى هلك بهمدان وهو يقول في مجلس خلواته : ما يهلك آل العميد ولا يمجو آثارهم من الارض الا هذا الصبي (يعني ابنه) ويقول في مرضه : ما قتلتى الا جرع الفيظ التي تجرعتها معه .

ومما حصلته عنه في وجهه هذا وقد سألته عن عاقبة أمر حسوبه معه وهل الى استئصاله سبيل فقال : اما بهذه ^(٣٤٨) السرعة وفي هذا الزمان فلا ولكننا سنمود عنه ونحن كما كنا وزيادة شيء ويعود حسوبه وهو كما كان وتقضان شيء ثم يُدبر أمره على الايام . فلما حصل بهمدان اشتدت غلته فتوفي بهار حبه الله واتصب ابنه أبو الفتح مكان أبيه وكان المعسكر كما

ذكرت مائلا اليه فزاد في بسطهم وتأنيسهم ووعدهم ومناهم وبذل لهم طعامه
ومنادمته وأكثر من الخلع عليهم وراسل حسنويه وأرغبه وأرهبه وحضه
على الطاعة وأوماً الى مصالحته على مال يحمله يقوم بما أتفق على ذلك المسكر
وتوفر بعد ذلك بقيته على خزانه السلطان ويضمن اصلاح حاله اذا فعل
[ذلك] مع ركن الدولة . وكان يشق على سهلان بن مسافر لما في نفسه من
حسنويه ولانه يجب الانتقام منه ويكره ان ينصرف مثل ذلك العسكر عنه
ولم يؤثر في أمره أثر ايسمع به وليه وعدوه الا ان أبا الفتح كان يرى ان
مقاربة حسنويه والعود الى صاحبه يبابه لم يثلم عسكره ولا خاطر بهم وان
يلحق مكانه من الوزارة قبل ان يطمع فيه [غيره] أولى وأشبه بالصواب
(وقد كان أبو علي محمد بن أحمد خليفة أبيه قد تمكن من ركن الدولة وقبل
ذلك ما عرفه بالكفاية والساد) فدفن المتوسطون بينه وبين حسنويه الى
ان تقرر أمره على خمسين^(١) ألف دينار ينكسر بعضها وجبي كورة الجبل
وجمع من الدواب والبغال وسائر التحف ما بلغ مقداره مائة ألف دينار
ووردت عليه كتب ركن الدولة بما قوى نفسه وشده منته وأحمد جميع
ما كان دره وأمر بالعود الى الحضرة بالرى

وكانت وفاة الاستاذ الرئيس بهمدان في صفر ليلة الخميس السادس من
سنة ستين وثلاثمائة فقدمه به الفضل اجمع وعمدت المحاسن التي ما اجتمعت
لتغيره في الاسلام^(١)

(١) قال صاحب التكملة : قال ابن الصابي : قيل ان ما أتفق به ابن العميد على ركن
الدولة ان ركن الدولة أراد أن يحدث بناء بالرى واختار له موضعا وكانت فيه شجرة
ذات استدارة عظيمة وعروق نازلة متشعبة فقد رلفها واخراج عروقها جملة كثيرة ولم

﴿ ذكر جملة من فضائل أبي الفضل ابن العميد وسيرته ﴾

كان هذا الرجل قد أدى من الفضائل والمحاسن ما بهر به أهل زمانه حتى أذعن له العدو وسلم الحسود ولم يزاحه أحد في المعاني التي اجتمعت له وصار كالشمس التي لا تخفى على أحد وكالبحر الذي يتحدث عنه بلا حرج ولم أر أحدا قط زادت مشاهدته على الخبر عنه غيره . فمن ذلك انه كان أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظا للغة والغريب وتوسعا في النحو والعروض واهتداء الى الاشتقاق والاستعارات وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام . ولقد حدثني أبو الحسن علي بن القاسم رحمه الله قال : كنت أروى أبي أبا القاسم القصائد الغريبة من دواوين القدماء لان الاستاذ الرئيس كان ^(٣٥٠) يستنشد اذا رآه وكان لا يخلو اذا انشده من رد عليه في تصحف أو لحن مما يذهب علينا فكان ذلك يشق عليّ وأحب ان تصح له قصيدة لا يعرفها الاستاذ الرئيس أو لا يرد عليه فيها شيئا فأعياني ذلك حتى وقع اليّ ديوان الكميّ وهو مكتر جدا فاخترت له ثلاث

يقع في نفسه أنها تستأصل استئصالا قاطبا فقال ابن العميد : أنا أدنى الامير هذه السكنة وأقطع هذه الشجرة بعروقها بأهون شيء وفي أقرب امد واقل عدد . فاستبعد ذلك وكن الدولة وقال من طريق الأزرار : افعل . فاستدعاجبالا واوتادا وسلك هذا المسلك المعروف في جر الثقل فلما رتب ما رتبته ولصب ما نصبه أقام نهرا قليلا حتى مدوا وضع ان يقف احد على جريان كثيرة من الشجرة بحسب ما قدره من وشوج اصولها ووشوج عروقها . ووقف ركن الدولة في وكيه ينظر فإراءهم الأزرار الأرض وانفاحا وانهلاب قطعة كبيرة منها وستوسط الشجرة منسلة بجميع عروقها فعجب ركن الدولة من ذلك واستظرفه واستظمه ونظر الي ابي الفضل بعين الجلالة . وهذا امر لا يعظم عند من يعرف للحيلة فيه والطريق المقصود اليه .

تصائد غريبة ظننت أنها ما وقعت الى الاستاذ الرئيس وحفظته اياها
وتوخيت الحضور معه فلما وقع بصره عليه قال : هات ابا القاسم أنشدني
شيأ مما حفظته بعدى . فابتدأ ينشده فلما استمر في قصيدة من هذه القصائد
قال له : قف فقد تركت من هذه القصيدة عدة أبيات . ثم أنشده اياها
نفجبت خجلة لم أخجل مثلها . ثم استزاد فالشده القصيدة الاخرى فأسقط
فيها كما أسقط في الاولى واستدركه عليه أيضا . قال : فعلمت ان الرجل بحر
لا ينزف ولا يؤتى ما عنده . فهذا ما حدثني به هذا الرجل وكان
أديبا كاتباً .

وأما ما شاهدته منذ مدة صحبتي اياه وكانت سبع سنين لازمته فيها ليلا
ونهارا انه ما أنشد شعر قط لم يحفظ ديوان صاحبه ولا غرّب عليه بشعر قديم
ولا محدث ممن يستحق ان يحفظ شعره ولقد سمعته ينشد دواوين قوم
مجهولين أتعجب من تعاطيه حفظ مثلها حتى سألته يوما وقلت : أيها
الاستاذ كيف تفرغ ^(٢٥١) زمانك لحفظ شعر هذا الرجل . فقال : وكانك
تظن أنى تكلف حفظ مثل هذا إنما يحفظ لي اذا مر بسمي مرة . وقد
صدق رحمه الله فاني كنت أنشده لنفسى الايات التي تبلغ عدتها ثلاثين
وأربعين فعيدها بعد ذلك مستحسنا وربما سألتني عنها ويستنشدني شيأ منها
فلا أتروم باعادة ثلاثة أبيات منتظمة على نسق حتى يدكرنها ويميدها .
وحدثني غير مرة انه كان في حداته يخاطر رفقاه والادباء الذين يعاشرهم
على حفظ الف بيت في يوم واحد وكان رحمه الله أثقل وزنا وأكثر قدرا
من أن يزيد فقلت له : كيف كان يتأتى لك ذلك . فقال . كانت لي شريطة
وهي أن يقترح على من شعر لم أسمع به الف بيت في يوم واحد يكتب

واحفظ منه عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين أعيدها وأبرأ من عهدتها . فقلت
وما معنى البراءة عن عهدتها . قال : لا أكلف اعاتها بعد ذلك . قال :
فكنت أنشدها مرة أو مرتين وأسلمها ثم اشتغل بفسرها حتى أفرغ من
الجميع في اليوم الواحد .

وأما كتابته فمعرفة من رسائله المدونة ومن كان مترسلاً لم يخف
عليه علو طبقته فيها وكذلك شعره الذي جد فيه وهزل فانه في أعلى
درجات الشعر وأرفع منازل . فأما تأويل القرآن وحفظه . شكله ومتشابهه
والمعرفة باختلاف فقهاء الامصار فكان منه في أرفع درجة^(٣٥٢) وأعلى
رتبة ثم اذا ترك هذه العلوم وأخذ في الهندسة والتعاليم فلم يكن يدانيه
فيها أحد . فأما المنطق وعلوم الفلسفة والاهليات منها خاصة فما جسر أحد
في زمانه ان يدعيها بحضرة الا أن يكون مستفيداً أو قاصداً قصد التعلم دون
المذاكرة . وقد رأيت بحضرة أبا الحسن العامري^(١) رحمه الله وكان ورد
من خراسان وقصد بغداد وعاد وعنده انه فيلسوف تام وقد شرح كتب
أرسطاطاليس وشاخ فيها فلما اطلع على علوم الاستاذ الرئيس وعرف اتساعه
فيها وتوقد خاطره وحسن حفظه للمسطور برك بين يديه واستأنف القراءة
عليه وكان يمد نفسه في منزلة من يصلح أن يتعلم منه فقرأ عليه عدة كتب
مستقلة فتمتحتها عليه ودرسه اياها

وكان الاستاذ الرئيس رضى الله عنه قليل الكلام نزر الحديث الا اذا
سئل ووجد من يفهم عنه فانه حينئذ ينشط فيسمع منه ما لا يوجد عند غيره

(١) هو محمد بن يوسف وفي ارشاد الاريب (١ : ٤١١) انه توفي سنة ٣٨١

فليراجع ايضا (٣ : ١٢٤)

مع عبارة فصيحة والفاظ متخيرة ومعان دقيقة لا يتجسس فيها ولا يتلتمس .
ثم رأيت بحضرة جماعة ممن يتوسل اليه بضروب من الآداب والعلوم فما
أحد منهم كان يمتنع من تعظيمه في ذلك الفن الذي قصده به واطلاق القول
بأنه لم ير مثله ولا ظن انه يخلق . وكان رحمه الله لحسن عشرته وطهارة^(٣٥٣)
أخلاقه ونزاهة نفسه اذا دخل اليه أديب أو عالم متفرد بفرن سكت له
وأصغى اليه واستحسن كل ما يسمعه منه استحسان من لا يعرف منه الا
قدر ما يفهم به ما يورد عليه حتى اذا طاوله وأنت الشهور والسنوات على
محاضرتيه واتفق له أن يسأله عن شيء أو يجري بحضرتيه نبت منه فرغب اليه
في اتسامه تدفق حينئذ بحره وجاش خاطره وبهت من كان عند نفسه انه
بارع في ذلك الفن والمعنى وما أكثر من خجل عنده من المعجبين بأنفسهم
ولسكن بعد أن يمد لهم في الميدان ويرخي من أعنتهم ويمسك عنهم مدة حتى
ينفذ ما عندهم ويجزل لهم العطاء عليه . فهذه كانت مرتبته في العلوم والآداب
المعروفة ثم كان يختص بفرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الخيل
التي يحتاج فيها اليها وأخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الفيزيائية وجر الثقيل
ومعرفة مراكز الأثقال وإخراج كثير مما استنع على القدماء من القوة الى
النفط وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون وحيل في
المرور مثل ذلك واتخاذ أسلحة عجيبة وسهام تنفذ أمداً بعيداً وتؤثر آثاراً
عظيمة ومرابي تحرق على مسافة بعيدة جداً ولطف كلف لم يسمع بمثله
ومعرفة بدقائق علم^(٣٥٤) التصاوير وتعاط له بديع ولقد رأيت يتناول من
جلسه الذي يخلو فيه بثقائه وأهل أنسته التفاحة وما يجري مجراها فيعبث بها
ساعة ثم يدحرجها وعليه صورة وجه قد خطها بظفره لو تعمد لها غيره

بالالات المدة وفي الايام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتي له مثلاً
فاذا حضر المارك وياشر الحروب فانما هو أسد في الشجاعة لا يصطلى
بناره ولا يدخل في غباره ولا يناويه قرن ولا يبارزه بطل مع نبات جاش
وحضور رأى وعلم بمواضع القرص وبصر بسياسة المساكر والجيوش
ومعرفة بمكايد الحروب

فاما اضطلاع بتدبير الممالك وعمارة البلاد واستفزاز الاموال فقد
دلت عليه رسائله ولا سيما رسالته الى أبي محمد ابن هندو^(١) التي يخبر فيها
باضطراب أمر فارس وسوء سياسة من تقدمه لها وما يجب ان يتلافى به حتى
تعود الى أحسن أحوالها فان هذه رسالة يتعلم منها صناعة الوزراء وكيف
تتلافى الممالك بمد تهاهي فسادها وما منعه من بسط العدل في ممالكه
وعمارة ما يدبره منها الا ان صاحبه ركن الدولة مع فضله على أقرانه من
الديلم كان على طريقة الجند المتغلبين بتغم ما يتعجل له ولا يري النظر في
عواقب أمره وعواقب أمور رعيته وكان يفسح لجنده وعسكره على طريق
مداراتهم ما لا يمكن أحداً^(٢) تلافيه وردم عنه وكان مضطراً الى فعل ذلك
لانه لم يكن من أهل بيت الملك ولا كانت له بين الديلم حشمة من يمثل
جميع أمره وانما يرأس عليهم بساحة كثيرة كانت فيه ومساعدة في أشياء
لا يحتملها أمير عن أمور وهذه سيرة اذا عودها الجند لم يمكن ان يفظموا
عنها بل تزداد على الايام وتهدى حتى ينتهي الى ما انتهى اليه جند عصرنا
من نسجهم على الملوك واقتراحهم ما لا يفي به دخل المملكة وخروجهم في
سوء الادب الى ما يخرج اليه السباع التي تضراً ولا تقل الادب

(١) هو علي بن الحسين وكنيته أبو الفرج وترجمته في ارشاد الارباب ٥ : ١٦٨

ثم كان الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله مع هذه السيرة قد دلرى
 بجنده ورعيته وصاحبه مداراة لو ادعى له فيها المعجزة لاشتبه على قوم وذلك
 انه لما استوزر لركن الدولة كان تقدمه قوم عجزوا وباشروا مع عجزهم أموراً
 مضطربة وخذاء متحكمين والدنيا في أيديهم يملكونها كيف شاؤوا لا ينعمهم
 أحد منها وإنما أميرهم يسمى بالامرة ما دام يستجيب لهم الى اقتراحاتهم
 ومتى خالفهم استبدلوا به. وكان ركن الدولة وقبله عماد الدولة يوسفان عليهم
 في الاقطاعات ويبدلان لهم من الرغائب ما لا يقي لهم معها حجة ولا وضع
 طلبه وهم مع ذلك يتحكمون ويسيطون أيديهم ويطمعون فيما لا مطمع فيه
 وكان قسارى الوزير والمدير ان يقيم^(٣٥٦) كل يوم وجهاً لنفقة الامير يومه
 ذلك من مصادرة العسامة أو قرض من الخاصة أو حيلة على من يتهم بيسار
 كائناً من كان وربما تعذر عليهم قضم الكراع يوماً ويومين فاما نققات
 الخشم وجراياتهم وما يقيم ارماتهم فكانت تمحل وربما امتنع عليهم اقلتها
 آيما ومع ذلك فان هؤلاء المديرين كانوا لا يتمكدون من الفكر في وجوه
 الخيل لكثرة من يزدحم عليهم من الجند أعنى الديلم والأتراك وخاصة من
 يطالبهم بالمحالات فيهربون منهم ويتواعدون من الليل الى مواضع غامضة
 يجتمعون فيها وربما خرجوا الى الصحراء ويجتمعون على ظهور دوابهم
 ويثنون أرجلهم على أعناقها بقدر ما يدبرون الرأي في وجه الحيلة واقامة وظيفة
 ذلك اليوم فاذا تم لهم ذلك فبوعيدهم ونشاطهم وغاية كفايتهم في صناعتهم .
 فلما تولى الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله وزارة الامير ركن الدولة استقام
 الامر حتى رأيناه يركب الى ديوانه من دار السلطان ولا يلتقاء غير خاص
 كتابه ثم يلتقى صاحبه فلا يدور بينهما الا عوارض المهم الذي لا تخلوا من مثله

ملك ووزير وضبط أعماله ونظم أموره ورتب أسباب خدمته حتى كان أكثر نهاره مشغولاً بالعلم وأهله . وبسط عدله وأقام هيئته في صدور الجند والرعية حتى كان يكفيه رفع الطرف إلى أحدهم على طريق الإنكار^(٣٥٧) فترعد الفرائض وتضطرب الاعضاء وتستترخي المفاصل وقد شاهدت من ذلك مواقف كثيرة لو شرحتها لاطلت هذا الفصل اطالة تخرج عن غرض الكتاب . ولولا ان صاحبه كان لا يستجيب إلى عمارة نواحيه كما حكيت في أول هذا الجزء خوفاً من اخراج درهم واحد من الخزانة ويقع بارتفاع ما يحصل للوقت ويرى ان دولته مقرونة بدولة الأكراد فلذلك لا يمنهم من الميث ولا يطلق يد حماة الاطراف في قصدهم ويرضى ان يقال له « قطعت القافلة وسيقت المواشي » فيقول « لان هؤلاء أيضاً [يعني الأكراد] يحتاجون إلى القوت » ولقد قيل مرة ان الأكراد وقعوا على بنغال له خرجت للملوفة فساقوها وذلك بالقرب من البلد وبميت يلحقون ان طلبوا فقال في الجواب : كم كانت البنغال . فقيل : ستة . فقال : وكم كانت عدة الأكراد . فقيل : سبعة . فقال : سبعة بينهم الخلاف كان يجب ان تكون البنغال سبعة بمددكم . فاذا كان هذا رأيه في الإنكار على أهل الميث وذلك رأيه في توفير المهارات واستنزار الاموال فسا حيلة وزيره ومدبره . فتأمل هذه الصورة وانظر إلى سيرة ملك قد عود وزراءه هذه العادات ورضى منهم بما تقدمت حكايته من تمشية^(٣٥٨) أمره يوماً بيوم

ثم آتت الحال إلى النظام الذي ذكرته واطردت الامور اطرادها المشهور الذي ديره الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله أي كفاية كانت له وأي سياسة مشتمت بين يديه ولنسكته رحمه الله لما حصل بفارس علم عضواً

الدولة وجوه التدابير السديدة وما تقوم به الممالك وصناعة الملك التي هي صناعة الصناعات واقته ذلك تلقينا فصادف منه متعلما لقما وتلميذا فهما حتى سمع من عضد الدولة مرارا كثيرة ان أبا الفضل ابن العميد كان أستاذا وكان لا يذكره في حياته الا بالاستاذ الرئيس وربما قال الاستاذ ولم يقل معه الرئيس ولا يحفظ عليه انه ذكره قط بعد موته الا بالاستاذ وكان يمتد له بجميع ما يتم من تدبيره وسياسته ويرى ان جميع ذلك مستفاد منه ومأخوذ عن رأيه وعلوه . ولعلنا نذكر منه طرفا اذا انتهينا الى سيرة عضد الدولة وما تم له من حيازة المالك وحفظ الاطراف وقمع الاعداء والحرص على العمارة مع الشدة على المريب واطفاء نائرة الاكراد والاعراب واعادة الملك الى ربه - ومه التديعة ان أخر الله في الاجل . ولعل من يطالع على هذا الفصل من كتابنا ممن لم يشاهده يظن انا أعرفناه شهادة أو ادعينا له أكثر من قدر علوه ^(٣٥٩) ومبالغ فضله لا والذي أنطقنا بالحق وأخذ علينا الا نقول الا به .

﴿ ودخلت سنة ستين وثلاثمائة ﴾

وفي هذه السنة رأى بختيار ورثي له ان يعقد بين رؤساء الاتراك ورؤساء الديلم مصاهرات اتزول العداوات التي نشأت بينهم فابتدىء بعقد مصاهرة بين المرزبان بن عز الدولة وبين بختكين المعروف بأزادويه مولى ممز الدولة وثنى بمصاهرة بين سالار بن عز الدولة وبين بكتجور مولى ممز الدولة وفعل مثل ذلك بجماعة وأصلح بين الديلم والاتراك واستحاف كل فريق منهم ما صاحبه خلفوا جميعا على . والاول عز الدولة بختيار بن ممز الدولة وسبكتكين الحاجب وحلف بختيار لسبكتكين الحاجب

وسبكتكين لبختيار بعد وحشة كانت بينهما فزال الظاهر ولم يزل الباطن .
ثم غلبت علة الفالج على المطيع لله ^(١) فتقل لسانه وجانبه الايمن وذلك في
يوم السبت لليلة خلت من صفر سنة ٣٦٠ ثم تماثل وتماسك وعاش على هذه
الحال الى الوقت الذي سلم فيه الامر الى أمير المؤمنين الطائع لله

وفي هذه السنة ورد حاجب ^(٢) لابى تغلب ابن حمدان وهو
عدة الدولة فمقد مصاهرة بين أبي تغلب بأحدى بناته وبين عز الدولة بختيار
على صداق مائة الف دينار وجدد على أبي تغلب عمده ^(٣٦٠) أعماله لاربعم
سنين حساب كل سنة ستة آلاف الف درهم ومائتا الف درهم وأقذت
اليه الخلع

وفي هذه السنة كانت وزارة أبي الفضل العباس بن الحسين الثانية
لعز الدولة والقبض على أبي الفرج محمد بن العباس

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

قد كنا ذكرنا فيما تقدم ان عز الدولة كتب الى آازدويه بالقبض على أبي

(١) وفي الاصل : على سبكتكين . وهو غلط واضح قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي

أول صفر لاق المطيع لله سكتة آل الامر فيها الى استرخاه جانبه الايمن ومثل لسانه

(٢) قال صاحب التتمكة : وفي شهر ربيع الاول وصل أبو الحسن على بن عمرو

ابن ميمون وقد ثبتت وكانته عند القاضي أبي محمد ابن معروف من أبي تغلب وتزوج له

بنت عز الدولة وسها ثلاث سنين على صداق مائة الف دينار وكفى الخليفة أبا تغلب

وجدد له ضمان الموصل وسار أعماله بديار ربيعة ومضر في كل سنة بالف الف ومائتي

الف درهم ووصل ابن عمرو الي المطيع لله مع أبي عمر محمد بن فسأنجس الخازن حتى

سلم اليه الخلع لصاحبه والسيف . والراجح ان الخازن المذكور هو أبو محمد على كما

قدم ذكره .

الفرج ومن معه في يوم وصولهم الي الاهواز وانه كتب أيضاً الي أبي قررة
بمثل ذلك وانه قبض على أبي محمد الخازن أخي أبي الفرج في مجلسه وكان
يحضره للمنادمة وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وخلع عليه
للوزارة وذلك يوم الثلاثاء آخر ليلة بقيت من رجب سنة ٣٦٠ . فلما تمكن
من الوزارة لم تكن له همة الا استصلاح سبكتكين وعول عليه وعلى كاتبه
أبي عمرو ابن أدى وصاحبه أبي بكر محمد بن عبد الله الاصبهاني وتقرب اليه
في مظاهرة أبي قررة ومساعدته . وقلد أخاه الحسن بن محمد الفئاض خزانة
عز الدولة مضافا الي ما كان يتولاه من خلافة أخيه أبي قررة على الدواوين
وقلد أبنا أحمد ابن حفص ديوانا كانت تجري فيه نواحٍ اختصها بختيار
لنفسه وسماه ديوان الخالص وكتب الي أبي قررة يستدعيه من الاهواز الي
الحضرة وأمر بانفاذ أبي الفرج محمد بن العباس^(٣٦١) الي البصرة موكلا به .
فورد أبو قررة بغداد ومعه أسباب أبي الفرج المقبوض عليهم فبلغ الوزير
أبو الفضل في اكرامه كل مبلغ وعظمه وتجددت بينهما معاهدة ومحالفة بامر
عز الدولة وسبكتكين اياهما واتفقت كلمة الجماعة

ثم نظر الوزير أبو الفضل في أمره وزيادة خرجه على دخله وقلبه ظهر آ
لبطن فلم يروجا عمير اطماع عز الدولة في أوال عمران فخره عليه وقرب
عليه أمره واتفق ورود أبي قررة وقدمت العزيمة . فشخص بختيار متقدما
وسار في الجانب الغربي على الظهر والوزير أبو الفضل وأبو قررة انحدرا
في الماء واجتمعت الجماعة بواسط وذلك في شوال سنة ٣٦٠

وفي هذه السنة ارتفع امر ابن بقرية مع عز الدولة وعلا شأنه حتى بلغ
الزيادة كما سنحكه باذن الله

﴿ ذكر ارتفاع ابن بقية ﴾

كان هذا الرجل من القرية المعروفة ياوانا وكان أبوه مزارعا وجدّه بقية واليه كان ينتسب ونشأ في أيام الفتنة وغلبه أهل الرستاق على طريق دجلة العليا ودخل في غمارهم وأنتسب الى بعض عياريمهم وكان جرى رسمه بتقلد المآصير . واتفق له ان اتصل بصاحب مطبخ معز الدولة المعروف بممله وكان ضامنا لتكريت^(٣٦٢) وما يجري معها من المآصير العليا وأبواب المال فلما خدم ممله توجه معه وخف على قلبه فتدرج من حال الى حال حتى استعمله على هذه الاعمال كلها وفوضها اليه وكان فيه سماحة نفس وخفة مع اقدام وتهور استفادهما من الحال التي نشأ عليها . واتفق على ممله اتفاق سيء من عال اتصلت به واعراض من معز الدولة عنه فشرع أبو طاهر ابن بقية في ضمان أعماله وعنى به جماعة من الكتاب لاجل ما كان يبذله لهم فعمدت الامل عليه الا انه لم ينفق على معز الدولة ولا وثق به على مطبخه فقلده غيره^(٣٦٣) ووفى بمال ضمانه وأقبلت حاله تنزايد وصدره يتسع للبذل حتى غلب على الوزير أبي الفضل وقرب منه وتعلق منه بعناية . وتوفى معز الدولة فذفق على عز الدولة بخيار وبذل له مرفقا يوصله اليه مما ينظر فيه فقبل

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان يخدم في مطبخ معز الدولة حتى خدم أبا الفضل الشبرازي وكان واسع النفس وكانت وظيفته في كل يوم الف رطل ثلجا وفي كل شهر أربعة آلاف مناشما وكان يفعل كما تفعل وزراء الخلفاء من الجلوس في الدسوت الكاملة ويضع وراءه مجلسه أساطين الشمع وبين يديه عدة آتوار فيها الموكيات والثلاثيات وفي كل مجلس من الدار تورقيه ثلاثية وان كان للمكان خائبا وفي أيدي الفراشين الموكيات بين يديه من يدخل ويخرج وفي الشتاء يترك بين يديه كواكب الفحم فيها حجر الغضا ويترك عليه اقطاع الشمع فكان يشتمل أحسن اشتمال

بختيار: ذلك وردت اليه الوكالة وتلد المنيخ فبلغ بالمرنق الذي بذله لاختيار
عشرة الاف درهم في كل شهر واشترط أن ينصره على الكتاب وأصحاب
الدواوين ومنهم من الاستقضاء عليه ويشد على يده في استيقاء أموال
تسبيباته من الوكالة فوفى له وكان يحمل اليه هذا المرفق الذي ذكرته . شاهرة
ثم أنس به في خلواته ومجالس لهود وانبسط اليه بانواع من المزاح^(٣٦٣) كان
يستعملها في مجالسه مع ندمائه فاطف . وقه . ودخل . م . كل مدخل . ثم صار
يهديه بالخيال والبغمال والجوارح والالطاف والجواري والامبيد ودخل
في جلالة الز فعرض جاهه . عنده حتى صار يتوسط بيده وبين كل رافع
ظلامه وطالب حاجة فلما أفضت هذه الوزارة الثانية التي نحن في ذكرها
الى أبي الفضل كان ابن بنية قد استولى غاية الاستيلاء . وصار في مثل منزلة
شيرزاد اختصاصا ومنزلة وغاية على أمره واحتاج الوزير أبو الفضل اليه
ليحفظ غيبه وانحدرت الجماعة الى واسط لحرب عمران

واستدعى الوزير أبو الفضل أبا الفرج محمد بن العباس الى واسط
وكان معتقلا بالبصرة وأخذ خطه بمال عظيم لا ينهض به وأنقذه الى بغداد
ليصحه هناك وكذلك فعل بأخيه أبي محمد فجري عليهما ببغداد أمر قبيح
يجري مجرى التشفي من غير ضرب ولا مكروه في الجسم بل بضروب من
الاستخفاف والاهانة والاسماع فقم لهما الحرب واستترا عند بعض أسباب
سبكتكين . فمادت الوحشة بين أبي الفضل وبين سبكتكين وأنهم بأنه يسفر
له في العود الى الوزارة والجاته الحال الى مطابفة عز الدولة بختيار باليمن
العموس على الا يستوزره أبداً ولا يستعين به في شيء من الاعمال إن لم
يظهر بعد شهر من تاريخ اليمن^(٣٦٤) فحاف له عز الدولة بحضرة القواد

والقضاة والشهود ووجوه الخاشية وكان في اليمين كل ما يكون في أيمان البيعة ولقنه بنفسه حرفا حرفا وبقي الامر كذلك وأبو الفرج مستر الى أن عاد عز الدولة الى بغداد بعد سنتين وأخذ له ولاخيه امان فظهرا بعناية سبكتكين . وضمف أمر الوزير أبي الفضل وضعفت مئنته وتآدى أمره الى النكبة التي هلك فيها ووفى بختيار باليعين وقلد أبا طاهر ابن ببيعة الوزارة فكف عن أبي الفرج لانه علم انه لا يستوزر ولا يشرع في شيء من فساد حاله ونفى أخاه أبا محمد الى واسط وأجرى عليه رزقا . ثم ان أبا محمد أضعده الى بغداد بغير أمره وذلك لارجاف ارجف عنده بالقبض على ابن ببيعة فاعتناظ لذلك وقبض عليه وتفاء الى البطيحة فحصل عند عمران مدة ثم أضعده سرا واستتر ببغداد في عرض الفتن التي كانت تجري ثم تمكن ابن ببيعة منه ومن أخيه وطالبهما ثم تفاء ونفى أبا الفرج الى سر من راي واعتقلها بها

﴿ ذكر ما انتهى اليه أمر أبي قررة بعد حصوله بواسط ﴾

(وقوة أمره وعناية سبكتكين وأصحابه به)

لما أنس أهل واسط بقرب عز الدولة منهم وطال مقامه بينهم تظلموا اليه سرا ولقيه نفر منهم فاعلموه انه قد أخرج بلادهم وأفقرهم وظلمهم وغشهم وصادرهم وملك عليهم ضياعهم وأنه استحل منهم ما حرمه الله وصححوا عنده سعة حاله وكثرة ماله وجلالة ضياعه فاستعظم بختيار ذلك وغاظه فعلمه وتمكنه من الزعم الكبيرة حتى أزالها واستبد بها فعرفه عن واسط وتقدم الى ابن ببيعة أن ينظر فيما على سبيل الامانة . فلتمه أبو قررة الوزير أبا الفضل بأنه عن رأيه ومساعدته ولم يكن كما ظن فكذب الى

سبكتكين الحاجب يعرفه ماجرى ويحرضه على أبي الفضل ويعلمه انه فد حنت في يمينه وعقوده التي بينهما وعاد الى أسوأ فعله واعتقاده . ثم عطف أبو قررة على أبي طاهر ابن بقية فخاطبه بكل ما كره وتوعده وهدده بالنكبة وطلبه بالحسابات لما يجرى على يده دخلا وخرجا فاستطال عليه ابن بقية واتصف منه ونصره بخيار فانخزل أبو قررة . واتصل بسهل بن بشر النصراني كاتب بختكين آذرويه وهو بالاهواز ماجرى على أبي قررة وضعف أمره وكانت بينهما عداوة قديمة فكتب الى بختيار يضمه بمال عظيم وساعده ابن بقية قبض على أبي قررة وأسبابه واستبيح ماله وقبضت ضياعه وغلاته فسارع الى التزام مصادرة ثقيلة عن نفسه واسبابه وبذل بعد ذلك أموالا عظيمة يثيرها من محاسبات الضمنا واستمال ابن بقية وعاهده على أن يكون كل ^(٣٦٦) واحد منهما ناصرا لصاحبه . ثم ان بختيار مال الى ما بذله أبو قررة فامر بأن يخلع عليه ولم يكره الوزير أبو الفضل ذلك لتزول التهمة التي سبقت الى سبكتكين في أمره

﴿ ذكر السبب في انتقاض أمر أبي قررة بعد تماسكه ﴾
(وبعد اشرافه على الخلاص من النكبة)

كانت الخلع أحضرت ليايسها ففكره المنجدون له الوقت واثاروا عليه بالتوقف إيجاز له يوم فرود للوقت غلام لسهل بن بشر على البريد برسالة منه ومن بختكين آذرويه صاحبه إستلان تسليم أبي قررة اليه بزيادة بذلها وضمه بها وصادف ذلك خوف الناس من عوده بعد سماعتهم به وأنه عدو لهم يستأصلهم فدموا الى ابن بقية به حتي أشار على عز الدولة بتسليمه الى

سهل بن بشر وعرفه انه انما ضمن تلك الاموال حيلة في الخلاص والعود الى التعزز عليه بسببته كين فسلمه الى رسل سهل بن بشر وحمل من بيته الى الاهواز وصور هناك وتشفى منه وتلف في أنواع المسكاره التي جرت عليه^(١) وقلد ديوانه أبو احمد ابن حفص^(٢) ثم أفضت الوزارة الى ابن بنية فضغت يده وقل نظره لاستيلاء ابن بنية على المملكة فلم يبق من هذا الديوان الا الاسم

وفي هذه السنة قتل حمدان أخاه أبا البركات

﴿ ذكر السبب في ذلك والاتفاق الحادث ﴾

﴿ عن قصد وغير قصد^(٣٦٧) ﴾

كنا ذكرنا ورود حمدان ورجوعه الى الرحبة وتمام الصلح بينه وبين أخيه أبي تغلب ولم يلبث الامر بينهما ان عاد الى فساد فاتفق أبو تغلب أخاه المسكني بابي البركات اليه حتى دفعه عن الرحبة فسلك طريق البرية يريد دمشق وملك أبو البركات الرحبة تخلف بها طائفة من جيشه مع غلام من غلمانه وعامل من عماله ورحل منصرفا

واتى حمدان الى بعض طريق البرية ولحمته وأصحابه عطش ولم يمكنه الا تمام فرجع مخاطرا بنفسه ووصل الى باب الرحبة ليلا والقوم الذين فيها غافلون نيام ونهبا لنفر من غلمانه ان دخلوا البلد من ثلعة في السور غامضة كانوا

(١) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة قبض على أبي قره بالجمدة وحمل الى جنديسابور فمات تحت المطالبة وكان قد نقل القبة التي على قبر الوزير القاسم بن عبيد الله وهي قبة مشهورة بالثوم ونصبها على مجاس في ناره وكان القاسم قد تقوي في ثملها فدفن تحتها حين تمت (٢) هو محمد . كذا في التكملة

(٣٧ - تجارب (س))

يهتدون اليها وفتحوا له باب الرحبة فدخلها واسترواها السور وضرب
بالبوق فنادى القوم الى الباب منتظمين متفرقين واپس يعلون بحصول حمدان
من داخله فكان يوقع بهم أولا وأولا وأسر عاملي الخراج والمعونة ووجد
في أيديهم غلات قد وردت في السفن فغنمها وغنم سوادهم وآلاتهم وسلاحهم
وكراعهم وصادرهم وأصعد على الفرات في الجانب الشامي الى قرقيسيا .
وانصل خبره بابي البركات وهو سائر الى الموصل فعطف عليه وحازاه من
الجانب الجزرى وتخطبا وتراسلا فلم يتم بينهما صلح ولا اتفاق ولم يمكن أبا
البركات ^(٣٦٨) المقام لضيق الميرة على عسكره فرجع يريد الخابور . فاتفق أن
صار الى حمدان مائتا فارس من بنى نعيم مستأمنة وكانت عدته ثلثمائة غلام
فصار في خمسمائة فارس فتبعت نفسه العبور في أثر أخيه والتصملك على عسكر
وكان فيه جرأة واقدام مخاطر وعبر في جريدة خيل وسار حتى أنزله
بمنزل يقال له ماكسين وهو راحل مجناز فنزل منه على فرسخين وبكر في
الفس فزحف اليه فصادفه قد سبق بسواده وبعض جيشه وهو ماض على
غير استمداد لانه لم يقع في ظنه أن حمدان يقدم عليه مع التفاوت بين عدتيهما .
فلما قيل له انه قد وافى عطف اليه في طائفة من الرجال ليتلاحق به الباقون
فبث حمدان أوائلك العرب في الاغارة على سواده ومنع العسكر ان ينتظم
شمله وحقق على أبي البركات في الحملة مع غلمانة فوجده متسرعا في أول
الناس فاجتمعا تصادمين وعرف كل واحد منهما صاحبه فتضاربا بالسيوف
ولم تكن على أبي البركات جنة فضر به حمدان على رأسه فسقط الى الارض
وأخذه أسيرا وبه رمق . واستباح سواده واستأمن اليه جماعة من أصحابه
وأسر جماعة وقتل بعض الاسارى . واستبقى البعض وانكفأ الى قرقيسيا

ليعالج أخاه من ضربته وظن انه ينجو فلف بعد ثلاث^(١) فانقذه في
تابوت الى الموصل واستحكمت المداوة بينه وبين أخيه أبي تغلب^(٢)

واختلف باقي الاخوة وتخاذلوا وتنافسوا وكانوا متفرقين في أعمالهم
فبلغ أبا تغلب أن محمداً من بينهم المكنى أبا الفوارس وكان يتولى نصيبين قد
كاتب حمدان وعمل على المالحاق به والاجتماع معه عليه فاحتال عليه واستطاع
وأداعه في الاحسان والزيادة فاعتز محمد وصار اليه قبض عليه واعتقه في
قلعة أردمشت وضيق عليه هناك وثقله بالحديد حتى أطلقه عضد الدولة لما
ملك تلك الديار^(٣) وكنت مندوباً لنقل ما في تلك القلعة من الذخائر مأموناً
على ما فيها فجرى ما سأذكره اذا اتيت اليه .

واستوحش باقي أخوة أبي تغلب لما جرى على أخيه محمد وأقبل أبو
تغلب يستميلهم فخدعهم واحداً واحداً فصاروا اليه بعد أحوال تتقلب بهم
بنوى أبي طاهر ابراهيم فإنه لم يسكن اليه ورحل الى بغداد مستأمناً الى
عز الدولة بختيار على طريق دجلة . وسار أبو تغلب الى قرقيسيا وأخذ منها أخاه
أبا القاسم هبة الله سرية في جيش كشيء الى الرجة تقديراً أن يكبس أخاه
ويأخذه اسيراً فما أحسن به حتى أطل عليه فخرج هاربا واتبعه ابنه وطائفة

(١) قال صاحب التكملة : واعتذر حمدان بأنه دفع عن نفسه بقتله فقال أبو تغلب :
والله لالحنه به ولو ذهب ملكي . ولما عرف هبة الله بن ناصر الدولة ما جرى على
أبي الفوارس ثار به المرار وأنكر فعل أبي تغلب . وكتب الحسين بن ناصر الدولة الى
أخيه أبي تغلب وهو صاحب المدينة يقول : ان ابنه قد وفق الامير في أماله ونحن
وان كنا أخوة فتحن عييد ولو أمرني بالقض عليه لقات . وقال أبو تغلب : هذا كتاب
من يريد أن يسلم

(٢) وقصة اطلاقه من القلعة موجودة في الفرع جد الشدة ١ : ١٣٦

من غلمانة ولحقه هبة الله فابق عليه حتى نجا . ثم وقعت ^(٣٧٠) عليه سرية
للقرامطة كانت سائرة الى الشام لقتال صاحب المغرب فارادوا الايقاع به
فتعرف اليهم وكان متلقيا بينهم بدمام فكفوا له وبذلوا له من نفوسهم ما
أحبه فسألهم أن يسبر معه ثغر منهم الى طريق عانة فقبلوا وعدل الى مدينة
السلام فاستقر الاخوان بها في ذى الحجة سنة ٣٦٠ وكتب بخيار اليهما
بالانحدار اليه الى واسط فانحدرا ووصلا اليه في صفر سنة ٣٦١ وتلقاهما
واكرههما ^(١) وأمر بحمل انزال كثيرة اليهما وردهما الى بغداد بعد أن حمل
الى كل واحد عند رحيلهما هدايا كثيرة من الثياب والورق والطيب والدواب
والبنغال. والمراتب . وسندكر ما انتهت اليه أحوالهما بعد ذلك ان شاء الله

﴿ ذكر تدبير دبره الوزير أبو الفضل على سبكتكين ﴾

(لما استوحش منه فأنكس عليه)

قد قلنا ان أبا الفضل أتهم سبكتكين بأنه ستر أبا الفرج وأبا محمد وحامي
عليهما وأنه يريد ان يسعي لآبى الفرج في الوزارة وكان سبكتكين أتهم أبا
الفضل بأنه دبر علي أبي قررة حتى قتل بعد ذلك بالمذاب الطويل فشرع أبو
الفضل في استصلاح سبكتكين بكل وجه وحيلة فلم يجد الى ذلك سبيلا فصبر
حينئذ على عداوته وأخذ في التدبير عليه . فكان من ذلك ان اشار على بخيار
بان يستدعي آزاد رويه من الاهواز ويزيد في حاله ومجمله ويقومه كالضد
لسبكتكين لينجذب الاتراك ^(٣٧١) الى هذا ويفلهم عن ذلك فقبل بخيار بما
أشار به عليه . وورد بختكين واسطا فمظلم أتم تعظيم وفخم أمره أشد تفخيم

(١) زاد صاحب التكملة . وأنزل حمدان دار أبي قررة وأنزل أبا طاهر ابراهيم

في دار أبي العباس ابن عروة

وعقدت عليه واسط مضافة الى الاهواز فلم يتم ما قدر من اقتضاض الاراك
 عن سبكتكين وذلك أنهم تديبوا على المقصد وعلّموا أنه إنما دبر على تفريق
 شملهم وايقاع التنافر بينهم وكانوا قد تحالفوا على المعاضدة والايترقوا .
 واشفق بختكين آراذويه من أن يعتزلهم وينفرد عنهم فصار واحداً منهم
 فلانعكس تديير الوزير أبي الفضل وانخطر الى العود الى بابه والنزول تحت
 حكمه وطلب سامه بمسد ممانيات ومراسلات . ولما عاد بختيار الى بغداد
 زاد في منزلة سبكتكين وأمر بان يخاطب بالاسفسلار وتموهت الوحشة
 واندرجت على غير وثيقة . ولما عزم بختيار والوزير على الاصعاد عن واسط
 قدما أباطاهر ابن بقیة الى سبكتكين ليصلح ما أشعث بينه وبين الوزير
 أبي الفضل ويمتعيد له جميل رأيه فجرى الامر أيضا في ذلك على تقاق
 ووحشة في السر واندمل الجرح على فساد الى أن تم على الوزير الصرف
 والنكبة واتصل بقتله وبادته

وفي هذه السنة هلك أبو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصر
 وكل من اتصل به وعفت آثارهم وزالت نعمهم ولم يبق منهم على وجه الارض
 نافخ ضربة (٣٧٢)

﴿ ذكر السبب في اجتياح الزمان له ولهم ﴾

كان هذا الرجل فيه شهامة وكفاية وتهور مع ذلك ومخاطرة ولما
 حصل بختيار بواسط أكثر الناس من حديثه وما وصل اليه من الاموال حتى
 اتسمت فيه الظنون . وكان الوزير أبو الفضل يعلم ان ذلك باطل وليس
 يجب أن يفسد نظام أمور البصرة بصرفه والطمع في يسير ماله وكانت
 البصرة متسدلة الحال مستقيمة الامور . فلأغرى بختيار بالمصير الى البصرة

وأقيم في نفسه انه يصل منها الى مال كثير ولم يكن وراءها فساد اليها ولم يجد بها ما كان مولما به من المتصيدات ولا تمكنت البزاة والجوارح من الصيد لكثرة نخلمها وشجرها ولا لطفه هذا العامل بالهدايا والتحف وواقفه على صرقي يرفقه به ومشاهرة يقيمها له وتجاوز ذلك الى أن ضمن له ائارة مال من البصرة على طريق التأويلات على التجار والماملين وأراد بذلك الدفع عن نفسه . ووافى الوزير أبو الفضل البصرة بعد أن رتب عساكره على طفوف البطيحة لان المد وافي وكثر فلم يمكن طلب عمران بن شاهين واحتيج الى الانتظار الى وقت التقصان فامر به بختيار بالخلع على أبي طاهر المامل وتقبل ما بذله له . ولم يستطب البصرة لعدم الصيد الذي ذكرته فعاد الى واسط ووصى الوزير بتقوية يد المامل وزيادة في بسطه^(٢٧٣) والرفع منه فاضطر الوزير الى امتثال ما رسم له وهو لا يختاره ولا يستصوبه . فبسط أبو طاهر المامل يده في القبض على التجار والعوام وتأول عليهم بالمحال واستخرج منهم أموالا كثيرة وظن أنه قد تمسك من بختيار بعهد يثق به وأنه من يعتمد على قوله وذمامه وحدث نفسه بمنزلة أبي قره وان يرتقى منها الى منزلة الوزارة فساء رأي الوزير أبي الفضل فيه وأخذ في التدبير عليه والسمي على دمه فكاتب الى بختيار يرفعه انه قد أخرج البصرة وأفسد نيات أهلها وانهم عيب لا يحملون ما يحملونه غيرهم وبزعم ان أموالهم الآن قد حصت والحواب يقتضى ارضاءهم بالقبض على هذا العامل والاستبدال به ومصادرتة على مال ينضاف الى مصادرتهم ثم دس الى عز الدولة من يغريه به ويعظم عليه جناياته ويظلمه في ماله الى أن أمر بالقبض عليه فقبض الوزير عليه وعلى أخيه والمصلين به حتى زوجته وعياله وأقاربه وأسبابه كماهم وعقد

البصرة على علي بن الحسين المعروف بأبي القاسم المشرف وسلمه اليه اعداوة كان يعرفه بينهما وأخذ خطه بان يستخرج منه ومن أسبابه مالا عظيما وأصعد عن البصرة لاستتمام منازلة عمران بن شاهين . وكان هذا العامل (أعني أباطاهر) من أهل الشر فكثير خصماؤه^(٣٧٤) وطلاب الطوائف عنده ففسفه على بن الحسين وسلمه الي مستخرج كان قد وره فنالته منه مكاره عظيمة خاف معها ان يسلم فيكون بواره على يده فأتى على نفسه ثم ألحق به أخاه وأقاربه وزوجته فاتفق الجماعة بأسرها وعنى آثارها . ثم عطف على بن الحسين على معامليه ومخاطبيه وقوم تأول عليهم فصادرهم لصحة المال الذي ضمنه فاصح له من جميع الجهات الا البعض وانكسر الباقي وانجحت آثار أبي طاهر من الارض فلم يبق له بقية

﴿ ذكر سوء تدبير بختيار لامر عمران منذ انحدر من ﴾

﴿ بغداد الى أن خرج عائداً اليها وماتم لعمران ﴾

(من الطمع فيه والاستظهار عليه)

كان بختيار لما خرج عن بغداد لمحاربة عمران أظهر أنه يريد الخروج الي التبصير بناحية النعمانية مغالطة لعمران وظن أنه يرهقه عن التجز منه والاستعداد له . وقد فعل الملوك مثل هذا ولكن مع اتمام العزائم والصبر على مطاولة العدو بالكايد التي تشبه هذا الابتداء لا بان يكون مبدأ التدبير صوابا يشبه الآراء الوثيقة ثم يتبعه باللعب والاشتغال عنه بالعبث وبترك الاستظهار واهمال الجند حتى تحرق المدينة وتزول الحشدة ويظهر للمعدو عصيان الجند وقلة النظر في الحرب والتحويل على الجدد دون الجدد حتى يظلم

على الحيرة والتبذد ومكان^(٣٧٥) العورة والضرورة الداعية الى مقارنته في طلب الصلح منه والجنوح الي السلم بمد النزاع الى الحرب فان بختيار عمل في المبدء ذلك العمل الواحد ثم اتبعه بجميع ما ذكرته وذلك انه استتاب التصيد الذي أظهره مكيدة لعدوه وأقام بالذمائية شهرا مع عساكره التي علم معها عمران ان قصده بهم اياه^(١) لاغيره . ثم أمر وزيره أبا الفضل ان ينحدر الى الجامدة وطفوف البطيحة وبنى أمره معه على ان يسد أفواه الانهار ومجارى المياه الى البطيحة ويمد بها الى غيره وان يبنى مسناة عظيمة يمكن سلوك الديلم عليها مشياً الى معقله وهذا ضد ما بنى عليه أمره في الابتداء ولا يشبه الحيلة التي تؤدي الى ارهاق العدو ومنعه من التفكير فان الهجوم والسكس والبيات يتم بالمعاجلة والركض الى الغاية دون التمثل والاخذ والتدابير البعيدة والاعمال الطويلة

فما طالت المدة في عمل هذه السدود وجرت في اضمافها وقائع لحقت المدود وغلب الماء والسيل علاج السكور فاحتيج الى الامساك عنها والانصراف عن اتقانها الى حفظ ما عمل منها بالرجال حتى لا يفسدها العدو لاسيما وعمران يتدرب بذلك قد اعتاد في جميع حروبه ان يمسك عن عدوه حتى ينفق ماله ويكد رجاله فاذا أحس بالمد ومجيء السيول^(٣٧٦) احتال في تخريب ما يبنى له من السكور وانما يكفيه ايقاع ثمة يسيرة في احد واحى السد ثم يحمل الماء فيتولى كفايته في الهدم والتخريب فربما أفسد في ساعة من الليل أو النهار تمب سنة أو نحوها . وذلك ان هذه السدود تكون من قصب وتراب يُقام في وجوه المياه الجارية عند ضعف

جرباها وغاية نقصانها فاذا وردت المياه القوية ومنعت من حدودها كفي منها اليسير من المعونة حتى تنبعث ويدفع بعضها بعضا وربما كان سبب انبثاق الماء نقب فأرة ثم بوسعه الماء وينتهي فيه الى حيث لاحيلة في سده ولما عمل بخنيار ووزيره ما ذكرته من السدود وأنى المد كان قصارها حفظ ما عمل بالرجال حتى لا يتم لعمران حيلة في هدمه فسدل عمران عن هدم سكوره الى الانتقال الى معقل آخر من معاقل البطيحة ونقل غلاته وزواريقه وجميع أمتعه الى هناك فلما انحسر الماء وجاءت أيام الجفاف من السنة الثانية وجد مكان عمران خاليًا منه ولم تكن له آلة يطالب بها فطلب غلاته فلم يجد فيها شيئاً فانصرف خائباً . وضجر العسكر من المقام على الشقاء ولم يصبروا على أذية البق وحر الهواء وانقطاع المواد التي اتوها فشغبوا عليه وتناولوا الوزير بالسنتهم وهموا بالايقاع به وتحالف الديلم والأتراك على النعصب واتفاق الكلمة وأبو ان يقيموا أكثر مما أقاموا فاضطر بخنيار الى طلب مصالحة على مال ياتمه منه (وقد كان هابه في أول الامر فبذل له خمسة آلاف الف درهم) فلما طاب هذا المال بعد اضطراب الجند وطول المقام وانقطاع الحيلة امتنع عليه منها وبذل التي الف درهم بوساطة سهل بن بشر كاتب بختكين آازدرويه وكانت بينه وبين عمران صداقة فنجم عليه هذا المبلغ ثم تماسك عمران وامتنع من التوثقة بما وافق عليه واقتصر منه على اليمين أيضا فاضطر الوسائط الى ان يقولوا لبختيار انه قد حلف وما حلف . وانصرف بختيار عنه مع عسكره خائنين عليهم الزلة وحدث للعسكر زيادة على اليهود من سوء الخدمة وقلة الطاعة والاستطالة حتى وثبوا على سهل بن بشر مرة لاجل مال كان جملة معه

(٣٨ - تجارب (س))

فاحسوا به وطمعوا فيه ونهبوه واجتهد بختيار في ارتجاع شيء منه فما أمكنه ذلك . ثم وثبوا أيضا على محمد بن أحمد الجرجاني (وكان ينظر في أمورهم ويخلف الوزير عليهم) لاشياء كانوا تقوموا عليه وأبو ان يكون متوليا عليهم فارضاهم الوزير بصرفه عنهم ووجد السبيل الى مصادرتة فاستخرج منه عشرة آلاف دينار كانت سبب حقه حتى صار في جملة من سعى به ودبر في هلاكه ^(٣٧٨)

وقد كان قبل هذه السنة ندب عضد الدولة كوركير بن جستان لمحاربة سليمان بن محمد بن الياس وكان سليمان هذا بخراسان وأطمع صاحبها في كرمان والقفص والبلوس في طاعته فضم اليه صاحب خراسان جيشا وجاء الى كرمان فاستنوى هاتين الطائفتين وغيرهم من الامم المفارقة لطاعة السلطان الاكبر فصارت هذه الطوائف يدا واحدة في شق العصا . فلقية كوركير بين جيرفت وبتم وجرت بينهما حرب أجلت عن قتل سليمان ^(١) وبكر والحسين ابني البسج أخيه وعدد كثير من قواد خراسان والرجال المضمومين اليه وحملت رؤسهم الى شيراز وأتقدها عضد الدولة الى حضرة أبيه ركن الدولة

واجتمعت النوجانية وسائر القفص والبلوس وفيهم أبو سعيد البلوصي وأولاده وغيرهم من الرؤساء على كلمة واحدة في الخلاف وتحالفوا على الثبات والاجتهاد فضم عضد الدولة الى كوركير عابد بن علي فساروا الى جيرفت فيمن مهبما من العساكر فوقعت الوقعة يوم الاربعاء لشر ليل خلون من صفر سنة ٣٩٠ وأجلت عن هزيمتهم وقتل خمسة آلاف رجل من

(١) قتله زريزاد ودفن بدارزين . كذا في تاريخ هلال الصابن فيما بعد .

أشدائهم ووجوههم وقتل ابنان لابني سعيد البلوصي وحصل المعروف بابي
الفوارس المنوجاني في الاسر وابن أخيه^(٣٧٩) أبو الليث وجماعة يجرون مجراهم
ثم صمد عابد بن علي أقص آثارهم والتولج إلى مكانهم ليبد غضراهم
فتابع الإيقاع بهم والانتخان فيهم وانتهى إلى هرموز فلما استولى
على بلاد النيز ومكران وحصل في يده بعد من هلك في الحروب الفاسية
من رجالهم ونسائهم وذريتهم فلاذوا بطلب الأمان وبذلوا تسليم المعازل
والجبال على أن يدخلوا في السلم وينزعوا أعلام الحرب ويقتنعوا بالاقوات
التي تحمل وتطيب ويتحلوا بسماء المسلمين ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
ويصوموا شهر رمضان وتمسكوا بشروط الأيمان ففقدوا على أنفسهم
بذلك عهدا وثيقا. ثم عدل عابد بن علي إلى طوائف أخر من الأمم المخالفة
في حال تصاقبهم يمدفون بالخرمية والجاشكية يخيفون السبل في البر
والبحر وكانوا ضاموا سليمان بن محمد بن الياس فوقع بهم وقتل كثيرا
منهم وحصل في يده رئيسهم أبو علي بن كلاب فضرب عنقه وقبض على
خلق منهم فأنفذهم إلى شيراز فتوطأت تلك الأعمال وصاحت مدة
من الزمان

ثم لم يلبث البلوص وكانوا أشد هذه الطوائف بأسا وأوعدهم جانبا
وأشدهم كفرا أن اشتاقوا إلى عاداتهم من أخافة السبل وسفك الدماء
الحرام ونقض^(٣٨٠) ما كانوا تمسكوا به من تلك اليهود فلما فعلوا ذلك
اعتمد عضد الدولة الأحملة في صلاحهم ويثس منهم فرأى الأبقى عليهم
وعزم على المدير بنفسه إلى كرمان فسار في ذي القعدة سنة ٣٦٠ هـ فلما انتهى
إلى السيرجان وجد البلوص قد تبسطوا في الأعمال وسعوا فيها بالفساد

و نصبوا للرئاسة عليهم علي بن محمد البارزي ولقي الناس منهم عتاشديدا في جميع طرقات كرمان وسجستان وخراسان فجرد عابد بن علي في عسكر كنيف من الديلم والجبل والاتراك والاعراب والاكراد والزط والرجال السنية وأنفذ اليهم فلما أحسوا باطلاه عليهم أوغلوا في الحرب و سلكوا طرقا ضيقة شاقة ظنوا ان العسكر لا يمكنه سلوكها ولا اتباعهم فيها ثم ان عابدا أنفذ أخاه في سرية قوية خلفهم وسار هو في باقي الجيش من طريق آخر الى بلادهم التي يأوونها الى جبال البارز ففتحها^(١) عنوة واستنزل عنها محمد بن علي البارزي وظفر بصهره أبي دارم وقد كانوا أنفذوا طلائع لهم وعيوننا آياتهم بالاخبار فنذر بهم وقبض على جماعتهم فلم يرجع اليهم مخبر منهم فكانوا ساكنين غارين الى ان أطل الجيش في الموضع الذي ظنوا انهم آمنون فيه فلم يجدوا مهربا ولا معدلا عن المجاهدة فثبتوا سحابة^(٢٨١) يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ٣٦١ منذ طلوع الشمس الى غروبها ثم انجلت الواقعة عن قتل الرجال المقاتلة الا القليل وعن الاحاطة بحرهم وذراريهم وأملأهم ونجا في الوقت رئيسهم المعروف بابن أبي الرجال البلوصي مع جماعة من الوجوه ثم ظفر بهم من بعد فقتلوا جميعا ودخل نفر يسير ممن بقي تحت الامان وتشبثوا بالعهد والدمام فقتلوا عن تلك الجبال وأسكن عضد الدولة مكانهم الاكرة المزارعين والمستورين من أجناس الرعية حتى طبّقوا تلك المواضع بالعمارات وطهرت تلك الجبال من معرة أولئك المفسدين

ثم عاد عابد بن علي الى الامة المعروفة بالجاشكية ومن يجري مجراها

من الدعار وكانوا وراء جبال الققص مما يلي التيز ومكران والسواحل الى حدود عمان ولهم ممرّة شديدة وفساد كثير وجنایات عظيمة على الناس وأنفذ عابد أخاه في عسكر قوی من الديلم والأتراك والعرب وغيرهم وحمل معه الزاد على الجمازات في البر وعلى الشذاآت والمرابك في البحر من سيراف الى مكلي هر موز وسواحل كرمان فقطع عدّة مضائق حتى وصل اليهم وهم غافلون لا يظنون ان أحدا يصل اليهم فوقع بهم وقتل وأسر واصطلم ولم يبق من طبقات^(٣٨٢) الدعار في تلك النواحي أحدا .
وفي هذه السفرة تنكر عضد الدولة لكوركير قبض عليه وردّه الى سيراف واعتقله اعتقالا جميلا فيه بقية للصالح

﴿ ودخلت سنة احدى وستين وثلاثمائة ﴾

وفيها تمكن الاستاذ الجليل أبو الفتح ابن أبي الفضل ابن العميد رحمهما الله من الوزارة^(١) بعد أبيه وفوض اليه ركن الدولة تدير ممالكه ومكنه من أعنة الخليل فصار وزيرا وصاحب جيش على رسم والده الا أن والده باشر هذه الامور في كمال من أدواته وتمام من آلاته على ما شرحناه فيما تقدم وكان لو فور عقله يدارى أمره مع صاحبه ومع عسكره ثم يسوس رعيته والممالك التي يراعيها ويدير الجميع تديرا ملاما لوقته موافقا لزمانه فلا يظهر من الزينة وأبهة الوزارة الا بمقدار ما يقيم به مرتبته ولا يجاوز ذلك الى ما يحسد عليه وينافس ثم يتواضع تواضعا لا يخرج به الى غضاضة تلحقه في جامه أو تحطه عن المنزلة العالية التي يرقى اليها وكانت سلامته طول مدته على أصناف الناس وطبقاتهم وقيام هيئته وتمام سياسته متصلة تزيد على الايام ثناء وثناءنا .

فاما ابنه أبو الفتح فكان فيه مع رجاحته وفضله وأدب الكتابة وتبته
وفراسته^(٣٨٣) نزع الحداثة وسكر الشباب وجرأة القدرة فتطلعت نفسه الى
اظهار الزينة الكثيرة واستخدام الدلم والاتراك والاحتشار في المواكب
التي يركب فيها واتخاذ الدعوات لصاحبه وسائر عسكره التي يلتزم فيها الخلع
والحملان على الدواب والمراكب والاسراف في الصلوات والنفقات تشبها
بوزراء عزالدولة بختيار الذين لا خبرة لهم بمواقب الامور ولا نظر لهم في
مصالح الملك وانما همة أحدهم في تناول شهواته والوصول الى لذاته وانبارة
غيبض حسادهم باظهار الزينة التي فوق طاقته . وليس يعلم ان أول من ينكر
ذلك في نفسه وان لم يبيده له صاحبه فهو يحسده على مساواته له وتلى تمكنه
مما يتمكن هو منه ثم مزاحته له في الاستظهار والجمع وتبذير الاموال التي
يرى انه أحق بها منه ثم خوفه من ميل الجند اليه واجماعهم على جوده وسخائه
واعتمادهم بما يصل اليهم له دون صاحبهم وولى نعمهم . فكان أبو الفتح
ابن العميد يسرف في ركوب هذه الاهواء ويجب أن يبلغ غاية ما يقدر
عليه منها تجلب عليه ذلك ضروب الحسد من ضروب السلاطين وأصحاب
السيوف والاقلام فكان صاحبه ركن الدولة قد شاخ وسم ملابسة أمور
الجند . وأحب الراحة والدعة فقوض اليه الامور ورآه شابا^(٣٨٤) قد استقبل
الدنيا استقبالا فهو يحب الثعب الذي قاماه ركن الدولة ثم مله ويستلذ فيه
الاتصاف للامر والنهي ومخالطة الجند والركوب الى الصيد ومشى خواص
الدلم وكبار الجند بين يديه ثم مشاركتهم ومؤانستهم والاحسان اليهم بالخلع
والحملان . فاول من أنكر عليه هذا الفعل عضد الدولة ومؤيد الدولة ابنا
ركن الدولة وكتابهم ثم سائر مشايخ الدولة ورأوه يركب في موكب عظيم

ويغشي الدار والديوان فاذا خرج تبعه الجميع وملت دار الامارة حتى لا يوجد فيها الا المستخدمون من الاتباع والحاشية فقط . ثم رقي أمره في قيادة الجيش والتحقق بها الى أن ندب للخروج الى العراق في جيش كثيف من الري والاجماع مع عضد الدولة لئلا تنصرف بخيتار بن معز الدولة في الخلاف الذي وقع بينه وبين الأتراك المستعصين عليه كما سنشرحه فيما بعد باذن الله . فأقام هناك ونظم أمور بختيار وتلقب بندي السكفايتين من جهة الطائفة لله وأخذ الخلع وواطأ بختيار على أنه ورخاف فيها عضد الدولة وأوحشه وتؤدي أمره الى الهلاك . وإنما ذكرنا هاهنا جملة من سوء تديره لنفسه ونحن نشرحها مفصلة في الامور التي حدثت في سنة ٣٦٥ ليعتبرها المعتبرون ويجري مجرى تجارب الامم التي يتكرر مثلها فيتحرز منها . فاما الآن ^(٣٨٥) فانا نشرع في الامور التي حدثت في هذا الزمان الذي نحن في ذكره ونستقصي أخبار بختيار وما عمله في عوده من البصرة الى واسط ليتصل حديثه ولا ينقطع بدخول حديث غيره فيه

﴿ ذكر السبب في تجار المامة على السلطان والفتن ﴾

(الثائرة بهم حتى خربت بغداد)

وذلك ان الكعب وردت عليه بأن الروم غزوا نصيبين فلكوها وأحرقوها وقتلوا الرجال وسبوا الذراري ثم ورد خلق من ديار ربيعة وديار بكر مدينة السلام واستنقروا المسلمين في المساجد الجامعة والاسواق وحكوا افتتاح الطريق للروم وأنه لا ممانع لهم من تورد ديارهم وهي متصلة بالعراق فلما تجمع معهم خلق من أهل بغداد صاروا الى دار المطيع لله وحاولوا الهجوم عليها وقلعوا البعض من شبائيكها فأغلقت الابواب دونهم بعد ان كانوا

يصلون اليه ويأتون عليه فاسمعوه ما كره ونسبوه الى العجز عما أوجب الله على الأئمة وتجاوزوا ذلك الى ما يقيح ذكره . وكان بختيار في هذا الوقت بالكوفة مظهر ازيارة المشهد وغرضه التصيد فخرج اليه وجوه أهل بغداد^(١) منكرين عليه اشتغاله عن مصالح المسلمين^(٣٨٦) وانصرافه عن تديبرهم الى مجاهدة عمران وهو من أهل القبلة وامهاله الروم وهم أعداء الملة ثم تشاغله بالصييد والاهو عن جميع مهمات المملكة ووعدهم بالودود الى واسط ومصالحمة عمران والانكفاء الى الثغور فسكنوا وانصرفوا . فلما عاد كاتب أبا تغلب وهو صاحب الموصل يعلمه فيه أنه عامل على الغزو ويلزمه أن يعد له من الزاد والعلوفة ما يسمه وجنده في الطريق وأخذ في ذلك بمضخاوصه فقتضى ابن حمدان حقه ورده بالانعام والمصارعة الى ما سأل وهو يعلم أنه لا يفي بوعده ولا وعيده وأنه يقول ولا يفعل .

ثم أخذ محمد بن بقرية برسالته الي سبكتكين الحاجب وهو ببغداد يستصاحبه لوزيره العباس بن الحسين ويستنمضه للغزو معه ويأمره بان يستنفر من يرغب في الجهاد فتقبل سبكتكين ذلك تقبل المناقح ثم ركب ببغداد

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفيهم الامام أبو بكر الرازي الفقيه وأبو الحسن علي بن عيسى النحوي وأبو القاسم الداركي وابن الدقاق الفقيه . وعلى بن عيسى هو الربيعي المتوفى سنة ٤٢٠ عن نيف وتسعين سنة وترجمته في ارشاد الارب ٥ : ٢٨٣ وأبو بكر الرازي هو أحمد بن علي تلميذ أبي الحسن الكرخي واليه رئاسة الخنفيه أريد لفضاء القضاة فامتنع توفي سنة ٣٧٠ وأبو القاسم الداركي هو عبدالمزير بن عبد الله بن محمد الفقيه الامام انتهى اليه معرفة مذهب الشافعي وله وجوه في المذهب منها أنه قال : لا يجوز السلم في الدقيق . وربما كان يجتهد في المسئلة والفتوي فيقال له في ذلك فيقول : ويحكم فلان عن فلان عن رسول الله صلعم بكذا وكذا والاخذ بالحديث أولى من الاخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة ! توفي سنة ٣٧٥ كذا في تاريخ الاسلام

في الجيش واستنفر المسامين فنار من العامة عدد كثير باصناف السلاح والسيوف والرماح والقسي حتى استعظم ما شاهده منهم ولم يوفق لترتيبهم وضمهم الى رئيس يقوم بهم بل جعلهم كالعدة لنفسه فصاروا وبالاعظما وضروا على المحارمات بينهم وأظهروا ضروب العصبية وأثاروا الفتن وأقدم بعضهم على بعض باقتل واستباحة الاموال والمهجوم^(٣٨٧) على الحرم والفروج وتقاوم الامر بينهم وبلغ كل المبلغ في الشر وعجز السلطان عن اصلاحهم واطفاء ما آثره من نائرهم حتى صار ذلك سببا لخراب بغداد وسند كر شرح هذه الاحوال عند دخول سنة ستة بمون الله.

وصالح بختيار عمران كما حكينا أمره فيما تقدم وطمع في مال الصلح واستضعفه ورجع بختيار الى بغداد وهي خراب بكثرة الفتن واستطالة العامة وحدوث الحروب فيها واغارة بعضها على بعض وكثرة رؤسائهم الناجين فيهم حتى حصل في كل محلة عدة رؤساء من العيارين يحامون على محلتهم ويجبونهم الاموال ويحاربون من يليهم فهم لذلك متحاقدون يغزو بعضهم بعضا نهارا وايلا ويحرق بعضهم دور بعض وينير كل قوم على اخوانهم وجيرانهم . فاما الاتراك فتمسحون مقترحون ما لا تمكن منه متجاوزون حدود العامة في سفك الدماء والطمع في الاموال والفروج حتى قتلوا صاحب شرطة كان لبختيار يقال خمار لشيء حقير^(١) كان حقه على بعض اصغار الاتراك فلقبهم

(١) قال صاحب التكملة : وفي شعبان قتلت العامة والاتراك خنز صاحب المعونة برأس الجسر من الجانب الشرقي وأحرقوا جسده لأنه كان قد قتل رجلا من العوام وولى مكانه الحبشي . قتل أحد العيارين في سوق النحاسين فنارت العامة وقائلته وأخذ أبو الفضل الشيرازي حاجيه صافي لداوثة صاحب الشرطة وكان صافي يبيض أهل الكرخ فاحترق النحاسين الى السماكين فذهب من الاموال ما عظم قدره وأحرق الرجال والنساء في

راكبا في موكبه فحملوا عليه وأجأوه الى الحرب والدخول الى دار بغتكين المعروف بمجمدويه وكان رئيسا معظما في الاتراك فهجموا عليه وأخرجوه وقتلوه قسلة الكلاب خفقا بالسيوف والتوت^(٣٨٨) ثم ساءوا جثته الى العامة ففصلوه آرابا حتى أخذ كبده بعض السفهاء وقلبه آخر وكل جارحة منه وجد في يد سفيه ثم أحرقوا باقي جثته بالنار. وفتحوا السجون وأطلقوا أهل الدعارة منها وقاموا أبوابها ونقضوا حيطانها وعجز بختار عن تدبير أمرهم وخاف معرفة الاتراك فاستدعى الديلم الى داره فحضره بالسلاح وتكلموا في أمر المقتول أعنى خمار وأنكروا تبسط الاتراك وتحركت الاحقاد بينهم وعمل الديلم على قصد دار سبكتكين الحاجب ومنازل الاتراك وأحسوا بهم فحجزوا واستعدوا وتمصبت العامة معهم فكن بختار تلك الثورة وأغضى عن قتل صاحبه خمار ثم عول على الحاجب سبكتكين في تسكين العامة لان هيئته كانت في نفوسهم أكبر وقلد سبكتكين الشرطة ببغداد حاجبا له فسكنت الفتنة مدة أيامه الا أنه تمصّب لاطاثة المنتسبة الى السنة على الشيعة فنار أهل التشيع وعادت الحروب. والفتن كاعظم ما كانت. فكانت الاموال تنهب والقتل بين العامة يستمر في كل يوم حتى صار لا ينكر ولا يمكن حسمه وظهر نقصان الهيبة وعجز السلطان.

الدور والطمائم وأحصى ما احترق فكان سبعة عشر الفا وثلاثمائة دكان وثلاثمائة وعشرين داراً أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعمائة الف دينار واحترق ثلاثة وثلاثون مسجداً. وكام أبو أحمد الموسوي لابي الفضل الشيرازي بكلام كرهه فصرفه عن النقابة وولى أبا محمد الحسن بن أحمد التناصر العلوي. وركب أبو الفضل الى دار ابن حفص التي على باب البركة وأحضر التجار وطيب قلوبهم فقال له شيخ منهم: أيها الوزير أربنا قدرتك ونحن نؤمل من الله تعالى أن يربنا قدرته فيك. فامسك أبو الفضل ولم يحميه وركب الى داره

وعطف بختيار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين بمطالبة الاموال واعطاء الرجال وأرضاء طبقات^(٣٨٩) الجند وكان لا ينظر في دخل ولا خرج وإنما يلزم وزيره تمشية الامور من حيث لا يعينه ولا ينصره ولا يمنع أحدا من جنده شيئا يلتمسه ولا يقبض يده ولا لسانه عن كل ما يفسد حاله وشانه ويحب أن تنقضى أوقاته في الصيد والأكل والشرب والسماع واللهو واللذبة بالنرد وتمريش الكلاب والديكة والقباج فاذا وقفت أموره قبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث الامر أن يعود من الالتيات والانحلال الى أسوأ ما كان . فلما بلغ الامر بوزيره أبي الفضل هذا المبلغ ولم تبق له حيلة في درهم يأخذه من وجهه عدل الي طلب الاموال من الوجوه المذمومة التي تقبح الاحدوتة بها وتحرم ولا تحمل في شيء من الاديان .

فبمث بختيار على مطالبة المطيع لله بما له يوهمه أنه من وراء نزوة ومال وانه يحتاج الى اخراجه في طريق النزو وان ذلك واجب على الامام ﴿ ذكر الرسائل والجوابات التي دارت بين المطيع وبين ﴾ (بختيار وما آل اليه أمر أبي الفضل من الهلاك)

أجابه المطيع لله بان : الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي والى تدبير الاموال والرجال وأما الآن وليس لي منها الا القوت القاصر عن كفايتي وهي في أيديكم وأيادي أصحاب الاطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به^(٣٩٠) على منابركم تسكنون به رعياكم فان أحببتهم أن اعتزلت عن هذا المقدار أيضا وتركتم والامر كله . وترددت المخاطبات في ذلك والمراسلات حتى

خرجت الى طرف من أطراف الوعيد واضطر الى التزام أربعمائة الف درهم باع بها ثيابه وبعض أقتاض داره . وشاع الخبر ببغداد بين الخاص والعام وعند من ورد من حاج خراسان وغيرهم من الواردين عن الاقطار ان الخليفة صودر وكثرت الشناعات^(١)

وعول أبو الفضل الوزير فيما يحتاج اليه من مال الجند والاقلامات التي تلزمه للاتباع والحاشية على مصادرات الرعية والتجار والتأويل عليهم بالمحال وابتدأ بأهل الذمة ثم ترقى الى أهل الملة فأخذ أموال الشهود ووجوه البلد من أهل الست وبث السعاة والنمازين وسامع المال وأجرى عليهم الارزاق وكثر الدعاء عليه في المساجد الجامعة وفي الكنائس والبيع وفي المحافل والمجالس وزادت العامة على ما ذكرت من حالها في الاغارة والاقدام على النهب والحرق وأسرفت في ذلك حتى بطلت الاسواق واقطعت المعاش وتمذر على أكثر الناس الوصول الى ماء دجلة حتى شربوا ماء الابار وحصلوا في شبه الحصار . ورام الوزير أبو الفضل تسكينهم فتعذر عليه حتى أركب اليهم طائفه من الجيش فواقعهم^(٢) وكسروهم ونقصت الهيبة أكثر مما كانت عليه وركب أبو الفضل بنفسه لقتال العيارين وواقعهم فلم يقدر عليهم .

وكان في حجابيه رجل يعرف بصافي ذميب الاخلاق ذنى النفس يتمصب لاهل السنة فضرب محلة السكرخ وهي مجمع الشيعة ومعظم التجار

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : فتددوا على المطيع لله حتى باع قماشه وحمل أربعمائة الف درهم فاقهها ابن بويه في اغراضه وأهمل الغزو وشاع في اللسنة أن الخليفة صودر كما شاع قبله ان القاهر بالله كدى يوم جمعة فانظر الى تقلبات الدهر

بالنار فمعلم الحريق وتلفت البضائع وصارت المضرة على الرعية فيما دره
سلطانها أعظم مما جناه سفهاؤها . وكان بين أبي أحمد الموسوي (وهو الحسين
ابن موسى ويتولى نقابة الطالبين) وبين أبي الفضل الوزير مناظرة فيما جرى
على الشيعة فظهر امتعاضا وخرج في المناظرة الى المهارة فصرفه الوزير عن
النقابة بابي محمد بن ناصر^(١) وهو الحسن بن احمد العلوي وحصل أبو احمد
الموسوي من أعداء أبي الفضل المكاشفين له المترين عليه وحصل أبو الفضل
فريدا لا ناصر له اما سبكتكين فيطلب عنده ثارا ابي قرة وفي نفسه عليه ما كان
منه في استدعاء بختكين آزادويه من الاهواز الى واسط ليقم مقامه ويجمله
ضدآله وشيء آخر كان عظيما عنده فيجاء وهو أن سبكتكين كان يختص غلاما
تركيا من غلامه فغضب عليه وأمر بيعة في السوق فنصب الوزير أبو الفضل
من اشتراه له بضعف قيمته وتمحظه ونزل عنه منزلة من كان في نفسه منه عشق
ثم موله وأعطاه^(٢) شيئا كثيرا حتى صار أجل وأيسر من غلامان سبكتكين
فلحقت سبكتكين من ذلك غيرة شديدة وفسد عليه غلامان الذين في داره بما
وصل اليه هذا القلام . فهذه اسباب عداوة سبكتكين وقد حكينا عداوة
الجرجرائي له وداوة ابي احمد الموسوي النقيب له ثم عداوة محمد بن بقيه له
وكان ابن بقيه قد ملك قيادة بختيار وكان سبب عداوته له ان ابا ناصر المعروف
بابن السراج (واسمه ابراهيم بن يوسف وهو من الاشرار المعروفين بالسعاية)
قد جمع بالملكسب الحديث مالا عظيما وأعد ضياعا جلية فشعثها أبو الفضل
تشميتا يسيرا أخرجه به الى عداوته والسقى على دمه وكان يجتمع مع المعروف
بمحمد بن احمد الجرجرائي كاتب شرمزن (الذي قدمنا خبره وسبب عداوته

(١) يعني الناصر لدين الله أبو الحسن احمد بن الهادي الى الحق بحرقه قد تقدم ذكره ص ٢٠٩

لابن الفضل) ويداخلان محمد بن بقية وبمراضانه للمكاسب الجليلة والفوائد العظيمة ولم يزالا به حتى غيرا رأيه في الوزير أبي الفضل وأوهماه انه ساعا عليه وانه لن يبعد أن يضمه من بختيار بمال عظيم ثم تجاوزا ذلك الى أن أشارا عليه بتقلد الوزارة وان يسبته الى القبض عليه والراحة منه

﴿ ذكر السبب في تقلد ابن بقية الوزارة ﴾

لم يكن ابن بقية يستقل ولا يكمل الحامل دواة بين يدي وزير ولا يطعم في شيء من هذه المراتب^(٢٩٣) ولكنه تقدم عند بختيار وقت خلافته لصاحب المطبخ في توفير وقّره وخدمة في جماتها تمسخر وكان مستخرجا عسوقا شديد التسوّة جاهلا وفيه مع ذلك سماحة وسعة صدر وهو في هذه السيرة متشبه باهل الشطارة والذناك والدعار وليس يسلك طريقة أهل الكرم والرياسة ولما أشار عليه فذان بالدخول في الوزارة والقبض على أبي الفضل قبل أن يسبته الى ذلك دهش وعلم أنه يعجز عما أشارا به عليه

﴿ ذكر كلام سعيد لابن بقية في تلك الحال ﴾

انه أجابهما بان قال : لاصناعة لي ولا توجه فيما تدعوانني اليه ولي عند صاحبي منزلة كبيرة تحتاج الوزراء الى سمها وأخاف أن أدخل فيما ليس من عملي وتهجن ويقدمح في منزاتي واحط عنها من غير أن أتفع بالوزارة . فشجماه وجسراه وضمن له محمد بن أحمد الجرجرائي أن يخفه ويكفيه الممل كانه ثم صار الى بيتكتين الحاجب وذكراه بافمال الوزير أبي الفضل وخملاه على الشروع في صرف أبي الفضل ونكبته فقال لهما : انني لم أزل معتقدا لذلك وانما كان توفي عنه طلبا لمن يقوم مقامه ويسد مسده اذ كان

محمد بن العباس^(١) قريب العهد بالصرف ولم يكن مرضياً في وزارته ولا^(٣١١) ناهضاً بها وقد حفظت على الامير بختيار ايمان البيعة بان لا يتلده وزارته . فخطابه في تقليد ابن بنية وضمانه ان ينهض ويغني ويكفي وانهما بمضدانه ويشدان منه في التدبير والنظر في الامور فاستروح سبكتكين الى ذلك وجمع به التشفي من ابي الفضل وفساد امر بختيار وتجمش احتمال النفاضة في توفية محمد بن بنية حقوق الوزارة بمعدان لم يكن ممن يجوز ان يده من اصاغر خدومه ولا يطعم في دخول داره وانما تجرع ذلك وطابت به نفسه لعظيم ما كان في قلبه من ابي الفضل فراسل بختيار في ذلك وقد كان بختيار - آراءه في ابي الفضل جداً فاستجاب اليه .

وقد كان ابو سهل دزويه المعارض مرموقاً بمال عظيم ولم يتمكن منه لمصاهرة كانت بينه وبين شيرزاد بن سرخاب فلما نفي شيرزاد احتج اليه في تسكين الجند مديدة فندافت نكته ثم ان ابا الفضل هم في هذا الوقت بالقبض عليه فاحب ابن بنية ان يتولى ابو الفضل القبض عليه ثم يتسلمه هو ويستخرج امواله . فجرى الامر على ذلك فقبض ابو الفضل على ابي سهل دزويه في يوم الخميس وقبض ابن بنيه على ابي الفضل يوم الاحد فكان بينهما ثلاثة ايام واستتم القبض على جميع^(٣١٥) كتابهما ومن يتصل بهما من اسيابهما وكان ذلك في سنة ٣٦٢

وفي سنة ٣٦١ وقع الصلح بين عضد الدولة وبين ابي صالح منصور بن نوح صاحب خراسان ووقعت المصاهرة فتزوج منصور بن نوح بابنة عضد الدولة ونفذ في ذلك عابد بن علي مع عشرة ائس مختارين من

الاشراف والقضاة والشيوخ المذكورين وتكاتف صاحب خراسان مؤونة عظيمة للرسول والشيوخ وحمل هدايا كثيرة لم تحمل مثلها قط الى عضد الدولة وكتب بينهما كتاب اتفاق بين الجهتين وكتب فيه شهود العراق الحاضر ون وشهود خراسان خطوطهم

وفي سنة ٣٦٢ خلع المطيع لله على أبي اسحق ابراهيم بن ممر الدولة وكنأه ولقبه عمدة الدولة^(١)

وفي هذه السنة جرت وقعة بين الدمستق وبين هبة الله بن ناصر الدولة بناحية ميأارقين^(٢) وكانت عدة الدمستق عظيمة كشيعة لكنه اتفق ان لقيه في مضيق لا تجول فيه المساكر وكان الدمستق في اول عسكره على غير أهبة تامة فانهزم الروم وأخذ الدمستق أسيرا وتمسك المسلمون منهم وأعز الله دينه وكثر القتل والاسر حتى أُنقذ الى بغداد الرأس والايدي وكانت كثيرة فشهرت وكانت^(٣٩٦) هذه الوقعة في آخر يوم شهر رمضان سنة ٣٦٢ وحبس أبو تغاب الدمستق الى ان جرح به جراح عظيم فبط وتأدت الحال به الى الموت بعد ان كان أحسن ضيافته واجتهد في علاجه وقد ران يبالغ

(١) زاد صاحب التكملة : خلع عليه من دار الخلافة بالسيف والمنطقة ورسم بحجة المطيع لله على رسم أخيه عز الدولة في أيام أبيه (٢) وقال أيضا : ثم وصل الخبر بان الدمستق قصد آمد فخرج اليه واليه هزار مرد مولى أبي الهيجاء ابن حمدان وانضم اليه هبة الله بن ناصر الدولة وساعدهم أهل الثغور فقصرهم الله تعالى وكثر القتل والاسر لاصحاب الدمستق وأخذ بأسورا وذيئ في ثمنى شوال . وكان أكبر السبي في خذلان الله تعالى الروم ان هبة الله تعالى متقدمهم في مضيق وقد تقدم عسكره ولم يأنهب وكانت الخال في أسره كما وصفا . وكتب أبو تغاب كتابا الى المطيع لله يخبره بالحال وكتب الصابي الجواب عنه وهو مذكور في رساله ومات الدمستق من جراح به

به من ملك الروم ما يريد

وفي هذه السنة خلع ثاني يوم قبضه على أبي الفضل وهو يوم الاثنين السابع من ذي الحجة سنة ٣٦٧ على محمد بن بقية وكان الى هذا اليوم يقدم العالم اليه ويحمل الغنائم بيده ويتشع بمناويل العمر ويدوق الالوان عند تقديمه ايضا على رسم من يخدم في المطبخ خدمته فلما وزر عاد يريد الخدمة في ذلك فتهاء بختيار . وتعجب الناس من وزارته فانه كان دنيا لا يقع عينه الا على من كان فوقه ولا يرى نفسه الا دون كل أحد فازدادت دولة بختيار به سقوطا واخلاقا وتضاحك صغار الناس به قريبا وبهدا . واستخلف حين وزر محمد بن أحمد الجرجاني وناط الامور به وبالمعروف بابي نصر السراج واستصى على أبي الفضل في المطالبة بالمال حتى تقرر أمره على مائة الف دينار فلما صح أكثرها سلم الى أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوي الكوفي على ان يخرجهُ ^(٢٦٧) الى الكوفة ويجبسه عنده فتسلمه وعاش عنده مديدة وتنف فلم يشك أحد انه مات مسموما ^(١)

وقبل ذلك توفيت زينة بنت أبي محمد المهدي رحمه الله وقد كان أخوها أبو القنائم تقدمها وأكثر أهلها وانقرضت الجماعة ثم تتبعهم جميع من اشترك في دم

(١) ذكر صاحب التكملة انه سقى ذراريه في سكنجبين فتقرحت مئاته ومات من ذلك قال أبو حيان : قيل له في وزارته الثانية : كنت قد وعدت من نفسك ان أعاد الله يدك الى البسطة ورد حالك الى السرور والغبطة أنك تجدل في المداملات وتسمى المقابلة وتلقى وليك وتدعوك بالاحسان الى هذا والكف عن هذا . فكان جوابه ما دل على ههوه لانه قال : أما سمعتم قول الله تعالى : ونور ردوا نعاموا ما نهبوا عنه . فسا لب بعد هذا الكلام الا قايلا حتى أورد ولم يصدر ولم يعش بمدان عش . وفي تاريخ الاسلام : وله تسع وخمسون سنة

(٤٠ — تجارب (س))

أبي الفضل قتلا من غير ان طال بهم الاعمار وسنذكر ذلك في موضعه ان شاء الله ﴿ ذكر ما دبر به ابن بقیة أمره حتى تماسك مديدة ﴾
انه جد في مطالبة أبي الفضل وأسبابه من خلفائه وحجابه وعلمانه وكل من انتسب اليه والى ديزويه العارض حتى استصفي أموالهم واتسع بما وصل اليه مديدة ومشت الامور بين يديه فتبجح بذلك وادعي حسن الاثر وتوصل الى ان كناد المطيع واقبه الناصح نخاع عليه الخلع السلطانية بامر بختيار واذنه . وكثر ذمه لابي الفضل والظمن عليه وادعى العدل والانصاف فلم تمض الا أيام حتى ارتكب من الظلم والنشم واثارة الفتن ما صارت أيام أبي الفضل بالقياس الى أيامه جارية مجرى أيام العمرين وكل ذلك لسوء نظر بختيار واهماله الامور واقباله على الشهوات واستثقاله مباشرة^(٣١٨) التدبير حتى سقطت الهيبة وانبدسطت العامة وأغار بعضها على بعض وظهرت الاهواء المختلفة والنيات المتعادية وفشا القتل حتى كان لا يدمم في كل يوم عدة قتلى لا يعرف قائلوهم وان عرفوا لم يتمكن منهم فاقطعت مواد الاموال وخربت النواحي المتباعدة بخراب دار المملكة وظهر في كل قرية رئيس منها مستول عليها وتباغوا بينهم وحصل السلطان صفر اليد والرعية هالكون والدور خراب والاقوات معدومة والجند متهارجون ﴿ ذكر تدبير دبره الترك وأكابر الحاشية والجند حتى سكن أمرهم مديدة ﴾
(ثم عادت الحال كاسوأ ما كانت)
شرع ابن بقیة في اصلاح ما بين بختيار وسبكتكين وتوسطه الوجوه والاكابر فترددت المراسلات ووجوه^(١) الكتاب والقواد وأخذ لكل واحد

منهما على صاحبه يمين مؤكدة على التصافي والتآلف فلما تم الاتفاق بينهما ركب سبكتكين الى بختيار مع جماعة من الاتراك فقيهه وسلم عليه وانصرف. ولم يمد اليه ولا اجتمعا الا في الموكب وعلى سبيلهما الاولى في التحرز ونشأت بينهما ظنون سيئة وبلافات منكرة ووجد الاعداء والمتسوقون^(١) طريقا سهلا في الشر فسلكوه فادا الى التنافر^(٢)

﴿ ذكر سبب قوى في عودهما الى الحال الاولى من العداوة ﴾

اجتاز ديلمى من سقط الجند سكران في فنا دار سبكتكين الخاجب فيما يلي دجلة وهو نائب فرمى الديلمي أحد صوابية الروشن بزوبين كان معه فاقبته فيه على سبيل العيث فظن سبكتكين انه مدسوس عليه ليرميه فتقدم باخذه فاخذ وسئل واستعصى عليه فلم يكن لذلك الظن اصل فامر بانفاذه الى بختيار وتعريفه ما كان منه فلما حصل بحضرته أمر بقتله فقتل وتحرك الديلم وانكروه واستشنعوا فعله وشغبوا وحملوا السلاح ولزموا موضع الشغب ثلاثة ايام ثم استعطفوا فرجعوا الى منازلهم والقلوب نائرة

﴿ ودخلت سنة ثلاث وستين وثلثمائة ﴾

وفيهما خرج بختيار الى الموصل طمعا في تناول بعض مافي تلك الاعمال والاتساع به وحرصا على التصيد في طريقه
(شرح هذه الاسباب وذكرها على التفصيل)

قد كان أبو الفضل قبل صرفه عن الوزارة الاخيرة اطعم بختيار في الموصل وقد أن خرجها اليها يشغله عن نفسه وقصدته ويدفعه عن نكبته وليتغلل بما يتناوله من تلك الاعمال غلة ومالا يستعين بها في التظيم والاقوات

(١) يعنى السعاة قال أبو العلاء المعري، في النزوميات (٢١:١) *ولا تقبلوا من كاذب متسوقه

فلما تقلد محمد بن بقية الوزارة سلك هذه السبل في بعثه على الخروج وحرص ابن بقية على الموصل (١)

﴿ ذكر سبب ذلك ﴾

وردت كتب أبي تئاب على ابن بقية مع علي بن عمرو كاتب أبي تغلب ووزيره بمخاطبة دون ما كانت تكاتب به الوزراء قبل ذلك لانحطاط منزله في نفوس الناس وأبت نفس أبي تغلب أن يوفيه جميع ذلك الحق فافتناظ ابن بقية من ذلك وذكر علي بن عمرو وصاحبه أبا تغلب بالتبجح وتوعدهما بالمسير فتلاذاهما بالكتابة المستوفاة فلم ينصرف ابن بقية عن عزمته . وأحب بختيار الخروج الى الموصل للامور التي ذكرناها وقد كان أبو المظفر حمدان وأبو طاهر ابراهيم ابنا ناصر الدولة حصلا ببغداد وطمع أبو تغلب في استصلاح أخيه ابراهيم ولم يطمع في حمدان لو كيد العداوة بينهما فكاتب ابراهيم وأرغبه ليقطعه عن مضامة حمدان وصادف ذلك تقصيرا من بختيار . ونظر ابراهيم فاذا أحوال اخوته الذين أقاموا مع أبي تغلب مستقيمة منتظمة وكاتبه « باني سائر اليك » واستدعى منه تقرا من الرسائل والاعراب ليصحبوه فانفدم الى قرب بغداد على سمت البرية فهرب اليهم وأخذ معه أخاه المسمى ذا القرنين (١)

وكان رهينة في يد معز الدولة ثم في يد بختيار وهرب من محبسه ليلا وخرج مع أخيه فلما كان الصبح عرف بختيار الخبر فلم يكن له فيه حيلة وجعل ذلك سببا ظاهرا للخروج الى الموصل والباطن ما تقدم ذكره . وكان حمدان ابن ناصر الدولة من أشد الناس بعثا له على الشخوص اني تلك البلاد وطمعا

(١) هو أبو المظفر وجيه الدولة ولي دمشق من قبل الحاكم صاحب مصر سنة

في التشفي من أبي تغلب فاستحلفه بختيار بعموس الايمان بمد هرب ابراهيم على الثبات منه والنصيحة له وتمت العزيمة فخرج بختيار وسبكتكين الحاجب ومحمد بن بنية الوزير وذلك في شهر ربيع الاول من سنة ثلث
 ﴿ ذكر الحال في هذه الخرجة وما آل اليه الامر ﴾

وقم التدبير علي أن يخرج سبكتكين في الجانب الشرقي على المقدمة ويتلوه بختيار سائرا على أثره ويدهما مرحلة واحدة فاذا صاروا بازاء تكريت عبر بختيار وسار في الجانب الغربي واستمر سبكتكين سائرا في الشرق قعملا ذلك وسبق بختيار الى الموصل وتدرحل عنها أبو تغلب الى سنجار بمسكركه كله وأخلاها من كل ميرة وكل كاتب ومنصرف ثم توجه من سنجار الى مدينة السلام وهو من الجانب الغربي . وتأخر سبكتكين بالمدينة وأظهر التشاغل بعبور السفن فاتصل خبير أبي تغلب وخروجه الى بغداد بختيار فكتب الى سبكتكين يرسم له العبور الى الجانب الغربي والمسير في أثر أبي تغلب وانفذ اليه شطر عسكره وحمدان بن ناصر الدولة وجمهور العسكر وانفذ محمد ابن بنية في الطيارات والزباب راجعا الى بغداد بمد أن استخاف^(٤٠٢) بحضرة محمد بن احمد الجرجاني . فسبق أبو تغلب وانتهى الى قرية تعرف بالفارسية علي نهر الدجيل بينها وبين بغداد نحو ثلاثة فراسخ فمسكركها وعامل من اجتار به من أهل السواد بالجميل ولم يأخذ منهم شيئا الا بالثمن الوافر وأظهر العدل والانصاف . وصارت طلائمه ترد الى بغداد وخرج اليه جماعة من عوام الناس وأواباشهم مستقبليين له مظهريين السرور بمقدمه وبرن أبو اسحق ابن ميمون الدولة وكان يخلف أخذ بختيار الى باب الشمسية وانتقل المطيع لله ووالدة بختيار وجماعة الحرم والاولاد الى القصر الذي بناه معز الدولة بباب

الشماسية على طريق التحصن وعقد أبو اسحق جسرا في هذا الموضع على
دجلة وعبر بطائفة من الجيش الذي كان معه واطهر أنه يريد الحرب والمدافعة
من غير عزيمة صحيحة وانما اراد التماسك الى أن يصل سبكتكين الحاجب .
فتعجل وصول محمد بن بقية سابقا في آلات الماء فشد من أبي اسحق وافتت
الجانب الغربي وعاد العوام الى حمل السلاح والحرب وطلب الطوائل واستتر
التجار وتعطلت الاسواق وعبر أهل النباهة من الزبي الى الشري و نزل
- بكتكين باوانا بازاء عكبرا . فمدل أبو تغلب من موضعه راجعا اليه فنزل
في قرية بينهما نحو نصف فرسخ^(٤٠٣) وتصاف المسكران ووقع الطراد بين
سرعان الخيل وطوائف من الاعراب ثم تكافأ وجنحا الى الصالح

﴿ ذكر مكيدة جرت في هذه الحرب واجتماع من ﴾
﴿ سبكتكين وأبي تغلب على بمختيار وحيلة بينهما ﴾
(لم يتمها سبكتكين وضيع فرصته فيها)

كانت الموافقة في السرتجى بين أبي تغلب وسبكتكين على المودعة
واظهار الخلاف الى أن يتمكن سبكتكين من القبض على الخليفة ووالدة بمختيار
وحرمه ومحمد بن بقية واظهار العصيان عند ذلك ثم يعود الى بغداد ويعود
أبي تغلب الى الموصل قاصدا بمختيار وهو في عدد قليل فيتمكن منه ويقلب
دولته سریدا . فسكر سبكتكين في سوء السمعة ولم يقدم على حرم مولاه
وعلى الخليفة وخاف عاقبة ذلك . وبادر محمد بن بقية من بغداد الى سبكتكين
فاجتمع معه وحضرهما رسل أبي تغلب وتقرر الصلح على المبلغ الاول وزيادة
الف كرم من الخنطة في كل سنة وعلى أن يطلق أبو تغلب لبختيار ثلاثة آلاف

كر حنطة عوضا عن مؤونة سفره : وانكفا أبو تغلب الى الموصل قاصدا
بختيار وهو في خف من عسكره فايقن الناس ان أبا تغلب لم يقدم على القرب
من سبكتكين الا على ثقة من أنه لا يحاربه وان ذلك الطراد الذي وقع بين
أوائل المسكرين إنما كان تمويها

ودخل سبكتكين وجميع^(٤٠٤) المسكر بغداد وأسلم بختيار وقامت
القيامة على محمد بن بقية من ذلك وطالب سبكتكين بماودة المسير واللاحاق
بصاحبه بختيار فتناقل عن ذلك واحتج بان الرجال لا يستجيون لاهود ثم فكر
في المواقب فانكفا على مضض ورحل وقد ظهر للناس ما كان هم به الا أنه
ما فعل ولو هم وفعل لكانت فرصة عجيبة وكان لا يتمتع عليه شيء من التدبير
الذي ذكرناه. ثم جد سبكتكين وابن بقية وسائر الجند في المسير مصعبدين
وقد كان بختيار حين عرف خبر رجوع ابي تغلب اليه جمع اطرافه ورد
قواده من النواحي التي كان نرقهم فيها وخاف خوفا شديدا وعبى مصافه في
الموضع المعروف بالدير الاعلى من ظاهر الموصل وقرب أبو تغلب ونزل
أسفل الحصبا على حالة الالهية والتعبية ولم يبق بينهما في المسافة الا طول
قصبه الموصل فقط وأحجم كل واحد عن صاحبه وعن المناجزة الا أن أبا
تغلب كان الاظهر لكثرة عدده وتمصب أهل الموصل له وخاض الناس
بينهما في حقن الدماء وتميم الصلح الذي تقدم ذكره فاشتط أبو تغلب في
الحكم والتمس النقصان والحطيطة وطالب بتسليم زوجته بنت بختيار اليه وان
يلقب لقباسا نيا فأجاب بختيار الى ذلك كله تقاديا من اللقاء . وجرى كلام
في معنى حمدان وان يفرج عن ضياعه وأملا كه^(٤٠٥) بفلاتها وعن القلمة
المفردة له المساة وهي قلمة ماردين . وكانت هذه القلمة مسماة لحمدان

ومفردة له منذ أيام أبيه وقد رتب أخاه من أمه مع ثقات له فيها فاحتال أبو تغلب على هذا الاخ حتى رغب في مال يتعجله وخان أخاه وسلمها . فامتنع أبو تغلب من ذلك كله ولم يدخل في شرائط الصلح شيئا منه وكان غائبا عن هذا الامر وحاصلا بيفداد مع سبكتكين الحاجب . فضعف بختيار عن الاستيفاء وكان غرضه المفاينة وان يفرج له أبو تغلب فخرج الى موضع يقال له قرن الآثل على خمسة فراسخ من عسكره في عرض الموصل بعد ان حلف كل واحد منهما لصاحبه يمينا أخذها عليهما أبو أحمد الموسوي وجماعة من السفراء وانحدر بختيار الى الحديثة وأهل الموصل يتبعونه بالاعن ولدعاء عليه ويتيمون أصحابه ويتوثبون عليهم وذلك ان محمد بن أحمد الجرجرائي خليفة ابن بقية ظلمهم وعسفهم فكان انصراف بختيار عن هزيمة ظاهرة . فلما تحرك من موضعه وانحدر دخل أبو تغلب الموصل وظفر بجماعة كانوا مالوا الى بختيار من أصحابه وأهل الموصل فسلم عيونهم . ووجد رجلا عقيليا يعرف بابن المجاج كان استأمن من عسكره الى بختيار ولم يخرج عن البلد تعويلا على ما جرى من الصلح فضرب رقبة .

ولما وصل سبكتكين ومحمد بن بقية وحمدان والجيش واجتمعوا مع بختيار اضطرب حمدان من خروجه عن الصالح وأنف محمد بن بقية من الحال التي انصرف عليها بختيار واتفقوا على ان يجعلوا ضرب رقبة هذا العقيلي وسلم العمال^(١١٦) ووثوب أهل الموصل على حاشية بختيار واتباعه عذرا في الرجوع وحجة على أبي تغلب في الفسخ فعطفت الجماعة بجميع العسكر الى الموصل . فهرب أبو تغلب عنها الى ناحية يقال لها تال اعقر ورد كاتبه المعروف بابي الحسن على بن عمرو بن ميهون برسالته الى بختيار يعاتبه

فيها على النقص وينسب الى القدر فقبض محمد بن بقية عليه واعتقله وامتنه واحتج عليه بما ذكرنا فوجد ان يكون ما جرى من القتل والسمل باسم أبي تغلب وأحال فيه على بعض علمائه ثم تقرر الامر بعد خطوب جرت على اتمام الصلح وقومت الغلة وردت الى الورق ووضع عنه ما استخرجه بختيار من الموصل وأعمالها ونجم الباقي على تعجيل وتأجيل وشرط الافراح عن ضياع حمدان خاصة دون قلعة ماردين ودون ما أخذ منها ومن ارتفاع الضياع وان يسلم القوم الذين قتلوا العقيلي وسملوا المال لينفذ فيهم بختيار حكمه فانفذهم أبو تغلب اليه على ثقة بأنه لا يسىء اليهم لعلهم جميعا انهم مأمورون (فمعا عنهم بختيار) وعلى ان يقب أبو تغلب ويزف اليه زوجته وجددت الايمان والعهود على الفريقين وانصرف بختيار وتشاغل في طريقه بالتصيد وكان وروده مدينة السلام لشرخون من رجب من هذه السنة وورد كاتب أبي تغلب فأنجز له بختيار المواعيد وسأل المطيع لله في تلقيه فلقب عذة الدولة وأخذ اليه^(٤٠٧) خلع سلطانية ونقلت اليه زوجته ووقع البدار به ليصح المال

وفي هذه السنة هلك محمد بن أحمد الجرجاني وتاب في المصادرة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ابن بقية لا يبقى على أحد يثمه أو يسبق الى قلبه منه شيء بل يماجله قبل التأمل ويقتله من غير تثبت وكان أهلك قوما من أهل الكفاية والكتابة بالظن والتمهة وانهم سيصلحون لمكانه . ولما أفضت اليه الوزارة وكان المتولى للبصرة على بن الحسين الشيرازي المدروف بابي القاسم المشرف وكان يعاديه ويمتد انه ذو كفاية فاراد القبض عليه واستصفاه ماله واتلافه

فتدافع ذلك الى ابن عاد من الموصل فعمل على ان ينفذ محمد بن أحمد الجرجاني في ذلك طلبا لابعاده عن الحضرة ولان حاله كانت تمهدت عند بختيار لتقدمه على ابن بقیة في الکتابة ولانه عقد بينه وبين تهرمانه بختيار التي يقال لها تحفة فكانت تحامى عليه وتمصّب له وكان مع ذلك يتكلم بالفارسية وابن بقیة لا يعرف منها شيأ فتناول بهذه الاشياء على ابن بقیة واستهان ببعض ما كان يأمره به ثم بلغه انه مهد لنفسه حالا عند بختيار أيام تفرّده بخدمته بالموصل . فلما اجتمعت عليه هذه الاشياء أراد ابعاده عن الحضرة واخرجه في القبض على علي بن الحسين والنظر فيما كان ينظر فيه فلما خاطبه في ذلك تفر منه وأحس بتغير نيته له واجتهد^(٤٠٨) في ان يعفيه فلم يفعل فانحدر وقد بنا كل واحد منهما عن صاحبه . ولوصبر على ان يكون عامل البصرة لما خرج به ابن بقیة الى ماخرج ولكنه لما رآه يأتي الالثنث بالحضرة والتمسك بما كان ناظرا فيه دون ماسواه اتمه وازداد شكاه . وكان ابن بقیة قدّم كتابه الى صاحب له ينوب عنه بالبصرة يقال له عبد العزيز بن محمد الكراعي وهو من الاوغاد الاصاغر الذين ارتفعوا بارتفاعه وأمره يعرفه نيته في علي بن الحسين ويأمره بالقبض عليه فانحدر الجرجاني على ان يصادره وينصب مكانه ضامنا له أو عاملا غيره ويعود فلما استقر بالبصرة وافق علي بن الحسين على مال التزمه وأضافه الى أصل ضمان البصرة وجدد ايقاع العهد عليه وورده الى عمله من غير استئذان لمحمد بن بقیة وكتب اليه بان الصواب أوجب ذلك عنده وأنه مصعد الى الحضرة فاغتاط من فعله ورآه بصورة من يستهين به ويؤثر المقام بالحضرة فكتب الى عبد العزيز بن محمد الكراعي بالقبض عليه وعلى علي بن الحسين فعمل ذلك فلما

علي بن الحسين فانه قرر أمره على بعض المقاربة ورده الى العمل بعد خطوط جرت فيه وأما الجر جرائي فانه أخذ خطه بمال ثقيل فصح له بالبصرة شيء يسير واشترط لنفسه ان يحمل الى بغداد ليصح المال اذ كان وطنه بها وفيها نعمته وانما كان غرضه^(١١) ^(١٢) بالهجرة مائة التي كانت تعزه فسايقه محمد بن بنية اليها فاشترى بمخمسين الف درهم منها فاسلمته وختت بينه وبينه وكتب بحمله وتقدم الى عامله بواسط وهو محمد بن أحمد المكنى أبا غالب الصريفي بنان يتسلمه حتى يصل اليه ويتولى من أمره ما الله مسأله عنه . فقلسه أبو غالب ومكث في يده أياما وأظهر أنه اعتل ومات وحساب الجماعة على الله الحكم العدل

وفي هذه السنة بدأت فتنة الأتراك بالاهواز ثم عمت جميع العراق

﴿ ذكر السبب في هذه الفتنة كيف نشأت ﴾

قد كانت الاضافة في المال والتسحب من الرجال زاد على بختيار حتى نبت به الديار وتعذر عليه الاستقرار فكان زراؤه وكتابه محتالون له فلا يجدون طريقا لمصلحة ولا يتجه لهم وجه الصواب وكلما أمروا أملا خابوا أو قصدوا عدواً نكبوا ونكصوا لان الابنية كانت توضع على أصول غير مستقرة وقواعد غير قوية فلا يبعد ان يتقوض فيما نص عليهم المذاهب . فاعتقد بختيار ومحمد بن بنية عند منصرفهم من الموصل بالخفية ان يخرجوا الى الاهواز فيستقروا على بختيارين آذرويه ويصرفاه عن البلاد ويعملوا له أعمالا ويطلباه بمال ويمرأ عليه النكبة ثم يعرفوا الأتراك عن سببكتين ويخفوا عدد من يبقى منهم ببغداد^(١٣) ويحتالوا عليه من البعد ليستريح منه

وِيُحْضِلًا أَمْوَالَهُ وَأَقْطَاعَهُ وَنِعْمَتَهُ وَيَتَسَمَّا بِذَلِكَ . فَأَخْدَرَا إِلَى الْاَهْوَازِ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ٦٣٠ قَدَا صَارَا بِوِاسِطَةِ أَتَقْدِ الْيَهْمَا بِخِتْكَينِ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ثُمَّ نَزَلَا الْاَهْوَازَ فَحَمَلَ الْيَهْمَا مَا يَحْمَلُ إِلَى الْاَصْحَابِ وَخَدِمَهُمَا وَبَدَلَ مِنْ تَقْسِهِ الطَّاعَةَ فِي الْحَاسِبَةِ وَالْمُؤَافَقَةَ . فَلَمْ تَمُضْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامٍ حَتَّى ثَارَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الْاِتْرَاقِ وَالِدَيْلِمِ فِي سَبَبِ صَغِيرٍ قَدْ كَانَ يَجُوزُ أَنْ يَسْتَدْرِكَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْجَلَ وَيَسْتَصْعَبُ فَاتَّغْتَمَاهُ وَجَمَلَاهُ ذُرَيْعَةً إِلَى ائْتِمَامِ مَا كَانَا هُمَا بِهِ وَأَجْرِيَاهُ عَلَى تَخْلِيْطٍ وَفَسَادٍ مِنْ غَيْرِ تَحْرِزٍ وَلَا اِحْتِيَاظٍ

﴿ ذَكَرَ الْخَطَأَ الْفَاحِشَ وَالتَّخْلِيْطَ الَّذِي اسْتَعْمَلَ ﴾

﴿ فِي التَّدْيِيرِ حَتَّى ائْتَمَكَسَ وَعَادَ وَبَالَآ ﴾

أَنْ بَخْتِيَارِ خَلْفِ بِيغْدَادِ وَالدَّيْلِمِ وَأَخُوْتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَحُرْمِهِ وَخَزَائِنِهِ وَأَكْثَرِ سِلَاحِهِ وَقِطْعَةٍ مِنْ خَيْلِهِ فِي قَبْضِهِ سَبِكْتَكِيْنَ عَدُوهُ الَّذِي هُوَ فِي طَرِيقِ التَّدْيِيرِ عَلَيْهِ وَمُكَاشَفَتِهِ بِالْمَدَاوَةِ ثُمَّ أَخَذَ يَتَطَابَعُ عَوْرَةَ الْاِتْرَاقِ الَّذِيْنَ مَعَهُ وَيَتَهَيَّزُ الْفُرْصَةَ الضَّعِيفَةَ فِيهِمْ لِيَتَسَدَّمَ عَلَى تَقْسِهِ وَيَنْبَهُ سَبِكْتَكِيْنَ عَلَى تَدْيِيرِهِ عَلَيْهِ . فَكَانَ مَبْدَأُ هَذَا الْفَسَادِ أَنْ غَلَامًا مِنْ الْاِتْرَاقِ نَزَلَ بِسُوقِ الْاَهْوَازِ دَارًا تَجَاوَرَ بِعِضِ الدَيْلِمِ وَكَانَ عَلَى بَابِهَا لَيْنٌ مُشْرِجٌ قَارَادُ أَنْ يَبْنِي بِهِ مَعْنًا لِدَوَابِهِ وَاحْتِاجَ ذَلِكَ الدَيْلِمِيِّ أَيْضًا إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ فَوَجَّهَ غَلَامَهُ لِيَأْخُذَهُ فَمَنَعَهُ غَلَامُ التَّرْكِيِّ فَلَمْ يَمْتَنِعْ وَخَرَجَا ^(٤١١) إِلَى التَّنَازُعِ وَالْاَهْأَارِ فَخَرَجَ التَّرْكِيُّ مِنْ دَارِهِ لِيَنْصُرَ صَاحِبَهُ وَبَنَعَ صَاحِبُ الدَيْلِمِيِّ وَخَرَجَ أَيْضًا الدَيْلِمِيُّ لِنَصْرَةِ غَلَامِهِ فَأَرَبَى عَلَى التَّرْكِيِّ وَاسْتَطَالَ عَلَيْهِ فَرَكَبَ فِي الْوَقْتِ وَاسْتَنْهَضَ الْاِتْرَاقَ فَتَارَوْا بِالْدَيْلِمِ وَتَبَادَرَا الدَيْلِمِ وَحَمَلُوا السِّلَاحَ . وَاجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ بَخْتِيَارِ وَبِالْبَابِ سَاحَةٌ وَاسِعَةٌ قَدْ ضُرِبَ فِيهَا وَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ الْاِتْرَاقِ مُضَارِبُهُ

وذلك لعزّة المنازل فأحاطوا به وهو سكران وسمع الصياح فنهض وركب وعمل على أن يلحق برفاقته فعارضه أحد الديلم وشمته فثنى عنانه اليه وهو يغير جبة فرماه الديلمى نقتله فالتحكمت حينئذ الفتنة وطلبت الاترك بشار صاحبهم هذا ورهوا الديلم بنشاب كثير حتى قتلوا رجلا واحدا ورا عدة وبرزوا بأسرهم عن البلد الى الصحراء وتبعهم غلمانهم وأتباعهم ونسبدهم عن القواد والاكابر في منازلهم على طريق التوقف عن الفتنة والتمسك بالطاعة . واجتهد بختيار في تسكين الثائرة فلم يمكنه ذلك بمداستها فاستدعى قواد الديلم وشاورهم وقد كانوا يعرفون اعتقاده في سبكتكين الحاجب والاتراك فقالوا : هذا أمر قد انتشر وفي نفسك منه ما فيها والصواب أن تقبض على رؤساء الاترك المقيمين وتستولى على هذه البلاد التي كانت في يد بختكين وتنهض الى بغداد لتقاها عنها^(١٢) سبكتكين وتستريح منه ومن الاترك . وكانت عادة بختيار ان يسمع من كل مخاطب ويتحدث مع كل كاذب فتسرع الى قبول ما رواه ووجهه الى بختكين آزانويه وسهل بن بشر كاتبه وسباشي الخوارزمي وبكتيجور وكان حارس سبكتكين الحاجب فأحضرهم من منازلهم وقبض عليهم وقيدهم وأدخل يده في اقطاعات سبكتكين بالاهواز وصرف أسبابه عنها وكتب الى البصرة بانتهاء في الاترك والايقاع بهم فنودي فيهم ونهبت منازلهم وهربوا عنها .

هو ذكر حيلة احتالها بختيار فلم تتم له

كان بين بختيار وبين والدته اتفاق على أن تظهر عند بئمه عن بغداد الى الاهواز وخفة الاترك المقيمين بحفرة سبكتكين ان بختيار قد توفي ليصير سبكتكين اليها معزيا ومشاركا في المصيبة ووافق أخاه أيضا على مثل

ذلك فاذا حضر أو قما به وقبضا عليه فكتب اليهما ساعة قبض على رؤساء
الأتراك على الاطيار بالدمى على ذلك الاتفاق . فاشاعا ورود نعيه وخطانا أن
سيكتسكين لا يتأخر عنهما وكان أرزن وأرجع من أن يصير اليهما ولو صار
اليهما لما حضر الا على نهاية الاستظهار فان غلبت داره الممالك أربع مائة
سوى أتباعهم وسوى الديلم برسمه وسوى حجابيه ومن في جملتهم .^(٤١٣)
وكان هذا الرأي من بختيار بعيدا من الصواب خليقا بالانتقاض فاقصر
سيكتسكين على مراسلتهم بالمسئلة عن الخبر ومن أين صح وتوقف عن
الركوب الى أن وردت رسال أصحابه وكتبهم بشرح ما جرى على حقيقته
فجمع حينئذ الأتراك المقيمين ببغداد وأعلمهم ما عومل به رفقاؤهم وان
الستر قد انخرق وانتهك وان دماءهم قد أحمات وأبيحت فدعوه الى
أن يتأسر عليهم ليطيروه فتوقف عن ذلك وراسل أبو اسحاق ابن معز الدولة
يدلوه ان الحال بينه وبين بختيار أخيه منفرجة انفراجا لا التمام له وان
أكثر الجيش نافر عنه وانه ليس يستحسن أن يعمد من طاعة مواليه
وان عقوه وباينوه وانه يعقد الامر له ويجمع الأتراك على متابته وينقل
الديلم عن بختيار اليه ويتكفل له بالامر حتى يستقر عليه

هو ذكر انتقاض هذا التمدير بعد استمراره حتى نارت الفتنة العظمى
لما قبل أبو اسحاق ابن معز الدولة هذا الرأي ودخل تحته علم أن
بختيار اما أن يصير جالسا في بيته مزاح العال فيما يحتاج اليه أو يصير الى
حضرة ٤٤ ركن الدولة فذهب الى والدته وقص عليها القصة فمنعته
من هذه الحال واشفقت من أن يؤول^(١) الى هلاك احد ولديها . وصار اليها

من كان مقبلا بمدينة السلام من الديلم فاطمعوها في الاستقلال بمحاربة
سبكتكين^(١١٤) ومن معه من الأتراك فجمعهم الى دارها بالسلاح واصبح
سبكتكين وقد نقض عليه ابراهيم ذلك الاتفاق . فركب في يوم الجمعة ثمان
خيلون من ذى القعدة من سنة ثلث مع جميع الأتراك قاصدا الحرب وناصبا
لها فبقي يومين يحاربهم تباعا فلما كان في الثالث احرق جوانب الدار بمد أن
حاصرها ونفذ زاد من كان فيها واستسلم ابراهيم ووالده وكذلك أبو طاهر
ومن كان معه وسألوه أن يفرج لهم عن الطريق لينحدروا الى واسط ولا
يفضح حرم مولاة واولاده فاستجيا وتذمم فاجتمعوا جميعا في حديدي
وانحدروا وتفرق الديلم هارين في مرقات الى بختيار وأقامت منهم شرذمة
في طاعة سبكتكين

وكان المطيع لله أعد لنفسه حديديا استظهر به عند حدوث الفتنة فانحدر
مع المنحدرين فانفذ سبكتكين عدة من الزبازب حتى رده الى داره ووكل
به فيها توكيلا جيلا . واستولى على ما كان لبختيار بمدينة السلام من السلاح
والدواب والآلات والمنازل فزحل الأتراك في دور الديلم وتبعوا حرمهم
وودائعهم وسائر اسبابهم . وثارت العامة من أهل السنة ناصرة لسبكتكين
فقود من رؤسائهم القواد وعرف العرفاء ونقب النقباء وخلع عليهم وحملهم
على الدواب^(١١٥) واستصحبهم وبسطهم وصار له منهم جند

﴿ ذكر خلع المطيع وتسليم الامر الى ولده ﴾

كان المطيع لله بمقبلة من الفالج يسترها وقد ثقل لسانه وتمسدت
الحركة عليه فانكشف حاله لسبكتكين فدعا الى تسليم الامر الى ولده الطائع

لله ففعل وعهد اليه فبريء من الخلافة وخلصها واشهد على نفسه سنة ٦٣ يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة^(١)

﴿ ذكر اسباب الفتن الهاشمية بين العامة ﴾

(حتى أدت الى بوار بغداد)

لما انبسطت العامة الذين ذكرنا حالهم مع سبكتكين وهم الفرقة المعروفة بالسنة استضاءوا الشيعة وناصرهم الحرب وتحزب الفريقان وكانت عدة الشيعة قليلا فتحصنوا في أرباض الكرخ من الجانب الغربي واتصلت الحروب حتى سفكت الدماء واستبيحت المحارم وأحرق الكرخ حريقا ثانيا بعد الحريق الاول في وزارة أبي الفضل فافتقر التجار وغلبيهم الميارون على أهوالهم وبضائهم وحرمتهم ومنازلهم واحتاجوا أن يتخفروا منهم وأى فريق كانت الخفارة له قصد الفريق الآخر . وانتثر النظام وانخزل السلطان وصارت العصبية بين هذين الصنفين في أمر الدين والدنيا بعد أن كانت في أمر الدين خاصة وذلك أن الشيعة ناروا بشعار بختيار والديلم وأهل السنة ناروا بشعار سبكتكين والأتراك^(١٦)

﴿ شرح الخال فيما تأدى اليه أمر بختيار بالاهواز ﴾

(وما دبر به أمره)

أدخل يده في اقطاعات جماعة الأتراك وظفر بدخيرة كانت لبختكين آذرويه بجندي سابور واجتمع الأتراك المشغبون بسواد الاهواز ثم صار بعضهم الى سبكتكين وتلافى بختيار بعضهم

(١) وفي تاريخ الاسلام . فقال أبو منصور بن عبد العزيز العكبري : كان المنطوع

لله بعد أن خلع بسمي الشيخ العاضل

﴿ ذكر السبب في ضرورة بختيار الى استصلاح ﴾
(الاتراك بعد استفسادهم)

استوحش غلمان دار بختيار منه واضطربوا عليه وقصده الاتراك الذين هربوا من البصرة وعاتبوه على ما ارتكب منهم من غير ذنب وقال له الديلم : انه لا بد لنا في الحرب من فرسان وأتراك . فاضطرب بختيار في الرأي وترجع فيه ثم قرره على ان أطلق بختيار آزا ذرويه وجعله في موضع سيكتكين وسماه حاجب الحجاب وقد ران الاتراك يأنسون به ويمدلون عن سيكتكين اليه وكتب الى البصرة بايقاع النداء بانهم آمنون والآيرض لهم وان يُرد ما أخذ منهم وأطلق سبأشى الخوارزمي وأقر بكتيجور على حمله^(١) الاعتقال لمصاهرتة سيكتكين . وبلغه خبر والدته واخوته وعياله في انحدارهم الى واسط فدار اليها .

وكتب الى الحضرتين بفارس والري يشكو ما نزل به ويستل ان يكشف عنه وتابع المكاتبات وزاد في تأكيدها بحسب تزايد الفتنة وكتب الى أبي تغلب ابن حمدان فسأله انجاده بنفسه وعسكره وعمل على ان يتمم بعمران بن شاهين فانفذ اليه خلما وفرسا بمركب ذهب وتوقيعا باسقاط ما بقى عليه من مال الصالح الذي كان صالحه عليه^(٢) وخطب اليه احدى بنائه وسأله ان ينفذ اليه عسكرا في الماء يستعين به على حرب الاتراك وترسل اليه في ذلك حاجب له يعرف بابراهيم بن اسمعيل فلما أذى اليه الرسالة قال له : يا هذا قد جئتنا في أمر غير متوجية عندنا ولا لائقة باحوالنا .

(١) لعله حالة

﴿ جواب عمران بن شاهين عن رسالته واتباعه ﴾

﴿ اياه بكلام وافق قدرا جبري كما قال وقدّر ﴾

أما هذا الدين المتروك فالتوجه علينا به مع علمنا بأنه ساقط باطل لا يحسن لكننا نقبل ذلك . وأما الوسيلة فإنا رجل لا أدخل أحدا من خلق الله الا اذ يكون الذكرو من عندي والاشي من عنده وقد خطب الى الطالبيون مع انهم موال فما أجبت أحدا منهم الى ذلك لان تقسى لا تسمح له وهو لاء اولاد أخى هم أكفاء بناتي ما واصلت أحدا منهم ولكن ان شاء ان تصاهر على السبيل الاخرى فمات . واما الخلعة والفرس فليست من بلبس لباسكم ولا أركب الخيل لان دوابي هذه السفن لكن أبا محمد ابني يقبل ذلك ولا يرده . وأما عسكري واتخاذه فليس تمكن رجالي الى مخالطتكم لكثرة من قتلوا من رجالكم على مر السنين والوقائع . ثم قال للرسول : قل له : ينبغي ان تتوفر وترزق ولا تستعمل هذه الخلفة والنزق فقد قصدتني محاربا لي فرجعت عني منهزما وقصدت الاهواز فرجعت منهزما على هذه الحال والصورة من الفتنة^(١١٨) وأنا أعلم ان أمرك سيتأدى الي ان تيجئني وتلوذ بي وتحصل عندي وسأذكرك هذا وتعلم حينئذ اني أعاملك بالجميل وبخلاف ما عاملتني به أنت وأبوك قبلك . فتمعجب الناس من موافقة كلام عمران هذا المقدور الكائن فان الحال يختار آلت الى المصير اليه والحصول عنده مستجيرا به ومستنما على ما سذكروه ان شاء الله

﴿ جواب ركن الدولة عن رسالته اليه ﴾

فاما ركن الدولة فانه أجاب بجواب صدر عن نية صحيحة وشفقة عليه وهو ان قال : ان الفتق الذي اذقت عليه عظيم يحتاج الى رجال ومال

وسلاح وتديير وهيبة وطاعة وأنه قد شاخ ونقلت عليه الحر كة وأنه بازاء اشغال عاتقة وأه ور قاطعة ولكنه قد عول في هذه الحال على ابنه عضد الدولة اذ كانت تلك الادوات التي عددها مجتمعة له وحاصلة عنده وأنه سائر من فارس اليه مع جيش كثيف ويخرج الى نصرته من عنده الوزير أبو الفتح ابن أبي الفضل ابن العميد . وإنما بنى ركن الدولة هذه الرسالة على ما كان يكتبه به ابنه عضد الدولة فإنه كان يعرف أخبار العراق يوما بيوما ويطمع ان يملكها لما يرى من سوء تديير بختيار لها ولاضطراب الامور^(١) هناك بسوء تأتي الوزراء وسقوط الهيبة وانتشار الخيل وفساد الرعية وكان مع ذلك فاسد الرأي في بختيار مضطربا أشياء كان تقدم^(٢) بينهما من مناقشة جرت في وقت ومنافسة في مرتبة ومنع مما كان يلتمسه عضد الدولة منه خاصة من دفاتر عزيزة كان يرض بها بختيار وجوار صوانع محسنات كان لا يسمح بها ومن خيل عراب كان يمنع من شرائها له ويجب ان يستبد بها من البادية وكانت هذه الاشياء مجتمعة في نفس عضد الدولة فهو يجب ان تستحكم الفتن ويستشري البلاء حتى يزول أمر بختيار ثم يقصد بنفسه وخبله وأمواله ويدبر أمر تلك الممالك انفسه ويضمها الى مملكته . فراسل أباه ركن الدولة : بانك قد كبرت عن لقاء الحروب ولا مال عندك وعندى منه كيت وكيت في القلاع والخزائن . وعظّم عليه ما جمعه ولعمري لقد كانت عظيمة وكانت له مع ذلك هيبة في أصحابه وتناير مصيبة ولكنه أحب ان يبذلها في خاصة نفسه لا في معاونة ابن عمه الذي يتصوره بصورة التبعيل وتضييع الامور وانها لها تفويض الوزارة وتناير المملكة

الى من لا يُرجع منه الى روية صادقة ولا تدبير صائب ولا صناعة قوية ولا ذكر بين الناس جميل وهو^(٢٠) مع ذلك يظهر له المنافسة ويمتعه من مطالبه وبفض من اقدار أصحابه الواردين عليه في مهماته . وكان يكتب أباه ركن الدولة بمثل ذلك الظاهر الجميل الذي يجمع الشفقة عليه والمحاماة عنه وتفديته بنفسه ورجاله في نصره ابن أخيه الذي هو ابن عمه وباطن رأيه ان ذلك الامر سيضطرب اضطرابا لا يتبقى معه بقية الا باستصلاحه لنفسه دون غيره ﴿ جواب عضد الدولة عن رسالته اليه ﴾

قد كان حبس أباه ركن الدولة عن الحركة بنفسه وأطمعه في النيابة عنه وكفائته هذا الشغل فاجاب بختيار يشير عليه بان يقف حيث انتهى والا يزيد الامر فسادا ولا يبرح من واسط حتى يلحقه ويدبر نواحيه وأقبل يماطله بالسير وزحف اليه الأتراك ومن انحاز اليهم من سائر أنواع الجند فحصر وبلغ منه كل جهد . ولعمري لقد صبر لهم وطاولهم ولكن مصابرة من يحتشمه عدوه ويبقى عليه وذلك أنه لما اشتد به الحصار وكان نازلا بين النخيل لا مجال لنخيل الأتراك فيه وأصحابه ديلم ورجاله يستندون الى النخيل ويراوغون فيه ولا يخلو في خلال ذلك من موافق يصل اليه فيها التركي المداخل المصالت فاذا علم أنه قد تمكن منه عدوه يذكره بالله وبالنعمة^(٢١) وأنه صنيعته وصنيعه أيه ويحاطبه بما يرق له القلب وتستحي منه العين فينصرف عنه التركي بعد التمكن منه ويجب أن يجرى قتله على يد غيره . فلم تزل هذه حاله من الصبر على الجوع والدرى ونفاد السلاح والخوف من اقدام من لا يقبله ولا يحتشمه عليه ويكتب عمه وابن عمه . وعضد الدولة يتوقف ويعدده بالسير مدافعة الماطل المنتظر به الهلاك وركن الدولة يضج من ذلك ويبعث ابنه

ويستبطئه الى ان لم يجد عضد الدولة من المسير بدا فصار من فارس وسار أبو الفتح ابن العميد من الري وكانت عدة أبي الفتح الوزير التي استصحبها يسيرة بالاضافة الى ما استظهر به عضد الدولة كثرة وقوة ومددا وذلك انه بالغ جدا ولم تبق بقية في الاحتشاد ولم تكن صورته في ذلك صورة من ينصر ابن عمه على طريق المعاونة والانجاد ثم الانصراف بل صورة من يجاهد ويدافع ويقيم بمد الظفر . ولم تخف على الناس هذه الحال منه لكثرة ما استصعبه من آلات خيم المقيم التي يريد ان يستقر بها ويتمكن في كل بلد بالآلات المعدة لها من الفرش الكثير والزينة التامة التي لا يستعملها المتوجه الى معاونة المنصرف بعد الفراغ من نصرة من توجه لنصرته .

فاما جواب أبي تغلب ابن حمدان عن رسالته ^(٤٢٢) فانه اجاب بالمسارعة والانعام وأنفذ أخاه أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة الى تكريت في جمع من جيشه فاقام بها مدة طويلة انتظاراً بما يكون من انحدار الاتراك عن بغداد الى معاربة بختيار فيردها . ولما تمادى الامر وانحدر بعد ذلك سبكتكين كما سنحكيه سار أبو تغلب يجمع جيشه الى مدينة السلام ليجب على بختيار الحجة فيما بذل له خطه من ابطال ما تقرر بالموصل وعمل بغداد ما سنصفه ان شاء الله

﴿ ذكر الرسائل التي تردت بين سبكتكين وبختيار ﴾

ثم ان سبكتكين راسل بختيار : بانك قد جنيت على نفسك جناية عظيمة بما ارتكبته ودبرته وان كل ما عمله وتصرف فيه خطأ وظل وان الامر الآن قد خرج عن اليد فافرج ن عن واسط حتى تكون هي وبغداد في يدي بازاء أموال الاتراك التي قد حصلت علي وتكون البصرة والاهواز

ونواحيها في يدك بازاء أموال الديلم واجعل أمرى وأمرك واحداً ولا تدخلن
بيننا أحداً ولا تفتح للحرب باباً فليست من رجالها وأنا ناصح لك مشفق
عليك حافظ وصية مولاي فيك التي ما حفظت مثلها في". فمرض بختيار هذه
الرسالة على الديلم فانكروها وأكبروها واستخفوا بقائلها والتحمل^(٢٣) لها
وردوه بالخفية والمأبذة فجد سبكتكين واستعد للحرب وقدم كتابا من الخليفة
إلى بختيار ينذره فيه وأجيب عنه بما ليس هذا موضعه ووصل جواب هذا
الكتاب الي الطائم لله والى سبكتكين وقد انحدرنا عن بغداد وانها الى
دير العاقول ومع وصوله توفي المطيع لله وكان انحدر مع ابنه الطائم لله
وحدث بسبكتكين علة الموت فمكث فيها بدبر العاقول أربعة أيام وتوفي فخل
الي مدينة السلام.

وتماسك الاتراك وثبتوا واجتمعوا على التكتكين مولي معز الدولة وكان
يتلو سبكتكين عند معز الدولة وله رياسة في الاتراك وحشمة قديمة^(١) ولقاء
في الحروب للاعداد فمقدوا له الرياسة عليهم وعمل على اتمام العزيمة في اللقاء
وكان عبر بختيار الي جانب واسط الغربي وأخلى الشرقي وجمع السفن
والزواريق اليه ولم يترك من آلات الماء شيئا في الجانب الشرقي ونقل الشتاء
وطبقات الناس اليه وضرب مصافه في منازل واسط وعمل على مناجزة
الاتراك ولاقاهم بالديلم اما مناجزة ان ثبتوا له واما مصابرة الي أن يأتيه
الغوث من الري وشيراز وكان استبشر بما اتفق على الاتراك من موت
زعيمهم وقدر أنهم يضطربون وينتشر أمرهم ثم عرف انتظام أمرهم فتوقف^(٢)
عن الاصعاد. واجتمع الاتراك وزحفوا وعقدوا جسرا بسفن كانت معهم

من بغداد وكانت معهم أيضا زبازب كثيرة وجيش للماء وعلي مقدمتهم حمدان ابن ناصر الدولة فاستأمن حمدان الى بختيار بكل من معه وعبر من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فاكرمه بختيار ووصله

﴿ ذكر السبب في تسييرهم حمدان مقدمة والسبب ﴾
﴿ في استئمانه الى بختيار ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة ببغداد عند حدوث هذه الفتنة فدعاه سبكتكين الى طاعته فاجابه وأخذ عليه العهود والمواثيق بالصيحة والموالاة وانما سكن اليه للعداوة التي بينه وبين أبي تغلب ولان أبا تغلب حافظ على مودة بختيار وواصله ونصره وظاهره فانفذه سبكتكين على مقدمته . فلما توفي سبكتكين كتب اليه الفتكين يعرفه وفأبه واتصابه في موضعه ويستدعيه اليه ليستأنقا ايقاع التدبير ويتفقا على المسير . فاعتقد حمدان حين وقف على هذا الكتاب أن أمر الاتراك قد اختل نظامه بوفاة سبكتكين وغزم على المصير الى بختيار وكان عرف أيضا مسير عضد الدولة وخيول ركن الدولة فاتخذ كتاب الفتكين الوارد عليه الى بختيار وأعلمه انه سيعود الى الفتكين ثم ينحدر اليه واشترط شروطا واقترح اقتراحات . فورد ذلك على بختيار وقد عبر الى الجانب الغربي ولما اجتمع حمدان مع الفتكين رده ^(٤٢٥) على مقدمته كما كان في أيام سبكتكين . فوافى بمن معه من غلمانهم وأسبابه وعبر مستأمنا الى بختيار فلقاه وأكرمه وحمل اليه مالا كثيرا وثيابا فاخرة وعدة وافرة من الخيل والمراكب والبقال والجمال . وضعت نفوس الاتراك فتوقفوا يوما ثم زحفوا بأسرهم ونزلوا على دون الفرسخ من واسط وعبروا

على جسرهم وتقدموا الى مصاف بختيار فكانوا يواقعونه بنواب و اتصل ذلك نحو خمسين يوما . وتجاسر العوام من الجانبين على استعمال المشاة الفاحشة والمسابة القذعة و اتفق على حمدان انه حمل على الاتراك في بعض هذه الايام فرموه ووقع بعض سهامهم في صماخ فرسه فرمى به ونهض ليركب غيره وعليه الحديد فلم يتمكن من ذلك وعرفه الاتراك فاكبوا عليه بالدبابيس حتي ائمنوه وكاد يتلف ثم أخذوه أسيرا الافضل فيه فعولج وبرا إلا انه لحقه عرج ظاهر من وركه الايمن وبقي على ذلك بقية عمره ثم من عليه الفتكين وأطلقه وأخذ منه رهينة وأعادته الى حاله فشهد معه الحرب يوم ديالي الي ان انهزم الاتراك وانحاز الى عضد الدولة

ولم تزل الحرب بين الديلم والاتراك متصلة بواسطة بواسط والاستظهار للاتراك^(٣٦) وأشرف الديلم على الانكسار والحرب دفعات وقتل من الديلم خلق كثير لتقصان جنهم واستظهار الاتراك عليهم بالاسلحة واشتد على بختيار الحصار وأحرق به وصار في مثل كفة الحابل وأحاط به الاتراك من كل وجه وكانت صورته كما ذكرت فيما تقدم . واتصلت كتبه الى أبي تغلب يسأله الانحذار والى عضد الدولة يسأله اللحاق ويُعلمه ان مملكته قد خرجت من يده وانه أحق بها ممن غلب عليها حتى انه كتب اليه في بعض كتبه البيت الذي كتب به عثمان الي أمير المؤمنين على صلوات الله عليه :^(١)

فان كنت ما كولا فكن خيرا آكل والا فادر كني ولما أمزق
نأما أبو تغلب فسار بجمع عسكره بعد ان كان قدّم أخاه الحسين كما

كتبنا خبره فيما تقدم وصار الى مدينة السلام فالفها مفتتنة بالعيارين^(١) فقمهم وقتل جماعة منهم وحمل من بغداد الى الموصل أشياء كثيرة ظفر بها من آلات فاخرة وأناقض جليلة وذخائر وودائع وأماعضد الدولة فانه سار بعد ما ذكرته من التوقف والباطء واجتمع مع أبي الفتح ابن العميد بالاهواز

﴿ ذكر السبب في رجوع الفسكين الى بغداد ﴾

﴿ وهرب أبي تغلب عنها الى الموصل ﴾

لما سمع الفسكين بخبر عضد الدولة وحصوله بالاهواز نخب قلبه

(١٠) وفي تاريخ الاسلام انه في المحرم أوقع الميارون حريقا بالحشابين مبدؤه من باب الشعير فاحترق أكثر هذا السوق وهلك شيء كثير واستفحل أمر الميارين ببغداد حتى ركبوا الخيل وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الأمور وأخذوا الخفارة من الاسواق والدروب . قال صاحب التكملة : وذكروا أبو حيان في كتاب الامتاع والمؤانسة قال : حصل ببغداد من العيارين قواد منعوا الماء ان يصل الى الكرخ وكان فيهم قائد يعرف بالاسود الرند لانه كان يابى قطارة الرند ويستظم من حضر وهو غريبان لا يتوارى فلما نشأ المهرج رأى هذا الاسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف فطلب الاسود سيفاً ونهب وأغار وظهر منه شيطان في مسك انسان وصبح وجهه وعذب لفظه وحسن جسمه وأطاعه رجال فصار جانبه لا يرام وحريره لا يضام وظهر من حن خاتمه مع شره ولنته وسفكه الدم وهتكه الحرم وركوبه الفواحش وتمرده على ربه القاهر ومالكه القادر انه اشترى جارية بالف دينار فلما حصلت عنده حاول منها حاجته فزمته فقال : ما تكبرهين مني . فقالت : أكرهك كما أنت . فقال : ما تحبين . قالت : ان تبني . قال : أو أفسد لك خير من ذلك . وحملها الى مسجد ابن رغبان فاعتقا بين يدي القاضي ووهب لها ألف دينار . فعجب الناس من قدسه وجمته وسماحته وصبره على خلافها وتركه مكافأها على كراهتها . ثم صار في جانب أبي أحمد اوسوي حماه وسيره الى الشام فهلك بها .

ورأى ان يحصل ببغداد ويجعلها^(٤٢٧) وراء ظهره وتكون حربه على ديبالى . قال صاحب هذا الكتاب : كنت في جملة السائرين من الرتّى في صحبة أبي الفتح ابن العميد وما كان اشفاقنا ولا حذرنا كله الا من سبق الاتراك ايانا لى أسفل واسط الى الموضع المعروف بباذيين وان يحملوا النهر وراءهم مع المدينة والميرة وان يتركونا حتى نقطع اليهم . فمارة بنج وبنج ونلقاهم على اعياء وكلال وليس وراءنا عمارة ولا نجد ما ننزل عليه فان طاولونا اياما كان الهلاك وان ناجزونا حين ورودنا كانوا جامين مستريحين ونحن على حال تعب وضعف وكنا من كثرة العدد على ما وصفت فيما تقدم . فلم يوفق الاتراك لذلك وانصرفوا الى بغداد ورأوا من الصواب لهم ان يملكوا ببغداد ويجعلوها وراء ظهورهم وتكون حربهم على ديبالى فكانت الخيرة لنا فيه ودخلنا واسطاً بغير مانع . وقد كان بختيار واخواه ومحمد بن بقية تلقوا عضد الدولة لما انصرف الاتراك عنهم وترجلوا له وأعظموه كما يستحق وسار عضد الدولة في الجانب الشرقى وتقدم الى بختيار ان يسير بازائه من الغربي ممتدين الى بغداد

فاما الفتيكين فانه لما توسط في مسيره الى بغداد أنفذ سرية في أربعمائة غلام من الاتراك لسكيس أبي تغلب فارهتود وشغب مع ذلك جنده عليه فهرب^(٤٢٨) الى الموصل هرباً قبيحاً وقطع عسكره . وحصل الفتيكين ببغداد في حصار شديد قد أحدثت به الخيول من كل وجه وذلك ان بختيار كاتب ضبة بن محمد الاسدي وهو رجل من أهل عين التمر كثير المشائر وقد جرت عادته بالتبسط بان يشن الغارات على أطراف بغداد ويمنع من جلب الميرة اليها فعمل ووجد الطريق الي بغيته فنهب السواد وقطع السبل . ثم أنفذ

في الجانب الشرقى ابن أخ لمحمد بن بقیة وزیرہ يعرف بابی الحمراء وهو لقب غلب عليه مع طائفة من بنى شيان ليتطرف بغداد ويحاصرها من ذلك الوجه وكانت خيول عضد الدولة والري وبختيار متوجهين اليه سائرين لحروبه وكان أبو تغلب من ناحية الموصل يمنع الميرة وينفذ اليه سراياه ورجاله فاشتد الحصار به وعزت الميرة وانحسرت موادها وتارت الرعية فهبت الموجود في المدينة وامتنع الناس بالفتنة ان يتسوتقرا أو يمشوا وأعييت الفتكين الحيلة في التماس ما يحتاج اليه وصار يتبع المواطن التي يظن فيها قوتاً أو بذراً أو عدة يتناول ذلك حتى انتهى به الامر الى ان ركب نفسه الى منزل بمض الاشراف فكبسه وأخذ مافيه .

وسار عضد الدولة كما حكينا في الجانب الشرقى وبختيار بازائه في الغربي فلما صار بدير^(٢٩) العاقول عبيّ عسكره تعبئة اللقاء وجعل موكب خاصته في القلب وفي ميمته أبا الفتح ابن العميد وجيش الري وفي ميسرته أبا اسحق ابراهيم بن معز الدولة ومحمد بن بقیة وطائفة من عسكر بختيار ونزل المدائن على هذه الحالة من الترتيب . وورد خبر الفتكين بأنه برز الى دبالى ونزل عليه مستعداً للحرب وعقد عليه جسورا ليعبر عليها واعتقد ان يلقى المساكر في فضاء بين دبالى والمدائن وظن انه يتمكن بالجولان فيه مما يريد وذلك في^(٣٠) سنة أربع وستين وثلثمائة ﴿

(١) زاد صاحب التكملة . طوبأ أبو محمد ابن معروف ان يستحل يعم دار ولد أبي الحسن محمد بن أبي عمرو الشرايى حاجب الخليفة وكان أبوه قد مات والبائع لها ويكل نصبه المطيع لله فامنع وأغلق بابہ واستغنى من القضا (وفي تاريخ الاسلام انه عزل بحكومة اتقى فيها وحده الله) فقلد مكانه القاضي أبو الحسن محمد بن صالح بن أم شيان الهاشمى بمد ان امتنع وأجاب على أن لا يقبل رزقا ولا خلعاً ولا شفاعة وان يدفع

وعبر الفتيكين تلك الجسور ولم يقع في الظن أنه يمر ديبالى ولا أنه يترك التحصن به والقتال من ورائه فسار عضد الدولة على تعية وهيئة حتى انتهى الى قرية هناك وتراءت مواكب الفتيكين وقد عبأها كراديس واعترض نهر صغير في هذه القرية فوقع التشاغل به الى ان عبرته العساكر وصاروا مع تلك الكراديس في أرض واحدة

﴿ ذكر عجلة وقعت وحرص ظهر من جيش ﴾

﴿ بمختيار الذين كانوا في ميسرة عضد الدولة ﴾

(فكانوا يكسرون العسكر)

تقدم الجيش البختيارى المرتب في الميسرة مع أبي اسحق وابن بعية زحفا بغير أمر وفارق المصاف وخرج عن النظام حرصا على اظهار فضل وغناء وتشوقا الى اللقاء فراسلهم عضد^(٣٠) الدولة ونهائم فلم ينهوا على ما اعتادوه من الاستبداد حتى لحجوا واستجروهم الا تراك حتى صاروا بالبعد من العسكر فمظف الا تراك عليهم وقتلوا خلقا منهم وتابعوا الخلات عليهم وأكثروا النكابة فيهم حينئذ عرفوا الخطأ الذي ركبوه وأنفذ عضد الدولة طائفة من الرجال اليهم فلم يفتنوا عنهم وحصلوا في مثل حالهم فلما رأى ذلك زحف على نظامه وهيأته حتى اتصلوا بهم بعد ان أشرفوا على الهلاك فلما

الى كاتبه من بيت مال السلطان ثلثمائة درهم (في كل شهر) ولحاجيه مائة وخمسون درهما وللناضي في الفروض على بابه مائة درهم ولحازن ديوانه وأعوانه ستائة درهم وان يصل اليهم ذلك من الخزانة فأجيب وركب معه ابن بعية والوجوه وتسلم عهده بمحضرة المطيع لله فتولى أنشاه أبو منصور أحمد بن عبيد الله الشيرازى صاحب ديوان الرسائل بوهتذ وقرىء عهده في جامع المدينة . وفي سنة ٦٤ أعيد ابن معروف الى قضاء القضاء وصرف ابن أم شيان

قرب من جرة القوم ومجتمعهم حمل عليهم فلم يثبتوا واستأمن بعضهم وحكم
السيف في الباقي فقتل خلق منهم وألجأهم الهزيمة الى تلك الجسور التي
عقدوها على ديايي فازدحموا عليها وأرهبهم الامر فهلك منهم ومن العيارين
الذين وازروهم بالقتل والفرق خلق كثير وركب عسكر عضد الدولة
أكتافهم وعبروا تلك الجسور على آثارهم فاستباحوا عسكرهم وسوادهم
وألقوا النار في خيمهم وخركاها تمهم وأدركهم الليل فبات هؤلاء وهرب
أولئك لا يلوي أحدهم على صاحبه .

وأفد عضد الدولة في ساعة الفتح بشيرا الي بختيار وذلك يوم السبت
لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٦٤ وأقام على ظاهر^(٣١)
المدينة الي ان عرف خبر الاتراك ثم دخل المدينة في أحسن زى وعدة
وطواه متجاوزا الي باب الشماسية وبختيار يسير بازائه ويمسك بحياله وأقام
بموضعه الي ان بُد الاتراك وورد عليه خبرهم من تسكرت وانهم وصلوا
اليها على حال قبيحة من التقطع والتمزق واختلاف الكلمة فيئذ اتنى الي
النزول في داره . واشتغل قلبه بالطائع لله وحصوله مع الاتراك وتصرفه على
ما يحبون والتقل معهم فبث اليه رؤساه وقد كان رساله قبل ذلك ولم يزل معه
بالتلطف والرفق حتى رده الي دار الخلافة وموطن الائمة .

﴿ ذكر ما جرى بين بختيار وبين جيشه وما كان ﴾

﴿ من اعتزله اياهم وما كان من انكار ركن ﴾

﴿ الدولة لذلك وما تم من الحيلة عايه من ﴾

﴿ انتقاضه وعوده الي منزله وحالته ﴾

لما تم هذا الفتح لعضد الدولة لم يشك أحد من دنا وبمعد في انه

يستولي على هذه المملكة ويضيفها الى مملكته لضعف بختيار عنها واشتغاله بضروب اللهب واللعب وتجاسر الديلم والأتراك عليه ففكر في حديث الناس وعلم ان أباه ركن الدولة لا يصبر على ذلك ولا يحتمله له . فاتخذ دعوة دعا اليها بختيار واخوته ومحمد بن بقية وسائر عسكر بغداد وخلع عليهم ضروب الخلع على مقدار مراتبهم وجعل ذلك كالوداع وأظهر^(٤٣٢) الرحيل الى فارس وأمر باعداد الميرة في المنازل . ووافق في السر رؤساء الجند ان يثوروا بختيار ويشفوا عليه ويطالبوه بان يطلق أموالهم ويغير أحوالهم ويحس مجازاتهم عن صبرهم عليه وثباتهم معه وبذلهم الانفس في محاربة الأتراك دونه ففعلوا ذلك وبالغوا في الشغب والاقترحات وبختيار صفر اليد لا يملك ذخيرة ولا تصل يده مع خراب النواحي واتصال الفتن الى درهم واحد . فراسله عضد الدولة سرا ووافقه على مقابلتهم بالتشدد والنظظة والصدق عن الحال وانه لا يعدم بما لا يقدر عليه وان يفصح لهم بالاستعفاء عن الرياسة وانه قد بريء اليهم منها ووعده أن يتوسط حينئذ بينهم ويقرره على ما يجب . فلم يجد بختيار عدولا عن ذلك ولا عرف وجه حيلة سوي ما أشار به عليه فيادر اليه واستفهام من رياسته وأغلق أبوابه وصرف كتابه وأسبابه وراسله في الظاهر بمقاربة القوم وتديريهم فاجابه : باني لست أميراً عليهم ولا معاملة بيني وبينهم فلينظروا لانفسهم وليعقدوا لمن شاءوا . واتصلت هذه الرسائل ثلاثة أيام والشغب يزيد الى أن اعلنوا بالقيسح وكادوا يزحفون اليه ويأتون عليه فاستعاذ بعضد الدولة وطلب منه ما كان وعده به^(٤٣٣) من التوسط فراسلهم عضد الدولة بما سكن منهم وأمرهم بالفرق ووعدهم بالنظر في أمرهم . ثم استدعى بختيار الى داره وقد كان خائفا مرعوبا واستدعي أخويه

على طريق الاشفاق عليهم والحذر من أن ينصبوا أحدهما علماً للفتنة فيفتحوا به باباً الى الفرقة وراسلها بختيار أيضاً بمثل ذلك حتى حضرا جميعا . ثم جمع الرجال وجماعة الجند وأعلمهم أن استيفاء بختيار من النظر واعتزاله اياهم وافق محبة منه للنظر في أمورهم وضمهم الى نفسه وانه يخلطهم بمسكروه ويشملهم باحسانه وانه المتولى للامر وان بختيار انما كان خليفة له ولركن الدولة وانه الآن قد استعفى فاعني وبريء فأبرى فسكنوا وتفرقوا ووثقوا بوفائه وانه من وراء ذلك . وأمر باستظهار على بختيار وأخويه ووكل بهم ثقاه وذلك يوم الجمعة لاربع ليال يقين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٤ وجمع بينهم وبين الوالدة

فاما الخليفة الطائع لله فانه كان نافرا من بختيار للحروب التي جرت بينه وبينه ولان اتصابه في الخلافة جرى على يد غيره في غير أيامه وسكن الى عضد الدولة ودمامه . فلما اتصل به ما اختاره بختيار لنفسه من الخلم سكنت نفسه وهو حيثئذ مع الأتراك وعند الفتيكين بتكرت^(١٢٤) جرت بينه وبينهم مناظرات في الرجوع الى بغداد فسألوه الامتداد معهم الى الشام فلم يمكن ذلك لان القوم منهزمون وعلى حال اضطراب فوعدهم من نفسه اذا ثبتت أقدمامهم وكان له قوة وفيهم منعة أن يحتمل لهم ويعود اليهم أو يدبر لهم في الاجتماع معهم فاتفقوا على ذلك . وانكفاً الطائم لله الى داره ورحل الأتراك الى الشام^(١٢٥)

وتقدم عضد الدولة بمهارة دار الخلافة وتطريتها وتجديده فرشها وآلتها وترتيب أسباب الخدمة فيها والتم في ذلك مالا جليلا وأخرج الجيش اليه

متلقين واستقبله بنفسه يوم الخميس لثمان خلون من رجب سنة ٦٤ وكان أول اجتماعهما وانحدر معه في حديدي كان أنفذه اليه ودخلا بغداد . وكان طرح لعضد الدولة بين يديه كرسي وقد كان قبل عضد الدولة الارض له وجلس على الكرسي وأطافت بهما الزبازب والطيارات في الماء وسار الجيش على شاطئ دجلة ودخل الخليفة داره واستقر على سريره . وأنفذ عضد الدولة الى خزائنه مالا كثيرا وثيابا وفرشا جليلا من جميع الاصناف وعدة من الخيل والمراكب والرقيق والآلات وقرر يده في ضياع الخدمة المرسومة بالخلفاء وقد كانت متشدبة قد تخيفها أسباب^(١٣٥) معز الدولة ثم أسباب بختيار فمنهم من اتعب على حدودها ومنهم من استقطع الخليفة بعضها ومنهم من ضمن منها ما لم يتصفه من نفسه فيه ولم يسهل اخراج يده عنه فرد عضد الدولة ذلك كله الى حقه . فامر الطائع لله بانشاء الكتب عنه الى النواحي باستقامة احوال السلطان وتعنى آثار الفتنة وتآلف الشمل وكتبت وفرقت في الممالك كلها

﴿ خبر عصيان المرزبان ابن بختيار بالبصرة ﴾

﴿ وعصيان ابن بقية بواسط ﴾

أما المرزبان فان عضد الدولة سام بختيار أن يكتبه بالاصعاد وكان متوليا البصرة ايرضى بما رضى به أبوه من خلوة الذرع من تدبير الجند والرعية فكتب وانفذ كتابه على يد ثقة من ثقاه يعرف ببلى بن محمد الجوهري وكان صحبه من شيراز ووصاه بموافقة محمد بن دربند وكان اسفهلار جيش البصرة وهو قريب للحسين بن ابراهيم وهو متقدم في جيش عضد الدولة . ولم يقع في نفس أحد أن المرزبان يتمتع ويحدث نفسه بالعصيان لصباه وصفر سنة ولان

جيشه من الديلم وهذا المدبر للجيش الذي ذكرناه يهوى هوى عضد الدولة ويرى رأيه . فلتى على بن محمد الجوهري في طريقه صاحب دواة لعز الدولة بختيار يقال له عيسى بن الفضل الطبرى قد كان اصعد عن البصرة فمرّفه الصورة واستعمل في اخراج هذا الحديث اليه غير الحزم والصواب^(٤٣١) فنتى وجهه عائداً اليه الي البصرة وسبق الي المرزبان بالخبر فاشعره الوحشة واعلمه أن آتاه مكرهه ولقنه العصيان . فلما ورد الجوهري على آثره البصرة بدأ بمحمد بن دربند وأوصل ما كان معه من الكتب اليه فصار به وبها الي المرزبان وتندهما انه غافل فوجده مستعداً للخلاف وقبض عليهما جميعاً وأظهر الخلاف وكتب ركن الدولة بالبكاء والنوح واعلمه ما جري على آييه بختيار وعمومته وان جميع ما يكتب من جهة عضد الدولة ووزيره أبى الفتح ابن العميد عن بختيار انما هو تمويه وان الخيلة استمرت وتمت لهما على القبض على آييه وانه امتنع ثقة بتداركه آياه ومعه وأثقت قاصدين عدة بكتب متواليه

وكان لمحمد بن بقيه خليفة بالاهواز من جنسه في الانسلاخ من صناعة الكتابة [ومن كل فضيلة] يقال له محمد بن عبدان الاهوازي فلما بانمه ماجرى احتوى على ما قدر عليه من المال وأثبت عدة من الرجال وصار الي البصرة داخل في سوار أهل العصبية فغلب على المرزبان وشحن بصيرته في العصيان ودخل في وزارته ووعده الكفاية . وأما محمد بن بقيه فقد ذكرنا حاله في البعد من كل فضيلة وكان يتموه أمره في أيام بختيار فاما في دولة عضد الدولة فإكان ألبده من أن يكون عريفاً من عرفاء الرجالة يبابه فضلاً عن ان يختلط بوزرائه وكتابه ولسكن أظهر مساعدة كثيرة^(٤٣٢) لعضد

الدولة فيما كان يدبره وخدمة فيما كان يراه وانما فعل ذلك حذرا على نفسه وخوفا ان يُردَّ الي مرتبته وعلما بان بختيار ان عادت يده في التدبير قبض عايه وطمع فيه وعامله بما عامل به وزراء الكفاة عند حاجته الى المال وكره عضد الدولة ان يخلطه بوزرائه الكفاة مثل نصر بن هرون وكان معه في هذه الوقعة وهو شيخ الكتاب قد سُلم له صناعة الحساب خاصة فينسب الناس الي قلة المعرفة بالرجال وتقصان الرعاية لاهل السابقة والتقدم في الكفاية وكره أيضا ان يصرفه صرفا قاطعا فيكون قد خيب ظنه وأكذب تأمليه فاستوزره لابنه أبي الحسين ابن عضد الدولة وعرض عليه ما يشاء ان يتقلده من الاعمال فاختر واسطا وتكرت وعكبرا واوانا وقاطع على هذه الاعمال ووفر على ما كان العمال يدخلون فيه زيادة عظيمة فأمر عضد الدولة ان يعقد عليه جميع ذلك . واقترح ابن بقية اقرار اللقب والتكنية السلطانية ولباس القباء عليه فأجيب الي ذلك وخلع عليه خلعاً نفيسة وحمل على دواب بمراكب ذهب وأقطع خمسمائة ألف درهم ورسم له حضور مجالس المئانسة والمنادمة ولم يتقصه من جميع عاداته الا اسم الوزارة لانه بالحقيقة لم يكن يتولاها على رسوم الوزراء فيخاطب بها فآظهر سرورا عظيما وشكرا كثيرا ودعاء متصلا وكل ذلك على ذحل^(٤٣٨) وغل قد أضمره وانحدر الي واسط .

وقد كان عمران صاحب البطائح مستوحشا فاحب ان يتعاق مع تجدد ملك عضد الدولة بدمام فانفذ كاتبه يلتمس عهدا ومنشورا وعقدا وتقريرا فأجيب الي ذلك . والتمس أبو تغلب ابن حمدان صاحب الموصل مثل ذلك وضمن حمل المال الذي كان يحمله قديما الي بختيار فاجابه عضد الدولة الي

ماسأل وأعناه من حمل المال لمكاتبه قديمه كانت بينهما ومودة سالفة وعقدت أعمال الاهواز على سهل بن بشر النصراني وخلع عليه فشخص اليها وكان محبوبا في يد بختيار وقد جازفه وصادره . وفرقت أعمال السواد على العمال ودبر الامور كلها أبو منصور نصر بن هرون .

ولم يبق في نفس عضد الدولة شيء يتعلق به نفسه الا انتزاع البصرة من يد المرزبان فلما حصل ابن بقيه بواسط خلع الطاعة وأظهر الخلاف وقبض على من ضم اليه من القواد وأظهر انه امتعض لصاحبه بختيار وكان هو المشير بجميع ما جرى متابعه لرأي عضد الدولة . ثم كاتب عمران بن شاهين يستدعي منه المعاوضة ويحذره تداير عضد الدولة وانه ليس ممن يصبر له على محاورته : انك الخال فاجابه عمران الى ماسأل . وكاتب المرزبان ابن بختيار يلتمس منه ان يمد به بالرجال والمال والسلاح فلم يجد عنده ما يجب لتهمته بالانحراف عنه وعن أبيه ^(٤٣٩) وعلم انه يريد ان يقيم سوقا لنفسه واحجم ابن بقيه عن المصير اليه لتقلد الاهوازي وزارته فبني أمره على انه متى وقع الطلب له هرب الى عمران وقصد أعمال نهر الفضل فيتغلب عليها وكتب الى سهل بن بشر ما أغواه حتى استجاب له وسلمت سبيل ارادته . وقد كان عضد الدولة عزم على انقاذ عسكر الماء لفتح البصرة فلما عصى ابن بقيه جعل همه كله واسطا فانفذ اليه عسكرا قويا فخرج اليه في آلات الماء فيمن أمده بهم عمران من رجاله

ووردت كتب ركن الدولة على المرزبان بان يماسك بالبصرة وشجعه على مقاومة عضد الدولة ووعده بالمصير الى بغداد بنفسه لازعاجه وتمكين بختيار وكذلك فعل في مكاتبه ابن بقيه وأبي تغلب ابن حمدان فاضطربت هذه

النواحي على تعضد الدولة وضاق به الامر وتجاسر عليه الاعداء من كل وجه وانقطعت عنه مواد فارس والبحر ولم يبق في يده الا قصبة بغداد وتجاسرت العامة عليه وأشرف على صورة قبيجة . فرأى ان ينفذ أبا الفتح ابن العميد الي أبيه ركن الدولة متحملاً^(١١١) رسالة عنه يصدقها فيها عما جرى ويأمله فيه بعده عن ممالكة وتضييعه الاموال التي أفتقها وانه قد خاطر مع ذلك بنفسه وجنده كما خاطر هو بوزيره وأكثر جنده وانه قد هذب مملكة العراق واستعاد الخلافة الى ممالكة وان بمختيار ليس ممن تستقر نظره دولة ولا تعتدل على يده مملكة وانه ان خرج عن العراق على تلك الصورة لم يبعد ان تضطرب الممالك كلها ثم لا يمكن تلافيا ويسأله المدد والامساك عن نصرته من نفسد على يده مملكته وممالكها . ما وقال لابي الفتح ابن العميد انظر فان تيقظ للامر ونجم فيه هذا القول وأشباهه فاقصر عليه وان رأته : مقيا على رأيه فزد في الرسالة وقيل له : انى أقاطعك على أعمال العراق وأحمل اليك عنها ثلاثين الف الف درهم وانت فقير لا مال لك ولا عدة عندك لمثل هذه الحال ان عادت اليك وأنا أعجل لك من جملتها عشرة آلاف الف درهم وأبث بختيار وأخوته اليك لتجعلهم بالختيار فان شاؤا أقاموا في أوساط ممالكك ومكنتهم من أي البلدان اختاروه وان شاءوا أن يصيروا الى فارس فيختاروا من أعمالها أي البلدان أحبوه الى ذلك ووسعت عليهم في النفقات وأرغدت عيشهم في أوساط ممالكنا . ولم تترك في هذه الديار التي استضعفه أهلها وعرف جنده سيرته^(١١٢) فيها وان الخلافة تخرج عن يده وأيدنا وهو يضيف عن سياسة جنده ويعتمد في التدبير على الجبايات والمصادرات وتمكين من يرتفع له في الوقت على يده مالا يقع موقماً من حاجته ثم يضطر الى نكبته

واعتماد غيره على أن هذا الباب أيضا قد انسد ولم يبق فيه بقية مما عمله قديما وقد عرف ذلك من نفسه ولذلك استعفى من الامر . وان أحيت أن تحضر بنفسك العراق لتسلي التديير وتكون سائس الخلافة وبيت الملك ووليت الامر وترد بختيار الي الرسمى فانصرفُ الى فارس كان ذلك وجهان من الرأي صحيحاً . وقال لابن العميد : وينبغي أن تتبسط في هذا المعنى فانك تجد فيه مقالا واسما فان لان لك وعرف صواب قولك والآ فزد في الرسالة فصلا ثالثاً تجبه به وهو : انك أيها الوالد السيد مقبول القول والرأي والحكم ولكن لا سبيل الي اطلاق القوم بعد مكاشفتهم والقبض عليهم واظهار العداوة لهم فانهم لا يصلحون لي أبداً ولا تنقي جيوبهم ولا تصح نيابتهم وسبقا بلونى بغاية ما بقدرون عليه فيضطرب الجبل وتنتشر كلمة أهل هذا البيت ابدأ . وان آيت أن تقبل أحدي الخصال التي عدتها لك وخيرتك فيها وحكمت بانصرافى على هذه الجملة فاني سأضرب أعناق هؤلاء^(١٢٣) الثلاثة الاخوة (يعني بختيار وأخويه) وأقبض على من اتهمه من حزبه وأخرج وأترك العراق شاغرة ليدبرها من اتفقت له

فقال له أبو الفتح ابن العميد : هذه رسائل صعبة لا يمكننى أن أتلقى ركن الدولة بها وأنا صاحبه ومدبر أمره فاني أعرف نصرته لمن ينصره من الغرباء وتصميمه عليه وبلوغه غاية جهده فيه فكيف ابني أخيه ! ولكن الصواب أن يتقدمنى اليه من يفرغ جميع ذلك في أذنه من جهتك ثم اتلوه شافعاله ومتما ومشيراً . فتقرر الامر على ذلك وثقف فيه من جهة عضد الدولة^(١) ومن جهة أبي الفتح ابن العميد أبو الباس ابن بندار وكان الامير ركن

الدولة يأنس به قديماً فتوجهت الرسل وشخص ابن العميد على جازات عددها مائة يتلوها . فلما بلغ الرسولان الاولان الى ركن الدولة وشرطاً في تأدية الرسالة وعرف النرض الاخير منهما لم يمكنهما من اتمام الرسالة ووثب الى الحربة التي تلى مجلسه فتناولها وهزها وهرب الرسولان احضاراً من بين يديه .

فلما سكن غضبه استعادها وقال : قولاً لفلان (يعني عضد الدولة وسماه بغير اسمه) خرجت الى نصره ابن أخي أو الطمع في مملكته ؟ أما عرفت أي نصرت الحسن بن الفيروزان وهو غريب مني مراراً كثيرة أخرج فيها كلها عن^(١١٣) ماكي واخاطر بنفسي وأحارب وشمكبير وصاحب خراسان حتى اذا ظفرت وتمكنت من البلاد سلمتها اليه وعدت من غير أن أقبل منه ما قيمته درهم فإفوته طلباً للذكر الجليل ومحافظة على الفتوة ؟ تريد ان تمتن أنت على بدرهمين اتفقتهما على وعلى أولاد أخي ثم تطمع في ممالكهم ! وخرج هؤلاء الرسل لا يملكون أرواحهم اشفاقاً مما رآوا منه وما ظهر من غيظه وغضبه .

وبلغ ابن العميد الري وهو الوزير المقرب والامين المتمكن وعند نفسه أن صورته كما كانت فخُجِبَ عن دار الامارة ورُدَّ عنها أقبح ردِّ وروسل : بانك خرجت من عندنا ناصراً لبختيار ومدبراً عسكرياً وعسكرنا وعسكر فناخسره حتى يستقيم أمر أولاد أخي ثم تأتي الآت في صورة قبح تحمل رسالة فناخسره فيما يهواه حتى يكون مكان أخي وأولاده وبطمع مني في أن ارضخ له في القبض عليهم وازالة نعمهم ويهدنني بالعصيان ! أما أنت فقد عرفت انك اخترته على وسوالتك نفسك ووزارة العراق ونزهة دجلة ارجع

اليه على حالك فوالله لا صلبن أمك وأهلك على باب دارك ولا يدين عشيرتك
ومن يتصل بك عن وجه الارض ولا تركنك وذلك الفاعل (يعني ابنه)
تجهدان ثم لا أخرج اليكم الا بنهسي في ثلاثمائة جازة لا يصحبنى الا من
عليها^(٤٤٤) من الرجال ثم أبتوا لي ان شئتم . وحلف ركن الدولة محلوقة :
انى اذا بلغت بعض طريقى في قصدي اياكم لا يبقى معكم رجل واحد الا
تلقانى وحصل عندى وانه لا يتقرب بك وبعضد الدولة الا اخص أوليائك
وأوثق عبيدك في انفسك وانما أركك الآن وانت في يدي لتعود الى
. ووضعك وتعيد رسالتى وكلامى وتنتظر صحة وعدى ووعيدى . وأمر من
هذا الكلام ما هذا جلته وان كان اكثر من هذا وأشنع .

وكان ركن الدولة قبل هذه الحال وعند سماع حال أولاد أخيه من
القبض عليهم رمى نفسه عن سريره وأقبل يتمرغ ويزيد ويمتنع من الاكل
والشرب أياما ومرض من ذلك مرضا لم يستقل منه باقى حياته وكان يقول :
انى أرى أخى معز الدولة متمثلا ازائى يعرض على أنامله ويقول « يا أخى هكذا
ضمنت لي ان تخلفنى فى أهلى وولدى ! » وكان ركن الدولة يعز أخاه عزرا
شديدا فيراه بصورة الولد لانه رباه ومكبه مما تمكن منه .

وتوسط الناس بينه وبين أبى الفتح ابن العميد يشفعون له ويقولون
انه لم يرد فيما ظننته وانما احتال فى الخلاص من عضد الدولة بتحمل رسالته
وغرضه ان يجتمع معك لتدير الامر بما تراه و [هو] بضمن ضمنا يدخل
فى تبعته انه يقرر الامر على رضائك بعد ان تسمع كلامه وتمضى له بما يعمل
به فى هو اك . فأذن له^(٤٤٥) حينئذ وجرى بينهم خطاب طويل تقرر على
ان يعود ويفرج عن بختيار وأخوته ويقرر الملك فى أيديهم وينصرف كل

واحد من عسكر الري وعسكر فارس الى مركزه وموضعه على صورة جميلة وعلى أكثر مما يمكن ان يعمل من الحيلة في مثل هذه الحال فأذن له حيثنذ ورجع الى عند عضد الدولة بخلاف ما خرج وخلا به وعرفه حقيقة الامر وانه ليس ممن يطمع في اصلاحه من جهة ركن الدولة فلما رأى عضد الدولة انخراق الامر عليه من كل وجه ونفذ ما صحبه من الاموال ولم يصل اليه شيء من ممالكة اضطر الى الخروج الى فارس والافراج عن بختيار وأخويه ففعل ذلك . وتوسط ابن العميد بينه وبين بختيار وخرج من دار عضد الدولة بعد ان خلع عليه وقبل بساطه وشرط عليه ان يخلفه في تلك الاعمال ويخطب له وخلع على أبي اسحق ابن معز الدولة على ان يبلى أمر الجيش وذلك لما كان اعتقده الجند من ضعف بختيار وسوء تديره لهم وزوال هيئته مرة بعد أخرى عن قلوبهم فلما خرجوا من داره وأصعدوا الى منازلهم في طياره خلموا الطاعة من غير انتظار ساعة . واجتمع الى بختيار جيشه وعوام البلاد والعيارون وأناروا الفتنة وارتفع عياطهم وصباحهم وقد كان عضد الدولة (حفظ) عليهم خزائهم وجميع ما وجد^(٤٤٦) لهم من الدواب والانات فاشد منها شيء حتى تسلموها كهيئتها يوم فارقوها . وبرز عضد الدولة يوم الجمعة لخمس ليال خلون من شوال سنة ٣٦٤ عن مدينة السلام قاصداً أعماله بفارس ووافق ابن العميد على السير في أثره والايقيم ببغداد بعسده أكثر من ثلاثة أيام .

﴿ ذكر ما جناه أبو الفتح ابن العميد على نفسه وميله ﴾

(الى الهوى واللعب حتى تأدى أمره الى الهلاك)

لما خرج عضد الدولة الى فارس طابت بغداد لابن الفتح ابن العميد

وأحب الخلاعة والدخول مع بختيار في أفانين لهووه ولعبه ووجد خلوة ذرع من أشغاله وراحة من تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدة وحصلت له زبازب ودور على الشط وستارات غناء محسنات وتمكن من اللذات . وعرف بختيار له ما صنع من الجميل في بابه ^(١) وانه خلصه من مخالب السبع بعد أن اقترسه وان سمعه بين ركن الدولة وبينه هو الذي رد عليه روحه وملكه فسطه وعرض عليه وزارته وتمكينه من ممالكه على رسمه والا يمارضه في شيء يدبره ويراه فلم يجبه الي ذلك وقال : لي والدة وأهل وولد ونعمة قد رببت منذ خمسين سنة وهي كلها في يد ركن الدولة ولاستطيع مفارقتها ولا يحسن بي أن يتحدث عنى بمخالفتها ولا يتم أيضا لك ذلك مع ما عاملك به من الجميل ولكنى ^(٢) أعاهدك اذا قضى الله على ركن الدولة ما هو قاض على جميع خلقه أن أصير اليك مع قطعة عظيمة من عسكره فانهم لا يخالفوني وركن الدولة مع ذلك هامة اليوم أوغد وليس يتأخر أمره . واستقر بينهما ذلك سراً لا يطلع عليه الا محمد بن عمر العلوى فانه توسط بينهما وأخذ عهد كل واحد منهما على صاحبه ولم يظهر ذلك لاحد حتى حدثني به محمد بن

(١) زاد صاحب ارشاد الارب ٥ : ٣٧٣ : لانه كان قد جرد الفعل والقول في رد عضد الدولة عن بغداد بعد أن نثبت فيها مخالفة وتملكها وقبض على بختيار واستظهر عليه فخلصه واعاد ملكه عليه وصرف عضد الدولة عن بغداد فكان يراه بختيار بصورة من خلصه من مخالب الاسد بعد الخ

... وقال صاحب الزكوة : ورد ابن بنية بغداد في ذي القعدة ومسلماً عين ابن العميد بالهدايا وقال في بعض الايام : لا بد أن أخلع عليه . فلما أكل وقعداً على الشرب أخذ ابن بنية يده فرجية ورداء في غاية الحسن والحلابة ووافى بها الى ابن العميد وقال : صرت يا أستاذ جامدارك فانظر هل ترضينى لخدمتك . فطرح الفرجية عليه فاخذ الرداء منه ولبسه .

عمر بعد هلاك أبي الفتح ابن العميد . ولكن الغلط القبيح من أبي الفتح كان أنه أقام مدة طويلة ببغداد وطعم في أملاك اقتناها هناك واقطاعات حصلها وأصول أصلها على العمود إليها . ثم التمس لقباً من السلطان وخطها وأحوالاً لا تشبه ما فارقه عليه عضد الدولة ثم استخلف ببغداد بعض أولاد التناء بشيراز يعرف بابي الحسين ابن أبي شجاع الارجاني من غير اختبار له ولا خطة قديمة تكشف له أمره فلما خرج كانت تلك الاسرار التي بينه وبين بختيار والترجم بينهما تدور كلها على يده ويتوسطها ويهدي الى عضد الدولة جميعها ويتقرب اليه بها . فلما عرف عضد الدولة حقيقة الامر ومخالفة أبي الفتح ابن العميد له ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذي حصله وهو ذو الكفائتين ولبسه الخلع وركوبه ببغداد مع ابن بقية في هذه الخطة عرف مكاشفته اياه بالمداوة^(٤٤٨) وكنتم ذلك في نفسه الى أن تمكن منه فأهلكه كما سنذكره في موضعه ان شاء الله .

﴿ ذكر ما جري عليه أمر ابن بقية ﴾

كان محمد ابن بقية مستوحشاً من بختيار لما يعرف من سوء معتقده له فتوقف بواسط وترددت بينهما كتب ورسائل على يد ابي الحسن محمد ابن عمر العلوي وأبي نصر ابن السراج فاستحلفا كل واحد منهما لصاحبه فاصمد حينئذ وامتن على بختيار بأنه انما استمضى على عضد الدولة بسببه ومن أجله قتل منه وزاد في اكرامه وتجددت بين ابن بقية وبين أبي الفتح ابن العميد مودة ومعاودة .

وفي هذه السنة لقب أبو الحسن علي بن ركن الدولة نغر الدولة ولقب المرزيان بن بختيار اعزاز الدولة ولقب عمران بن شاهين معين الدولة ولقب

محمد بن بقية نصير الدولة مضافاً الى لقبه الاول ولقب أبو الفتح ابن العميد
ذا الكفائتين وخلع على من حضر من هؤلاء من جهة أمير المؤمنين وأنفذت
الخلع الى من غاب .

وبني محمد بن بقية أمره علي تمكين الوحشة وتوكيد العداوة بين بختيار
وبين ابن عمه عضد الدولة وأكثر من التسوق والتنفق والبذخ والتبجح
وأطلق لسانه اطلاقاً من لا يترك للصلح موضعاً ونارت الفتنة بين العامة
وزالت السياسة التي أسسها عضد الدولة من قمع العيارين ووظف ابن بقية
بالمعروف بابن [أبي] عقيل صاحب الشرطة الذي كان من قبل سبكتكين
^(١) وكان من أهل السنة وقد قتل طائفة من أهل الشيعة فامر بقتله فقتل
في وسط الكرخ بين العامة فزادت ضراوة العيارين وعاد الفساد وخاف
التجار على أنفسهم وأموالهم . وأخذ ابن بقية في خدمة الطامع لله ومناصحته
وعند مصاهرة بينه وبين بختيار ^(٢)

وتجددت لبختيار نية في الخروج الى الكوفة على أن الظاهر فيه زيارة
المشهد بالعمري والباطن التصيد فشخص اليها وصحبه الحسين بن موسى النقيب
ومحمد بن عمر العلوي وأقام محمد بن بقية ببغداد وقد كان تنكر لمحمد بن عمر
وقبض عليه لينكبه فلم يطلق ذلك بختيار ولم يتركه في يده الا ساعة من النهار
حتى انزعجه منه فلما دخل الكوفة نزل على محمد بن عمر وفي ضيافته نخدمه

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة بختيار أنه تزوج الخليفة الطامع بابنته شاهناز
على مائة ألف دينار وخطب وقت العقد القاضي أبو بكر بن قريمة وذلك سنة ٦٤ .
والقاضي هو محمد بن عبد الرحمن البغدادي وولاه القاضي أبو المائب قضاء السندية وغيرها
من أعمال بغداد وكان مختصاً بالوزير أبي محمد المهلب توفى سنة ٣٩٧

ولاطفه وجرت بينهما مؤانسات وخلوات واتصل ذلك بمحمد بن بقیة وقيل له « قد سمى بك ووافق بختيار على نكبتك » فاستوحش ابن بقیة واستعد للانحدار الى واسط على سبيل المقاطعة والمخالفة وساعده على ذلك بعض الجند فشرعت والدة بختيار في اصلاح الحال وكوتب بختيار بالصورة فنتي وجهه مبادراً الى بغداد وقدم امامه كتبه ورسائله مع الحسين بن موسى الموسوي بالتلافي وانكار كل شيء بلغه عنه واخذ لكل واحد منهما على صاحبه يمينا على التصافي والتراضي فخرج حينئذ محمد بن بقیة متقبلاً له عائداً الى طاعته .

واتصل^(٥٠) بمحمد بن بقیة وبختيار أن عضد الدولة يريد العود الى العراق فخرج ابن بقیة الى واسط لجمع المال واعداد زاد وعتاد واستعمل ضروباً من القيسح في الكلام والهجر ومنع شذائت كانت هناك من الاجتياز وواطأ عمران على منع اجازتها وغير ذلك من ضروب الجهل وذلك للحين المتاح له والشقاء المصوب عليه حتى تأدي أمره الى اقبح صورة في الهلاك بانواع العذاب والمثلة كما سند كره في موضعه ان شاء الله .
وتجددت بينه وبين بختيار وحشة أخرى بعد عوده الى بغداد واقتضت الحال القبض على سهل بن بشر النصراني ضامن الاهواز وفكته التي تأدت الى القتل

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ابن بقیة لا يثق ببختيار على تصرف كل حال ولا يدع التحرز منه ونصب العيون عليه وأشد ما يكون نفوراً منه اذا خلف ووثق له فانهك في استمالة الجند ومتابعة الخلع عليهم والصلوات لهم ونصب الموائد وعمل

الدعوات وأمر أن يحمل المال الى خزائنه . ووافق بختيار على شىء يُقيمه له
وصار كالحاجر عليه فبقي طالبه بزيادة على ذلك بمثل الجند على مطالبته وأحالهم
عليه . فضاقت ذرع بختيار به وحاطب جماعة من حاشيته وشيوخ قواده في تدبير
يوقعه عليه حتى يتمكن من نكته ويستكتب سهل بن بشر وسهل يومئذ في
عمله بالاهواز فاخرج اليه جماعة من كبار قواده فيهم الحسن بن أحمد بن
بختيار والحسن بن فيلسار وتكيدار الجيلي^(١٠٠) وجماعة مثلهم وراسله على
أيديهم باقاع الخيلة عليه . فلما وصل اليه هؤلاء القواد برسائل بختيار وعلاماته
تقرر الرأي على أن يفل الجيش عنه الذين يبنغداد ويظهر سهل ومن معه
بالاهواز الشغب عليه وترك الرضاء به . وورد الخبر بذلك الى بغداد وقد
ضعف بختيار عن امضاء تلك العزيمة وقد استصلح ابن بقية الجند وملك الامر
فاظهر حيثئذ ما في نفسه وعاتب بختيار ووبخه وذكره الايمان التي لا زال
يخلفها ثم يعود ناقضا لها وتغاضب عليه وتناقل عنه فرق بختيار في يده وأنكر
أن يكون ما اجرى اليه الاهوازيون بأمره وعلمه فقال : فاطلاق يدي فيهم .
فاجابه الى ذلك وأمضى حكمه عليهم فآلزمه أن يقبض على سهل بن بشر
ويسلمه اليه وأن ينفي القواد الذين أظهروا ما أظهروه فقلعه وانفذ ابراهيم
ابن اسماعيل الحاجب الى الاهواز وأمره أن يحتال على سهل بن بشر حتى
يقبض عليه ويبادر به الى الحضرة فمضى مسرعا ووصل الى الاهواز
واحتال حتى حضر سهل بن بشر في منزل أحد القواد فقبض عليه وعرفه
فساد جميع الامر الذي كان خائضا فيه وحمله للوقت فسلمه الى ابن بقية .
وقد كان الحسن بن فيلسار سبق الى مدينة السلام فتلافي محمد بن بقية
واستصلح نيته وأما الحسن بن أحمد بن بختيار وتكيدار فإنه استدعاها فبا

قربا من بغداد طردا وبقيتا عن^(٤٥٢) المسكر فعاد الحسن الى بلده ولحق
تأكيدا بعضد الدولة . وجد محمد بن بقية في مطالبة سهل بن بشر بالاموال
وبسط عليه المكاره واستخرج منه كل ما أمكنه ثم قتله بالعذاب مع جماعة
من الناس سنذكرم .

وفي أرقبض على سهل بن بشر قلد بختيار أخاه أبا اسحق أعمال الاهواز
وأنفذه اليها مع طائفة من الجيش وذلك بسفارة محمد بن بقية لأنه كان
استمان بابي اسحاق ووالده علي بختيار فاعاناه وبلغاه ما أحب قضى حقهما
بهذا التقليد

وقبض ابن بقية على صاحبه أبي نصر السراج وعذبه حتى قتله

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

هجمت على ابن ببيعة علة من حرارة فقصده منها في اليوم الثاني فسا
أسمى الا ذاهب العقل مسجي بخور خوار الثور ولا يسينغ طعاما ولا شرابا
ولا يسمع كلاما ولا ينجير جوابا وظهرت في فيه رغوثة واختلج وجهه وعلا
نفسه ولحقه الفواق الشديد واجتمعت فيه أعراض الموت التي لارجاء معها .
وقد كانت لابن نصر السراج نعمة فاتسعت في أيامه وعظمت بالدخول في
الامور المنكرة وضروب الشر والسعايات واعدائه كثيرون . وكان ابن
بقية اصطنع رجلا يقال له الحسن بن بشر الراعي وكان في الاصل نصرانيا
من رأس عين فصحب بني حمدان بالموصل فدخل في الاسلام لشيء ظهر
منه وخاف فاسلم ثم خاف خوفاً نانيا فهرب الي بغداد وانصل بمحمد بن ببيعة
وحظي عنده فقرب^(٤٥٣) منه ورفعته من حال الى حال حتى قلده واسطاً ثم
استدعاه الى بغداد فقلده خلافته . وتولدت بينه وبين أبي نصر السراج

مناقسة ومضاغنة فلما وقع اليأس من محمد بن بقية استتر ابن الراعي ويادر أبو نصر ابن السراج الي بختيار فضمن له من جهة أسباب ابن بقية أموالاً عظيمة وكتب أسماء أقاربه وأصحابه وكتابه وسائر أسبابه فركب بختيار الي ابن بقية حتى شاهده في علته .

﴿ ذكر اتفاق ظريف في سلامة ابن بقية من علته ﴾

﴿ ثم من قبض بختيار عليه ﴾

ان بختيار أدركته رقة شديدة له مع اجتهاده كان في هلاكه وتبرمه به لاستبداده بالاموال والمساكر فأشار عليه ابن السراج بالقبض على الجماعة قبل ان يستروا فتوقف عن ذلك وألح عليه إلحاحاً شديداً فلم ينفعه ذلك وأحس عيال ابن بقية وأسبابه بما فعله ابن السراج فخذروا منه ثم تماسك محمد بن بقية في اليوم الرابع من علته بعد ان تردد اليه بختيار دفتين في كل يوم في مدة الحذر عليه وسكنت أطرافه ورجى رجاء ضميماً وتزايد ذلك الرجاء الي أن أفاق وهو ساكت ومضت أيام يسيرة فنهض وتراجع الي عادته . وظهر ابن الراعي صاحبه واجتمع أسبابه المتحققون به فصدقوه عن فعل ابن السراج وضمنه ابن الراعي منه بمائة الف دينار فقبض عليه فصح من أمواله وودائعه وأمان غلاته والمأخوذ من^(١٠٠) أسبابه أكثر مما ضمنه ابن الراعي ثم بسطت عليه المكارد وأصناف العذاب وحبس في صندوق ومنع الطعام حتى مات أقبح ميتة .

وفي هذه السنة اضطربت كerman على عضد الدولة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان في أعمال كerman خلق من الرجالة الجرومية لهم بأس شديد وهم

متمسكون بالطاعة وأحد وجوههم رجل يقال له طاهر بن الصيمية وكان واسع الحال والمعاملة فدخل في ضمانات ضمنها وتمار اتباعها فخصت عليه أموال طمع فيها وشره الى كسرهما . وكان عضد الدولة قد سار الى العراق للإيقاع بالأتراك وخرج وزيره أبو القاسم المطهر بن عبد الله الى عمان فلم يبق بفارس من المساكر الا شيء يسير نفلح طاهر بن الصيمية الطاعة وجمع الى نفسه هؤلاء الرجالة بالاسلحة التامة واستكثر من عددهم . واتفق ان كان في نواحي خراسان أمير وجيه من أمراء الأتراك السامانية يقال له يوزنمير عظيم المنظر جبار البنية معروف بالبأس والشدة وقد استوحش من محمد بن ابراهيم بن سمجور صاحب جيش خراسان وقرر منه فكاتبه طاهر ابن الصيمية وأطمعه في أعمال كرمان فسار اليه وصاراً بدأ واحدة في الاستيلاء الا ان الامارة ليوزنمير . فبعد مدة شغب الرجال الجرومية فاتهم طاهر انه ^(٤٥٥) بعثهم على المسيح ففسدت الحال بينهما وزاد الفساد حتى اقتتلا قتالا شديداً فظفر به يوزنمير وأخذه أسيراً وقتل خلقاً من رجاله . واتصل ذلك ببعض أولاد الياس وهو الحسين بن محمد بن الياس وهو في بعض أعمال خراسان وطمع في الاستيلاء على كرمان وجمع جمعاً وصار اليها وانضم هؤلاء الرجال الجرومية اليه وأمثالهم من كل ضرب من الدعار . وقد كان المطهر بلغ من إصلاح عمان ما أراد وفتح جبالها وأوقع بالشراة وانكفأ راجعاً الى ارجان عاملاً على المسير الى حضرة عضد الدولة بالعراق فورد عليه الامر بالمسير الى كرمان ليتلافى تلك الحادثة فعاد الى شيراز وبرز عنها تسع ليال بقين من رجب سنة ٦٤ . وسار لطيفه مسير السرايا لايولي ولا ينثنى فأوقع بكل من وجد في طريقه من أهل التهمة وقتل وصلب وسمل العيون ومثل

بكل مثلة وبالغ في القسوة اقامة للبية وأسرع السير حتى اقتض على يوزنم فلم يعرف خبره الامع وصوله فبرز اليه وواقعه فانهمز الى البلدة وهو بهم ونحصر في قلعة وسطها حصينة محاصره فيها مطهر الى ان اعطى بيده واستأمن وأحضر معه طاهر بن الصمة أسيراً قتله المطهر ثم أمر به فشنر ونودي عليه ثم ضرب عنقه وأعناق^(١) جماعة يجررون مجراه وأخذ يوزنم الى بعض القلاع فاعتقله بها وكان آخر العهد به .

ثم خرج المطهر في طلب الحسين بن محمد^(٢) بن الياس وكان قد جمع عشرة آلاف رجل في أسلحة تامة مستعدين للقتال فلما أشرف عليهم استكثر عدتهم وهاله أمرهم ولم يجد من الحرب بدأ فناصرهم الحرب على باب جيفرت فحملوا عليه حملة ثاب لها ثم حلت ميمنته فأثرت فيهم وألجأهم الى سور المدينة واختل نظامهم فأكب المسكر عليهم بالنشاب ولم يجدوا مهرباً فقتلوا بأسرهم وهرب الحسين وطلب نجية به أسيراً ولم يعرف خبره بمد ذلك وتظهرت كرمات منه .

﴿ ودخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة ﴾

قد ذكرنا مرض ركن الدولة وسبب ذلك وحكيانا انصراف عضد الدولة من بغداد على الحال التي وصفناها واستيحاثة من أبيه لما كان منه في مكاشفته ونصرة بني أخيه ورأى تجاسر الاعداء عليه واختلال هيئته في صدور أوليائه ولم يأمن ان يموت ركن الدولة على تلك الحال فينتشر منك ولا يجتمع له ما يجب . فراسل أبا الفتح ابن العبيد وكان قطع مكاتبة أبيه استيحاثة منه وتنجياً عليه وسأله ان يتوسط بينه وبين أبيه حتى يموده كما

(١) وفي الاصل : على

كان وتلطف مع ذلك في أن يجتمعا ويمهد اليه ويشهر ذلك في ممالكة وبين
وجوه الديلم والجنيد . وكان أبو الفتح ابن العميد متمكناً من ركن
الدولة ومن الجنيد أيضاً فكان يحب أن يتلافى قلب عضد الدولة لما كان
منه اليه وهو مع ذلك لا يأمنه ويخشى بادرته ومكايده فخاطب ركن الدولة
وأعلمه ما يخشى من اضطراب الجبل وفساد ما بين أهل بيته باسمة يحاش
عضد الدولة وحذره من ترك هذه الصورة حتى تستمر وتمكن من
النيات والقلوب ولم يزل به حتى رق ولان وعرف صلاح حال أولاده
وممالكة وممالك بنى أخيه فيما دغاه اليه ثم أشار عليه بأن يأذن له في الورود
عليه حتى يجتمع معه ويراه فقد كان فارقه صيباً ويشاهده الجنيد بمحضرة
ويزول ما خامر قلبه وقلوب الناس من اعتراض الوحشة ويجعله ولي عهده
اذ كان أكبر أولاده وأنجبهم وأوسمهم بمالكة وأكثرم مالا وعدة
ورجالا . فأجابه ركن الدولة بأن هذا رأى صواب ولكن ليس في خزائنه
ما يتسع لعضد الدولة ومن يرد معه من الخيل والقواد والغلمان وان لم يلاطف
الجماعة باقامة الانزال واتخاذ الدعوات وافاضة الخلع والحملانات والهدايا على
الجماعة اقتضح وتهجن فقال له أبو الفتح : فتسير أنت اليه لتجدد النظر في
تلك الممالك التي طال عهدك بها وتشاهد أولئك المسكر^(٤٥٨) الذين رتبتم
قديماً وحديثاً فيها ويلتزم عضد الدولة لك ولجنسك وجميع حاشيتك
ما أشفقت من التزامهم لهم وتقيم السياسة التي لا بد لك من إقامتها بين
أولادك وممالك فقال له : هذا يقبح في الاحدوثه وعند ملوك الاطراف
وفيمن يأتي بعدنا من الامم ان يتحدث الناس ان فلاناً أوحش ابنه في أمر
رأى يحاشه به وتأديه فيه ثم قصده يترضاه . فمكوتب عضد الدولة

بجميع هذه الفصول فكتب : ان هاهنا خلة أخرى يسلم فيها من جميع هذه الاشياء التي ينكرها وهو ان يتصد اصهبان فانها من أعماله وأنهم أنا من فارس فاقصده لخدمته وعبادته من مرضه ويازمه في حينئذ فقد أسبابه وحاشيته ولا يلزمه لي ولا لاحد من يصحبنى شيء ولا يتحدث بأنه قصدني أو زارني . فتقرر الرأي على ذلك وتشر أبو الفتح ابن العميد له حتى تمت المزيمة ونهض ركن الدولة مع ضيفه ومرضه وحضر اصهبان واستدعى الامير نغر الدولة وهو ابنه علي وكان مؤيد الدولة في ولايته مقبياً باصهبان وهو ابنه بويه وحضر عضد الدولة وخرج ركن الدولة في تلقبه فلما قرب من البلد وقف على نشز من الارض حتى ترجل له عضد الدولة ابنه وقبل الارض مرات ثم تقدم اليه فقبل يده^(٥١) ثم تابع القواد والامراء وكبار الحاشية بتقبيل الارض والخضوع له . فرأى لنفسه منظراً يسر مثله الاباء في اولادهم ثم سار حتى نزل ونزل كل واحد حيث رسم له ونزل عضد الدولة معه في دار الامارة في الابنية التي كان استحدثها مؤيد الدولة . ثم دعا أبو الفتح ابن العميد دعوة جمع فيها ركن الدولة وجميع اولاده ووجوه الامراء والقواد والحاشية وخاطبهم ركن الدولة بأن عضد الدولة ولي عهده وخليفته على ممالكه وان مؤيد الدولة ونغر الدولة خلفاؤه في الاعمال التي رتبهم فيها . ولزمت أبا الفتح مؤونة عظيمة وحمل الى كل واحد من ركن الدولة والامراء من اولاده وقواده وحاشيته ما يليق به وكان في جملة ما خلغ على الخواص من الديلم ومن يجري بمبراهم ألف قباه وألف كساء .

وانصرف القوم وقد تفررت الرئاسة من بين اولاد ركن الدولة على

عضد الدولة واعترف له مؤيد الدولة ونخر الدولة به وخدماه بالريحان على
الرسم المعروف لهم وخدمه بمدتها كل أمير وقائد ممن حضروا كتب بذلك
عهد قرى وكتب فيه القوم خطوطهم

وكان بختيار سي الظن شديداً الحذر ما تقدم له ولجنده من مكاشفة عضد الدولة
فهو يجب ان يصلح أمره معه فتتابع كتبه الى ركن الدولة ويسأله ان يصمه من
الحال التي خافها^(٦٦) وأخذ اليه عيسى بن الفضل صاحب دواته ووافق
ذلك هذا الوقت الذي كنا في ذكره من اجتماع الجماعة باصبيهان فتكلم
ركن الدولة في ذلك وأظهر عضد الدولة في الحال الاعضاء عنه وشرط
عليه ان يقطع عما يوحشه من بعد ولا يماود شيئاً مما ذمه منه فعلا وقولا
وكان بختيار سكن قليلا الى ذلك الا ان محمد بن ببيعة مقيم على خوفه
وحذره ويحمل بختيار على مكانه سهلان بن مسافر وكان وجهه عسكر
نخر الدولة وحسنويه بن الحسين ايرزبكانى وكان مجاوراً لاعماله ومصاهراً
له وحمله أيضاً على استمالة فخر الدولة حتى يدخل في مناياذة أخيه عضد
الدولة فترددت الرسل بينهم فتأكدت المهود بينهم واستعدوا جميعاً
للمناونة وانفقوا على التعاضد والتوازر ان نابت أهدأ منهم نأية . وحضر
كتاب لهم وجرت موافقة في أمور مشهورة ظهر منها تقليد كل واحد من
فخر الدولة وسهلان بن مسافر ما في أيديهما من الاعمال رئاسة من قبل
السلطان وكتب لها العهد ولقب سهلان عضمة الدولة وكنى وأثمنت
الخلع الى الجهتين ووعد حسنويه بمنزل ذلك اذا سار فلما وردت عليهم هذه
الخلع أحجموا عن لبسها وتوقفوا عن اظهار المناياذة لعضد الدولة فمكثت

الخلع مع الرسل مطرحة لا يلبس^(١) ولا يتلقب سهلان ولا يتكفى وجرى الامر على غاية الاخلوقة والفضيحة .

وواصل بختيار وابن بقيه عدة الدولة^(٢) أبا نغب ابن حمدان ومعين الدولة عمران بن شاهين وقطعت الخطبة بيقداد وجميع منابر العراق عن اسم عضد الدولة وزعم بختيار أن الرياسة له بمدركن الدولة . وشرع ابن بقيه في تلقيب ثمان مضاف الى لقبه الاول وأن ينشأ كتاب عن الخليفة بالزيادة في المقاطعة والمكاشفة وأشيع ذلك على المنابر وأطلق للناس الكلام القبيح وعظم بختيار وانزل منزل ركن الدولة بالعراق والممالك المجاورة له وزعم أنه ياتس تلك المنزلة من عضد الدولة ومن دونه وتلاه ابن بقيه في هذه ال مراتب ووجد من جهال الجند مساعدة له ورغبة في حطام يتناولونه منه ويأكلون عدوه واسراراً للبراءة منه واسلامه . وكان يظن أنه ان بلغ ما يحب بالتدبير الذي دبره فقد فاز وان انعكس عليه كان بختيار المالك وهو الناجي فيظن ظنا خطأ لأن من سلك مسلكه لم ينجح ولم يخل من ورطة يقع فيها تكون سبب هلاكه^(٣)

❦ ودخات سنة ست وستين وثمانائة ❦

وفي هذه السنة تحرك عضد الدولة نحو العراق ورحل من فارس فجد محمد بن بقيه وبختيار في مكاتبة الجماعة المذكورة . وكان حسنويه بن الحسين الكردي خاصة يثر بختيار من نفسه ويطمعه في أنه سائر اليه لمعاونته^(٤) بنفسه وأهل بيته ومن يطيعه من الاكراد وكان يحب أن يشدت الالفة ويفرق

(١) يريد مطرحة لا تلبس (٢) وقال صاحب تاريخ الاسام : وفي رجب عمل

بجلس الحكم في دار السلطان عن الدولة ورجس ابن معروف وحكم لان عز الدولة التمس ذلك ليشاهد مجلس حكمه كيف فيها هو

السكامة لان نظام أمره كان في انتشار أمر هؤلاء الملوك
وكان بروز بختيار وابن بقية يوم الاثنين ليلة بقيت من جمادى الاولى
يريدان الزيارة والتصيد ثم الانقلاب الى واسط فاصدين الاهواز على نية
المحاربة فانتهما الى واسط في اسلاخ جمادى الآخرة ووقعت بينهما وبين
عمران بن شاهين مصاهرات وتزوج بختيار بابنة عمران بن شاهين وتزوج
الحسن بن عمران بابنة بختيار

وفي هذا الوقت أهلك ابن الراعي بأمر ابن بقية خلقا ممن كان بينهم
فيهم المدروف بابن عروة وهو ابن أخت أبي قره وكان من وجوه العمال
وفيهم علي بن محمد الرطبي وكان اليه شرطة بندا ومنهم المعروف بابن العروقي
وكان أيضا اليه الشرطة بواسط وجماعة مجرون مجراهم وهم بقتل صاعد بن
ثابت وكان قبض عليه ونكبه ولكنه سلم من القتل

وراسل بختيار من واسط الطائم لله وراسله ابن بقية يستلانه الانحدار
اليوم والمسير معها فاستمع من ذلك وترددت المكاتبات في ذلك الى أن
قرر عنده انه انما يستل تجشم العناء للصلح والالفة فينشد انحدار الى واسط
وسارت الجماعة عنها الى الاهواز . والمكاتبات تتردد في خلال ذلك (٤٦٣)
بين القوم وبين حسنويه بن الحسين وهو يمد بالمسير فينبأهم كذلك اذ ورد
خبر عضد الدولة في نزوله ارجان في جميع عساكره فاضطربت القلوب
وكتب عن الخليفة كتاب في معنى الدعاء الى السلم والسكف عن الحرب
وانفذ الكتاب مع خادم من خدم بختيار على أنه من خدم الخليفة (٤٦٤) وكان

(١) زاد فيه صاحب التكملة : فقال عضد الدولة للخادم . قل لمولانا أمير المؤمنين

« لا يمكنني الجواب الا اذا منلت بمحضرتك » ولم يحب على الكتاب .

الطمع في الصلح في هذا الوقت محالاً . فاستقرّ الرأي بعد مناظرات بين
 بختيار وأصحابه على أن تكون الوقعة بالاهواز والتحصن بالنهر المعروف
 بسوراب والقتال من ورائه فبرزوا وضربوا مضاربهم على شاطئ سوراب
 ونفذ أبو اسحق ابن معز الدولة في طائفة من الجيش الى عسكر مكرم
 لضبطها وحفظت المعابر على السرقاتان وجردت المساكن من الاعراب
 والاكراد وغيرهم الى رامهرمز وذلك أن المقيم كان بها والضامن لها وهو
 الحسن بن يوسف استأمن الى عضد الدولة . ولما رأى الطائع لله ان الحال
 أفضت الى الحرب امتنع من المقام وبرز متوجها الى بغداد فاجتهد بختيار وابن
 بقية الجهد كله في أن يقيم فابي ذلك وسار الى دجلة البصرة وأصعد فيها الى
 مدينة السلام مجتازاً في أعمال البطيحة

ثم ورد خبر نزول عضد الدولة رامهرمز وهزيمة ذلك العسكر الذي
 نفذ اليها فزاد قلوب القوم ضعفا وانتفض^(٤٦٤) عليهم رأيهم في لزوم شاطئ
 نهر سوراب فرجموا منهزمين الى أفنية سوق الاهواز وقطعوا قنطرة اربق
 وكوتب ابراهيم بن معز الدولة بالعود من عسكر مكرم فعاد واجتمع جيشهم
 واتصل بختيار أن سلاز بن باعد الله سُرخ هو مع جماعة من وجوه قواده
 وجماعة أخرى عاملون على أن يستأمنوا ويفضوا عسكره وأشير عليه بالقبض
 عليهم وتقييدهم وحملهم الى واسط فضعت نفسه عن ذلك وخشى اضطراب
 باقى عسكره وضعف عن المحاربة بالاهواز وعمل على أن يرجع الى واسط
 موفوراً فيجعل الحرب فيها فتمنع ابن بقية وجميع القواد عليه والزموه المقام .
 وطالبه العسكر بالمسال فظهرت خلته وظافته وابتدأ ابن بقية بمصادرة أهل
 البلد وكسر بختيار أوانى الذهب والفضة من الخلي والمراكب وضربت عينا

وورقا فضمت آمال جنده . وعقد على دجيل جسراً ضيقاً ضعيفاً في أسفل
البلد وعلى طريق لا يصلح للمساكر عدة للهرب

ووردت أخبار عضد الدولة باستظهار شديد ومال كثير وكراع وسلاح
وجمال موفرة بالازواد والآلات وعدة فيول مقاتلة وكان على ثقة من استئمان
جماعة من البختيارية اليه منهم سلال سرخ الذي ذكرناه وذلك أن كتبه وصلاته
كانت متصلة اليهم . وقدم عضد الدولة اقامة أبا الوفاء طاهر بن محمد بن
ابراهيم وضم اليه جماعة فيهم المروف^(٦٥) بالكاروى الاهوازي مع جيش
من رجاله القص وغيرهم فوردوا الباسيان وجمعوا السفن وصاروا بها الى
الناحية المرويه ...^(٦٦) فعمدوا جسراً وورد عضد الدولة فبر عليه وجميع
عساكره والاخبار ترد مع ذلك على بختيار وابن بقيه فلا يكون فيهما فضل
للممانعة عن العبور ويشتان ثبات التحيين وذلك أن من عجز عن رد بعض
المساكر عن العبور والزحف في المواضع التي يمكن فيها الممانعة كيف ثبت
لجميع المساكر في القضاء !

وتسك عضد الدولة بالماء فنزل على شاطئ النهر لان الوقت كان
مدخل تموز فنزل من القوم على نحو الفرسخ وبكر يوم الاحد لاحدى
عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٣٦٦ على تمية ونظام وعدة واستظهار
واحتياط وصافه بختيار مصافة مضطربة وجميل الفرسان أمام الرجالة
(وهذا شيء ما فعله أحد قط ولا تجهله عوام الناس حتى لعاب الشطرنج)
فاستأمن سلال سرخ والحسن بن خرامند ونيابك بن شبرك وهو من أشد

(١) رياض في الاصل وفي التكملة : كانت الحرب بناحية يقال لها قشان من

الديلم وشجعانهم وعدد كثير من الخواص وكان ديس بن عفيف رئيس
بادية بني أسد في ميسرة بختيار فاستأنوا ونهزم جيش بختيار وتبعهم الاعراب
والاكراد بالنهب والسلب والقتل والاسر^(٤٦٦) واستأنوا تحت السيف
خاق ونهزم القل يطلبون الجسر الذي وصفناه ففرقوا أكثرهم بالمضايقة
والمزاحمة. وأفلت بختيار وأخوه أبو اسحق ووزيره ابن بقية وعبروا دجيلا
واختلقت بهم المذاهب فلم يعرف بعضهم خبر بعض حتى التوا بمطارا وكان
بختيار التي سلاحه عن نفسه وتلم وفيه عدة طعنات بالزويينات فاما أخوه
وابن بقية وجماعة من كبار قواده فانهم وردوا الحويزة نصف الليل في نحو
خمسمائة رجل وبتوا فلاحق بهم تمام الالف على صورة قبيحة من الاختلال
ولما أمسوا ساروا نحو نهر الامير ومن هناك الى مطارا واجتمعوا مع
بختيار. وقد كان ابن بقية عبر بصاحبه ابن الراعي مع خزائمه وخزانه بختيار
وعدة كانت معه الى المأمونية التي بازاء سوق الاهواز وعول في حفظه على
بعض بني أسد فنهب جميعه.

فانفذ عمران بن شاهين ابنه الحسن وكاتبه وقواده في عدة زوارق
وآلات الى بختيار وحمل اليه والى ابن بقية مالا وثيابا وحمل المرزبان بن
بختيار الى ابيه من الابله وقد كان برز اليها مالا وثيابا وصارت الجماعة الى
الابله في الماء بعد أن تأثتوا وتزودوا الى واسط. وصادف بختيار وابن بقية
البصرة مفتتة بالحروب بين ربيعة ومضر^(١) فان مضر كانت^(٤٦٧) داخلة
في طاعة عضد الدولة بتديرات دبرها وأصول قدمها وأما ربيعة فاقامت على
طاعة بختيار ولا رغبة فيها ولكن مضاغفة لخصومهم من مضر فاتصلت الفتى

(١) روى الطبرى (٢ : ٤٥٠) ان مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة

ودامت الثورة واحرقت المحال وانتهت البضائع^(١) ودخل ابن بقية الى
 البصرة لتسكين هذه الفتنة فزادها اشتمالا وفسادا وأحرق بعض خطط
 المضربين وانصرف والشر باق . واشفقت الجماعة من أن يدير عضد الدولة
 الى واسط فيحصل بها فيفوتهم المهرب ان أرادوه فاصمدوا في الماء واخترقوا
 البطائح فتلقاهم عمران بن شاهين في عسكره وآلاته وقبل يد بختيار وتناول
 بختيار له وعطف به الى دار ابنه الاكبر وهو أبو محمد الحسن فأنزله فيها
 للوصلة بينهما ولانها كانت أحسن دار بالبطيحة وأنزل محمد بن بقية عليه
 فاداموا عنده اضيافاً ثلاثة أيام فمجب الناس من موافقة ذلك ما كان عمران
 سبق اليه بالحكم كما حكيناه فيما تقدم . ثم رحلوا ورحل الحسن بن عمران
 معهم الى واسط .

وفي هذه الحال هرب المرزبان بن بختيار من البصرة الى واسط لاحقا بآيه
 في الشذات والزبازب والسفن بكليته وحرمه وأسبابه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

ظهرت مضر على^(٤٦٨) ربيعة وضعت نفوس ربيعة بهزيمة بختيار
 وانزل المرزبان وخاف أن يؤخذ فبادر الى واسط موفورا وحينئذ كتب
 وجوه البصريين الى عضد الدولة بانفاذ من يتسلم البصرة فانفذ أبا الوفاء
 طاهر بن محمد فدخاها

ولما حصل بختيار بواسط تنكر لابن ببيعة وذم مشورته وندم على

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وورد أبو بكر محمد بن علي بن شاهويه صاحب
 الفرامطة السكوفة في ألف رجل منهم وأقام الدعوة بها وبسورا وبالجامعين والتيل
 لعضد الدولة

قبوله منه وقال : قد كنت عملت على الانصراف عن الاهواز قبل الحرب
بمجيء كثيف وأمر مستقيم وعسكر وآلة وسلاح فان تمكنت من المقام
بواسطة أوبغداد ولحقتي المعونات التي انتظرها من سائر الجهات والا كان
أقل ما في يدي ان أنصرف عن هذه البلاد بعسكر لم يثل لم ينكب فلم
يتعذر على ان أغلب على غيرها فايته الا اخراجي من جميع نعمتي ومملكتي
وافساد ما بيني وبين أجل أهلي . فثبت ابن بقية وقال : قد ينال الملوك مثل
ما نالك وأعظم منه فيما سيكون وعلى أن أصلح أمورك وأبذل قسي دونك
ومساعدة الجند على ذلك . وتراجع الى بختيار كثير من الديلم والأتراك
واستدعى كراما كان له ببغداد واستجد سلاحا وخيما وخركاهاات وصار
اليه من كان بالبصرة وبغداد من الجند وأحوالهم جامعة فصار في عسكر
قوى . ووردت عليه كتب حسويه بن الحسين الكردي يعرفه غرورا انيا
ويتنذر اليه في ^(٦١) التأخر عنه ويعده بان ينفذ اليه أولاده واحدا بعد آخر
ثم يصير اليه بنفسه في جميع رجاله . وعادت المسكابة بينه وبين فخر الدولة
على بن ركن الدولة وأبي تغلب ابن حمدان ورجع ابن بقية الى ذخيرة كانت
له بواسطة فتاوت منها وجرى على عادته في استمالة الجند وبذل الخلع حتى
مالوا اليه وآثروه على بختيار

﴿ ذ كر بلوى بلى بها بختيار في تلك الحال ﴾

﴿ حتى أسلم بقية ملكه ﴾

من عجائب ما اثنى على بختيار في تلك الحال انه كان أسر له في القوفة
بالاهواز غلام تركي يعرف بيايتكين لم يكن من قبل يعيل اليه ولا تظهر منه
حجة له فجن عليه جنونا وتسلي عن كل شيء خرج عن يده الا عنه وحدث

له من الحزن عليه ما لم يسمع بمثله فامتنع من الطعام والشراب والقرار
والسكون واقطع الى النجيب والشهيق والعيول وأحتجب عن الناس
اخلاذا الى البكاء واضجر بالجيش وتبرم بحضورهم وأطرح التدبير وزعم
ان فجيته بهذا الغلام فوق فجيته بالملك والانسلاخ منها ومن النعمة .
ثم اذا كان وصل اليه وزيره وكتابه وقواده وخواصه في المهم قطعهم عن
ذلك بالشكوى بما حل به والبوح بما في نفسه ونقصت أوقاته ومجالسه
بهذا^(٤٧٠) انخطب الجليل عنده دون ما سواه وامتنع من الجلوس في الدست
ومن استعمال التمهد بالخطاد وما أشبه ذلك فخفف ميزانه عند الناس وسقط
من عيونهم فلم يبال بذلك . وصار القواد يجتمعون الى ابن بنية ويقولون :
دبر أنت أمورنا فأننا مملك ومظيعوك . فاستهان به ابن بنية واستعجزه
وجاهر بذلك بمدان كان يستره وعدل الى الاخذ بالحزم لنفسه وأما مختار
فانه أسقط التجميل في أمر هذا الغلام عند كل أحد حتى كتب الى عضد
الدولة والحرب قائمه بينهما وهو يطلب ملكه ونفسه يسثله رد هذا الغلام
عليه وكتب الى جماعة خواصه المطيفين به وبخدمته يسألهم معاوئته فيما رغب
فيه اليه فاستزاد بذلك فضيحة في المساكر والامصار وعائبه الاقارب
والاباعد . فما ازعوى بل تمادى وأنفذ أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي
رسولا اليه في هذا الباب وبذل له على يده في فدية الغلام جارين عوادتين
محسنتين كاتتا عنده ولم يكن لهما نظير في الخندق والبراعة وقد كان أبو تغلب
ابن حمدان بذل باحديهما مائة الف درهم فإني ان يبيها . وقال له : ان وقف
عليه الاسر في هذا القداء فزد أبدا ولا تفكر في شيء مما بيني وبينه فقد
رضيت^(٤٧١) ان آخذه وأمضى الى أقصى الارض وأسلم اليه ما في يدي .

فشخص وأدى الرسالة وقد وجد ذلك الغلام قد اختلط مع غيره من رفقاءه
 المأسورين يوم الوقفة ولم ير له فضل ولا مئز من بينهم وأقذوا الى شيرزاد
 هدية للامير أبي الفوارس ابن عضد الدولة . فلما أدت الرسالة وعرف الملك
 ما عند بختيار من الفجيرة به عجب كل العجب وأمر يرد الغلام الى حضرته
 فرد ثم أعاد أبا أحمد الموسوي بجواب الرسالة وضم اليه أبا سعد بهرام بن
 أردشير الكاتب رسولا وأعلمه انه يجب له الى ما سأل وأرشده مع ذلك
 الى بعثه على الطاعة وحملة رسائل آخر أمرها أن يؤديها الى بختيار سرا
 عن ابن بقية وعلى غير مشهد منه ولا من أحد . فلما وردا امثلا الامر وطويا
 عنه ما حضرا فيه وأدياه الى بختيار وحده على انفراد به فاستوحش ابن
 بقية استيحاشا شديدا وآهم انه التمس القبض عليه وتسليمه اليه عوضا عن
 الغلام وان بختيار يفعل ذلك لشغفه به فهم بالقبض على الرسولين جميعا
 ومكاشفة بختيار وان يظهر العصيان . وكان نازلا من واسط في الجانب
 الغربي ومعه المال والسلاح والثياب والآمال متعلقة به ^(٧٧) وبختيار في
 الجانب الشرقي خال من ذلك كله وانما كان ابن بقية يجري عليه قوته
 ويعوله كما يمال من لا أمر له وعمل على ان يرأسه باعزاز انتدير وان
 يصعد الى بغداد ويحظى بينة وبين الحرب فان فعل والا جاهره وطرده وكان
 ذلك ممكنا له لو أمضاه فمعدل بختيار الى تلافيه والرفق به وأظهره على
 الرسالة المطوية عنه وسكنت نفسه وطيب قلبه وأراه انه راجع الى رأيه
 ومتدبر بتدييره وغير خارج عن ارادته الى ان تم له القبض عليه

﴿ ذكر السبب في قبض بختيار على ابن بقية ﴾

كان ابراهيم بن اسمعيل صاحب بختيار تمكن منه ووثق به صاحبه

وكان نقيبا خطملا فتقدم عنده الى ان استحجبه وذلك بعد رحيل عضد الدولة الى فارس . ولما اطّلع على الحال التي عليها ابن بقية من التسكر أعلم بختيار انه على خطر من وثبة يثبها عليه اشفاقا على نفسه وانتم ازا لقرصته مع تمكنه من الجند والمال فقال له بختيار : انى أخاف شغب الجند وان يستنقذوه من يدي ويطالبوني بالاموال . فتضمن له الايجرى شىء من ذلك وان جرى كان عليه از يسكنهم ويرضهم بما يوجد من أموال ابن بقية وأسبابه وأطمعه في كثيرتها وفي ان تسفر الحال في القبض عليه فيما بينه وبين عضد الدولة ويصير ذلك طريقا الى انطافه وصلاح رأيه وأشار عليه الا يستوزر وزيراً بمده^(٤٧٣) وان يقر الكتاب على أعمالهم ودواوينهم ويخرج أبا العلاء صاعد بن ثابت [النصراني] من محبسه فيرد اليه استخراج الاموال والاستيفاء على العمال من غير وزارة . فقبل بختيار مشورته واطلم بختيارين آذذويه عليها فاستصوبها وكان في ضنك شديد حتى انه احتاج الى الثلج فالتمس من ابن بقية ثلجا فحمل اليه ثلاثين رطلا ووجد في خزانه شرا به يوم القبض عليه ستة آلاف رطل كان أعدها لسباط بتخذة للجند .

فلما كان وقت العصر من ذى الحجة سنة ٣٦٦ هجرية في زبزه الى بختيار فوجه في الوقت جماعة قبضوا على الحسن بن بشر [المعروف] بابن الراعي صاحبه فحين حصل في أيديهم أمر بالقبض على ابن بقية من غير ان يصل اليه وقبض على جميع ما وجد له من مال وكراع واستخلص أبا العلاء صاعد بن ثابت من محبسه وكان أمر ابن الراعي بقتله في الليلة المقبلة فكفاه الاجل والمقدار . ووجد في حبس ابن بقية صاحبه المعروف

بالكراهي وكان صادرة ولم يبق فيه بقية فاطلقه بختيار وسلم اليه ابن الراعي ليطالبه ثم أخذه من يده فاستوحش الكراعي وهرب الى البطيحة . فتحرك الجند بعد أيام يسيرة من القبض على ابن بنية وطالبوا بأموالهم وعرضوا بذكره والتأسف عليه فهم^(٢٧٤) بختيار بقتله في الوقت فلما تفرق الجند عنه أفضده في الليل مقيداً الى بغداد موكلابيه وأخرج معه أبا العلاء صاعد بن ثابت ليطالبه ولم يكن الاحتياط وقع على أقاربه لان بختيار عاجله كما حكيت ثم كتب على الاطيار الى مدينة السلام بتحصيلهم فسبق أحد الاطيار وحمله صاحب البرج الى أسباب ابن بنية على الرسم في خدمة الناس لهم فوقفوا عليه وأنذر بعضهم بعضاً فهرب من هرب واستتر من استتر فالتجأ أخوه وابن أخيه المعروف بأبي الحمراء مع جماعة منهم الى بني شيبان ثم الى بني عقيل وأقاموا في البادية

﴿ تمام خبر بختيار وما عمله بواسط الى ان صاعد الى بغداد ﴾

كان قبضه على ابن بنية قبل رده أبا أحمد النقيب وبهرام بن أردشير الرسولين الى عضد الدولة فشهدا ذلك عياناً ثم أتقدهما وأتقدهما الجاريتين ليفتدي بهما غلامه بايتكين ووافق أبا أحمد العلوي على ان يبذل جميع ملكه ان دعت الى ذلك حاجة . بخرت خطوب استقرت على ان تسلم الجاريتان ويسلم الغلام وتوارت البشائر بمحصول الغلام بالبصرة فأظهر بختيار السرور العظيم بذلك وانه جرى عنده مجرى الظفر بجميع خيرات الدنيا والآخرة واستشمر ان نعمته قد عادت اليه وهم بالعودة^(٢٧٥) الى بغداد على ما شرط عليه عضد الدولة . وجاء ابراهيم بن اسمعيل حاجيه وأشرف عليه في اللوم والتوقيع وأشار عليه ان يقيم بواسط للمقارعة والمدافعة وجاءه عبد الرزاق

ابن حسويه ثم أخوه أبو النجم بدر بن حسويه في نحو ألف فارس ووردت كتب حسويه بأنه سائر على أثرهما فأظهر المقام بواسطة علي مباينة عضد الدولة . فأتصل ذلك به وأنه نقض الشرط فبادر برسالة إلى أبي أحمد النقيب [العلوي] يرسم له أن يتوقف بالبصرة مع الغلام إلى أن يرحل بختيار عن واسط ويتمسك بالشرائط التي شرطت عليه فوردت كتب العلوي بذلك فاضطرب واجتهد وكتب وراسل فلما لم ينفعه شيء من ذلك أمر بتقديم سواده وعمل على الاصعاد ليلا وأعلم عبد الرزاق وأبا النجم أنه قد رأى أن تكون الحرب بينه وبين ابن حمدان صائر إليه لمعاوته وسألها الاصعاد معه فعملا ذلك على استضمام الرأي فيه وقد كانا اطلما على حديث هذا الغلام فكتبنا إلى أبيهما حسويه يصدقانه عن الصويدة فلما حصل عبد الرزاق بجزرايا رحل منصرفا وتوقف أبو النجم بدر على سبيل التذمّم والحياء . وتلوّم بختيار في طريقه حتى لحقه أبو أحمد العلوي وبهرام بن أردشير^(٧٦) ومعهما يأتسكين فسلماه إليه فتمّ السير إلى بغداد

وقد كان ابن بقية والمعروف بابن الراعي أظهرًا التبلح في المطالبة بمكارة عظيمة لحقتهما والتمس ابن بقية كتب الامانات لاهله المارين فكتب وحضروا . وتجدد لابن بقية طمع في أن يخطب الوزارة ويبدل لختيار ثلاثمائة ألف دينار يصححها من جهات كتابه وأسبابه وذويه ومن البقايا في النواحي وان يردّ إلى مرتبته ليقوم بأمر الحرب ويدير العسكر فبلغ ذلك أصحاب بختيار والقواد الذين أشاروا بالقبض عليه فاضطربوا واجتمعوا إلى بختيار وأعلموه أنه إنما يحتال بما يبذل للخلاص وان يتمكن من الانسلاخ ثم يثير الفتن التي لا تتلافى

وفي هذه السنة قبض على أبي الفتح ابن العميد بالري

﴿ ذكر السبب في ذلك ^(١) ﴾

﴿ ^(٧٧) ودخلت سنة سبع وستين وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر السبب في المثلة بابن بنية وابن الراعي ﴾

(وسمل عيونهما)

كان بهرام رسول عضد الدولة يخاطب بختيار في تسليم ابن بنية اليه ليحمله الى عضد الدولة ويروضه عنه ، الا من خزائمه واتصل ذلك بهؤلاء القوم أعنى القواد فحضروا عند بختيار وأقاموا في نفسه انه ان سلمه اليه صحيحاً لم يؤمن ان يصطنعه ويبقى عليه فيكون قد حصل له بحضرة عدو من قبله وكثر المشيرون بقتله والراحة منه فقرر الرأي على سلمه وتسليمه مسمولاً . فسمل ليلة الجمعة اثلاث ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ٦٧ وجد أبو اسحق ابن معز الدولة في إلحاق صاحبه المعروف بابن الراعي به لشيء كان في نفسه عليه ولم يكن له شافع لما كان ارتكبه من مكاره ^(٤٧٨) الناس فسمل أيضا

وترجع الرأي بختيار بين الدخول في طاعة عضد الدولة وبين المقام على معصيته ومحاربه وكان الرسولان مع جماعة من نصحائه يشيرون عليه بطريق السلامة ويمرّفونه عجزه عن مقاومته وقلة عدته من المال والرجال

(١) ياض في الاصل وأما نكبة أبي الفتح ابن العميد ليراجع ترجمته في ارشاد

الاربيب ٥ : ٣٥٦ — ٣٥٨

(٤٨ — تجارب (س))

وكان جماعة أخرى من قواده وخواصه فيهم الحسن بن فيلسار يشيرون عليه بالثبات والمقارعة ثم تقرر الامر واختار السلامة والطاعة من طريق الضرورة فدخل في الطاعة وحلف عليها وأعطى صفة يمينه بها ولبس خلع عضد الدولة وعبر الى الجانب القربي على ان يسير الى الشام ويثبت على أعلامه وراياته اسم عضد الدولة ويقم الخطبة له في أي بلد دخله ولما فعل ذلك انصرف عنه بدر بن حسنويه أيضاً منه ولحق بأبيه . وبذل له عضد الدولة مالا جليلا على ان يقيم في كنفه ويلقاه ثم يسير الى حيث يختار فلم يفعل ذلك ولم يسكن اليه فاشتراط عليه شروطا كثيرة كان فيها الا ينادى أبانغاب ولا يعرض له الا بقدر الاجتياز في أعماله فقط لمراسلة كانت بينه وبين عضد الدولة ولقائه على العهد القديم وأطلق لبختيار مالا وقاد اليه جمالا ودواب معونة له على نهضته^(٤٧٩) ووقع النداء بمدينة السلام برجوعه الى طاعة عضد الدولة وانه سلّم غير محارب وخرج نحو الموصل .

فأول ما تقضى من شروط عضد الدولة ان اعترض على أبي تغلب ابن

حمدان وعمل على ثقائه ومحاربه ودفعه عن الديار

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان حمدان بن ناصر الدواة خرج معه وسار بمسيره فلما صار الى عكبرا ذكره أمر نفسه ووعده بأموال ابني ناصر الدولة وما جمعه في القلاع وما خلفه لهم ناصر الدولة وكان بالحقيقة كثيرا جدا وزعم انه لا يلبس مملكة هي أسهل شوكة من مملكة أبي تغلب وانه يتولى حربه ويشق بصير خلق من رجاله اليه وكذلك من اخوته وأسبابه فهاهد حمدان على انه يمنعه من جميع ما يمنع نفسه ذبا وحماية وحلف له بأمان البيعة وجرت

بينهما شروط التزمها ودخلا فيها . فلما صار بتكرير صار اليه علي بن عمرو كاتب أبي تغلب بهدايا يسيرة وانزال من قضيم وطعام وسار معه الى الحديثة وخالاه ودعاه الى القبض على حمدان وتسليمه الى أبي تغلب على ان يجتمع معه وينفق أهواله ويذلل سلاحه وآلاته وذخائره وعسكره ورجاله ويعود معه الى بغداد ويستخلص له ملكه من يد عضد الدولة . فالتوى بختيار واضطرب وذكر انه لا يستجيز ذلك مع ما حصل لحمدان في عنته^(١٨٠) من اليمين العموص ومع ما عليه من عهد عضد الدولة فلم يزل يماوده ويستعين عليه بوالدته وأخيه أبي اسحق وحاجبه ابراهيم بن اسمعيل وبجماعة من استولى عليه من أسبابه . واستولى كاتب أبي تغلب هذا أعني أبا الحسن علي بن عمرو على بختيار وتسمي بالوزارة وجمع لنفسه كتابة بختيار مع كتابة أبي تغلب واستخلف عليه ابنه . واجتهد في أمر حمدان واسلامه وذلك ان أبا تغلب وأخته المسماة جميلة كانا طالبين عنده بثار أخيها أبي البركات .

وأقام بختيار على الامتناع الى ان صار أبو اسحق الى الموصل واجتمع مع أبي تغلب وتقرر الامر بينهما على القبض على حمدان من حيث لا يدخل بختيار في ذلك لتلايحت في يمينه فرجع الى الحديثة . وعسف بختيار في المخاطبة وأعله انه متى لم يفعل ذلك قصده أبو تغلب وحاربه ولم يقاومه وانه ان ساعده صافاه وواخاه وأعادته الى بغداد وأنفق أمواله وذخائره واستدعى الرجال الى ذلك من كل وجه مع ما عنده من الاستقلال بعسكره ورجاله . فضعف بختيار في يده على رسمه في ضعف العزيمة ولين المريكة فقبض على حمدان وأسلم الى خصومه وحبس في قلعة وهرب ابنه المكنى

أبا السرايا الى عضد الدولة . وجمع أبو تغلب الرجال وفتح قلاعه واجتهد
وبالغ واجتمع مع بختيار على ظهور الدواب فتحالفا وتماهدا فلما فرضا من
الاستمداد انحدرنا من الموصل وكانت عدّة أصناف^(٤٨١) الرجال معهما
خمسة وعشرين ألف رجل . وبالغ عضد الدولة أخبار الجماعة ولم يكن ممن
تخفى عليه أمور أعدائه وأوليائه يوماً يوماً فبرز عن مدينة السلام في جيوشه
المنصورة وقدم مقدّمه مع أبي القاسم سعد بن محمد الحاجب الى تكريت .
وكان أولئك أتقوا اليها جيشاً مع ابراهيم بن اسمعيل حاجب بختيار
فأوقع به أبو القاسم وقتل كثيراً من رجاله وكاد ابراهيم يؤخذ أسيراً الا
انه نجا الى تكريت واستتر عند بعض أهلها ثم هرب منها ولحق بأصحابه .
وفي هذا الوقت قتل ابن بنية وصاب ينفذاد

{ ذكر الحال في ذلك }

كان حمل مسمولاً على ما ذكرناه الى عضد الدولة عند نزوله بالزغفرانية
فتقدّم بأن يشهر في العسكر على حمل ثم طوب بالمال فلم يدعن بشيء منه
فطرح بحضرة العسكر بباب حرب الى الفيلة وأضريت عليه فقتلته شرقتة
وصلب لوقته على شاطئ دجلة في رأس الجسر بالجانب الشرقي وذلك في
يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة ٣٦٧ ثم نقل الى الجانب الغربي
فصلب بازاء ذلك الموضع من الشرقي وبقي فيه .

وعاد الحديث الى تمام خبر الوقعة بين بختيار ومن جمع

وبين عضد الدولة بقصر الجص^(٤٨٢)

اتصل بعضد الدولة ان القوم أجمعوا على ان يفرقوا بعد عبور النهر
المعروف بالاسحاقى ويأخذوا في عدّة وجوه الى بغداد فصار يجمع عساكره

الى قصر الجص حتى نزل فوق الغاية التي عزموا على ان يتفروا منها وذلك بعد ان استخلف وزيره أبا القاسم المطهر بن عبد الله في جيش كفيف ببغداد والتقى القوم غداة يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال واشتدّت الحرب وثبت القوم بعضهم لبعض وتصابر الفريقان من الديلم فحمل عضد الدولة حملة صادقة فانهزموا وتبعهم الجند يقتلون ويأسرون وقد كان بختيار عمل على المزيعة فمنعه أصحابه وخاف من الحصول في الاسر أو الأسفل فلما تحققت المزيعة ظفر به بمض الاكراد من المسكر فأخذ سلبه وهو لا يعرفه ثم عرفه غلام تركي يقال له ارسلان كورموش فضربه بلسان وأراد ان يثني عليه فتمعرّف اليه باسمه واستأسر له وقال : احملني الى حضرة ابن عمي وخذ جائزتك . ولحقه في الحال تركي آخر فحملاه الى القرب واستأذناه فتوقف وكان أبو الوفاء طاهر بن ابراهيم حاضراً فأشار بالفراغ منه فلم تطب نفس عضد الدولة به ولحقته دهشة وأراد استبقائه فألح عليه أبو الوفاء وقال : ما تنتظر به ان يعود ثالثاً والى متى يثير علينا هذه الفتن التي لعلنا نكون من صرعاة في بعضها^(٤٨٣) افرغ منه ! وعلا صوته وأظهر من النصيحة في هذه الباب والمراجعة الشديدة ما لو قصر فيه لجاز . فرفع عضد الدولة [يده] الى عينه يمسحها من الدموع وقال : انتم أعلم . وكان هناك أبو القاسم سعد الحاجب حاضراً فيأدر اليه مع صاحب له واحتر رأسه وكان قد جهده العطش حتى كاد يأتى عليه الموت لو ترك لحظة .

وقتل في هذه الواقعة خلق كثير من القواد والامراء ومن اساء بنفسه وفيهم ابراهيم بن اسمعيل صاحبه وحاجبه وأسر خلق كثير سوى من قتل . ولحقت أبا نعلب ضربة في منزهة ولم يكن باشر الحرب بل

طلب تلمة بالقرب فوقف عليها وكان دبر عسكره بأن يقفوا كراديس فكلما حمل منها كرددوس وأبلى وتعب عاد وحمل كرددوس آخر وغزوه كثرة القوم وكان بختيار عبى خيله أمية الديلم ليلقى بنفسه ويباشر الحرب وتلحقه المعونة من كل وجه فجزى الامر على ما ذكرت .

ومن عجيب ما جرى قبل ذلك ان أحد الامراء من عسكر بختيار يعرف بالحسن بن فيلسار أشار عليه وهو بغداد ألا يخرج عنها ولا يسلمها الا بحرب وابلاء كثير فأبى عليه بختيار فاعتزله وشخص الى جسر النهروان مع طائفة كانوا يرون رأيه فلما اجتمعوا هناك عقدوا له الرئاسة على أنفسهم وحدث نفسه بالسير الى جهة شعبانا^(٨٤) أو طرف من الاطراف فبلغ عضد الدولة خبره فلما بلغ الى القرب من بغداد جرّد خلفه خيالا فلحقوه ووقف للحرب فانجحت عنه أسيراً وبه ضربات فلبث يسيراً ومات وأسر كثير من أصحابه واتقضى ذلك الجمع

فأما عضد الدولة فإنه لما فرغ من وقعة قصر الجص تمم السير الى الموصل فملكها وسائر ما يتصل بها من الاعمال والديار وظن أبو تغلب أنه يلبث فيها يسيراً ثم يضطر الى العود الى بغداد على سيرة من كان قبله . وذلك ان رسم الحمدانية اذا ضعفوا عن مقاومة من يقصد من ان يقلوا التلات والميرة وسائر الاموال والذخائر الى فلاعهم وينقلون الكتاب والدواوين أيضاً اليها ويخرجون في أصحابهم الى حول الموصل متفرقين في أعمالها فاذا حصل بالموصل عدوهم المتغلب عليهم لم يجد بها شيئاً غير ما عند الرعية فيضطرون الى العلوفاط والمير ويخرج من يخرج في طلبهم ويتقضون عليهم من أمكنة غريبة وطرق لا يمر بها الغرباء من العساكر فيأخذون

بناهم وجمالهم ويقتلون ويأسرون من يمانعهم فاذا صبروا على ذلك أياماً يسيرة وجهدوا ولم يجدوا حيلة ولا معيناً من كاتب بلدى ولا غيره طلبوا الصلح وقاربوه للضرورة التي ذكرتها وانصرفوا عنه فيعودون الى ممالكهم . ولم يكن عضد الدولة ممن يسلك هذه السبيل بل احتاط ونقل من الميرة والعلوفة والازواد ما تمكن منه وحمل من رجال الموصل وكتابها الموجودين^(٤٨٥) ببغداد وبتكريت وسائر الاطراف من يرشد ويخدم وكذلك كتاب بغداد كان فيهم من أقام بالموصل وعرف وجوه الاعمال فصبر وأقام الى ان صار أبو تغلب الى الشام بعد نواب نابتة وقتل هناك كما سنشرح أمره ان شاء الله .

وفي هذه السنة خرج الطائع لله مع عضد الدولة لمشاهدة الحرب بينه وبين أولئك الذين قدمنا ذكرهم أعني بختيار وأبا تغلب وكان بروز عضد الدولة الى معسكره بباب حرب من أعلى الجانب الغربي يوم الاثنين لليلتين خلتا من شوال سنة ٦٧ وبرز الطائع لله يوم الخميس لحس خلون منه فلما انهزم بختيار وأبو تغلب من الوقعة بحضرة قصر الجص عاد الطائع لله الى منزله ببغداد^(١) وسار عضد الدولة كما ذكرنا فيما قبل الى الموصل فنزل بظاهرها يوم الاربعاء العاشر من ذى القعدة وحمل الدار يوم الجمعة

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : نخلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة

وتوجه بتاج مجوهر وطوقه وسوره وقلده سيفاً وعقد له لواءين يده أحدهما مفضل على رسم الامراء والآخر منذهب على رسم ولاية اليهود ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله ولقب تاج الملة وكتب له عبد محضته فقراً بحضرة له ولم يجز المادة بذلك انما كان يذبح العهد الى الولاية بحضرة أمير المؤمنين فاذا أخذه قال أمير المؤمنين : هذا عهدى اليك فاعمل به .

الثاني عشر .

وترددت الرسل من أبي تغلب الي عضد الدولة في التماس الصلح وحمل مال فامتنع عضد الدولة وقال : انا اذا ملكنا ناحية بالسيف وبعد الحرب والمقارعة لم نصلح عليها . وتشدد في ذلك حتى صرح لرسله بأن الموصل وديار ربيعة أحب اليه من العراق وأنه ليس يبيعها أبدا . وكانت الموصل وأكثر أعمالها ملكا لابي محمد ناصر الدولة وكان رسمه أن يضايق أصحاب المعاملات من التناء وأصحاب العقار من أهل البلد ويخاشنهم ويتأول عليهم حتى يلجئهم الى البيع ويشترى^(٤٨٦) أملاكهم بأوكس الاثمان وطالت حياته وامتدت أيامه حتى استولى على الناحية ملكا وملكاً فلما صار جميع ذلك في قبض عضد الدولة لم يفرج عنها وطب أبو تغلب وأمرت اليه السرايا فلم يمكنه المطاولة ولا ان يسير بسيرته التي حكيناها فيما تقدم فسار الى نصيبين وسير عضد الدولة خلفه أبا الوفاء طاهر بن محمد على طريق سنجار . وكان في جملة من انهزم معه المرزبان بن بختيار ووالدة بختيار وابناها أخوا بختيار ومن أفلت من وقعة قصر الجص فلما لحقهم أبو الوفاء نهضوا منهزمين الى ميافارقين ثم افرقوا فاما والدة بختيار وأخواه وابنه ومن نهض معهم من أسبابهم وبقية الديلم والأتراك الرسومين بهم فأنهم ساروا الى دمشق لاثنين بالفتكين المزمي وهو الذي حارب عضد الدولة بديالى وانهزم من بين يديه فلما بلغه سير أولاد . وولاه وحرمه وأسبابه اليه تلقاهم وقضى حقوقهم . وظن أنه يتكثر بهم ويزيد في عدته بمكانهم ويتقوى بهم فجرى الأمر بالضد وذلك انه لما انهزم من العراق الى دمشق وتغلب عليها تماسك فيها نحو أربع سنين ودفع جيش المغرب عنها وثبت لساكر صاحب مصر

التي جهزها اليه واستولى استيلاء قويا وهاباُ العرب وطار اسمه هناك . فلما صار اليه هؤلاء المنهزمون قصده عساكر مصر على الرسم متضاعفة على العدة التي تقدمت فصار اليها الى الرملة ومعه الجماعة للحرب ^(٤٨٧) والمقارعة فميين توافقت الفرقتان استأمن . المرزبان بن بختيار فظهرت المغاربة على الفتكين وكثروه بعددهم فلم يزم وقتل أبو طاهر ابن معز الدولة واستأمن أبو اسحاق بن معز الدولة في آخر الامر . ووقع الطالب على الفتكين فاحقه المروج بن دغفل بن الجراح الطائي وجاء به أسيرا : وكان صاحب مصر (قد) عرف منه ومن الأتراك الذين معه على طول الممارسة بأساُ وشدة فأبقى عليهم وعليه وأحسن اليه واليهم واتخذهم عدة وصاحبه ثم اشترى منه ولاءه وصار كالعبد له وحصل أصحابه محصل الجند وأحسن اليهم ^(١) وأما أبو تغلب فانه أقام بميفارقين ومعه أخته جميلة وكانت وحدها شريكة له في الامر والنهي وسائر اخواته الباقيات وحرمه وعياله معه فلما بلغه مسير أبي الوفاء اليه قدم الحرم والعيال والاموال والسواد الى حصن بدليس وتوجه بنفسه لاحقاُ باسيابه ووصل أبو الوفاء الى ميفارقين وهي مغلقة دونه ولها سور وثيق من حجارة سود لا يمل فيها الحديد وهي من حصون الروم وأبنيتهم القديمة فظاواها أبو الوفاء طالباُ أبا تغلب وانتهى أبو تغلب الى أرزن ونزل على نهر يعرف بجويبور ثم عدل من هناك الى ناحية الحسينية ووصل الى قلاعه واستنزل منها مالا على سبيل المخالسة فعاد الشيخ أبو الوفاء الى ميفارقين لما نزلتها وافتتاحها . واتصل بضد الدولة مخالفة ^(٤٨٨) أبي تغلب الى قلاعه وأخذ ما أخذ منها فهدم من الموصل

(١) اراجع تاريخ ابن القلاسي ص ١٨ - ٢١

بنفسه وهرب أبو تغلب من بين يديه وفارقه جمهور عسكره وأعيان
رجاله مستأمنين الى عضد الدولة منهم بختكين آذرويه وبقايا الغلمان
المعزية والغلمان السيفية فماد الى الموصل وقد ترك أبو تغلب مسلوب القوة
والمُدَّة

وسلك أبو تغلب في هزيمته هذه طريق الجزيرة فجرد عضد الدولة
في أثره أبا حرب طغان الحاجب وأمره باتباعه ومناجزته فتنكب أبو تغلب
الطريق وتصف الرجوع الى بدليس وظن أنه لا يتبع فكوتب طغان
باتباعه وجرّد أبو سعد بهرام بن أردشير في عسكر مددا له فدار خلفه
فهرب من بدليس ودخل بلاد الروم قاصدا ملك الروم المدروف بورد
الرومي^(١) وهذا رجل تملك على الروم ثم اختلف الجيش عليه بقسطنطينية
ونصبوا أخوين من أولاد ملوكهم واقترعت كلمة الروم وطالت الحرب
والمنازعات بين الفريقين وكان وزد هذا قد صاهر أبا تغلب وواصله واعتضد
به على خصومه فانعكست الحال بان صار أبو تغلب هو اللاجئ اليه
واتفق لابي تغلب ان كان مسيره في مضائق بين جبال ولحقه عسكر
عضد الدولة هناك

﴿ ذكر غلط اتفق بجنابة جناها أبو سعد بهرام على العسكر ﴾
(حتى كسر وهزم بعد التمكن من أسر أبي تغلب)
(والظفر به وبمن معه^(١٨٩))

كان عسكر عضد الدولة على نهاية الحرص على الظفر بسواد أبي تغلب

(١) هو المدروف بالقلاروس والمساكن هما باسيل وقسطنطين ابنا رومانوس
وأمهما هي ثوقانو

واشتد طمئهم فيه لعلمهم بما معه من المال الصامت الذي أخرجه من القلعة وأنه لم يترك ذخيرة هناك من جوهر نفيس أو در ثمين أو متاع أو عين يخف محمله الا وهو معه ورأوا الصناديق بعينها التي وصفت لهم أنها محمولة من القلعة فعمل الأتراك وفرسان المسكر ومن يوثق بفرسه وسلاحه متسرعين الى غنيمة تلك الاوال . فناداهم أبو سعد بهرام : يا فتيان المسكر احفظوا تلك الصناديق فلها مولانا . وكرر ذلك وتابيه فانكسر القوم قفروا في الطاب ونظر اليهم أعداؤهم منخزيين وهم لا يعرفون السبب فخل عليهم أبو تغلب في عسكره فانهزموا ووقع بعضهم على بعض فقتل منهم خلق كثير . وضرب طغان ضربات تعطل منها كثير من أعضائه وأقلت مع أبي سعد وقد أشرفوا على الهلاك بمد ان أشرفوا على الغنيمة والظفر .

﴿ وذلك عند دخول سنة ثمان وستين وثمانمائة ﴾

ثم ان أبا تغلب بمد كسره طغان و ابا سعد أمن وصار الى حصن زياد وأقام . وكانت جيوش قسطنطينية قد سارت الى ورد^(١) فشغل عنه بنفسه وأتخذ اليه ميرة كثيرة وأشار عليه بأن يلحق به ليجتمعا على حرب خصومه فاذا انهزموا واستظهر عليهم عاد فنصره . ولم تسكن نفس أبي تغلب الى أن تلقاه فاتخذ^(٢) اليه طائفة من عسكره على سبيل النجدة والمعونة وأقام

(١) قال يحيى بن سعيد الانطاكي في تاريخه (ولسخته موجودة في كتيبخانة باريس : ٢٩١) ان أبا تغلب خاف على نفسه فاخذ طريق الجزيرة وكتب الى بردس السقلاروس وكان السقلاروس قد واصله واعتضد به على منازعة باسيل واتفق ان كتبه وردت عليه وقد توجهت جيوش باسيل الملك مع بردس الفوقاس فشغل السقلاروس عن أبي تغلب بنفسه وأخذ اليه الخ

بحصن زياد ينتظر فالتقى الجيوشان من الروم وانهمز ورد^(١) واتصل ذلك بأبي تغلب فيئس منه وعاد الى بلاد الاسلام ونزل بآمد شهرين الى أن فتحت ميفارقين

﴿ شرح الحال في ميفارقين وفتحها ﴾

قد كنا ذكرنا تجاوز أبي الوفاء ميفارقين طالبا لأبي تغلب فلما هرب الى بلاد الروم وتفرّد أبو حرب طنان الحاجب بطلبه والمسير في أثره عاد إليها فبرز اليه هزارمرد على أن يواقعه فلم تكن له به طاقة فعاد الى التحصن في المدينة . فاقضى الرأي عند أبي الوفاء أن كر الى أرنزن فحاصرها ثلاثة أيام وضعف من فيها عن المقاومة ففتحوها له ودخلوا في أمانه وطاعته ولم يزل بسائر الحصون المقاربة لها حتى استغرقها وانسكفاً حينئذ الى ميفارقين وناصبه من فيها الحرب ثلاثة أشهر وكسرا وهجم البرد عليه وسقطت الثلوج فاحتمله وصبر . ونُصب عليه وعلى عسكره من داخل السور منجنقات قبت لها وقابلها بمنجنقات مثلها ورماع بالنار والحجارة وهو في خلال ذلك يفتح الحصون المقاربة لها ويستأن أهلها ومن فيها من غلمان أبي تغلب المرتبين حتى قضى الله وفاة هزارمرد فكوتب أبو تغلب بذلك فكتب بأن ينصب مكانه غلام من الحمدانية كان مضموماً اليه يقال له مونس . وكان بالبلد قاض جاهل متهور ليس^(٢) فيه من أدوات القضاء شيء . يقال له أبو الحسين المبارك بن ميمون ويعرف بابن أبي ادريس^(٣) فاستولى على تدبير

(١) وفيه أيضا ان ذلك يوم الاحد ثمان بقين من شعبان سنة ٣٦٨

(٢) قال ابن الازرق الفارقي صاحب تاريخ ميفارقين : كانت ميفارقين من سنة ٣٣٣

نحت حكم القاضي عبد الله بن الخليل بن المبارك بن ميمون عند غيبة سيف الدولة

أمر مونس هذا وجمع كلمة أهل البلد ومن كان فيه من المطوعة وحملة السلاح على الثبات والمدافعة فكاتبه أبو الوفاء ودعاه الى الطاعة وبذل له الرغائب فأبى الا العناد . وكان يصعد الى برج من أبراج السور فينادى المسكر ويسمى القواد وصاحب المسكر ومن يلى أمرهم ويشتمهم ويبالغ في ذكركم بالقبيح ويتجاوز ذلك الى ما لا يحسن ذكره فعدل أبو الوفاء عنه الى مكاتبه شيخ من ميفارقين كان وجيها ومطاعا فيها يقال له أبو الحسين أحمد بن عبيد الله^(١)

﴿ ذكر الحيلة التي تمت لابي الوفاء في فتح ميفارقين ﴾

وجد أبو الوفاء لابي الحسين احمد بن عبيد الله خارج البلد غلاما كان مقيما في ضيعة له فراسله به ويرفق بالسلام ووصله ثم جماله ولينجه الى صاحبه ولم يزل به حتى استجاب للطاعة فأخذ المهدي والميثاق على أهل البلد سرا فنبى خبره الى القاضي الذي ذكرناه فسمى في الفتك به وكاد يتم له ذلك لولا أن أهل البلد حاموا عليه ومنعوا منه ولم يزل أمره يقوى وأهل البلد يجتمعون اليه وقد ملوا الحصار والضيق حتى استنظر بهم^(٢) . فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلفنا من جمادى الاولى سنة ٣٦٨ ثاروا مشتمين^(٣) على أصحاب أبي تلاب

الى ان مات ومات بعده القاضي وولى موضعه أبو الحسين محمد بن علي بن المبارك ابن ميمون وكان هذا البيت يعرف بيت ابن أبي ادريس

(١) وقال أيضا : وكان أحمد هذا صهر القاضي وكان الناس يرجعون الى كلمته

(٢) وزاد صاحب تاريخ ميفارقين : ثم أنه من الغد حضر عند القاضي وكان بينهما وحشة ومصاددة وممه جماعة من الناس فشكروا ما هم عليه من المضايقة والحصار فقال القاضي : وأين صبركم وجندكم وبسند ما أكلتم الكلاب ولا أكلتم أولادكم ولا مات منكم مائة في يوم واحد .

فالتجأ مونس ومن معه الى منازلهم وقبض احمد بن عبيد الله على القاضي ابن
أبي ادريس وعلى جميع من كان في حصن ميافارقين من أصحاب بختيار
وحاشيته وفيهم غلام أهوج معروف بالتهور والجهل كان قد داخل بختيار
على طريق المنادمة التي تليق بئله يعرف بابن الطبرى فساعد القاضي على
سيرته وجهله في ذكر الملوك وبسط اللسان فيهم ووجه الى مونس الحمداني
يلتمس مفاتيح الباب منه ويتهدده متى أخرها وساعده الجماعة على ذلك
فانفذها والتمس الامان لمونس ومن معه من الحمدانية فأمنه واستثنى بهذا القاضي
وبالمعروف وابن الطبرى وأنفذ أبا الفتح المظفر بن محمد الحاجب في قطعة
من الجيش فدخل الى البلد وملكه وأحسن أبو الوفاء الى أهله وفرق فيهم
أموالا وتصدق على ضعمائهم بأمر عضد الدولة اياه. وحمل الى حضرته
القاضي وابن الطبرى فأمر بضرب رقابهما وصلبهما من السور على البرج
الذي كان يظهر منه ويسمى أدبه فيه

﴿ فتح آمد ﴾

كان أبو الوفاء أتقذ اليها في أول الامر أبا علي التميمي الحاجب لافتحها
فتمذرت عليه لخصائتها ووثاقه سورها الذي هو أشد من سور ميافارقين
فرجع عنها ثم عاد اليها أبو تلب من بلاد الروم على ما^(٤٩٣) ذكرنا وظن
انه يقيم فيها ويمتنع بها فلما فتحت ميافارقين علم ان الجيش سائر اليه وانه
لا يثبت مع الحصار ومع ما استمر عليه من الجوائح فأقذ أخواته سوى
جميلة مستأمنات الى أبي الوفاء وتبين أصحابه ضعفه فالتأوا عليه فهرب الى
الرحبة ومعه أخته جميلة ومن بمسه أمره من حره . وقعد عنه المعروف

بأنجو تكين وهو من نجباء الأتراك المعروفين بالشدة والثبات في المارك وله قوة على حملات له ثقيل يعجز عنه غيره وإذا حمل به لم يثبت له أحد وقعد معه جماعة من الأتراك وقصدوا حضرة عضد الدولة مستأمنين اليه ثم تابع الناس الذين كانوا مع أبي تغلب من الغلمان والجند والكتاب والولاة والاتباع . وسلك حينئذ أهل آمد بعد انصراف أبي تغلب عنها سبيل أهل ميفارقين قفتحوها سلماً وطوعاً .

واشتمل أبو الوفاء على ديار بكر بأمرها وعاد الى الموصل ومعه الاسارى بعد ان رتب في الحصون من يحفظها من ثقات عضد الدولة ورتب في البلدان عمال الخراج والمعاون

﴿ ذكر ما عمله أبو تغلب بعد مسيره من آمد ﴾

لما انصرف من آمد وقصد الرحبة أنفذ من طريقه أبا عبد الله الحسين ابن ناصر الدولة وسلامة البرقيدي وهو من كبار الحمدانية الى عضد الدولة برسالة تتضمن الاستعطاف ويسأله الصلح والاصطناع ووصل الى الرحبة ^(١١) وأقام بها على انتظار الجواب . فورد أبو عبد الله وسلامة البرقيدي الموصل وأدى أبو عبد الله ما تحمله فتلقيه عضد الدولة بالجميل وقبل منه تنصله وبذل له اقطاعاً وفضلاً على ان يظاً بساطه ويدخل في ذمامه وتبين أبو عبد الله حزم عضد الدولة وذلك انه مع احسانه اليه وتوسعته عليه منع أخذاً من الوصول اليه فلم يشاهد بينه الا الموكلين به فقط وعرف من أخيه انه لا يستجيب لما دعاه اليه عضد الدولة فأخذ بالحزم لنفسه وتعلق بمصمة باطنسة اختص بها واعتقد أن يفارق أخاه ويعود الى حضرة عضد الدولة ففضى اليه بماعاد الجواب عليه . فكان الامر على ما ظنه من مخالفة

أخيه لمرسوم عضد الدولة فتوجه الى الشام لاجئاً الى صاحب المغرب
وسار معه أخوه الحسين الى بعض الطريق ثم فارقه قبيل تدمر على غير
استئذان فأخذ خلفه من يتبعه فشعث سواده ولم يلحقه في نفسه فنجأ
وحصل بحضرة عضد الدولة على حال جليلة

﴿ فتح ديار مضر ﴾

كان الولى عليها سلامة البرقيدي فأخذ اليه سعد الدولة وهو ابن
سيف الدولة جيشاً لينزله عنها فجرت بين الفريقين حرب . وكان سعد
الدولة هذا قد كاتب عضد الدولة وعرض نفسه^(٤٩٥) وتعلق منه بمصمة
فأخذ عضد الدولة أبا أحمد الموسوي النقيب اليها فسلمها بعد حرب ودخل
أهلها في الطاعة . ولما استولى عليها سلطان عضد الدولة استصفي منها الرقة
وأعمالها خاصة وفوض باقيها الى سعد الدولة وجرت مجرى سائر ما في
يده من أطراف الشام .

ثم فتح الرحبة ففرغ لفتح قلاع أبي تغلب وهذه القلاع هي في جانب
دجلة الشرقى وهي عدة كثيرة فمنها أردمشة ومنها الشعباني وقلعة اهرور
وقلعة مليصى وقلعة برقي وكانت أردمشة خاصة مملوءة بالامتعة الفاخرة
من أصناف الثياب والفرش والجواهر والمياعات والحلي وسائر أصناف
العدد وكان أبو تائب رتب فيها رجلا من الاكراد بينه وبينه قربي من جهة
والدته فاطمة بنت أحمد الكردية يعرف بابن بادويه وضم اليه مملوكا له
كان من غلمان أبيه يثق به يقال له طاشتم فأنفذ اليه عضد الدولة أبا الملاء
عبيد الله بن افضل بن نصر النصراني لماناة القلعة والاحتياط في فتحها
وأخذ أبو القاسم سعد بن محمد الحاجب الى الشعباني وأخذ صاحباً لابي نصر

خرشيد يزديار الخازن الى امرور فصرف أبو العلاء حال أقارب لابن بادويه السكردى خارج القلعة فدعاهم الى خدمة عضد الدولة^(١) ورغبهم فيها وعرفهم اضمحلل أمر أبي تغلب ووقوع اليأس منه وكاتبهم عضد الدولة بمشورة أبي العلاء فرغبوا في الخدمة وصاروا على ثقة مما وعدوا به ثم حملوا على مكاتبة صاحب القلعة وأشاروا عليه بالقبض على طاشتم وتسليم القلعة وذلك ان طاشتم كان شديد الطمع في عود صاحبه ويجب أن تظفر أمانته عنده فعمل ابن بادويه ذلك وبذل للحراس وسائر من يحفظ القلعة البذل الكثير وحكموا فتم القبض على طاشتم والتقييد وحصات القلعة بما فيها^(٢) وظهرت نجابة أبي العلاء واجتهاده وحسن تطفه وكان قيمة ما في القلعة على ما حررناه (وكنت فيمن أخرج اليها لنقل ما فيها مما يصلح للخزائن) ومع ما يباع وتبقى ما يبقى في القلعة نحو عشرين الف الف درهم قال صاحب هذا الكتاب : كان عضد الدولة أمرني أن أصير مع خواشاده^(٣) الى هذه القلعة وأحضر احصاء ما فيها ثم تسلم طاشتم مقيدا وأمله على بئس باء كلف مجردا لا وطاء عليه ومعه أصحابه الذين قيدوه وسلموا القلعة بالخلم والدواب والمراكب التي حملوا عليها وبين أيديهم البدر والسياب التي حووا بها ثم أطوف به تحت القلاع الممتعة التي لم تفتح بعد لينظر من فيها الى حال طاشتم فيحذروا مثلها ويروا أحوال الباقين فيطمعوا

(١) وفي طاشتم هذا ايراجع ما في كتاب التفرج بعد الشدة ١ : ١٣٦
(٢) وفي خواشاده هذا قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٥٥) قرأت في كتاب بغداد تصنيف هلال بن الحسن الصابي : حدثني خواشاده خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلالة (يعني بغداد) عامرها وخرابها وحرمتها وما يجاورها ويتاحها فكان مثل شيراز

في مثلها^(١٧) فقلت ذلك وتحملت رسائل الى أصحاب تلك القبلاع .
وجرت أحوال يطول شرحها إلا ان جئاتها ان القوم لما نظروا الى هيئة
طاشتم وأصحابه دخلهم الرعب من جانب وتجددت لهم الرغبة من جانب
وكانوا قبل ذلك لا يصدقون الرسل بان هذه القلعة التي كان فيها طاشتم
فتحت فلما رأوه عيانا وخطبوه عرفوا وهاء أمر أبي تغلب وقوة عضد الدولة
وسلموا القلاع بمد مدة .

ورأيت أنا من طاشتم هذا في طريقي حصافة واتبالا على الصلوات
ودعاء كثيرا (وقد كان أو من على روحه فقط) فسألني في الطريق المعونة
وحسن المحضر عند عضد الدولة فلما عدنا الى الموصل وفرغنا من استقراء
القلاع على ما وصفت ثبت عن طاشتم هذا بحضرة عضد الدولة وعرفته
سداده وانه يصلح لخدمته فقال : هو كما تقول ولكن السياسة لا توجب
اصطناعه . فقلت : وكيف ؟ قال : لانه مانعنا من تقرب به الينا غيره فان وقع
احسان اليه سويتنا بينه وبين من خدمنا بالقبض عليه فخبثت نيات من
يخدمنا في أعدائنا وظنوا اننا لا نتميز في الاحسان بين الولي والمدو وبين
الحبيب والمنتع ومع ذلك فان بين أيدينا قلاعا ما فتحت بمد وان بلغ أصحابها
المتنتين فيها احساننا الى هذا زالت الرهبة عن قلوبهم وطمعوا في مثل
حاقبة هذا بمد حصولهم^(١٨) في أيدينا ان حصلوا وسلامتهم في مواضعهم
ان سلموا . ثم قال : ولان لي فيه رأيا وهو ان أتقنه الى صاحبه أبي تغلب
فانه سيؤمّه على صاحب مصر به وبقلته ويدعي انها في يده وفيها ذخائره
وثقائه وان ماله في هذه القلاع يعني بمؤنته ان أمدا بالرجال ولا تزال
مخاريقه مشبهة وجائزة هناك الى ان يطلع عليه هذا وتقدمه الاخبار بما

جرى عليه فحينئذ تبطل تمويهاته وتظهر فاقته وأنه طريد سيوفنا وإنما أفلت بحشاشته وليس وراه عُدّة ولا ذخيرة ولا قلعة . فلما سمعت هذا الجواب علمت أنه صواب في سياسة الوقت وإن معارضته فيه خطأ فأمسكت . وبلغ طاشتم ما عزم عليه من تسييره الى صاحبه . متيداً بحالته تلك فقلق جداً وراسلني يستلني المصير الى محبسه فصرت اليه تديماً فوجدته كثير البكاء لا يستقرّ على الارض تلقاً فقلت : ما شأنك ؟ فقال : ان الملك كان آمنني على نفسي وأراه الآن قد بذلني لمن لا يبقى عليّ . وأطال هذا المعنى وسألني معاودة عضد الدولة ومخاطبته في الامان الذي معه فحملت نفسي على معاودته فلم يرجع عن رأيه الاول وقال : انما آمنتك على نفسه مني والا أصيبه بكمروه وأنا له على ذلك ولست أضمن الا يصيبه صاحبه بكمروه . وتبرأ مما يجرى عليه من صاحبه وتقدم^(١١) بالاسراع به . فلما بلغ أبا تغلب خبره من موضع يقرب منه تلقاه بن قتلّه والله أعلم بصحة ذلك الا ان موته شاع بعد زمان قليل .

﴿ ذكر ما دبره عضد الدولة من أمر هذه الممالك ﴾

﴿ وعوده الى بغداد ﴾

خاف أبا الوفاء بالموصل لتهديب المعاملات وترتيب المال في الاعمال وتقنين القوانين وتدوين الدواوين وعاد الى مدينة السلام يوم السبت انسلاخ ذي القعدة سنة ٣٦٨ . وخرج الطائع لله في تلقيه مع جماعة الجيش والمقيمين وسائر الخواص والعوام ودخل يوم الاحد ليلة خات من ذي الحجة واجتاز في الجانب الغربي على تعبئة من الجيش . وبعد ان ضربت له القباب متصلة منتظمة بين عسكره من باب حرب وبين الموضع الذي

ينزله من آخر البلد وهو البستان المعروف بالنجمي وعبر في يوم الاثنين له الى داره فاستقر فيها .

﴿ ذكر] ما أكرم به عضد الدولة من جهة الطائع لله ﴾

خرج أمر الطائع لله الى خلفائه على الصلاة في جوامع مدينة السلام بان يقيموا لمضد الدولة الدعوة تالية لاقامتها له على منابرها ونفذت به الكتب اليهم ورسم ان يضرب على بابه بالدباب في أوقات الصلوات . وهذان الامران من الامور التي بلغها عضد الدولة واختص بها دون من مضى من الملوك على ^(١٠٠) قديم الايام وحديثها ^(١١)

﴿ ودخات سنة تسع وستين وثلاثمائة ﴾

وفي هذه السنة ورد الحضرة أخ اسقلاروس الرومي المعروف بورد وقد ذكرنا خبر هزيمته عن جيوش قسطنطينية وكان صار الى ديار بكر وأنفذ أخاه هذا الى عضد الدولة مستنجرا ومستنجدا وباذلا من نفسه الطاعة والمعاهدة ^(١٢) ولما كان الملكان الاخوان اللذان بقسطنطينية عرفا

- (١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وقد كان معز الدولة أحب ان يضرب له الدباب بمدينة السلام وسأل المطيع لله ذلك فلم يأذن له قات : وماذاك الا لضعف أمر الخلافة .
- (٢) قال يحيى بن سعيد الانطاكي : وأما اسقلاروس فانه بعد هزيمته أخذ معه أخاه قسطنطين وولده رومانوس وصار الى ديار بكر وأنفذ أخاه قسطنطين الى عضد الدولة يلتمس منه النجدة والمعونة وبذل له الطاعة والموااة وتناول مقامه وأتمى الى الملك باسيل حاله فأنفذ الى عضد الدولة كتابا له وجيها يسمى تقفور ويعرف بالاورانوس (وهو الذي باخره ماجسطرس ووالى انطاكية) مترسلا عنه فيما يفسد على اسقلاروس ما شرع فيه مع عضد الدولة ومالا واسعا يستعين به على قصده ورسم له بان يرغب عضد الدولة بما بذله له فيه وبعده اخراج كل أسير في بلد الروم وان يتلطف باحضار

ما فعله أئقدار سولا وجيها الى عضد الدولة انقض مائرع فيه ورد واجتمع هذان الرسولان على بساطه خاضعين يتنافسان فيه ويتزايدان في التقرب اليه ويستبقان الى التماس الذمام منه ولم ينصرفا الى ان انسلخت سنة تسع وذلك مالم يكن مثله قط. وهو من مآثر عضد الدولة

وفيا توفي عمران بن شاهين صاحب البطيحة بجأة يوم الخميس لثلك هشرة ليلة بقيت من الحررم وكان ركب في غداة هذا اليوم للتزوه على عادة كانت له فلما عاد الى داره تشكى دون ساعة وفاطت نفسه بعد ان نصبت له الارصاد اربمين سنة وأثقت على حرابه الحرائب وبعد ان أذل الجبارة وأرباب الدول وطواهم أولا أولا وقدمهم أمامه على غصص يتجرعونها

السقلاروس اليه ولو بائبباعه وابتباع من معه من الروم ويضحن له أنه يؤمنهم ولا يسيء الى أحد منهم . وأوعز عضد الدولة الى صاحبه المقيم بيمافارين سرا بان يقبض على بردس السقلاروس فاطهر عضد الدولة الانكار للحال والفضب على صاحبه لما فعله وكاتبه بان يحمله الى بغداد وحمل معه ولده رومانوس وسائر أصحابه وكان عددم تقديرا فلائعانة قس . ولما وصل السقلاروس أنزله عضد الدولة دارا خلبت له ووسع عليه الجراية مديدة واعتقله واحتاط عليه ووعده باطلاقه ونجريد عسكر معه . وارسل عضد الدولة الى باسيل الملك صاحبا لهيعرف بان شهرام في معني السقلاروس وقصده وما يبذله من الموالة فانه قد شرط على نفسه اذا ظفر يسلم اليه حصونا بما اقتنحه الروم وأنزعوه من أيدي المسلمين ويستدعى منه أن يسلم اليه تلك الحصون والا هو يمد السقلاروس بالعساكر ويضده على ما التمه منه فأعلمه باسيل الملك قلة غايته به وأن ذلك مما يترجى منه . وورق الى عضد الدولة ان تقفور رسول باسيل الملك الوارد في طلب السقلاروس بجتهما عند ابابه من أن يسلمه ويمينه ايكني صاحبه أمره فوكل به أيضا واعتقل قبض على جميع ما ورد معه من انال والمتاع . واعتل عضد الدولة وشغل عنه وعن غيره بنفسه ومات وبقي جماعتهم معتقلون ببغداد مدة ثمان سنين الى ان صدر أيام ولده صمصام الدولة واتهم امرهم الى ما سائرحه مستأنفا .

وذحول يتحملونها وهو ممنوع الحريم محصن الساحة محمي من غوائلهم
ومكايدهم فلما أطرقت^(٥٠١) الله لم يكن له مستقدم ولا مستأخر
وفيها جرد عضد الدولة جيشا مع صاحبه وثقته أبي القاسم علي بن
جعفر الوازري وضم اليه أبا العلاء النضري طلب بنى شيان
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كانت هذه القبيلة أعنى بنى شيان مستعصين قد تعودوا النهب
والغارة والتاصص وأعتت الحيلة في طلبهم وذلك ان لهم خيولا جيادا
يعولون عليها في الهرب اذا طلبوا فكانت سراياهم تبلغ في الليلة الواحدة
ثلاثين فرسخا وربما زادوا على ذلك فيمسون بموضع ويصبحون على هذه
المسافة البعيدة وكذلك يصبحون في مكان ويمسون منه على مثل ذلك ولا
يصح للسلطان خبرهم ولا يتأتى له طلبهم . وكان لهم رئيس يعرف^(١)
وكانوا مع ذلك قد عقدوا بينهم وبين أكراد شهرزور المتغلبين عليها
مصاهرات وأذمة وشهرزور هذه لم تزل ممتنعة على السلطان لا يدعن أهلها
لحصانة المدينة ولاهم في أنفسهم عتاة ذوو باس وجلد . فاراد عضد الدولة
ان يبدأ بشهرزور ليقطع بين اعراب بنى شيان وأكرادها فاتفق شخوص
أبي القاسم الوازري وهو عقيب علة طالت عاية ولحقته نكسة في طريقه
فمات وورد خبره على عضد الدولة وكاتب أبا العلاء وأقامه مقامه وأمره
باستكمال الخدمة فيما توخاه . ففعل ووفى وظهرت نجاته المعروفة منه ونهض
نهوضا كفى المهم به وشفى الصدور ولما وصل الى شهرزور وعسكر على
ظاهرها فتحت له فدخلها في عدة يسيرة على مواعدة لاهلها وقبول^(٥٠٢)

الطاعة منهم ولم يكن القصد الاول اليهم ولا المراد بدمهم . فهرب بنو شيان في البر مصعبين الي نواحي الزوابي على رسمهم في الاجفال اذا طلبوا .

﴿ ذكر ما دبره أبو العلاء من أمرهم حتى ظفروهم ﴾

سار أبو العلاء الى دقوقا وأقام بها أربعة أشهر وكسرا يعمل ضروبا من الحيل والمساكيد والمكاتبات المتصلة بضروب من الاستمالة والرفق والاطماع حتى سكنوا اليه وأنسوا به ولم يجعل مع ذلك حتى قربوا باحيائهم منه فأسرى حينئذ اليهم وأوقع بهم وفعة عظيمة أتت علي نفوسهم وأموالهم ونذر ايهم وأعزتهم وغنم غنيمة عظيمة وقتل من مقاتلتهم خلقا كثيرا وانصرف بمائتي رأس من رؤوس القتل وثمانمائة رجل من الاسرى فيهم جماعة من وجوههم ورؤسائهم . فدخل بغداد يوم الخميس لثمان خلون من رجب وشهر هؤلاء الاسارى على الجمال بالبرانس الطوال والثياب الملونة لاربع عشرة ليلة خلت منه وأودعوا الحبوس والمطابق وتفرق أو شاك الذين نجوا منهم في الاطراف البعيدة وطفئت جمرتهم وزالت عن أعمال بغداد والسواد مضرتهم .

وفيهما قبض على أبي أحمد الموسوي تقيب الطالبيين وعلى أخيه أبي عبد الله وعلى قاضي القضاة أبي محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف وأنفذوا الى فارس وقلد قضاء القضاة أبو سعد بشر بن الحسين وهو شيخ كبير مقيم بفارس ^(١) واستخلف له ببغداد أربع خلفاء على أربع بغداد وهم أبو بكر

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : هو قاضي قضاء شيراز توفى في رءضان سنة ٣٨٠ وكان اماما في مذهب داود (يعني من أهل الظاهر) فصرف عن القضاء في سنة ٣٧٢ بموت عضد الدولة . واما خليفته ابن صبر قال أيضا إنه خني ولي القضاء بعسكر المهدي

محمد بن عبد الله^(١) المعروف بابن صبر وكان خليفته على الجانب الشرقي من حد المخرم وإلى الطرف الاعلى منه وأبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخرزى وصير خليفته على ما بقى من الجانب الشرقي من حد المخرم إلى الطرف الاسفل وأبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الاكفاني^(٢) خليفته على مدينة أبي جعفر المنصور وما يتصل بها من الجانب الغربي إلى طرفه الاعلى وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد العماني خليفته على المدينة التي

ومات سنة ٣٨٠ وكان معتزليا مشهورا به رأسا في علم الكلام سمي أبو بكر الخطيب أباه عبد الرحمن وأما هو محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن الحسين بن فهم المعروف بابن صبر وكان بصيرا بكلام أبي هاشم الجبلي خيرا بالتفسير وله كتاب في الرد على اليهود وكتاب عمدة الأدلة وكتاب التفسير وما أنه . وأما الخرزى وهو شيخ أهل الظاهر أخذ عن قاضي القضاة بشر بن الحسين وقدم من شيراز في محبة السلطان ضد الدولة وتوفي سنة ٣٩١

وقال أيضا إن أبا هاشم الجبلي هو عبد السلام بن عبد الوهاب بن أبي علي البصري كان هو وأبوه من رؤس المعتزلة وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما . قال ابن درستويه النحوي : اجتمعت مع أبي هاشم فأتاني على ثمانين مسألة من غريب النحو ما كنت أحفظ لها جوابا . ولأبي هاشم تصانيف وتلاوة وكان يصرح بخناق القرآن كأبيه ويقول بخلود الفاسق في النار وإن التوبة لاتصح مع الأصرار عليها وكذا لاتصح مع العجز عن العقل فقال : من كذب ثم خرس أو من زنا ثم جب ذكروه ثم تاب لم تصح توبتهما . وأنكر كرامات الأولياء توفي في ثامن عشر شعبان سنة ٣٢١ هو وابن دريد في يوم واحد ودفنا بمقبرة الخيزران . وليراجع ما قال فيه أبو سعد السمانى في كتاب الانساب : ص ١٢١ وابن دريد ترجمة في ارشاد الأريب ٦ : ٤٨٣

(١) قال فيه صاحب تاريخ الإسلام رواية عن التوحى : قال لى أبو اسحق الطبري : من قال ان أحدا أتق على أهل العلم مائة ألف دينار فقد كذب غير أبي محمد الاكفاني . وإنه جمع له في سنة ٣٩٢ جميع قضاة بغداد وتوفي سنة ٤٠٥ .

تعرف بالشرقية وهي على غربي دجلة الى طرفه الاسفل وقسمت نواحي السواد على هذه الحصص بينهم وفي هذه السنة ورد الخبر بقتل أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بالرملة ﴿ ذكر شرح الحال في قتله وحرقة ﴾

كنا قد ذكرنا خبره في توجهه من الرحبة الى دمشق وكان بلغه ان عضد الدولة كاتب سعد الدواة بن سيف الدواة وجميع البرادى هناك من بني كلاب وغيرهم بمارضته في مسيره وأخذ وحمله الى حضرته فاستوحش وعدل عن نهج الطريق وأوغل في البرية فناله مشقة عظيمة ووصل الى دمشق من ورائها فوجد فيها من اهمل ارجلا يقال له قسام^(١) قد تحصن بها وغلب عليها وخالف صاحب المغرب فلم يتمكن من دخولها فنزل في ظاهرها وأخذ كاتبه علي بن عمرو الى مصر يستدعي من صاحب المغرب أنجدة. ووقعت بين أصحابه وبين أصحاب^(٢) قسام هذا ثورة فرحل الى موضع يقال له نوى وفارقه من ههنا ابن عمه أبو الغطريف مستأمنا الى عضد الدولة وعيد عيد انقضى بنوى وورد عليه كتاب من كاتبه من مصر بان صاحب المغرب قبله ووعد بكل ما أحبه وأنه التمس منه ان يسير اليه زائرا فامتنع أبو تغلب من ذلك وترددت المراسلات والمكاتبات بينهما . فرحل عن نوى الى منزل يقال له كفر عاقب على بحيرة طبرية وفارقه من هناك أخوه أبو طاهر ابن ناصر الدولة على اتفاق واستئذان مستأمنا الى عضد الدولة . وكان صاحب المغرب أنفذ وجها من وجود غلامه يقال له الفضل الى دمشق ليحتال على قسام ويفتح البلاد فنصار الى طبرية وقرب

(١) ليراجع فيه تاريخ ابن القلانسي ص ٧٢ — ٢١

(٥١ — مجارب (س))

من أبي تغلب وتراسلا في الاجتماع فسار الفضل اليه وتلقاه أبو تغلب وقاوضا في الموكب ووعدته عن صاحب المغرب بكل ما أحب وبذل له أبو تغلب المسير منه الى دمشق لفتحها . فكره ذلك للفترة التي كانت جرت بينه وبين قسام لئلا يوحشه وكان يسلك في أمره اللطف والحيلة لا طريق الخوف والمقارعة فاقترقا وعاد كل واحد منهما الى موضعه ثم رحل الفضل الى دمشق فلم يتم له ما قدره فيها . وكان بالرملة دغفل بن المفرج بن الجراح الطائي وهو رجل بدوي استولى على هذه الناحية وأظهر طاعة صاحب المغرب من غير ان يتصرف على أحكامها واستفعل أمره وكثرت البوادي معه فسار الى احياء عقيل المقيمة بالشام ليواقعها^(٥٠٥) ويخرجها عن تلك البلاد فلجأت الى أبي تغلب وسأته نصرتها ومثت اليه بالرحم الزارية وكتب ابن الجراح اليه يسأله الآ يفعل ذلك ومثت اليه بالحلف الذي وقع قديما في الجاهلية بين ربيعة واليمن فتوسط بين الجهتين على التكاف الى ان يرجع الى صاحب المغرب ويمثل ما يرد منه في الامر الذي شجر بينهما . ورحل فنزل في جوار عقيل على انه مانع لها المسير والابتداء بالشر فاوحش ذلك ابن الجراح والفضل صاحب صاحب المغرب وخافاه وظنا ان اجتماعه مع بني عقيل لتدبير على أعمالهم فسار الفضل عن باب دمشق على طريق الساحل الى الرملة . وضجر أبو تغلب من طول مقيل واتصال كتب كاتبه اليه بالتسويق والتعليل فسار الى الرملة مع احياء عقائ وذلك في المحرم سنة ٣٦٩ هـ رب ابن الجراح والفضل من بين يديه حيا بعد وكتب الفصل يستجد ويجمع الى نفسه جيوش السواحل وولائه وجمع أيضا ابن الجراح الرجال واحتشد فتوافت اليهما طوائف كثيرة

واستأمن الى أبي تغلب ممن كان معهما استخسكين التركي المغربي وغيره من الاتراك وقطعة من الرجال الاخشيدية والمغاربة وعطف اليه الفضل وابن الجراح فيمن جمعا فوقعت الوقعة على باب الرملة يوم الاثنين لليلة خلت من صفر^(٥٠٦) سنة ٣٦٩ فلما عاينت عقيل كثرة الناس انهرمت فضصف^(١) أمر أبي تغلب وفارقه استخسكين المغربي طالبا العراق ومستأمنا الى ضد الدولة وعاد باقى المستأمنة من المصريين الى الفضل والى ابن الجراح ولم يبق مع أبي تغلب الا نحو سبعمائة رجل وهم غلمانة الحمدانية فانهزموا وانهمزوا ولحقهم الطلاب فثنوا وجوههم يحامون عن قوسهم بالسكافة والمجالدة فضرب بعض الصماليك أبا تغلب على رأسه وعرقب آخر فرسه فسقط الى الارض وبادر اليه ابن عم لابن الجراح يقال له مشيع الطائي وقتل بعض غلمانة وأسر أكثر أصحابه وحصل أبو تغلب في عشية تلك [الليلة] في يد ابن الجراح فبكر مصر تحملا باحياؤه وعسكره وسيره بين يديه على ناقة وقد شد رجليه بسلسلة الى بطنها واعتقد ان يأتي عليه ولا يبق فيبلغ ذلك الفضل فبكر لياخذه من يد ابن الجراح فالفاه قد سار فاتبه فلما قرب خاف ابن الجراح ان يتسلله منه وبصيره الى مصر فيجرى معه مجرى الفتكبين في اصطناع صاحب المغرب له واستصحابه اياه وقد نره بالحرب والاسر وأماخ الناقة وضربه بيده ضربتين بالسيف فسقط قتلا وأخذ رأسه وقطع بعض الشيوخ من العرب يديه ورجليه لانه كان ضرب يد ابن له عند ممانته عن نفسه فأظنها . ولحق الفضل وقد قضى الامر فأخذ رأسه وأتقده الى مصر ثم صاب جثته ثم أحرقت .

وقد كان خلف أخته جميلة وزوجته وهي بنت سيف الدولة^(١٠٧) في أحياء بني عقيل فلما قُتل حملوها^(١) مع سائر عياله الى حلب فأخذ سعد الدولة أخته اليه وأنفذ جميلة الي الرقة وحدرها منها الي عانة وعدل بها من عانة الي الموصل وسلمت الي أبي الوفاء فكانت في يده الي ان انحدر الي بغداد فحدرها معه وحصلت ممتثلة في الدار في بعض حجرها مع جوارى عضد الدولة ونسائه .^(٢)

﴿ ذكر تلافى بغداد بالمعارة بعد الخراب ﴾

وفي هذه السنة أمر عضد الدولة بمعارة منازل بغداد وأسواقها وكانت مختلة قد أحرق بعضها وخرّب، البعض فبني تل وابتدأ بالمساجد الجامعة وكانت أيضا في نهاية الخراب فانفق عليها مالا عظيما وهدم ما كان مستهدما من بنايها وأعادها على أحكام وشييدها وأعلاها وفرشها وكساها وتقدم بإرزار ارزاق قوامها ومؤذنيها والائمة والقرءاء فيها واقامة الجرايات لمن

(١) الصواب « حملوها » (٢) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٦٩ ان فيها حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان ومعها أخواها ابراهيم وهبة الله فضرب بحجها المثل فانها استصحبت أربعائة رجل وكان معها عدة محامل لم يعلم في أيها كانت وكسب المجاورين ونثرت على الكعبة لما رأتها عشرة آلاف دينار وسقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر والثلج (كذا قال أبو منصور الثعالبي فن ابن لها ثلج) وقل أخوها الواحد في الطريق وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأنعت المجاورين بالاموال . قال أبو منصور الثعالبي : خامت على طبقات الناس خمسين الف ثوب وكان بها أربعائة عمارة لا يدري في أيها كانت ثم ضرب الدهر ضربا به واستولى عضد الدولة على أموالها وحصونها وبمالك أهل بيتها افضت بها الحال الي كل قلة وذلة وتكشفت عن فقر مدقع وقد كان عضد الدولة خطبها فامتعت ترفعا عليه فخذ عليها وما زال يعنف بها حتى عراها وهتكها ثم ألزمها ان تختلف الي دار القهاب فتسكب ما تؤديه في الصادرة فلما ضاق بها الامر غرقت نفسها في دجلة .

يأوى إليها من الغرباء والضعفاء وكان ذلك كله مهملاً لا يُفكر فيه . ثم أمر بعمارة ما خرب من مساجد الارباض المختلة وأعاد وقوفها وعول في هذه المصالح على عمال ثقات أشرف عليها نقيب العالويين ثم ألزم أرباب العمارات التي احترقت ودرت في أيام الفتنة ان يعيدوها الى افضل احوالها في العمارة وفي الحسن والزينة فن قصرت يده عن ذلك اقترض من بيت ماله ليُرْتَجِع منه عند الميسرة ومن لم يوثق منه بذلك أو كان غائباً أقيم عنه وكيل وأطلق له ما يحتاج اليه فعمرت بغداد^(٥٠٨) وعادت كأحسن ما كانت .

ثم وقع التبغ على الدور والمساكن التي على جانبي دجلة فبنيت مسانئها وجددت رواشنها بعد ان كان الخراب شاملاً لها وتقدم الى من سميت له دار على الشط من كبار الاولياء والحاشية ان يجتهد في عمارتها وتحسينها . وكان السبب في خراب هذه الدور والقصور على الشط ان بختيار كان نقض دار أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي التي كانت على الصراة ودجلة حين قبضها عنه ولم يكن لها نظير ببغداد في الاتساع والحسن وكان اتخذ فيها بستاناً نحو سبعة أجرة مملواً بالنخل والاشجار والرياحين والانوار وطرائف العروس الغريبة وأنشأ فيها المجالس البهية والمساكن الفسيحة فارتفع له من أثمان النقض جملة استكثرها واستطاب بعد ذلك بيع الاقراض فهدم المنازل الجليلة التي لا يمكن أو يصعب اعادةها . فأمر عضد الدولة برفع سنة الاخراب وبيع الاقراض واعادة عمارة بستان عرصة دار العباس بن الحسين وكذلك عمارة البستان بالزاهر المتوسط الشرقي من بغداد فعمل ذلك فامتلت هذه الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد ان كانت مأوى

الكلاب ومطارح الجيف والاقذار وجلبت اليها الفروس من فارس
وسائر البلاد.

وكان يبنّاد أنهار كثيرة مثل نهر العبّارة ونهر مسجد الانباريين ونهر
البرّازين ونهر الدجاج ونهر القلايين ونهر طابق وميزابها الى دجلة^(٥٠٩)
والصراة ونهر عيسى ونهر بناحية الحربية يأخذ من الدجيل وكان منها
مرافق للناس لسقي البساتين ولشرب الشفة في الاطراف البعيدة من دجلة
فانفذت مجاريها وعتت رسومها ونشأ قرن بعه قرن من الناس لا يعرفونها
واضطر الضعفاء الى أن يشربوا مياه الآبار الثقيلة أو يتكافوا حمل الماء من
دجلة في المسافة الطويلة فأمر بحفر عمدتها ورواضها وقد كانت على عمدتها
السكبار المعروفة بنهر عيسى والصراة والخندق قناطر قد تدمرت وأهمل
أمرها وقل التمكر فيها فرجما انقطعت بها السبل أصلا ورجما عمرتها الرعية
عمارة ضعيفة على حسب أحوالهم وعلى حسب الاقتصاد والترجبة فلم تكن
تخلو من أن تجتاز عليها البهائم والنساء والاطفال والضعفاء فيعقون قبيلت
كلها جديدة وثيقة ونمت عملا محكما . وكذلك جرى أمر الجسر ببغداد
فانه كان لا يجتاز عليه الا المخاطر بنفسه لا سيما الراكب لشدة ضيقه
وضعفه وتراحم الناس عليه فاخترت له السفن الكبار المتقنة وعرض حتى
صار كالشوارع الفسيحة وحصن بالدرابزينات ووكل به الخفظة والحراس .
فأما مصالح السواد فلما قلدت الامناء ووقع الابتداء بذلك في السنة
المتقدمة لهذه التي نحن في ذكرها فقلبت الزيادات وجمعت العدد من
القصب والتراب وأصناف الآلات^(٥١٠) وأعيد كثير من قناطر أفواه
الانهار والمناياض والآجر والنورة والجص وطواب الرعية بالعبارة مطالبة

رفيقة واحتيط عليهم بالتبج والاشراف وبلغ في الحماية الى أقصى حد ونهاية
وأخر افتتاح الحجاج الى النيروز المعتضدي^(١) وكان يؤخذ سابقا
قبل ادراك الغلات وأمضيت للرعية الرسوم الصحيحة وحذفت عنها
الزيادات والتأويلات ووقف على مظالم المتظلمين وحملوا على التعمديل
ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج وزال ما كان يجرى عليهم من القبايع
وضروب العسف وأقيمت لهم السواني في مناهل الطريق وأحفرت الآبار
واستفيضت الينابيع . وحلت الى الكعبة الكسوة المستعملة الكثيرة
وأطلقت الصلات لاهل الشرف والمقيمين بالمدينة وغيرهم من ذوى الفاقة
وأدرت لهم الاقوات من البر والبحر وكذلك فعل بالمشهدين بالتري
والحائر على ساكنهما السلام وبمقابر قريش فاشترك الناس في الزيارات
والمصليات بعد عداوات كانت تنشؤ بينهم الى أن يتلاعقوا وتوافقوا

(١) قال صاحب كتاب العيون انه في سنة ٢٧٩ أحدث المعتضد النوروز الذي

قع في اليوم الحادي والعشرين من حزيران

وفي تأخر الحجاج قال أبو هلال العسكري في كتاب الاوائل (والنسخة موجودة في
كتبخانة باريس ٥٩٨٦ ص ١٣٨) ان أول من أخرج النيروز المتوكل فانه كان يرى ما أضر
بالناس افتتاح الحجاج والزروع أخضر وهم يقرضون ويستلفون وأحضر ابراهيم بن العباس
الصولي فوقع العزم على تأخير النيروز الى سبعة وعشرين يوما من حزيران فمكتب
الكتاب على ذلك وهو كتاب مشهور في رسائل ابراهيم وفيه وجد البلاذري خطأ
(وردت القصة في ارشاد الارب ٢ . ١٢٨) وانه قتل المتوكل قبل دخول السنة الحديدية
وولى لنتصر فاحتاج الى المال فطوب به الناس على الرمم الاول وانتقض ما رسم
المتوكل فلم يعمل به حتى ولي المعتضد . فوقع حيا به في اليوم الحادي عشر من حزيران
فاحكم أمره على ذلك وأثبت في الدواوين . وأما احتدى المعتضد بالله ما فعله المتوكل
الإيه قد قصره في احدى عشر يوما من حزيران

وخرشت الالسن التي كانت تجر الجرائر وتشب النوار بما أظلمها من السلطان القامع والتدبير الجامع . وبسطت رسوم للفقراء والفقهاء والمفسرين والمتكلمين والمحدثين والنسايين والشعراء والنحويين والعروضيين والاطباء والمنجمين والحساب والمهندسين وأفرد في دارعضد الدولة لاهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجره التي يختص بها الحجاب فكانوا^(١١) يجتمعون فيها للمفاوضة آمين من السفهاء ورعاع العامة وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تتصل بهم^(١٢) ففاشت هذه العلوم وكانت مواتا وتراجع أهلها وكانوا أشتانا ورغب الاحداث في التأديب والشيوخ في التأديب وانبمشت القرائح وتفتت أسواق الفضل وكانت كاسدة وأخرج من بيت المال أموال عظيمة صرفت في هذه الابواب وفي غيرها من الصدقات على ذوى الحاجات من أهل الملة وتجاوزهم الى أهل الذمة . وأذن للوزير نصر بن هرون في عمارة البيع والديرة واطلاق الاموال لفقراءهم .

وكنا بمرض الزيادة من هذه البركات الى ان أتى أمر الله الذي

(١) ويشبه هذا حكاية أوردها جعفر بن قدامة في كتاب الخراج : أخبرني سنان ابن ثابت بن قرة ان المعتضد بالله (وكفى به من الملوك فضلا وحزما) أنه لما أراد بناء قصره في أعلى بغداد على الموضع المعروف بالشماسية استزاد في الذرع بعد ان فرغ لها من تقدير جميع ما أراد له للقصر فمثل عما يريد ذلك له فذكر انه يريد ليني فيه دورا ومسكن ومقاصير ترتب في كل موضع منها رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية وهجري عليها الارزاق السنوية ليقتصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه ولو مد له في العمر حتى يفعل هذا الظاهر فضل هذه الامه على جميع الامم

لا يدفع وإنما شرحناها لينظر فيها من يأتي بعدنا وبقراها الملوك أو تقرأ بين أيديهم فيعملون بمثل ذلك ويسرون بها لينتشر ذكركم بالجميل ويطلع الله عز وجل على نياتهم فيمكن لهم ويحسن معونتهم فلو لا خلال كانت في عضد الدولة يسيرة لا استحسن ذكركم مع كثرة فضائله بلوغ من الدنيا مائة ورجوت له من الآخرة رضاه والله ينفعه بما قدمه من العمل الصالح ويفقر له ما وراء ذلك..

وفي هذه السنة شخص المطهر بن عبد الله عن مدينة السلام الى أسافل واسط لطلب الحسن بن عمران فاقام على منازلته والثالث عليه أمره قتل نفسه .

﴿ ذكر شرح الحال في قتل المطهر نفسه ﴾

لما توفي عمران بن شاهين وفرغ عضد الدولة^(١١٢) من الاعداء الكبار وقتل بنختيار وأبو تغاب وبملك ديارهم ورجلهم وحصل بمدينة السلام وكانت نفسه تنازع الى مصر خاصة والى ديار الكفر بعد ذلك من الروم وما والاها كره أن يجاوره التنبط مستمعية ويطاوله صغار أصحاب الاطراف ومن يلوذ بالقصب والقياض والآجام ولا يتأصله فمرّض في مجلسه بذكر الحسن بن عمران والبطيحة وطلب من يكفيه هذا الخطب فانتدب له أبو الوفاء والمطهر وأظهر كل واحد منهما كفاية فيه . وتقرر الرأي على ائقاة المطهر فجرد معه عسكريا فيه أصناف من الرجال وأزاح غلته في السلاح والاه وال والسمدد والآلات وضم اليه أبا الحسن محمد بن عمر العلوي الكوفي وكان في هذا الوقت بها فانقلب منها الى واسط حتى اجتمع معه بها فغاض على المطهر وأكرم وسار يوم السبت للنصف من صفر واستخلف

له عضد الدولة على الوزارة وتدير الاعمال وجمع الاموال أبا الريان محمد بن محمد الاصبهاني وذلك لدربه لا لصناعته ولانه عرف بطول الممارسة موارد الامور ومصادرها وكان واسطة بين عضد الدولة ووزرائه وكان كالشريك لهم فيما يمدونه ويمضونه من أوامره . فلما استقر المطهر بالبريوني من أعمال الجامعة شاور الناس ومحض الرأي فتقرر الامر على تدير فاسد قد كان جربه من درج قبله مرارا فلم ينتفع به وهو ايقاع السدود على أفواه الأنهار لتتشف البطيحة التي يلجأ اليها^(٥١٣) عسكر النبط وأنشأ مسناة يسلك عليها بالاقدام الى نفس معانقهم فأطلقت في ذلك أموال ضاعت وانقطعت المسالك في دجلة وبطل ارتفاع السكار ولزمت مؤن الحصار واثبتت الرجال وجاءت المدود فحملت على السدود . وتوصل الحسن بن عمران الى بعض تلك السدود فبقها فامتلات البطائح بالمياه وكان المطهر اذا سد جانبا اثلت عليه جوانب واذا حفظ وجها أتاه الخلل من وجوه وافق مع ذلك ان جرت بينه وبين الحسن بن عمران وقعة في الماء فلم يتم له ما قدره من اصطلامه . وكان المطهر قد ألف فيما كان باشره من الحروب المناجزة واعتاد المفاصلة ولم يدفع الى مصابرة قط ولا مطاولة فشق ذلك عليه وبلغ منه وكان يتهم أبا الحسن محمد بن عمر الملوي بمراسة تجرى بينه وبين صاحب البطيحة وهدايا وملاطقات في السر منه وانه يطلعه على أسرار التدير عليه ويهدبه الى مصالحه . وكانت أخلاق المطهر معروفة بالشراسة والخشنة وكانت أفكاره سيئة فأوجس في نفسه خيفة واستشعر وحشة وتوهم أن استصعاب ما استصعب عليه من هذا الامر عائد عليه بانخفاض منزلة وانحطاط عن رتبة الوزارة وان أبا الوفاء مجد مسافرا لاظمن عليه واظهار

معايه لما كان بينهما من العداوة والمنافسة في المرتبة واختار الموت على تسلط الاعداء عليه وتمكنهم منه . فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خات من شعبان جلس في مجلسه من عسكره ويدخل اليه الكتاب والقواد وطبقات الناس^(٥١٤) مسلمين عليه فتقدم اليهم بالتخفيف والانصراف ونهض الى خيمة كان يخلو فيها واستدعى طبيبه وأمره بان يفصده وظن انه اذا انصرف الطيب حل شدة الفصد واستنزف دمه الى أن يتاف وكان قريب العهد باخراج الدم وشرب الادوية المسهلة من أجل علة ناله قبل حركته من الحضرة فأعلمه الطيب انه غير محتاج الى الفصد فزجره وطرده ثم صرف من كان واقفا بين يديه من غلمانه حتى خلا بنفسه وأخذ سكين دوانه فقطع بها شرايين ذراعيه جميعا وأدخلها الى باطن ثيابه فخرج نفسه في مقاتله ودخل اليه فراش كان يختص به فرأى دسنة الذي كان جالسا فيه مملوا دما فصاح وتواقي اليه الناس فادركوه وبه رمق وظنوا أن انسانا أوقع عليه ثم تكلم بما بان لهم^(٥١٥) انه تولى ذلك من نفسه وحفظت عليه الفاظ يسيرة منها ان محمد بن عمر العلوي حمله على ما ارتكبه من نفسه وكلمات يسيرة في هذا المعنى وغيره ومات من ساعته وحمل الى بلدة بكارزين من أعمال فارس فدفن هناك . وكانت هذه الحادثة من عجائب الزمان اذ فتك هذا الرجل بنفسه خوفا من تغير صاحبه له ونسئل الله التوفيق والعصمة والستر الجليل برحمته .

وأخذ عضد الدولة عيّد الله بن الفضل الى ممسك المطهر لحفظ أسبابه وتقرير أمر صاحب الطبيعة على أمر في العاجل من حمل مال

وموادعة له الى أن ينظر في أمره وكان ذلك عقيب عودته من الإيقاع بيني
شيبان^(١٥) فأنحدر ووفى بما أمر وحمل مالا من قبل الحسن بن عمران
وتسلم منه رهينة وانكفاً بجميع ذلك ودخل الحضرة يوم الأربعاء للنصف
من ذي القعدة

وفيهما انفرد نصر بن هرون بالوزارة لان أصل الوزارة كانت له ثم
شورك بينه وبين المطهر فلما مضى المطهر لسبيله وتفرّد نصر بن هرون
بوزارته وكان مقياً بفارس يدبر أعمالها استخاف له عضد الدولة أبا الريان
حمد بن محمد .

وفيهما ورد رسول لصاحب المغرب برسائل أداها وكان دخوله في شعبان
وانصرفه في ذي القعدة ورد منه القاضي أبو محمد الهاماني لتأدية الجواب .
وفيهما توفي حسني بن الحسين في قلعة المعروفة بدمرج .

وفيهما قبض على محمد بن عمر العلوي بالطيعة وأنفذ الى فارس وكان
السبب فيه ما حفظ من كلام المطهر قبل وفاته فيه^(١٦) وانفذ أبو الوفاء طاهر
ابن محمد الى الكوفة لقبض أمواله وأملاكه فوصل الى شيء عظيم
يستكثر من المسال والسلاح وضروب الذخائر التي لا يظن بمثلها انه
يجمعها ودخلت اليد في ضياعه وكانت كثيرة تشتمل على جل ستمى الفرات
بل قد تجاوز ذلك الى غيره من أعمال السواد واصطنع أخوه أبو الفتح احمد
ابن عمر وقلد الحج بالناس واقطع اقطاعاً سنيا .

(١) قال ابن الصابي انه سمع منه كلام يفهم منه الشكايه من الشريف قبض
عليه عضد الدولة وقتله الى فارس ودخلت اليد في أملاكه وأسبابه : كذا في عمدة الطالب

وفي هذه السنة أخذ عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعي أسيرا
وشهر بالبصرة وبمدينة السلام ثم قتل وصلب الى جانب صاحبه .^(٥١٦)
(شرح الحال في الحيلة التي تمت عليه حتى أسر وقتل)

كان هذا الرجل وضيما ساقطا طبقته عن كل رتبة واستخدم في وقت
في تفرقة قضيم الكراع ولذلك عُرف بالكراعي ثم وصل بجمهد بن بمية
وجمعتها عاهة النقص ومناسبة السقوط فارتفع معه حتى قاده خلافته
بالبصرة وجعله مستوفيا على العمال فأرى وتوكل وكان منه في أيام عصيان
ابن بمية بواسط سوء أدب كثير وذكر الملوك بما لا يليق بالملوك بعضهم
في بعض . ثم تنكر له ابن بمية فقبض عليه ونكبه فلما قبض بختيار على ابن
بمية استخدمه ولما عزم بختيار على الحرب منهزما هرب منه وصار الى
البطائح وكان هناك يجرى على سوء عادته في سوء الادب . فدر عضد الدولة
تديرا ثم شطره عليه ولوقبل حيمه لم أيضا على صاحب البطيحة ما يُستنى
معه عن عاربة ومكافئة وذلك أنه ووقف جماعة من أهل البصرة ووجورها
ان يخدموا عضد الدولة في مكاتبة يؤقموها الى هذا الكراعي ويوهونه
أنهم يوالونه ويضافرونه فاذا قربوا منه أناروا الفتنة بمواطأة من سلطان
البصرة ثم سلموا اليه البصرة حتى اذا اغترت استدعى الحسن بن عمران
ليقتوى به فاذا صار في دجلة حيل بينه وبين الرجوع الى البطيحة وحاشته
الكمياء من أعلى وأسفل . وأخذ فبلغ به الجهل ان صدق بهذا الوعد
وعجل فخرج وأخرج معه الحسن بن عمران وسائر عسكره وقال : لي
بالبصرة أولياء واخوان قد كاتبوني والبصرة في أيدينا . فاعترت به الحسن
ابن عمران^(٥١٧) وخرج مع عسكره فلما صاروا بمطارا نار بهم من كان فيها

من الرجال وقَاتلهم . وأخطأوا لان تمام التدبير كان في ان يتركوم حتى
يؤغلو الى البصرة فقام القوم يقاتلونهم ثم ظفر بالكرامى وانهزم الحسن
ابن عمران بعد ان مُدكت عليه قطعة وافرة من سفنه ورجاله . وحمل
السكرامى الى البصرة فشهرو وعوقب وطواب بالمال ثم أتخذ الى بغداد
فشهرو منصوباً على تفتق في سفينة وعلى رأسه برنس وذلك يوم الخميس لعشر
ليال بقين من شعبان فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من ذي الحجة طُرح
الى القيلة فخطه وصلب الى جانب ابن بنية .

وفي هذه السنة تخذ عسكر الى عين التمر في طلب ضبة بن محمد
الاسدى (وقدم مرّ ذكره وانه ممن يسلك سبيل الدعار ويسفك الدما
ويُخيف السبل وينهب القرى ويبسح الاموال والفروج) واتهم حرمة
المشهد بالخائر فلما أظلم عليه العسكر المجرّد هرب بمحاشته الى البادية وأسلم
أهله وحرمة فحصل أكثرهم في الاسر ومُدكت عين التمر

وفيها دبر عضد الدولة ان يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابنته
الكبرى ففعل ذلك وعقد العقد بحضور الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة
والتقضاء على صداق مائة الف دينار^(١) وبني الامر فيه على ان يرزق ولدآ
ذكر امنها فيولّى العهد وتصير الخلافة في بيت بني بويه وبصير الملك
والخلافة مشتامين على الدولة الديلمية^(٥١٨)

وفي هذه السنة سار عضد الدولة الى الجبل وأعمالها ودوخ همدان

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وكان الوكيل عن عضد الدولة أبو على
(الحسن بن أحمد بن عبيد الففار) الفارسي النحوى والذي خطب القاضي أبو على الحسن
ابن هل التوحى .

والدينور ونهاوند لافتتاح قلاع حسنويه بن الحسين الكردي وتدير
فخر الدولة في قصده ومقابله على ما كان منه في مكاشفته والاجتهاد في
تشتيت شمل الدولة وتفريق الكلمة ومعاوضة بختار وابن بقية وقد كان
أظهر مباينة مؤيد الدولة وكاتب قابوس بن وشمكير .

ولما هلك حسنويه بن الحسين أميل عضد الدولة ان يكون الشيطان
الذي نزع بينه وبين اخوته قد زال وأنفذ أبا نصر خرشيد بزديار الخازن
رسائل الى مؤيد الدولة والى فخر الدولة والى قابوس بن وشمكير اما الى
مؤيد الدولة فبإجماده على طاعته التي ما غيرها ولا كدرها واما الى فخر
الدولة فبالعاقبة والمداراة والزيادة في الاخذ بالحجة واما الى قابوس بن
وشمكير فبالمشورة عليه بحفظ الذمة التي تعلق بها وحفظ نعمته وترك
التعرض لما يورطه ويهلكه . فأما مؤيد الدولة فإنه أجاب جوابا سديدا
وانه واقف على حدود طاعته وتادم له في رضاه وغضبه . واما فخر الدولة
فاجابه جواب النظير الذي لا يرى لرتبة الملك منية ولا ليكبر السن وعهد
الاب فضيلة ولا في المعاودة الى جميل الطاعة نية . واما قابوس فاجاب
جواب المتطيب المحجم المراقب .

وافترق اولاد حسنويه فرقا واختلفت بهم المذاهب وهم أبو العلاء
وعبد الرزاق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبختيار^(١١) وعبد الملك
فطائفة منهم انحازت الى فخر الدولة مظهرة لمشاقة عضد الدولة وطائفة
وردت . حضرته فاما بختار من بينهم فإنه نافر اخوته وكان مقما في قلعة
سرماج ومنه الاموال والذخائر فابتدأ بكتابة عضد الدولة وبذل تسليم
ذلك اليه وذ كر رغبته في الاعتصام به والدخول في كنفه ثم تلون ولم

ف . قشوف عضد الدولة للمسير الى الجبل وتهديب أعمالها فابتدأ يقدم
 ساكره يتلو بعضها بعضا فجرد أبا الفتح الظفر بن محمد الحاجب
 وأبا نصر خواشاذه وأبا الوفاء طاهر بن محمد وبرز عن داره الى المسكر
 بالمصلي من الجانب الشرقى بمدان أقرّ أبا الريان بالخضرة على جلته من
 خلافة الوزارة ولسكن زاد في منزلته وناط به جميع أمور المملكة وطال مقامه
 بالمسكر الذي برز اليه الى ان أوغلت تلك الجيوش السائرة على مقدمته . وقد
 كان أبو نصر خواشاذه وطأ الامور عند خروجه لتأدية الرسائل فوافق
 القواد والوجوه أن يخدموا عضد الدولة بنياتهم فاذا سار استأمنوا اليه وضمن
 لهم الاقطاعات السنوية وحمل الى بعضهم الهدايا والالطاف في السر فلما سار
 تلقته في طريقه البشائر بدخول جيشه همذان واستئمان العدد الكثير من
 قواد^(٢٢٠) نغر الدولة ورجال حسويه وتلقهم رايته منعازين اليها وتلقاه أبو
 الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وزير نغر الدولة ومعه جماهير حاشيته
 وبقية قواده وغلمانها فأنحل أمر نغر الدولة واحتاج الى مفارقة موضعه
 واللاحق ببلد الديلم فضى ونزل دارا كان بناها معز الدولة بهوسم ولجأ الى
 الداعي العلوي المستولى على ذلك الصقع وعرج عضد الدولة الي نهاوند
 وافتتح قلعة سرماج واحتوى على ما فيها وملك غيرها من قلاع تلك البلاد
 وألقت اليه الحصون مقاليدها وأخرجت الارض أنفالمها .

ولحقته في هذه السفرة علة عاودته مرارا وكانت شبيها بالصرع وتبعه
 مرض في الدماغ يعرف بليترغس وهو النسيان الا انه أخفى ذلك
 ويقال ان مبدأ ذلك به كان بالموصل الا انه لم يظهر أمره لاحد^(٢٢١)

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٦٩ : وسأل عضد الدولة العظام

﴿ وهذا آخر ما عمله الاستاذ أبو علي أحمد بن محمد بن

يعقوب مسكويه رضى الله عنه ﴾

والحمد لله وصلواته على محمد النبي وآله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

فرغ من اتساخه محمد بن علي بن محمد أبو طاهر البلخي في

منتصف شهر ربيع الاول سنة ست وخمسة

نقله وقابله علي بن حنظلة سنة عشرين وخمسة

فرغ من نقله الحسن بن منصور في مستهل المحرم سنة

ثمان وثلاثين حامدا لله ومصليا على نبيه

فرغ ابنه محمد بن الحسن في ربيع الاول سنة اثنين وخمسين وخمسة

ان يزيد في لقبه « تاج الملة » ويجدد الخلع على ويلبسه التاج فاجابه وجلس الطائع على المربر وحوله مائة بالسيوف والزينة وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة ويده القضيب وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم وضربت ستارة بعنقها عضد الدولة وسأل ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله ودخل الاتراك والديلم وليس مع أحد منهم حديد ووقف الاشراف وأصحاب المراتب من الجانبين ثم أذن لعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة فقبل عضد الدولة الارض . فارتاع زياد القائد لذلك وقال بالفارسية : ما هذا أيها الملك أهذا هو الله عز وجل ! فالتفت الي عبد العزيز بن يوسف وقال له : فهمه فقل له « هذا خليفة الله في الارض » ثم استمر يمشي ويقبل الارض سبع مرات فالتفت الطائع الى خالص الخادم فقال : استدنه . فصعد عضد الدولة فقبل الارض دفعتين فقال له : أذن الى أذن الى . فدنا وقبل رجله وثني الطائع بيمينه عليه وأمره فجلس على كرسي بعد ان كرر عليه « اجلس » وهو يستعفى فقال له : أقسمت لتجلس . فقبل الكرسي وجلس فقال له : ما كان أشوقنا اليك وأشوقنا الي . ففاوضتك . فقال : غصدي معلوم . فقال : نيتك موثوق بها وعقيدتك

مسكون إليها . فأوماً برأسه ثم قال له الطائع : قد رأيت أن أفوض اليك ما وكل الله الى من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوي خاصي وأسبابي فتول ذلك مستخيراً بالله . قال : يعينني الله على طاعة مولانا وخدمته . وأريد وجوه القواد أن يسمعوا لفظ أمير المؤمنين فقال الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ويحمد بن عمرو بن معروف وابن أم شيبان والزيبي . فقدموا فأعاد الطائع لله القول بالتقويض . ثم التفت الى طريف الخادم فقال : يا طريف تقاض عليه الخلع ويتوج . فقبض الى الرواق وأبس الخلع وخرج فأوماً ليقبل الأرض فلم يطق لكثرة ما عليه فقال له الطائع : حسبك حسبك . وأمره بالجلوس . ثم استدعى الطائع تقديم أوليته فقدم لوائين واستخار الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعقدتهما ثم قال : يقرأ كتابه . فقرأه فقال له الطائع : خار الله لك ولنا وللمسلمين أمرك بما أمرك الله به وأهلك عما نك الله عنه وأبرأ الى الله مما سوى ذلك أنهض على اسم الله . ثم أخذ الطائع سيفاً كان بين الخديتين فقدمه به مضافاً الى السيف الذي قبله مع الخلة وخرج من باب الخصة وسار في البلد .

وأما عضد الدولة وعلته فإيراجع في ذلك حكاية أوردها ابن حمدون في التذكرة وهي : حدث القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي قال : حدثني عضد الدولة أبو شجاع فناخسرة بغداد وذلك في سنة ٣٧٠ قال : حدثني أمي رحمها الله أنها ولدت للامير ركن الدولة ولداً قبل كناه أبا داف وعاش قليلاً وهضى لسبيله (قالت) فحزنت عليه حزناً شديداً اسفا على فقده واشفاقاً من أن ينقطع ما بيني وبين الامير بعده فسلا في مولاي وسكنني وأقبل على وقريني ومضت الايام وتطول العهد وسلوت ثم حملت بك باصفهان فحقت أن أجيء بنت فلا أرى مولاي ولا يراني لما أعرفه من كراهته للبنات وضيق صدره بهن وطول أعراضه عنهن ولم أزل على جملة الفلق والجزع الى أن دخات في شهرى وقرب ما أرقبه من أمرى وأقبلت على البكاء والدعاء ومدائمة الصلاة والادعية الى الله في أن يجعله ولداً ذكراً سوياً محظوظاً (أو كما قال عضد الدولة) ثم حضرت أيامي وأتفق أن غلبني النوم فمت في مخاذي ورأيت في منامي رجلاً شيخاً نظيف البرة ربة كك اللحية أعين عريض الاكتاف وقد دخل على وعندى أنه مولاي ركن الدولة فلما تبينت صورته ارتعت منه وقلت : يا جورارى من هذا الهاجم علينا فتساعين اليه . فزبرهن وقال : أنا علي بن أبي طالب . فنهضت اليه وقبلت الأرض بين يديه فقال : لا لا . وقتت : قد ترى مولاي ما أنا فيه قانع الله لي بأن يكشفه وهب لي ذكراً سوياً محظوظاً . فقال : يا فلاة

(وسهاني باسمي وكذا كنى الملك عضد الدولة عن الاسم) قد فرغ الله مما ذكرت
 وستدين ذكرا سويا نحميا ذكرا عاقلا فاضلا جليلا القدر سائر الذكر عظيم الصولة
 شديد السطوة يملك بلاد فارس وكرمان والبحر وعمان والعراق والجزيرة الى حلب
 ويسوس الناس كافة ويقودهم الى طاعته بالرغبة والرهيبة ويجمع الاموال الكثيرة ويظهر
 الاعداء . ويقول مجمبع ما انا فيه (يقول الملك ذاك) ويبعث كذا وكذا سنة لعمر
 طويل أرجو بلوغه (ولم تبين للملك قدره) ويملك ولده من بعده فيكون من حالهم كذا
 وكذا شيء طويل هذه حكاية لفظه قل الملك عضد الدولة : وكلما ذكرت هذا المنام
 وتاملت أمرتي وجدته موافقا له حرفا بحرف ومضت على ذلك السنون ودعاني عمى عماد
 الدولة الى فارس واستخلفني عليها وصرت رجلا وماتت أُمى

وحدث أبو الحسين الصوفي يقول الملك هذا (وأبو الحسين حاضر يسمع حديثه) واعتلت
 علة صعبة أيست فيها من نفسي وأيس الطيب منى وكانت سنتي المتحولة فيها سنة ردية
 الدلائل موحشة الشواهد وبلغت الى حد أمرت فيها بان يحجب الناس عنى حتى الطيب
 لضجري بهم وتبرمي بأمورهم وما احتاج الى ذرحه لهم ولا يصل الى الاحجاب النوبة
 ويدأ أنا على ذلك وقد مضت فيه ثلاثة أيام أو أربعة ولا شغل لى الا البكاء على نفسي
 والحسرة من مفارقة الحياة اذ دخل حاجب النوبة فقال : أبو الحسين الصوفي في الدار
 منذ الغد بسأل الوصول وقد اجتهدت به في الا انراف قاني الا القعود وبرك القبول
 ولن يقول « لا بد لي من لئاه مولانا فان عندى بشارة ولا يجوز أن يتأخر وقوفه عليها
 وسماعه اياها » فلم أحب أن أجده به في المنع والصرف الا بعد المظالمة وخروج الامر .
 فقلت له على هضض غالب وبصوت خافت : قل له كاني بك وأنت تقول « قد بلغ
 الكوكب الفلاني الى الموضوع الفلاني » وتهذى على في هذا المعنى هذيانا لا يتسع له
 صدري ولا يحتمله قلبي وجسمي وما أقدر على سماع ما عندك فانصرف . فخرج الحاجب
 وعاد متعجبا وقال : اما ان يكون أبو الحسين قد احتل واما ان يكون عنده أمر عظيم
 فاني أعدت عليه ما قاله مولانا فقال : ارجع وقل له « والله لو أمرت بضرب رقبتي
 لما انصرفت أو أراك ومتي أوردت عليك في معنى النجوم حرفا فحككك ماض في .
 واذا سمعت ما أحدثك به عوفيت في الوقت وزال ما تجده » فمجتبت من هذا القول
 عجبا شديدا مع علمي بعقل أبي الحسين وشدة تحقيقه وقلة تحريفه وتطلعت نفسي الى
 ما يجده فقلت : ها به فلما دخل قبل الارض وبكى وقال : أنت والله يا مولانا في عاقبة
 ولا خوف عليك اليوم بل وتستغل ومعنى دلالة على ذلك . قلت : وما هي . ولم أكن

حدثته من قبل بحديث المنام الذي رآه أُمِّي ولا سمعته أحد مني فقال : رأيت البلوحة في منامي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عم والناس يهرعون إليه ويحتمون عليه ويفاضونه أمورهم ويسألونه حوائجهم وكان قد تقدمت إليه وقلت له : يا أمير المؤمنين أنا رجل في هذا البلد غريب رُكْتُ نعمتي ونجارتني بالرى وتعلقت بخدمة هذا الأمير الذي أنا معه وقد بلغ في عاتقه إلى حد آيب في من عاقبته وأخاف أن أهلك بهلاكه فادع الله له بالسلامة . قال : تعنى فناخسره بن الحسن بن بويه . فقلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال امض اليه غدا وقل له « أنسيت ما أخبرتك به أمك عني في المنام الذي رآته وهي حامل بك ألم أخبرها مدة عمرك وأنتك ستمتلك إذا بلغت كذا وكذا سنة علة يأيس فيها منك أهلك وطبكت ثم تبرأ منها وفي غد يتدعى بروك ويزابد إلى أن ركب وتعود إلى طاعتك كلها في كذا وكذا يوما ولا قاطع على أجلك الحد الوقت الذي أخبرتك به أمك عني » قال الملك عضد الدولة : وقد كنت أنسيت أن أُمِّي ذكرت ذلك في المنام وأني إذا بلغت هذه السنة من عمري اعتلت هذه العلة التي ذكرها فذكرت ذلك عند قول أبي الحسين ما قاله فحين سمعت ما سمعته حدثت لي في الحال قوة نفس لم تكن من قبل وقلت : اقدموني . فجاء الغلمان وأجلسوني فلما استنظلت على الفراش قلت لأبي الحسين : اجلس وأعد الحديث . فجلس وأعاد وولدت بي شهوة الطعام واستدعيت الطب فاشاروا بتناول غداء عمل في الوقت وأكثته ولم ينصرم الوقت حتى أحسست بالصلاح الكثير وتدرجت العافية فركبت وعاودت عادتي في اليوم الذي قاله أبو الحسين .

وكان الملك يشرح هذا الشرح وأبو الحسين حاضر يقول : كذا والله قلت لمولانا وأعيذه بالله فما أحسن حفظه وذكره . ثم قال لي : بقي في نفسي من هنا المنام شيء قلت : يبلغ الله مولانا آماله ويزيله من كل ما يهوله وينصرم عنه كل ما يحشاه . ولم أجاوز الدعاء لعملي بأن سؤاله عن ذلك سوء أدب فلم ما في نفسي وقال : وقوفه على أنني أملك حطب ولو كان عنده أنني أجاوزها لقال حتى أنه لما ورد الخبر بإقامة ابن شيخ الدعوة لي بها ذكرت المنام فتفصص على أمرها اشفاقا من أن تكون آخر حدود مملكتي من ذلك الصقع . فدعوت له وأقطع المجلس